هذا العدد

لم تصدر « الآداب» في الشهر الماضي بسبب اندلاع حرب تشرين .

وها هي تختتم عامها الواحد والعشرين بعدد مزدوج (تزيد صفحاته عن ضعف العدد العادي) مخصص كله لاهم ما كتبه ادباؤنا ومفكرونا في المعركة .

وقد انبثقت هذه الفكرة عندنا من تحرقنا ، في اثناء الحرب ، الى قراءة ما يشارك به ادباؤنا على صعيد الوطن العربي كله ، ولكن ذلك كان شبه مستحيل لانقطاع البريد والمواصلات ، وخاصة مع بلاد المشرق ، وعلى رأسها الشقيقتان مصر وسوريا اللتان كان القتال يدور على ارضهما .

من هنا كان عزمنا على اتاحة هذه الفرصة امام القراء العرب للاطلاع على اسهام الاقلام الملتزمة بقضايا الامة العربية في هذه الحرب الفاصلة التي تظل ، مهما اختلفت الآراء فيها وفي مخططاتها وفي نتائجها ، بدء تاريخ جديد للانسان العربي .

وقد ابرقنا الى مراسلينا في البلاد العربية لموافاتنا بكل مادة كتبها الادباء والمفكرون في الصحف اليومية والاسبوعية ، خلال فترة الحرب وبعدها حتى آخر تشرين الاول (اكتوبر) الماضي ، كما اتصلنا بالملحقين الصحفيين والثقافيين في السفارات العربية ببيروت ، فأسعفونا بما وصلهم من صحف بلادهم في تلك الفترة .

ولم يكن ممكنا ان نورد في هذا العدد الخاص كل ما كتبه جميع حملة الاقلام العرب ، فاخترنا نماذج معبرة من هذا النتاج ، ونحن نستأذن اصدقاءنا الادباء والمفكرين باعادة نشرها في هذا العدد الوثائقي الذي قصدنا الى جعله مرجعا هاما لمبادرات الكتاب العرب في مواجهة المعركة .

ولا بد من ان نوضح هنا ان « القيمة الفنية » لهذه المادة ستكون من غير شك موضع نقاش . فكثير منها أدخل في ادب الخواطر والتعليقات منه في النتاج الفني الناضج .. وهذا أمر طبيعي ، ولكن تبقى لهذا العطاء نقاوة الارض الاخلاص وبكارة الاحساس والانفعال . انه أشبه بـ « طلقة » ، كما عبر سليمان فياض ، يشارك القلم العربي بها أخاه السلاح العربي ، فيكون تأثيرهما أعمق وافعل .

وايا ما كان ، فـ « الآداب » تطرح امام قرائها هذه المادة ، تاركة لهم تقييمها في ظروفها ، وترحب بنشر آرائهم فيها .

« الآداب »

لبنان

سهيل ادريس

بيان للمثقفين

باسم اتحاد الكتاب اللبنانيين وضع الدكتور سهيل ادريس نص البيان والبرقيات التالية التي وقعها المثقفون اللبنانيون والعرب المقيمون في لبنان في اجتماع عام عقد صباح الثامن من تشرين الاول في دار نقابة الصحافة اللبنانية :

« ان المثقفين اللبنانيين والمثقفين العرب المقيمين في لبنان ، المجتمعين في دار نقابة الصحافة اللبنانية بدعوة من اتحاد الكتاب اللبنانيين ، يحيون الجيوش العربية المصرية والسورية وسائر الفصائل العربية ورجال المقاومة الفلسطينية في حرب التحرير العربية التي ترد الى الانسان العربي ايمانه بمقدرته على النضال من اجل حقه في الحرية والكرامة .

ان الجندي العربي الذي يخوض الآن اشرف معركة في سيناء وعلى مرتفعات الجولان يجسد مطامح الانسان العربي كلها في التحرر من كل الوان الانسحاق التي مارستها عليه عهود متطاولة من الاستعمار والتخلف والاقطاع والرجعية ، ومن صنوف الارتهانات التي حالت دون انطلاق طاقاته الاصيلة لخلق المجتمع العربي الجديد الذي يستطيع المساهمة في الحضارة الانسانية الراهنة .

وان من شأن هذه المعركة ان تحشد كل طاقات هذا الانسان العربي ، على كل صعيد ، وهي فرصة قد لا تتيحها له في المستقبل ظروف الملابسات والمساومات الدولية . من هنا كان ايماننا بوجوب المضي في هذه المعركة حتى النهاية ، وعدم الخضوع لاية ضغوط سياسية عسكرية . ذلك ان الشعوب العربية لم تكن مستعدة مثلها هي اليوم لكل التضحيات التي تطلب منها ، كما انها لن تغفر لاية دولة عربية أي تخاذل او تراجع او احجام عن تقديم كل ما تملك من اجل المعركة .

لهذا يدعو المثقفون اللبنانيون والعرب الى :

١ ـ مشاركة كل الدول العربية بجيوشها وطاقاتها في المعركة وفي صورة خاصة الجيش الاردني لاهميته الاستراتيجية .

٢ ـ حماية المقاومة الفلسطينية وتمكينها من القيام بدورها الكبير على الحدود العربية وداخل الارض المحتلة .

٣ ـ قطع النفط عن اية دولة اجنبية لا تساند الحق العربي مساندة صريحة ، وتحديد موقف صريح من مصالح اية دولة اجنبية لا تؤيد المطالب العربية المشروعة .

والمجتمعون مؤمنون أعمق الايمان بدور الكلمة العربية المسؤولة في هذه المعركة ، وهم واثقون من ان الادباء والشعراء والصحافيين العرب سيضطلعون بمسؤوليتهم على اكمل وجه في مشاركة الجماهير في الدفاع عن الحقوق العربية وحث اصدقائهم من ادباء العالم الاحرار والمستشرقين على المشاركة في دحض زيف الدعاية الصهيونية وشرعية نضال الشعوب العربية وعلى رأسها الشعب الفلسطيني لاسترداد الارض المغتصبة .

ويعتبر المجتمعون انفسهم مجندين بكل طاقاتهم الفكرية الى جانب رفاق السلاح البواسل ، وسيظل اجتماعهم مفتوحا لتقديم كل ما يتطلبه الموقف المصيري » .

وقرر المجتمعون ارسال البرقيات الآتية :

« سيادة الرئيس أنور السادات :

المثقفون اللبنانيون والعرب المجتمعون في لبنان يهتفون تحية لكم في قيادتكم لمعركة الشرف والتحرير ويعلنون تجندهم لخدمة المعركة بسلاح الكلمة المناضلة الى جانب الجندي العربي المصري البطل الذي يشق طريق النصر العربي العظيم » .

« سيادة الرئيس حافظ الاسد :

المثقفون اللبنانيون والعرب المجتمعون في لبنان يهتفون تحية لكم في قيادتكم لمعركة الشرف والتحرير ويعلنون تجندهم لخدمة المعركة بسلاح الكلمة المناضلة الى جانب الجندي العربي السوري البطل الذي يشق طريق النصر العربي العظيم » .

« الاخ ابو عمار :

نحن المثقفين اللبنانيين والعرب المقيمين في لبنان رفاق كمال ناصر وغسان كنفاني وسائر شهداء الثورة الفلسطينية نحيي دور المقاومة في حرب التحرير ونجند طاقاتنا لمشاركة ابطال الفداء في معركة المصير الكبرى » .

« جلالة الملك حسين :

نناشدكم وضع كل امكاناتكم في المعركة التي تخوضها الجيوش العربية الباسلة » .

ووقع البيان والبرقيات السادة : سهيل ادريس ، ادونيس ، نزار قباني ، احمد ابو سعد ، ناجي علوش ، انطوان فرنسيس ، منير

بعلبكي ، غسان شرارة ، انصاف الاعـور ، هنري الكك ، عارف الريس ، سمير الصايغ ، محمد بنجك ، بلند الحيدري ، نزيه هاشم ، احمد بهاء الدين ، كامل زهيري ، رياض طه ، السيد الغضبان ، حبيب نحولي ، نسيب نمر ، راجي عشقوتي ، رشيد ياسين ، علي ابو حيدر ، جاد الحاج ، حسن الطاهر زروق ، محمد كشلي ، وصال خالد ، سفيـان الرمحي ، زهير هواري ، بكر الشرقاوي ، معين احمد حمود ، سمير تنير ، محمد دكروب ، منير العكش ، طلال سلمان ، عبد الرحمن منيف ، مازن البندك ، محمد عودة ، حلمي التوني ، رجاء النقاش ، اميرة الزين ، سامي الجندي، كاظم حطيط ، شربل داغر ، أليس حنينة ، حسن زبيب ، رجاء نعمة ، ميشال سليمان ، ميشال عاصي ، غالي شكري ، عايدة ادريس .

* * *

وباسم اتحاد الكتاب اللبنانيين وجه الدكتور سهيل ادريس الى الرئيس العراقي اللواء احمد حسن البكر البرقية التالية صباح ١١ تشرين الاول :

« اتحاد الكتاب اللبنانيين والمثقفون العرب في لبنان يحيـونكم بحرارة على مشاركة قواتكم الباسلة في حرب التحـرير والشرف مؤمنين بدوركم الكبير في المعركة » .

انسان عربي جديد

عبور الجندي المصري لقناة السويس واقتحام الجندي السوري لمرتفعات الجولان سيولدان انسانا عربيا جـديدا . لن يكون هـذا الانسان ، طبعا ، منقطع الجذور بماضيه وتراثه . ولكنه سيكـون صاحب رؤية مستقبلية جديدة تتكون اولا من الوان الآلام الكبيرة التي عاشها الوجدان العربي من هزائم ربع القرن الماضي ، وثانيا مـن آفاق الاسهام الحضاري الذي ما انفك هذا الانسان العربي مدعـوا الى المشاركة فيه .

لقد كان الاحساس بالهزيمة المتطاولة يؤدي في ضمير المـواطن العربي الى ما يشبه الانسحاق العاجز . وخطوة الجندي العربـي الجديدة ، مدفوعة بنداء الجماهير العربية من مثقفين وعمال ، ترد لهذا الانسان ثقته بالطاقة التي يملكها لخلق مجتمع جديد . ولـن يكون نضاله القادم هينا ، بل سيكون موازيا لكل قسوة تحقق لـه لونا من ألوان النصر ، بقدر ما سيكون نصره صعبا ، سيكون نضاله لتحقيق امكانياته الذاتية طويلا وقاسيا حتى يضمن مستقبلا جديرا بذلك النصر وهذه الطاقة .

والانسان العربي سيتطور ويعمق ويشارك في هذا النضال ، رغـم كل المعوقات وأصناف القعود والتخاذل ، ليصبح نموذجا كامـلا للانسان العـربي ، لان مصيره مرتبط جذريا وعضويا بالامـة العربية كلها .

الاخبار

١٣ تشرين الاول

انسان سليم معافى

أعتقد ان بدء تحرير الارض العربية في سيناء والجولان مـن الاحتلال الصهيوني يعني بدء تحرير الانسان العربي من احتلال التخلف والانسحاق وعقدة النقص التي حرمته طوال ربع قرن من استغـلال طاقاته لتحقيق ذاته .

وليس مهما ان يحرز العرب في هذه المعركة كامل النصر ، أو حتى ان يتعرضوا فيها الى هزائم وانتكاسات ، بـل المهم ان الخطوة التي قاموا بها قد حققت لهم القضاء على عقدة النقص وردت لهـم الايمان بقدرتهم على مواصلة النضال بعد ان بلغوا مرحلة اليـأس او ما يشبهها .

ان الانسان العربي يولد اليوم من جديد ، وهو يولد سليمـا معافى ، وقد كانت العافية الروحية هي التي يفتقر اليها ليضـع اساسا متينا لمجتمع عربي جديد يتمتع بمزايا المجتمعـات الانسانية الحضاريـة .

النهار

١٤ تشرين الاول

نداء الى المثقفين في العالم

وضع الدكتور سهيل ادريس ، باسم المثقفين اللبنانيين والعرب الموجودين في لبنان ، نداء باللغتين العربية والفرنسية الى المثقفين الفرنسيين والاوروبيين ، أرسل الى الصحف الفرنسية والاوروبيـة ومكاتب الجامعة العربية في أوروبا . وفيما يلي نص النداء واسمـاء الكتاب الموقعين عليه : (١)

ان المثقفين اللبنانيين والعرب الموقعين يهمهم ان يؤكدوا ، مرة اخرى ، للمثقفين الفرنسيين والاوروبيين ، ان الحرب التي يخوضها العرب اليوم ليست ولا يمكن ان تكون الا حرب تحرير . ذلك انالدول والشعوب العربية قد استنفدت ، كما اصبح معروفا ، جميعالوسائل لانهاء الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربيـة ، ولكن حكام اسرائيل الذين يمثل موشى دايان الـى ابعد حد روح التوسـع والصلف والسيطرة لديهم ، قد رفضوا جميع القرارات الدولية والحـلول المقترحة وواصلوا الاعتداءات والاستفزازات ، بحيث لم يجد العرب امامهم ، بعد انتظار مرهق طويل ، الا طريق الحرب لاستعادة ترابهم المغتصب ، واعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني المشرد .

وها هي اسرائيل تلجأ اليوم ، في هذه الحرب المفروضة عـلى الضمير العربي ، الى ضرب الاهداف المدنية والمستشفيات والمراكـز الثقافية ، حتى ان ممثليها في الاوساط الدولية يجدون انفسهـم مجبرين على الاعتذار عن ذلك ، وهو عذر غير مقبول ، لان هـذه الاعتداءات تتكرر كل يوم تقريبا . وهذا دليل جديد على ان هـذه الدولة تتحدى كل الشرائع الدوليـة والقوانين الانسانية تبريرا لاستمرار احتلالها بدعوى حقوق تاريخية مزعومة تهدف الى توطيـن جميع اليهود في أراض تمتد من النيل الى الفرات .

ان الحرب المستمرة في العالم العربي منذ ربـع قرن ، بسبب الاحتلال الاسرائيلي وتشريد الشعب الفلسطيني ، تحول دون انينصرف العرب الى تطوير مجتمعهم وتنميته والقضاء على مظاهـر التخلف فيه ،وهـي كلها أهداف يسعى المثقفون العرب الى تحقيقها . وليس العرب هم المسؤولون عن هذا الوضع ، بل المسؤول عنه الـدول التي تشجع اسرائيل على العدوان ، وعـلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية . وان المثقفين الفرنسيين الذين يؤمنون بالعدل والمساواة ويدافعون عن المثل الحضارية العريقة مدعوون ، هم وسائر المثقفين في العالم ، ان يرفعوا اصواتهم لدعم العرب في نضالهم من اجـل حريتهم وسيادتهم على ارضهم وسعيهم الى احلال السلام العـادل

(١) نشرته عدة صحف فرنسية منها « لوموند » و « لومانيتيه » و « لاكروا » .

القائم على وجوب الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة وصيانة حقوق الشعب العربي الفلسطيني القومية ، وهذه هي الوسيلة الوحيدة لعودة الامن والاستقرار الى هذه المنطقة الهامة من العالم .

ان المثقفين اللبنانيين والعرب يهيبون بادباء فرنسا واوروبا ومثقفيها ان يدعموا الشعوب العربية في نضالها لتحرير ارضها وان يشجبوا اعتداءات القوات الاسرائيلية على الاهداف المدنية والمنازل الآمنة التي تتسبب في قتل النساء والاطفال والشيوخ .

ان هذه مسؤولية تقع على عاتق المثقفين الفرنسيين والاوروبيين الذين دعموا في السابق نضال الجزائريين والكوبيين والفيتناميين ، ونحن نامل ان يضطلعوا بهذه المسؤولية التاريخية .

التواقيع :

كمال جنبلاط ، سهيل ادريس ، ادونيس ، خليل حاوي ، نزار قباني ، كامل الزهيري ، ابراهيم عامر ، رجاء النقاش ، ميشال سليمان ، ميشال عاصي ، احمد سويد ، احمد ابو سعد ، فؤاد الخشن ، محمود درويش ، موريس صقر ، كلوفيس مقصود ، غادة السمان ، بشير الداعوق ، عبد الوهاب الكيالي ، منير بعلبكي ، عبد المجيد الرافعي ، فريد جبران ، زاهر الخطيب ، فايز القزي ، فؤاد طحيني ، رياض طه ، غسان شرارة ، جبران مجدلاني ، سامية توتنجي ، مروان حمادة ، سمير فرنجية ، كريم مروة ، بهيج عثمان ، نخلة مطران ، ديزي الامير ، حبيب صادق ، محسن ابراهيم ، عايدة ادريس ، محمد كشلي ، صادق جلال العظم ، فواز طرابلسي ، محمد عطا الله ، قسطنطين زريق ، ناجي علوش ، منح الصلح ، سمير صايغ ، عارف الريس ، عصام محفوظ ، انسي الحاج ، شوقي خير الله ، البير منصور ، عصام نعمان ، خالدة سعيد ، محمد عودة ، حلمي التوني ، جوزف مغيزل ، باسم الجسر ، واثق أديب ، نقولا الفرزلي ، حليم جرداق ، منى سعودي ، بول خوري ، ريمون جبارة ، وليد غلمية ، برج فازليان ، بول غيراغوسيان ، رفيق شرف ، رياض فاخوري ، غالي شكري ، امين الحافظ ، ليلى عسيران ، اميلي نصر الله ، محمد دكروب ، ميشال اسمر ، حسني المجذوب ، الياس شاكر ، نزار مروة .

نضال المثقفين

الحقيقة ان الثقافة العربية المعاصرة ليست قاصرة الارتباط بالصراع العربي - الاسرائيلي ونتائجه وتفاعلاته ، بل هي مرتبطة بكل صراع عالمي وشديدة الاهتمام بجميع معارك التحرر في العالم . ذلك ان صراع العرب مع اسرائيل ليس الا جزءا من معركة التحرير العالمية ، هذه المعركة التي تتواجه فيها القوى النامية مع قوى الاستعمار والاستغلال .

من هنا تاتي النظرة الشمولية للمثقف العربي ، ومن هنا كانت ثقافتنا المعاصرة تعبيرا عن نضال المثقفين ، على اختلاف الوانهم ، ضد الصهيونية والاستعمار ، وكذلك ضد الظلم والقهر والاقطاع والعبودية .

والسؤال المطروح هنا : هل ثمة واجبات تترتب على المثقف العربي في هذه المرحلة ؟

لسنا من المؤمنين بعبارة « واجبات المثقف » ، فهي توحي بان هناك (الزاما له) بان يقوم بعمل ما ، او بنشاط معين . والحق ان الكاتب يفقد كل قيمته اذا فرض عليه توجيه ما من خارج ذاته . ان الكاتب الحقيقي « لا يلتزم » الا بضميره ووعيه . وهذا الضمير هو جزء من ضمير شعبه ، وجزء من وجدان الامة . فلئن عاش الكاتب هذا الوجدان ، فان نتاجه سيكون حتما نابعا من الشعب ومنصبا فيه .

واذا كان الكاتب العربي الصادق قد التزم قضية شعبه منذ بدء الصراع كلها ، بمعنى ان الكاتب الملتزم لا يكون فحسب منفعلا بالحدث من ان يظل على التزامه هذا في المرحلة الجديدة من هذا الصراع : ان انتاجه سلسلة متصلة تعبر عن تطور الوجدان الشعبي عبر مراحل الصراع كلها ، بمعنى ان الكاتب الملتزم لا يكون فحسب منفعلا بالحدث الراهن من حيث التعبير والتصوير ، بل هو بوعيه العميق، يستشرف الآتي ويرهص بالمستقبل .

من هنا يكون عمل هذا الكاتب ، مهما تغيرت الاحداث في محيط مجتمعه وتناقضت ، كلا متكاملا مترابط الاجزاء ، معبرا عن الحاضر والمستقبل معا .

من اجل ذلك نعتقد ان المثقفين العرب الذين اخذوا ، بعد هزيمة حزيران ، يصورون أزمة الانسانالعربي بانها ازمة «حضارية» ، يقفون اليوم في طريق مسدود ، لانهم لم يعوا وعيا عميقا حقيقة هذا الانسان العربي الذي يخرج اليوم ، في المعركة الناشئة ، انسانا سليما معافى لا يعاني اي تخلف حضاري .

هذا الانسان لم يكن في الحقيقة يعاني الا انسحاقا من ضغوط الاستعمار والقهر والرجعية ، وهي كلها طبقات خارجية لم تمس « روحه » باي اذى .

وفي الصراع العربي - الاسرائيلي ، ظلت هذه الروح نقية غير ملوثة ، والمثقفون الحقيقيون هم الذين يدركون هذه الحقيقة ، فيعبرون عنها في انتاجهم تعبيرا ينم عن ان « العربي » قد يصاب بالهزائم ولكنه لا يستسلم ، وقد يعاني الازمات ولكنه لا يخضع لها ولا ييأس .

هؤلاء المثقفون يواصلون اليوم طريقهم في التعبير عن حقيقة الانسان العربي ، ولن يكون انتاجهم في تصوير انتصارات هذا الانسان ، في هذه المرحلة الجديدة من صراعنا مع الصهيونية والاستعمار ، الا تتمة لانتاجهم السابق الذي كان يعبر عن ايمانهم بان هذا الانسان كان دائما « حضاريا » ، بالرغم من عصور التخلف والانحطاط ، وانه مدعو ابدا لان يلعب دوره الهام في الحضارة الانسانية الجديدة .

الانوار

٢٢ تشرين الاول

المقاتل يقرأ للمقاتلين

أجرت رنيه فرنكودس مع رئيس تحرير « الآداب » المقابلة التالية :

☐ دكتور ادريس ، بصفتك امين عام اتحاد الكتاب اللبنانيين، هل لنا ان نعرف ما هو الدور الذي قام او يقوم به اتحاد الكتاب في الظروف الحالية ، وبالتالي ما هي الخطوات الفعلية ؟

● في العامين الماضيين كان اتحاد الكتاب اللبنانيين ذا حضور واضح في مختلف المناسبات الوطنية والقومية . وكان صوته من الاصوات الرصينة الواعية في القوى الوطنية والتقدمية في لبنان والعالم العربي ، وقد اصدر كما هو معروف ، الكثير من البيانات التي تعبر عن رأيه في الاحداث تعبيرا ينسجم مع مطامح الجماهير اللبنانية والعربية ، ولا شك في ان موقفه من حركة الطلاب والمثقفين والصحافيين المصريين جزء من اهتماماته بقضية المعركة التي تخوضها جميع القوى الواعية في الوطن العربي ، وحين اعلن الرئيس انور

السادات وقف المحاكمات عن الطلبة واعادة الصحافيين والكتاب المصروفين ارسل اتحاد الكتاب برقية يحيي فيها هذا الموقف الذي يتيح للمثقفين المصريين فرصة الاستمرار في المشاركة في المعركة . وكذلك فحين قامت الحرب الاخيرة في ٦ تشرين ١٩٦٣ بادر الاتحاد الى القيام بدوره وواجبه فدعا جميع المثقفين اللبنانيين والكتاب والصحافيين العرب المقيمين او الموجودين في لبنان الى لقاء عاجل ، حضره في دار نقابة الصحافيين زهاء مئة اديب وشاعر وصحفي . وعرضنا في هذا اللقاء رؤية سريعة لما يستطيع الكتاب القيام به في هذه المعركة ، وتقدمنا بجملة اقتراحات تنبع كلها من ايماننا بالتعبئة الفكرية والمعنوية والتهيئة النفسية لحرب التحرير ، وكان بيساننا واضحا في هذا الاتجاه ، كما ان برقياتنا الى الرؤساء كانت هتاف تحية لخوضهم هذه المعركة التي يتشوق اليها الانسان العربي منذ ربع قرن ليستكمل تحقيق امكاناته .

☐ ماذا تظنه يستطيع الاديب او الفنان ان يفعل في زمن الحرب ؟

● مهمة الكاتب في الدرجة الاولى هي ، حسب رأيي ، ان يكتب بوحي من ضميره عما توحيه له الاحداث وما يستشرفه من مستقبل ، وقد دعونا الى ان يجند الكتاب أنفسهم للكتابة والانتاج في هذا الاتجاه . والحقيقة انه ليس مهما ان ندعو ، فالكاتب الملتزم لا بد من ان يستجيب لنداء وجدانه اذا كان يعيش حقا قضية شعبه وأمته . وانما كان المقصود من دعوتنا ان نجمع جهودنا في الدعوة الى حشد القوى والطاقات المعنوية . وقد حدث ان ادرك الصديق غسان شرارة ما في هذه الدعوة من صدق وعمق وضرورة فأعلن استعداده لان يضع بتصرف واشراف اتحاد الكتاب اللبنانيين ملحقا يوميا عن « البلاغ » اقترحنا له عنوانا (جريدة المعركة) ونأمل ازالة العوائق التي قد تعترض تحقيق هذا المشروع الهام . وبهذا سيتاح للكتاب اللبنانيين واخوانهم العرب ان يقوموا بدور هام في هذا الميدان هو دور الحداء للمعركة ولابطالها من الجنود العرب .

☐ كف يتبلور جهد الكتابة هذا ، وما هي الموضوعات التي يطرحها ؟

● هذا يتعلق بالرؤية الخاصة للمعركة لدى كل كاتب وفنان ، فهناك مثلا من يود التأكيد على أهمية البدء بهذه المعركة واعتبارها خطوة خلاص بالنسبة للانسان العربي ، بمعنى ان الاستمرار في المعركة هو الواجب الاكبر الذي يدعو اليه ، والداعي الى هذه الفكرة من الكتاب يتصور دون ريب الضغوط السياسية والعسكرية سواء تجلت في قرارات تتخذها الامم المتحدة او مجلس الامن ، او في تهديدات من قبل اساطيل الدول الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة .

انني شخصيا اعتقد ان الجندي العربي الذي عبر قناة السويس يؤمن أعمق الايمان بأنه لن يتراجع ولن يقف الا حين يبذل روحه ، وهو يبذلها ليأتي بعده من يكمل مسيرته ، وهذه التضحية والفداء ليسا في التحليل الاخير الا رمزا لارادة التقدم ، فاذا تخيل الكاتب هذا البطل في ميدان المعركة فسيتبنى قضيته التي يدافع عنها بالسلاح والروح وسيدعو الكاتب الى الدفاع عنها بقلمه . وهنا تندمج البندقية بالقلم ويتجلى دور الكاتب الحقيقي . واعتقد انه في الاحداث والتفاصيل والصور التي تنشرها الصحف وتذيعها التقارير مادة غنية جدا يستطيع الكاتب او الشاعر ان يستوحيها للانتاج ! كأن يتناول كاتب او شاعر قصة بطولة في الميدان فيجسدها في عمل فني يشكل جزءا من ادب المعركة . وهكذا من جهة ثانية ، يكون دور الاديب هو انتاج وثيقة تاريخية او شهادة صادقة عن هذه المعركة وهذه الفترة من حياة الامة .

☐ في الآداب العالمية نماذج لادب الحرب ، وكان احدثها أدب الحرب الفيتنامية .. في هذه الآداب يتوجه الادباء والفنانون الى جبهات القتال ليعيشوا ويكتبوا ويقدموا فنهم لجماهير الجنود . فهل ترى ان الادباء العرب يستطيعون القيام بهذا الدور ، خاصة وان ادب الحرب الجزائرية نموذج عربي تحقق بالفعل ، ام ان على الاديب ان يكتفي بما تنشره الجرائد والمجلات والاذاعات ؟

● هناك كثيرون من الادباء العالميين عاشوا في جبهات القتال وأنتجوا ادبا عظيما بوحي مما عاشوه ، مثلا همنغواي ، نيرودا ، ومالرو وسواهم ، ونعتقد ان فرصة الحرب الحقيقية التي يخوضها العرب اليوم هي فرصة ذهبية تتاح للكتاب العرب الملتزمين . ولا ريب في ان الكثيرين منهم يتمنون ان تتحقق لهم هذه الفرصة لكي يعيشوا فترة مع الجنود في الجبهات ، لا سيما وان هذه المعركة مدعوة الى ان تكون طويلة . وأسمح لنفسي هنا ان اذكر اني بايمان من هذه الفكرة سبق لي ان عشت بضعة ايام مع مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين في الاغوار وكتبت بعد ذلك مسرحيتي « زهرة من دم » ، اذكر ذلك لأؤكد بأن معايشة الاديب للمعركة امر لا غنى عنه حين يأخذ هذا الاديب على عاتقه ان يكون شاهدا صادقا لقضايا أمته .

☐ هل ترى أن الادب العربي الحديث قد مهد الوجدان العربي لهذه الحرب ؟

● لا شك في ذلك مطلقا ، فان ما انتجته هزيمة حزيران ٦٧ من أثر في النفس العربية عكسه أدبنا الحديث بصورة واسعة وعميقة ، ولقد صدرت آثار عديدة في القصة والرواية والشعر وكلها تنقل بصدق وعمق الحزن الذي خلفته الهزيمة ، وحين يكتب نزار قباني مثلا « هوامش على دفتر النكسة » او حين يكتب احمد عبد المعطي حجازي « مرثية للعمر الجميل » ويكتب محمود درويش « سرحان يشرب القهوة » وأدونيس « عن حرب الطوائف الجديدة » فانما يستلهمون جميعا موضوعاتهم من هزيمتنا ، وحين يقرأ العربي هذه الاعمال ويحزن لما صار اليه الانسان العربي من مذلة وهوان ، فان وجدانه يختزن ردا بالغا يتكون من الرفض لوضعه والتشوق الى عمل يزيل به شعور العار هذا او عقدة النقص . والجندي العربي قارىء من هؤلاء القراء ، ولا بد من ان يتأثر بالغ التأثر لهذه الصورة التي يقدمها الاديب ، وهكذا يكون التفاعل بين الكاتب والقارىء والجندي ، وفي الانتاج القصصي الذي كتبه كثيرون من القصاصين العرب بعد ٥ حزيران امثال : سليمان فياض ، زكريا تامر ، غادة السمان ، محمد خضير ، صلاح عيسى ، عبد السلام العجيلي وغيرهم تقريع للذل وتفتيح للوعي والوجدان العربي ، ولا ننسى في هذه اليقظة الاعمال المسرحية التي شاهدناها في بيروت او دمشق او القاهرة او بغداد لكتاب مسرحيين امثال سعد الله ونوس ، علي سالم ، عصام محفوظ ، ومحمد الماغوط وسواهم .

☐ في رأيك ، هل في تراثنا من ادب عربي ما يفيد في شحن الوجدان العربي اليوم وخاصة في الشعر ؟

● في تراثنا الادبي العربي صور كثيرة لاثر الحروب والحركات الثورية ، ولكن طبيعة المعارك القديمة قد لا تجعل هذه الآثار صالحة للاستيحاء ، وربما كان من الافضل لادبائنا المحدثين ان يستلهموا البطولات العربية القديمة كرمز لشجاعة المقاتل العربي وبسالته ، وتغير طبيعة المفهوم الادبي والتأثير الفني يجعل من الصعب ان نبحث او ان نلتمس في تلك الآثار الادبية القديمة ما يفيدنا اليوم ، فربما كانت همسة صغيرة عن حادث بطولي في احدى معاركنا اليوم اعمق تأثيرا في نفس القارىء من قصيدة تجلجل بها القوافي والابيات . اقصد الى القول ، ان مقومات الفن في الانتاج الحديث تختلف عنها

في الانتاج القديم من حيث الايحاء والتصوير والتقنية الفنية . على اننا لا ننسى هنا نتاج عدد من الشعراء المناضلين الذين كانوا رواد الشعر النضالي والمقاوم في القرن العشرين ، هؤلاء لا يمكننا ان ننسى اشعارهم التي ستبقى تبعث فينا الحب والحماسة والتمجيد .

☐ دكتور ادريس ، كيف تتصور ان يكون الانتاج الادبي في اثناء هذه المعركة او بعدها ؟

● الواقع انه يصعب على الاديب او الفنان ان ينتج اثرا فنيا ناضجا ومتكاملا في اثناء المعركة ، وما قد ينتجه في هذه الفترة يكون اقرب الى الانطباعات منه الى العمل الفني الخالص ، والحقيقة ان معظم الآثار الادبية الناضجة انما تكتب بعد انقضاء الحدث ، على ان النضج الفني اذا اتيحت له فرصة زمنية ونفسية طويلة فانه سيتوفر في الانتاج الادبي المقبل ، لذلك نتوقع ان يشهد ادبنا العربي الحديث اثارا هامة بعد هذه المعركة المصيرية التي تخوضها الشعوب العربية لا سيما اذا طالت هذه الحرب .

البلاغ
٢٢ تشرين الاول

بيان حول الحرب ..

بعد وقف اطلاق النار وقبول مصر وسوريا به ، اشترك الدكتوران سهيل ادريس وأدونيس ومحمود درويش في وضع البيان التالي الذي وقعه عدد من الكتاب :

« نحن المثقفين اللبنانيين والعرب الموقعين ، نعبر عن تقديرنا العظيم للتضحيات البطولية التي قدمتها مصر وسوريا وجيشاهما الباسلان فيهذه الحرب الهادفة الى تحرير الارض المغتصبة ونحيي الوحدة التي تجلت حول هذا الهدف بين العرب جميعا ، شعوبا وجيوشا . والواقع ان هذه الوحدة ، مدعومة بقوى التقدم والحرية والاشتراكية في العالم ، ادت الى اجبار اسرائيل على القبول بالانسحاب الى خطوط ما قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ ، مع تحذيرنا بأن هذا القبول قد يبيت غدرا لم يكن العدو يوما بعيدا عنه . وقد كانت الشعلة الثورية التي تمثلها المقاومة في اصل تلك الوحدة .

ونحن اذ نعتبر ان المقياس الاول لسلامة اي عمل عربي في هذه الفترة بالذات هو تعزيز وحدة الارادة العربية ووحدة النضال العربي، وتجنب كل ما يمزق هذه الارادة وهذا النضال ، صادرين في ذلك عن ايماننا العميق بطاقة الشعوب العربية وقدرتها على مواصلة الكفاح الذي يصون سيادتها على ارضها ومصيرها ، نؤكد انه ليس في مقدور اية قوة او تسوية ان تمنع استمرار هذه الطاقة ونموها لتحقيق التحرر الكامل من الصهيونية والامبريالية ، او تخمد اللهب الذي اختزنته جماهير الامة العربية والشعب الفلسطيني طوال ربع قرن وأطلقته المقاومة » .

سهيل ادريس ، أدونيس ، منير بعلبكي ، خليل حاوي ، شفيق الحوت ، محمود درويش ، ابراهيم سلامة ، ميشال سليمان ، الياس شاكر ، موريس صقر ، منح الصلح ، رياض طه ، ميشال عاصي ، احسان عباس ، نزار قباني ، محمد كشلي ، كريم مروة ، جوزف مغيزل ، كلوفيس مقصود .

الكلمة في المعركة

أجرى عاصم الجندي ، المحرر الثقافي لمجلة « الدستور » اللبنانية اللقاء التالي مع الدكتور سهيل ادريس وبلند الحيدري :

كان موضوع الجلسة : هناك ثلاث مراحل : ما قبل المعركة ، واثناءها ، وما سيتلوها . فما هو دور الاديب والفنان في كل منها ، وخاصة على الصعيد المستقبلي ؟

وقد بدأ الحديث الشاعر الحيدري بقوله :

اعتقد بأن المثقف العربي ، والمتمثل في الدرجة الاولى بالشاعر والكاتب ، لم يلعب بصورة عامة دوره كما كان يجب ان يلعبه . وربما السبب الرئيسي في ذلك يعود الى ضيق ادراك الشاعر والكاتب للطبيعة السياسية القائمة وراء الاشياء . فمهمة الاديب في مرحلة كهذه ليست اثارة الحماسة . فكثيرا ما تكون الحماسة للقضية خالية منمواكبة حقيقية للفعل ، كما حدث في ادبنا قبل ٦٧ . وكان اثر ذلك سيئا جدا لاننا استعضنا عن ساحة القتال على الارض بساحة قتال تقوم على المفردة وبيت الشعر . ونمنا في هذه الساحة سنوات حتى كانت الـ ٦٧ .

وفي هذا العام حدث تحول معاكس . صار الادب ، كل الادب ، عبارة عن جلد ذاتي مبالغ فيه ، على مرأى من التاريخ والعصر . فنحن متهمون بالجبن تارة وبالخيانة تارة . ولم يوضح الاديب حقيقة التجربة التي مرت بها الامة ، حتى كدنا بالفعل نصل الى هذا الحس بالادانة والتهمة . وبأننا بالفعل أمة متخلفة . ولاسرائيل أن تعيش بما عكس عليها من ادعائية التقدم ، في الساعة التي يعرف الاديب جيدا بان اسرائيل تقوم على عنصرية من القرن الحادي عشر .

وما نريده اليوم من الاديب هو ان يعيش واقعه سياسيا ، لا شاعرا تخدعه الصورة وتجره وراءها الكلمة الرنانة ، بل الوعي الكامل لكل جوانب المعركة . ولكي يدرك هذا الواقع ، عليه ان يعايشه معايشة أصيلة وبالتزام كامل . والا سنضخم النصر حتى يبتلعنا ، ولا يعود لنا وجه في نصر قادم ونصر بعده . انني اتهم كل أدبنا الماضي الذي خدعنا . لقد اوسعونا جلدا ، تحت دين المستنقعات والجيف ، وصوروا شعبنا على انه دون الشعوب قاطبة ، وانه بلا حضارة . وأعتقد ان على الكثيرين ان يراجعوا حساباتهم من جديد ، وفي ضوء وعي وادراك سياسيين ضروريين .

وقال الدكتور ادريس :

أعتقد ان صديقي بلند الحيدري كان في رأيه حاسما وقاطعا اكثر مما ينبغي . وانا أصلا اؤمن بأن كل نتاج ادبي انما هو محصلة التأثير الاجتماعي على وجدان الكاتب . من هنا عدم استطاعتنا الحكم على انتاج ما بانه حتما مزيف او صادق . فاذا كانت نكسة ٦٧ قد انتجت أدبا يتحدث عن انسحاق الانسان العربي او حتى عن اكتشاف الشكوك للقدرة العربية أو حتى عن الارتياب بأن تكون هذه النكسة نتيجة أزمة حضارية يعانيها الانسان العربي ، كما كتب بعض الكتاب والشعراء ، فان كل هذه الآراء والافكار تندرج في الانتاج الادبي العام وتكون موضوعا للمناقشة وليس للادانة . على ان هناك كثيرا من الاصوات الادبية التي ارتفعت شعرا ونثرا وقصة ومسرحا ، للدفاع عن أصالة الانسان العربي وتبيان ان هذه النكسة التي أصيب بها ، قد لا تكون الا قشرة خارجية لم تمس نقاء نفسيته وبراءة روحه . ولست بحاجة الى ذكر أمثلة على هذا الانتاج . من هنا الاعتقاد بتكامل الازمنة الادبية وتسلسلها في تاريخ النتاج . ومن هنا ايضا عدم ايماننا بتقسيم الانتاج الادبي الى مراحل حاسمة تقوم بين الواحدة منها والاخرى سدود قاطعة . ولذلك نستبعد ادانة فترة معينة من الفترات الادبية ، او انتاج معين ، حين يوصف بأنه تعبير لا واع عن مرحلة نفسية معينة .

وعبارات مهمة الاديب وواجب الاديب ، أصبحت عبارات لا تصور حقيقة مطامحه . فاذا كان الاديب عائشا قضية مجتمعه فانه سيعرف دوره تماما ، وسيلتزم بقضاياه من غير ان ينتظر من يدله على دوره ،

أو يلزمه بواجبات معينة . ولذلك فاننا نعتبر الانتاج المقبل الذي ستشهده الفترات المستقبلية تتمة للانتاج السابق وجزءا مكملا من كل تام ، يشكل تيار الادب العربي كله .

ورد بلند الحيدري قائلا :

على الرغم من أن الدكتور الصديق سهيل ادريس وضعني في كلمته في الجهة التي بدت وكأنها متناقضة معه ، فانني أرى ثمة اتفاقا قائما بيننا . وعلى الاخص عندما نخص بمقطعه الاخير مهمة هذا الاديب الذي يحمل هموم أمته . وهذه هي النقطة التي أكدت عليها . فالادب في نظري لا بد من ان يقوم على اساسين : الاول منهما هو هذه المعايشة اليومية الحياتية لهموم الناس . والاساس الثاني هو تطلع الامة في الهدف . وما لم يكن هذا التطلع يحضر حضورا كاملا ، يقع الادب في شرعة المبادرة الهشة وتغيب عنه أبعاد القضية ككل . ولا شك ان الكثيرين من ادبائنا وقعوا في هذا الاشكال ، والذي دفع بهم حينا الى الايغال في الادب العدائي للانسان ـ وهو الادب التجريدي ـ والذي يقول عنه المصنفون الاوروبيون بانه ضد الطبيعة الانسانية ، وانه نوع من السقوط في الداخل ، عبر هذيان متواصل يفترض الفهم وسيلة عتيقة للاتصال بالناس .

وقد طفت الى حد ما موجة هذا الادب ، وتسطحت على مجالات كثيرة . جانب ادب آخر ، هو الادب الذي ينقل الواقع الفعلي للحياة ويعكس هموم الناس ، ولكن لا يملك الكفاءة الواعية لان يخرج بهذه الهموم الى غدها الاكبر . ان الشاعر الفيتنامي ، بقدر ما يصور مأساة الامة الفيتنامية ، تكبر قصيدته في التطلع الى الهدف . ومن هنا قام ادب يتمثل فيه جانبا القضية : كفاح الشعب لتغيير واقعه ، والهدف من هذا التغيير . هذا الادب لم نجده الا في قلة من الادباء المدركين واقعهم الاجتماعي والسياسي ادراكا شاملا ، وعلى رأسهم الدكتور سهيل ، الذي بشر بهذا الادب ، وأوقف كل فترات حياته الاخيرة ليتنادى الى تأكيده .

الدكتور ادريس :

أعود الى التركيز على نقطة واحدة . وهي ان التاريخ او التاريخ الحقيقي للادب ، التاريخ الصادق ، لا يستطيع ان يهمل اي تيار من التيارات الادبية التي تطبع فترة ما . ولذلك فنحن نستقبل جميع هذه التيارات دون ان يكون من اللازم حتما قبولها . هناك محك أول، ومرجع أساسي لاهمية هذا الانتاج وهو القارىء . فاذا كان هناك كتاب او شعراء تجريديون يبعدون القضايا العامة عن اطار انتاجهم ، فان القارىء هو الذي سيبعدهم من اطار اهتمامه . ويقبل بالتالي على ذلك الكاتب او الشاعر الذي يعبر عن همومه الحقيقية ، ويحاول ان يلتمس لها منافذ . واخشى ما يخشاه الادب الاصيل ان يجد الكاتب نفسه ملزما بان يتكلم فقط عن هموم قد لا يحسها في أعماق ذاته .

اننا نريد أدبا أصيلا يجمع الى صدق التجربة الانسانية صدق التجربة الفنية . واذا كنا ناخذ على بعض ألوان من الادب التجريدي مآخذ كثيرة ، فاننا ناخذ مثلها على بعض الادب الملتزم ، الذي يضحي احيانا بالمطلب الفني من اجل التعبير المباشر ، الذي لا يبقى طويلا في النفس . أريد ان اعرج على اشارة الاستاذ بلند ، فيما يتعلق بادب النضال او ادب القتال في الانتاج الفيتنامي . فاذا كان هذا الادب قد اثبت وجوده ، وذلك على أهميته في الانتاج الحديث ، كأدب قتال ونضال ، فلانه كان هناك قتال ونضال .

ان الاديب الفيتنامي قد استطاع ان يصور البطولات عبر الفواجع والمآسي الفيتنامية ، لانه قد عاش هذه البطولات وشاهدها . ولعله قد شارك في بعضها . اما نحن فنستطيع ان نؤكد ان الانسان العربي حتى ٦ تشرين الاول ١٩٧٣ لم يقاتل بعد . (يعلق بلند بقوله : وان كان قد كافح من اجل القتال) ، لم ينصهر بنار المعركة ، لم يقتل كما يجب ان يقتل البطل ، لانه لم يتح له ان يخوض حربا حقيقية . من هنا ايماننا بان هذا القتال ، اذا استمر فترة كافية من الزمن ، ونحن نامل املا عميقا بان يطول هذا القتال ولا ينقطع بفعل التسويات الدولية ، فانه حين يخلق انسانا عربيا جديدا ، يخلق اديبا عربيا جديدا .

□ القتال ، الكلمة المقاتلة ، ما هي امكانية الاديب للزج بها أو بنفسه في غمار المعركة ؟

فاجاب بلند الحيدري :

أعتقد أن الكاتب العربي والشاعر العربي هما بالاصل جزء من كيان الامة . ويترتب عليه ما يترتب على أي مواطن آخر ، بالمشاركة الى أقصى ما يستطيع أن يشارك . فان سمحت له سنه بأن يرفع السلاح فليرفعه ، الى جانب القصيدة التي يحملها في جيبه . وبلا شك ان هذه العلاقة القائمة بين البندقية والكلمة مستمدة بجهد رائع لخلق ادب عاش التجربة من كل ابعادها . واذا لم تسمح له سنه وظروفه بذلك ، فليفتح كل مجال ، فأمامه للمشاركة الفعلية في ما يطور هذه المعركة لصالح الامة . ولنا من كلمة توفيق الحكيم الاخيرة قدوة حسنة في هذا المجال . اذ انها تفسح في امكانات مجالات اخرى للتعبير عن رغبة في تطوير المعركة واسنادها .

وعلق الدكتور ادريس بقوله :

الواقع ان كلمة توفيق الحكيم ، على احترامنا الكبير لهذا الكاتب المبدع ، هي أقرب الى اللطف واللياقة منها الى المعالجة العميقة . لاننا اذا تعمقناها فقد نستنتج منها تقليلا من شأن الكلمة المناضلة . ونحن نعتقد بأن الكلمة المناضلة اذا استطاع صاحبها ان يحملها شحنة الصدق والعمق ، فانها لا تقل أهمية وتأثيرا عن الرصاصة الفاعلة . والكاتب ليس من الضروري ان يعيش حالة المقاتل ليعبر عن بطولات المقاتل . انه بنفاذ بصيرته وعمق وعيه ، يستطيع ان يجسد القتال في تعبيره وكلمته تجسيدا عظيما يوحي بأنه هو نفسه قد عاش حالة القتال هذه .

هذا لا يعني طبعا اننا ننكر اهمية التجربة الحية اذا أتيح للكاتب ان يقوم بها . ولكن هناك كثيرا من الشعراء والكتاب الذين ناضلوا بادبهم دون ان يشاركوا بعمل قتالي محسوس .

قال الشاعر الحيدري :

لولا استدراك الدكتور ادريس الذي ختم به كلامه الاخير ، لذهبت غير مذهبه . فكل الغاية التي رمى اليها توفيق الحكيم ، هي تأكيد هذه المعايشة ، والتي بلا شك ستمد أدبه بدم جديد ، أكثر زرقة من دم تخيلاته للاشياء . وقد علمتنا المعاناة دائما ان نتلمس هذا الجرح الذي تفتحه في عمق الانسان . ولنا من ادب المقاومة أمثلة عدة . فما اكثر ادبائنا الذين تشبهوا بادباء المقاومة ونسجوا على منوال قصائدهم وقصصهم ، وسقط أغلبها . لان المعاناة الحقيقية لم تكن متوفرة كما كانت عند الشاعر المقاوم والاديب المقاوم . وظل لمحمود درويش ما يميزه في هذا المجال عن الكثيرين ، ومنهم أنا ، بعمق احساسه وبعد كلمته والجرح الذي يخضبها . وربما ينعكس هذا الامر حتى على محمود درويش نفسه ، رغم ايمانه بأن تجاربه الاخيرة اكبر واوسع . ولكنها دون ما قاله ايام معاناته الحقيقية في هذا المجال . وما زلت أهتز لتلك المواقف المنبثقة في قصائده السابقة اكثر مما انسجم مع محاولاته الاخيرة .

وقال الدكتور ادريس :

المهم ان تكون هناك معاناة . والمعاناة ليست بالضرورة في موضوعنا هذا معاناة العمل القتالي . لان المعاناة النفسية التي تعبر عميق التعبير وأصيله عن وضع المقاتل ، هي ايضا اصيلة وعظيمة ،

قد يكون هناك مقاتل يعاني ولكنه يفشل في التعبير عن معاناته . وقد يكون هناك أديب لا يعاني العمل القتالي بذاته ، ولكنه ينجح في التعبير عن معاناة المقاتل . الاصل اذن صدق المعاناة واصالتها وعمقها .

بلند الحيدري :

انا مع الدكتور الا في شيء واحد . وهو انه وزع التجربة على اديبين مختلفين في المستوى ، بينما انطلقت في تحليلي الى اديب واحد بالذات . وأشرت اليه باصبعي . فبالنسبة الى هذا الاديب والى كل اديب على مستواه ، لا شك ان المعاناة الحقيقية للتجربة ستزيدها عمقا . اذ يبقى دائما ثمة فاصل ما بين تصور الشيء وما بين تحسسه . فانا مهما تخيلت ألم الجرح الذي في يدي ، تحده الرأفة الداخلية على نفسي من المبالغة في ألمه . بينما الواقع ليس كذلك .

سهيل ادريس :

خذ الروائي المبدع الاصيل مثلا . انه يستطيع ان يعيش كل تجارب أبطاله ، حتى ولو لم يعش احداث هؤلاء الابطال . هنا تكمن أهميته وأهمية الادب الذي يستطيع ان يخلق ابطالا واقعيين اكثر من الواقع ، وصادقين اكثر من الصدق اذا كان يملك بالفعل اداة الخيال المجنح والحس الانساني العميق .

بلند الحيدري :

أيضا – وكمسالم – أتفق مع الدكتور سهيل . ولكنني أذكر بان همنغواي ، كان يحمل نفسه من تجربة الى اخرى ليزداد بها عمقا .

□ لنعد الى المعركة .. أعرف ان اتحاد الكتاب اللبنانيين ، قام بعدة نشاطات حتى الآن ، وهو يخطط لغيرها . فما هي رؤيتكما للمقبل القريب ؟

سهيل ادريس :

في الواقع ان كثيرين من الكتاب والشعراء ، قد تجندوا في هذه الفترة لمسايرة المعركة الشريفة التي يخوضها العرب ، بانتاج يراوح بين العمق والسرعة . ولكنه دليل احساس صادق ووعي صادق ايضا بأهمية هذه المعركة في تاريخنا . على ان الانتاج الحقيقي ، ذا القيمة الباقية في التعبير عن هذه المعركة ، لن يأتي الا بعد فترة ينضج فيها الاحساس بقدر ما ينضج التعبير . واذ ذاك يكون هذا الاثر هو الشهادة الصادقة ، والوثيقة الموثوقة عن مشاركة الفكر والادب بمعركتنا الحالية .

بلند الحيدري :

بنظري ، وانطلاقا من مفهوم يؤكده علماء النفس في كون الاديب يكتب لقارىء يحمله في ذهنه ، فهذا القارىء عبر المنعطفات الخطرة ، وساعات القتال ، يتبلور في شخصية الفرد البسيط المقاتل المتحمس لقضيته . وهذه المخاطبة ، بلا شك ، غيرت لغة الكثيرين من ادبائنا . فبعد ان كان هم بعضهم مخاطبة أنفسهم . صار همهم يحمل رغبة في الايصال والتعبير . وهو تحول كبير عند هؤلاء الادباء الكبار . ان طبيعة ايام الحروب هي في امكانيتها على كسر القشرة التي يغلف الاديب احيانا نفسه بها كما يقول بليخانوف . فتندفع به الى الخروج من ذاتيته الخاصة الى ذاتيته العامة ، المتمثلة بوعيه ذاته وأمته ومصيره . هذا الادب أحس بأنه يولد وان مخاضه على كثير من الجدية والصدق .

سهيل ادريس :

سيعمق انتاج الاديب العربي ، ويسجل صفحة رائعة من تاريخنا الادبي ، بقدر ما يطول قتال الجندي العربي ، ويسجل في ساحة القتال المزيد من الانتصارات .

* * *

ورغم ان القتال لم يستمر ، بعد ان خضعت اسرائيل للقدرة القتالية العربية ، وأسرعت للقبول بوقف اطلاق النار ، لكن موضوع « الاديب والمعركة » ليس بالموضوع الطارىء ، ويجب ان تستمر مناقشته ومعايشته من زوايا هذه المعركة والمعارك الاخرى التي يعيشها الناس كل يوم .

الدستور
٢٩ تشرين الاول

احتفال باكتوبرين *

تحية من اكتوبر العربي المجيد ، الى اكتوبر السوفياتي العظيم !

أجل أيها السيدات والسادة ! اسمحوا لنا اليوم ان نحتفل باكتوبرين ، كلاهما عزيز على قلوبنا ، رفيع المنزلة في نفوسنا !

كم هي متينة علاقة اكتوبر العربي باكتوبر السوفياتي ! يكفي انها قبل كل شيء علاقة ثورة بثورة !

ذلك ان ٦ اكتوبر العربي هو ايضا في اعتقادنا ثورة ! فان العبور الذي تم في ذلك اليوم ، انما هو في المقام الاول عبور من الذل الى الثورة ! من الذل الذي تجاوز ربع قرن من الزمن الى ثورة عربية عارمة انفجرت في السادس من اكتوبر على شاطىء السويس وعند مرتفعات الجولان وانتشرت شرارتها الى كل نقطة ماء وكل حبة تراب في وطننا العربي كله !

وفي هذه الثورة العربية المحررة والمطهرة ، كم دعمت الشعوب السوفياتية الشعوب العربية ، كم دافعت عن حقوقها ، كم ناصرتها بكل وسيلة وأمدتها بكل مساعدة ، بل كم بذلت لها من التضحيات على حساب رفاهيتها في كثير من الاحيان !

ومهما حاول المزيفون والمزورون ، فانهم لن يستطيعوا ان ينسوا الجندي العربي البطل ان يده القوية التي تقاتل انما كانت تحمل سلاحا قدمته له يد المواطن السوفياتي الشريف !

يد العربي وسلاح السوفياتي ، وحين التقت اليدان تفجر النصر !

وكان يكفي ان يقرر الانسان العربي ان يبدأ المسيرة وان يقتحم أبواب التحرر حتى يجد الانسان السوفياتي الاشتراكي الى جانبه يكاتفه ويعاضده ، لانه مؤمن بأن قضيته قضية حق ، وان مطلبه مطلب عدل ، وان معركته معركة شرف !

وقد يجد هذا الانسان العربي في طريقه بعض العقبات ، بل قد تتعثر مسيرته حينا من الزمن بسبب من مؤامرات الصهيونية أو مطامع الامبريالية او تخاذل الرجعية العربية ، ولكنه مؤمن أبدا بأن الدرب الذي سلكه هو درب اللارجوع ، درب النضال المستمر ضد الاعداء الخارجيين والاعداء الداخليين على حد سواء !

أجل أيها الاصدقاء ! ان وقف اطلاق النار على الجبهات العسكرية ، ومفاوضات الهدنة واتفاقيات السلام ، كل ذلك لن يوقف نضال الشعوب العربية ، لايمانها بأن هذه الثورة التي تعيشها الآن هي بدء نهضتها الحقيقية وبدء تحقيق مطامحها في اقامة المجتمع التحرري الاشتراكي الجديد !

لقد انطلق الركب ، والرؤية المستقبلية واضحة امامه ، فلن توقف مسيرته نظرة محدودة ، أو سياسة متحفظة ، او حرص على المصالح الخاصة لدى بعض الحكام ، او خوف من انتصار المطالب

(*) كلمة ألقاها رئيس تحرير « الآداب » في مهرجان أقامته أوائل هذا الشهر في بيروت جمعية الصداقة اللبنانية السوفياتية بمناسبة الذكرى السادسة والخمسين لثورة اوكتوبر الاشتراكية .

الشعبية على الاحتكارات الاقطاعية والترسبات الرجعية ...

انها الثورة بكل معناها ، الثورة المرجوة المنتظرة التي نقضت الخلافات وأطاحت بالسدود ، وادخلت كل الناس وكل الاشياء في أتونها الملتهب ، ولن يكون ثمة بعد اليوم توقف او تخاذل او نكول . سيكون لكل مواطن عربي دوره الذي لم يتح له ان ينهض به على وجهه الاكمل ...

واسمحوا لي هنا ، أيها السيدات والسادة ، أن أتحدث قليلا عما نستطيع نحن المثقفين والكتاب ان نقوم به من دور في ثورتنا العربية الجديدة هذه .

اننا نعتقد ان بوسعنا ان نستلهم دروسا هامة من ثورة اكتوبر الاشتراكية على صعيد الثقافة والفن .

لقد كان للكتاب والشعراء الروس دور هام في الارهاص بالثورة والتمهيد لها قبل ان تقوم ، ثم كان لهم دور أهم بعد قيامها ، اذ كان كل أديب ، شاعرا كان ام روائيا أم ناقدا ، شاهدا في انتاجه على الجهد والانجازات التي تحققها الثورة . وقد اختار الكتاب بعد الثورة وفي اثنائها الورش والمصانع والحقول ليمجدوا ما يحققه البناة على كل صعيد . وهكذا كانت آثارهم ذات أهمية وثائقية كبيرة وذات قيمة فنية رفيعة ، وكلها شاهد على التزام الادباء بقضايا شعبهم . وهي مهمة الاديب الرئيسية . لقد كانت الاحداث الاجتماعية والخطط البنائية مصدر الهام غزير للادباء . ولا نزال نذكر روايات شولوخوف وفادييف وكتابات اهرنبورغ وغلادكوف ودودنتسيف وسواهم ممن عايشوا نضال الشعب السوفياتي ومجدوا ملامحه . ونحن نطمع بأن تنتج لنا ثورتنا الجديدة التي بدأتها حرب اكتوبر شعراء وكتابا أمثال غوركي وايسنين وماياكوفسكي وباسترناك واخماتوفا ... لكم كانوا عديدين أولئك الشعراء والقصاصون والروائيون العرب الذين تمنوا لو أتيح لهم ان يرافقوا الجنود المصريين الابطال في عبور القناة واقتحام خط بارليف او ان يرافقوا الجنود السوريين المغاوير في الزحف على مرتفعات الجولان ومشاهدة مآثرهم ومآثر سائر الجنود العرب المشاركين ... كم كنا نتمنى ذلك ، لو طال القتال ، لتتاح لنا فرصة ان ننتج ملاحم البطولة التي أنتج أمثالها اهرنبورغ صاحب « اليوم الثاني » و « سقوط باريس » وشولوخوف صاحب « الدون الهادىء » و « حاربوا من اجل الوطن » وسيمونوف الذي كان مراسلا حربيا لجريدة « النجم الاحمر » في أثناء الغزو الالماني فكتب واحدة من اجمل روايات العصر : « النهارات والليالي » التي مجد فيها المقاتلين ، فكان حاديهم ومسجل بطولاتهم ..

ولكننا مع ذلك نعتقد بأن « العبور » سيكون موضوعا غنيا جدا امام الشعراء والروائيين العرب اذا التقوا بأبطاله وعاشوا تلك الايام العظيمة التي واجهوا فيها الموت ودافعوا بشجاعة عن ارضهم ومستقبلهم ، وكانت الاحلام تملأ صدورهم بأن يواصلوا الزحف ويتابعوا تحرير كامل الارض المغتصبة ... على اننا امامنا بعد ، جميع مآثر الفدائيين الفلسطينيين ، هؤلاء الذين أبقوا شعلة الثورة مضيئة فاتاحوا للجندي العربي ان يتابع بها المسيرة ... ولن يمنع الفدائي الفلسطيني شيء عن مواصلة رسالته الثورية لاسترجاع ترابه الوطني برمته ...

ان ادبنا العربي الحديث سيشهد منذ اليوم فترة ازدهار وانتاج خصبة ، وسيكون شاهدا صادقا على هذه المرحلة العظيمة من تاريخنا الحديث ، مشاركا بابداعاته في تكوين المجتمع العربي الجديد الذي لا بد ان يلعب دورا بارزا في مستقبل الحضارة العالمية .

تحية من المثقفين اللبنانيين والعرب الى شعوب الاتحاد السوفياتي الصديق في ذكرى ثورته الكبرى ، وتحية مرة اخرى من اكتوبر العربي المجيد الى اكتوبر السوفياتي العظيم !

ادونيس

مهد آخر لولادة ثانية

العالم جزء من كتاب فلسطين (*)

١ ـ مجابهة شاملة للخطر الشامل

حتى الآن ، لم يخض العرب الحرب الا بجـــزء بسيط مـن طاقاتهم . واستطاعوا بهـــذا الجزء البسيط ان يواجهوا الجيش الاسرائيلي وهو من اكثر قـــوى الاستعمار ، في العصر الحديث ، شراسة وغطرسة وحداثة . ويعني هذا ، ببساطة ووضوح ، انالعرب ليسوا قادرين ، فيما اذا استخدموا جميع طاقاتهم ، على مواجهـة العدو وحلفائه وحسب ، بل يعني ايضا أنهم قادرون على تحقيـــق النصر الذي يشاؤون ، ساعة يشاؤون .

ويدرك العرب جميعا ان الخطر الـــذي تمثله اسرائيل لا يقتصر على كونه خطر مصلحة اقتصادية او منافسة استراتيجية وتجـارية وسيـــاسية ، وانما هو قبل ذلك خطر مصيري يتهدد الشخصيـــة العربية ذاتها ، والوجود العربي ذاته .

المسألة اذن هي : لماذا يتردد العرب في استخدام جميعطاقاتهم، المادية والبشرية ، للقضاء على عدو يهدد وجـــودهم ، خصوصا اذا كانت هذه الطاقات تؤثر على مستوى العالم كله ؟

هذا التردد يعني أحد أمرين : اما « ارجاء » المعركة ، وامـــا « الاقتناع » بوجود اسرائيل . والموقف في الحالتين ليس خذلانـــا للجزء المحارب وحسب ، وانما هو ، قبل ذلك ، شكل آخر لدعـم اسرائيل ودفعها الى مزيد من السيطرة والتوسع .

ان الخطر الذي يهدد مصير وطن بكامله لا تمكن مجابهتـــه الا مصيريا ، بكل ذرة يختزنها من الطاقات المادية ، وبكل نبضة حيـاة فيه . فلا قضـــاء على الخطر الاسرائيلي الشامل ، الا بالمجابهـة الشـــاملة .

(*) يوميات نشرت في جريدة « المحرر » بدءا من ١٥ تشرينالاول (أوكتوبر) ١٩٧٣ ، حتى ٢٢ منه ، تاريخ وقف اطلاق النار .

٢ ـ طريق دمشق ، طريق سيناء

دائما ، كانت طريق دمشق رمزا للانسان الذي يعانق مصيره ، اندحارا او انتصارا ، ضلالا او اهتداء . ودائما كانت مفتـوحة .. لكن ، كما تنفتح الصاعقة ، وكما ينفتح الطوفان .

وفي الصاعقة والطوفان النور الكاشف والماء الطيب ، وفيهمـا كذلك هجمة النار وضربة الابادة .

وكما « أبرق بغتة نور من السماء » على بولس الرسول « فيمـا هو منطلق وقد قرب من دمشق » ، فهداه الى الحياة الحقة ، فان النور الذي يبرق الآن على « طريق دمشق » يضيء للعرب المستقبـل ويهديهم الى الحياة الحقة .

... ليس لان التاريخ يتكرر . لا يتكرر غير الموت ، والتـاريخ حياة ، والحياة جديدة ابدا ، بل لان لهب الحاضر لا يندلع الا من الماضي الذي يكتنز الجمر .

واليوم ، على طريق دمشق ، يتفجر الجمر المخزون . يتفجـر ليصعق ويهدي . واذا كانت هذه الطريق هي التي تصعق دايـــان وجيشه ، فلأنها هي التي يسلكها العرب ، فيرون فيها الحيــــاة الحقيقية ، ويعانقون المجد .

... ولانها كذلك طريق سيناء .

٣ ـ الى المؤتمرين في الكويت

الصحافة الغربية الموالية لاسرائيل تطالب الولايات المتحدة ، فيما يتعلق بالحرب العربية ـ الاسرائيلية ، بدور تحدده لهـــا في النقاط الآتية :

أولا ـ عدم السماح بأي انكسار اسرائيلي ، ودعم اسرائيل دعما كليا ، على جميع المستويات .

ثانيا ـ استخدام جميع وسائلها لتوسيع الخلافات العربيـــة أو خلق خـــلافات جديدة بحيث تحول دون تماسكهـــا الفعال ، وتحـول بالتالي ، دون تعبئة طاقاتها لمـــواجهة اسرائيل ، ودون الوصول ، على الاخص ، الى اتخاذ قرار باستخدام النفط العربـي كسلاح في المعركة الدائرة .

ثالثا ـ استمرار وجودها العسكري المتفوق في البحر المتوسط .

وتعمل الولايات المتحدة ، من جهتها ، كل ما يفرضه هذا الدور. وليس تصريح نيكسون الاخير ، وارسال الفي بحار اميركي للالتحـاق

بالاسطول السادس ، ومد جسور جوية وبحرية لنقل الاسلحة بمختلف انواعها الى اسرائيل ، الا اعمالا تؤكد هذا الدور .
وهكذا لا يكتفي نيكسون باقامة « سلامه الحقيقي » على جثث آبائنا وامهاتنا ، اخوتنا وابنائنا ، وانما يحتقر للعرب ، الامهم وآمالهم ، حاضرهم ومستقبلهم ، ويحتقر وجودهم بكامله .

ان الشعوب العربية تطالب قادتها ، باسم حريتها وكرامتها ، ان يعلنوا انفصالهم الكامل عن سياسة الولايات المتحدة ، ونضالهم الكامل ضد هذه السياسة . وليس قطع النفط عن الولايات المتحدة وجميع الدول التي تنهج نهجها السياسي الا الخطوة الاولية البديهية في هذا المجال . فمثل هذا العمل يؤكد ، في المرحلة الراهنة ، على وعي العرب لوجودهم وشخصيتهم ودورهم ، ويرتفع بهم الى مستوى الرؤيا التاريخية التي تستشرف المستقبل . ويكون العرب امناء لتاريخهم : بالامس شاركوا في فتح نوافذ النور الذي يضيء العالم ، واليوم يشاركون في اغلاق منافذ الوباء الذي يخنق العالم .

٤ ـ أرض جديدة فوق الارض

« نحارب من اجل السلام » ، يقول العرب .
« شرط السلام تدمير العرب » ، تقول اسرائيل .
وبين السلام والتدمير ، ينفتح كتاب فلسطين على الافق .
لا افق المدينة ، بل الارض . لا افق اللحظة ، بل افق الازمنة .
والورق جسد ، ونبض الجسد الحبر .

وينطلق العربي في بهاء لحظة تنغرس في التاريخ كالجذر . يحتضن السهل الجبل ، الماء والهواء ، الغبار والشمس . وفي مدى سيناء والجولان ، الجليل وغزة ، وفي لهب النهار والليل ، يبسط ارضا جديدة فوق الارض . انها كروم التاريخ الناشىء ـ المستمر . وها هي باكورة العناقيد الناضجة .

وبين العنقود واخيه ، يتأسس عناق آخر مع الارض الحبيبة ، ويكون رقص فرح بعمق الموت وموت بعمق الفرح . يكون رقص يتداخل فيه الحجر والحديد ، الزمن والجسد . كل جسد درج يصعد عليه التاريخ : الصدر بيت للشمس ، والوجه أول الافق .

٥ ـ لا أحد يولد الا من رماده

ما من عاشق لبلاده يكتفي ان يحب ارضها بفكره وحسب ، بقلبه وعينيه وحسب . انه يحبها كذلك بجسده . في هذا الحب الجسدي وحده امتحان الانسان ، لانه وحده الاخير الحاسم . وها هو الثائر الفلسطيني يسكن طليعة الارض : الصخر والريح . وها هو يتقدم صوب العتبة . ألح ناره تتشابك مع التراب وتصقل معدن تاريخه . اسمع صخبا ينفر من احشائه ويصير الغيم والبرق .

تتلألأ بين يديه اسلحته ، ويتحد في بريقها الفضاء ووجهه . وحين يرى الى وحدته التي ينسجها الصخر والريح ، ويرى الى طموحه الذي يقتلع قشرة العالم ، يتيقن ان الشجر ظل جسده ، وان موته يترسب في قرارة ارضه ـ الام .

وان الينابيع تنبجس الآن .
لا احد يولد الا من رماده .
« الجسد عار ، لكن خطواتي غابات يكتسي بها عري الارض .
الصوت مجروح ، لكنني اتسرب في حنجرة الشمس شرارة شرارة .
وبدءا من ظلمة الشلل ، اخلق التوهج والحركة » .
كان يتحدث مع صورته الثانية : جبل الشيخ ،
ويفرش صدره على سفوحه ...
لا احد يولد الا من رماده .

٦ ـ نحن الذين نتجرجر على الارصفة

للذين يفتحون دروبهم في الجولان وسيناء ، يفتح لهم المستقبل دروبه . وتحت أجسادهم المنذورة للوطن والحرية ، يتقدم نحوهم فجر الازمنة .
حتى نحن الذين لا نعرف كيف نسدد الرصاصة ونجهل ، في مجابهة العدو ، نشوة الرصد ،
حتى نحن الذين نتجرجر على الارصفة وافكارنا تتهدل حولنا كالخرق ،
حتى نحن الذين نحيا في هذا الموت اليومي الحي ،
نستطيع الآن ان نرى بعيني سيناء الخيط الذي يصل بين القصيدة والرصاصة ، بين الوجه والشمس .
ونستطيع الآن ان نرى الى هذا الزمن الآخر في الجولان كيف يمحو الحرب بالحرب ، ويخلق الحياة في شرفات الموت ،
وتؤخذ أجسادنا برجة الفرح ، وتركض قلوبنا للدخول في دورة جديدة لدم جديد .

ونستطيع ان نرى الى دمشق كيف تتهدم ولا تشكو : ليست مشغولة بما يسقط ، بل بما ينهض . ونستطيع ان نرى تتابع الابطال درعا درعا ، شهادة شهادة ، على ضفاف السويس وفي سيناء ، وليس في الضفاف وسيناء ما يشكو : ليست مشغولة بآلامها ، لكنها مشغولة بضرب عقدة الشر في العالم ، بحرق ظلام العالم ـ فالعالم هو أيضا هم عربي . العالم هو ايضا جزء من كتاب فلسطين .

وباسم الذين يفتحون دروبهم في الجولان وسيناء ، ويفتح لهم المستقبل دروبه ، نستطيع الان ان نستشرف سنوات المنفى ، وأبدية الحرية ، ونحدق ، ونهتف : سلاما يا طفولة الوطن ، سلاما يا جسد الحرية ، وداعا أيها المنفى ...

٧ ـ « الآلة قبل اليدين ، والاسنان قبل الرأس »

تقول سيمون دو بوفوار في بيان وقعته مع كتاب فرنسيين آخرين ، ان الحرب التي يخوضها العرب ليست « حرب تحرير » ، بل حرب ابادة للشعب اليهودي ! (لوموند ، ١٩ تشرين الاول) .
ماذا نقول لسيمون دو بوفوار ؟ نقول أولا ان هذا البيان لم يوقعه كاتب فرنسي واحد يمكن اعتباره عظيما . وهذه ظاهرة تكشف بذاتها عن ان الوعي الابداعي في فرنسا بدأ يغتسل من الوحل الصهيوني .

ونقول ثانيا ما يقوله الوار ، شاعر فرنسا ، ان العالم بالنسبة الى سيمون دو بوفوار ما يزال يسير بشكل معكوس : الآلة قبل اليدين ، والاسنان قبل الرأس ! فهي وصحبها لا يمثلون من فرنسا غير التعفن والانحلال .
وأنتم أيها الكتاب الفرنسيون الشرفاء ، لكم تحيتنا . ليس لانكم تقفون معنا ، أو لا تقفون مع عدونا ، بل لانكم تنقذون شرف شعبكم وشرف الكتابة .
ان الكتاب العرب ـ اليوم ـ يعيشون فيما يشبه المراحل التي عشتموها ، زمن النازية . لذلك تفهموننا وتتعاطفون معنا .
تعرفون أن الفضاء حين ينكسر فوق جباهنا ، ويصبح الشجر كله بلون الورد ، فلأن عمالنا وفلاحينا وفقراءنا جميعا يغسلون ايامنا من الوحل ، ويعطونها لون الحرية ...
وتعرفون ان التاريخ العربي يولد الآن في الحوانيت والازقة والاكواخ ، كما يولد في الجولان وسيناء ، لان حياتنا لم تعد كلاما يتعفن على الشفاه ، ولان قبضات شعوبنا تاخذ مكانها في دفة العصر .
وتعرفون لذلك اننا واياكم جبهة واحدة ومصير واحد ...

بليونا دولار اميركي تدعم الصهيونية ، لابادة البشر الابرياء ! ليجيء بشر اخرون يلبسون القنبلة ويمتدون وطنا مسنونا كالانياب . يكتبون التاريخ بالوحشية التي تسمى القوة ، وبالابادة التي يقال عنها انها حق الحياة .

انت الاقوى يا اميركا نيكسون ، لكنك الاصغر . انت الاغنى ، لكنك لست اكثر من جيفة مدهونة بالذهب . وانت العارية الفقيرة حتى الى رقعة صغيرة من الشرف .

قيدك يضغط علي ، أنا الفلسطيني العربي . حربتك تلامس عنقي . ظلامك يطوقني . لكنني لست مغلوبا ولا مقهورا . يحملني ضوء الحرية . والقيود التي تحاصرني أجنحة ثانية ، وفضاء اكثر اتساعا .

وليست فلسطين لي وحدي . انها رمز البراءة والعدالة ، وهي لذلك وطن لكل بريء عادل . ولهذا يقف معي كل بريء وعادل في العالم . ها هو كفاحي اكبر مني . انه اوسع من ان تحده ساحة الحرب بينك وبيني . انه كذلك وقود فريد في الغضب البشري النبيل الذي يهز أسس الارض ، ليطهر الارض ، منك اولا يا اميركا نيكسون ..

ولهذا الكفاح ، اليوم ، حدان : حد يضرب الصهيونية ويضربك ، ويفتح في تاريخك ثقوبا ستظل الى الابد تنزف الخزي والعار ...

وحد يهيىء للتاريخ العربي مهدا آخر لولادة ثانية وها هو المخاض ... لا النهار يتباطأ ، ولا الليل يعرج ...

الظاهرة والدلالة

ـ ١ ـ

« تواق الى المشاركة بعمل ما في معركة الشرف اكثر من مجرد كلمات على الورق ، فقد اجتاز وطننا الكلام الى الفعل » : بهذا خاطب توفيق الحكيم السلطة المصرية ، طالبا عملا يدويا « يناسب سنه (٧٥ سنة) وصحته في مصنع امدادات او معلبات » . ولا يقدر الانسان ان يستقبل ، على الصعيد الاخلاقي ، مثل هذا الكلام يقوله كاتب كبير الا باعجاب كبير .

لكن ، في هذا الكلام ، من الناحية الادبية ـ الفنية ، ما يشير الى الفكرة الرائجة من ان الكلام لا يجدي ـ اي ان الكتابة لا تجدي . وربما أمكن فهم هذا الموقف ضمن حدود كونه رد فعل على وضع اجتماعي ـ ثقافي سيطر فيه الشلل ، واخذ الناس يعوضون عما يفرزه من العجز العملي ، بالتشدق اللفظي . صاروا يستبدلون ممارسة السيطرة على الواقع وتحويله ، بممارسة السيطرة على الالفاظ وتركيبها . وصار الواقع سرادقا كبيرا من الالفاظ التي تتدافع في جمل وصيغ يتخيل قائلها انها حشد من الايدي العاملة والخطوات المتقدمة . وهو الوضع الذي يعيشه المجتمع العربي ، بعامة ، منذ اكثر من ألف سنة .

ضمن هذا المنظور يمكن القول ان الالحاح على العمل اجدى وأفضل . لكن لا بمعنى ان العمل بذاته افضل من الكلمة بذاتها ، بل بمعنى أن الممارسة العملية تكون هنا بمثابة انقاذ للكلمة من هاوية الهذر الذي سقطت فيه ، فلم تقتل العمل وحده ، وانما قتلت ايضا اللغة ذاتها . والحقيقة ان العرب لم يكونوا ، على الصعيد الابداعي ، طوال القرون العشرة الماضية ، يتكلمون وانما كانوا يصدرون اصواتا تنتظم في ألفاظ فقدت وجهها الآخر ، أي جذرها الآخر : الواقع او الحياة . فالكلمة هي الوجه الآخر للواقع ـ العمل ، وأن لا نرى الصلة بين الوجهين ، يعني اننا لا نرى الواقع ولا اللغة . ومن هنا ندرك كيف ان الادب العربي طوال هذه القرون والادب الحاضر المرتبط به ، ليست له أية قيمة فنية او فكرية ، ذلك انه لا يتكلم ، وانما يرتب أصواتا ـ ألفاظا في أنساق وأنماط بيانية . وعلى هذا يكون كل ما يربط الحياة العربية بالممارسة العملية احياء للعمل وللكلام في آن . فليست المسألة اذن ان نفاضل بين العمل والكلام ، وانما هي ان نخلق التكامل الجدلي فيما بينهما .

ـ ٢ ـ

في هذا الاتجاه الذي يرتبط به كلام توفيق الحكيم ، نقرأ اليوم آراء لكثيرين من الكتاب والشعراء العرب والعاملين في الحقول الفنية والادبية ، تجمع على ان النتاج الادبي والفني ، منذ هزيمة ١٩٦٧ ، قد سقط وعلى ان الاحداث تجاوزته . ومثل هذا الكلام يطرح سؤالا أساسيا هو : هل سقط هذا النتاج (لنسلم ، موقتا ، بصحة هذا الزعم) لمجرد استلهامه الهزيمة وصدوره عنها حقا ، أم لانه بذاته لا يحمل قيمة فنية ؟ والغاية من السؤال هي التشديد على ان الوعي الصحيح للظاهرة يستلزم او ، بالاحرى ، يتضمن وعي دلالتها . وليس في هذه الآراء ما يشير الى وعي هذه الدلالة ، بل ان كل ما فيها يشير ، على العكس ، الى ان على الكاتب العربي ان يباشر اليوم الارتباط بالواقع الجديد : الانتصار القائم او المقبل . انها آراء تقفز بنا من الارتباط الآلي بالهزيمة ، الى الارتباط الآلي بالانتصار ، كأن مجرد الارتباط بالانتصار ينتج الادب العظيم . والواقع ان الموقف الثاني ليس الا الشكل الآخر للموقف الاول . وهذه القصائد التي أخذ بعضهم يكتبها اليوم ليعكس بها الانتصار ليست الا الصورة الثانية للقصائد التي كان قد كتبها بعضهم ليعكس بها الهزيمة . والسقوط هنا وهناك لا ينتج بالضرورة عن مجرد استلهام الهزيمة او النصر ، وانما يصدر عن الارتباط الآلي بالحدث او بالواقع . يصدر بتعبير آخر عن فقر الرؤيا الفنية ، هنا وهناك .

ان كل نتاج أدبي أو فني يصدر عن مثل هذا الارتباط انما هو نتاج ساقط ، حتما ، سواء أعكس الهزيمة أم عكس النصر .

ـ ٣ ـ

قلت ان الكلمة هي الوجه الآخر للواقع ـ العمل ، واعني بذلك أمرين : الاول هو ان الكلمة ليست شيئا تاليا تجيء بعد العمل ، وانما هي العمل نفسه ، مشروعا او مبادرة استباق ورؤيا . فحين لا تكون الكلمة الا أمرا تاليا يكون ثمة قبول مسبق بان العمل أفضل وأكثر أهمية ، وان دور الكلمة هو ان تمدحه وتبرزه ، فهي ليست الا وسيلة . كل شيء ، في المنظور العام ، وسيلة لتقدم الانسان وسعادته . العمل نفسه ، الواقع نفسه ، الطبيعة نفسها ، الوجود بكامله ... كل ذلك وسيلة للغاية : الانسان . لكن لا يجوز هنا ان نمزج بين الوجود بذاته والجمال بذاته . ففي مسالة التعبير جماليا عن هذه الغاية ، ينقلب التعبير نفسه الى غاية ، من حيث انه معادل باللغة لهذه الغاية . فهو يقدم وجهها او شكلها الجمالي . والوسيلة هنا لا تقتل اللغة وحسب . وانما تقتل الجمال ايضا . انها تشوه الوحدة بين معاناة الوجود والتعبير عنه .

والامر الثاني هو ان الكلمة لا ترتبط بالواقع ارتباط واصف بموصوف ، أو تابع بمتحول ارتباطا آليا ، وانما الحركة التي تنتظم فيها العلاقة بين اللغة (الذات) والواقع (الموضوع) انما هي حركة جدلية ، تجعل كلا منهما يرتبط بالآخر ارتباطا جدليا . وهكذا لا تعود المسألة ان نفاضل بين العمل والكتابة ، او نتخلى عن أحدهما في سبيل الآخر ، فهذا موقف يفصل بين الكلام والواقع ، عدا انه يتضمن مفاضلة تناقض التكامل الجدلي بين الكتابة والعمل .

تصبح المسألة ان نعيد النظر في مفاهيمنا السائدة عن الكتابة وعن العلاقة بينها وبين الواقع . وتقدم لنا هزيمة ٦٧ ، والاحداث التي تلتها حتى ٦ تشرين الاول ، والاحداث التي جرت بدءا منه ، مادة فريدة للتأمل والتقويم . وحين نعيد النظر بدقة وعمق ، نتبين الحقائق التالية :

أولا — ليس النتاج الفكري والادبي والفني بعد هزيمة ٦٧ ، واحدا . ان مستوياته متباينة جدا ، وهو لذلك متفاوت القيمة ، جدا .

ثانيا — ان ما سقط منه لم يسقط لمجرد انه عكس الهزيمة ، واستسلم لها . وما نجا من هذا السقوط لم ينج لانه ظل آملا ورفض الهزيمة . فلم يكن السقوط او عدمه تابعا لمجرد الموقف ، وانما كان تابعا لدرجة الفنى والشمول في الرؤيا الفكرية او الادبية او الفنية .

ثالثا — ان في هذا النتاج ما استلهم الهزيمة وعكس أبعادها الحضارية ، ومع ذلك ظل ويظل نتاجا عظيما . فلقد كان نوعا من الحركة التي صنعت من الهزيمة حصارا على الوعي العربي والحاسة العربية ، يستحيل التفلت منه الا بفعل يعاكس الهزيمة : حركة الانتصار . كان ، بتعبير آخر ، مواجهة في المستوى التراجيدي ، للانهيار الذي ولدته الهزيمة . ولهذا كان بمثابة الطرف الاقصى للظلام الذي يلتصق بالطرف الآخر : النور . ومن هنا كان يشير الى اللهب فيما يعانق الرماد . وفي هذا لعب دورا أساسيا في شحذ الطاقة العربية وشحنها بحيث شارك في تعميق لحظتها التراجيدية : اما المزيد من السقوط ، واما المزيد من التحرك في اتجاه يتجاوز السقوط .

ذلك هو دور الفن : ان يرميك في أتون الحياة لحظة يحدثك عن الموت . او يكشف لك عن واقع أفضل وأبهى ، فيما يحدثك عن الواقع الاليف . لا دوره وحسب ، بل سره ايضا — السر الذي يميز الاعمال الادبية والفنية العظيمة ، ويطبعها . وهذا هو معنى الارتباط الجدلي بالواقع . فالقصيدة ، مثلا ، لا تتشبه بالواقع ، سواء كان ظلاما او نورا ، أي انها لا ترتبط به آليا ، وانما تأخذه ككل ، وتنفذ في معانيه ودلالاته وأبعاده ، حيث يتشابك السقوط والنهوض ، العتمة والبريق ، الجمود والخلخلة ، في حركة دائمة من التحول الدائم باتجاه المزيد من سيطرة الانسان على مصيره وعلى الكون .

الاخبار

٢٧ تشرين الاول

ميشال عاصي

سلاح المثقفين في معركة التحرير

الثقافة بما هي فعل معرفة والتزام تدخل على هذا الاساس كعامل رئيسي وحاسم في ورشة التقدم الاجتماعي ، وكعامل رئيسي ايضا من عوامل النصر والهزيمة في المعارك التي تخوضها الشعوب من اجل استكمال تقدمها وتطورها .

واليوم اذ تخوض جيوش من البلدان العربية معركة الشرف والتحرير فان على المثقفين العرب المسؤولين ان يجندوا اقلامهم فورا للاسهام في هذه المعركة بالتعبئة النفسية اللازمة ، لدعم جبهات القتال على مختلف المستويات وبكل الوسائل التي يملكونها .

والمثقف العربي الملتزم يعرف تماما ان دوره لا يقف عند حدود الدعم المعنوي والفكري للمعركة ، فهذا اول واجباته ، وانما يدرك استنادا الى التزامه بالمسؤولية الفكرية والتاريخية انه مدعو ايضا ، وبالقدر نفسه ، الى استشراف آفاق المعركة القتالية الآنية وابعادها السياسية ومؤثراتها الايجابية والسلبية في هذا الاتجاه او ذاك ، وتحليل تطوراتها العسكرية والمواقف السياسية التي تتخذها الحكومات المعنية نتيجة لتطور القتال وتقدير موازين القوى والظروف الدولية والعالمية .

من هنا ، ان دور المثقف اليوم ، ومهمة الثقافة العربية ، هما دور ومهمة تاريخيان بالنسبة الى سير المعركة من جهة ، وبالنسبة الى تقدير ملابساتها السياسية والدبلوماسية ، ونتائجها في اطار حركة التحرر العربية واهدافها العامة في بناء المجتمع العربي الحديث ، وفي اطار حركة التحرر العالمية وغاياتها الانسانية الكبيرة .

ومهما يكن ، فان التشديد على استمرار القتال ، وحشد كل الطاقات العربية في خدمة المعركة ومواصلتها بأي ثمن لدحر العدوان الصهيوني وحلفائه ، والتأكيد على ان اي تخاذل واي رضوخ لتهديد الاعداء ولجم انطلاقة الجندي العربي الباسل ، والتفريط بحق الشعب الفلسطيني ، وحق الشعوب العربية بالحرية والنصر هو خيانة قومية بحق شهداء هذه الامة وجريمة تاريخية لا تغتفر .

ان الثقافة العربية الطليعية ثقافة مسؤولة وملتزمة ، وفي ساحتها ايضا جنود لن يلقوا السلاح مهما تكن النتائج والتضحيات . فليطمئن اخواننا في الجبهة ، اننا الى جانبهم في معركة الشرف والتحرير من اجل النصر او الموت .

الانوار

٢٢ تشرين الاول

غادة السمّان

عودة بشعة للاميركي « الجميل » !

الليلة ، شعرت للمرة الاولى ، وأنا اشاهد فيلما ، بالحاجة الى الصفير واطلاق بعض العيارات النارية على الشاشة من مسدس غير المرخص ، بل حمل مقص أطعن به صور الممثلين ، والقاء بعض قنابل الروائح الكريهة في صالة السينما ، لان اية رائحة لن تكون أشد قبحا من رائحة الفيلم المعروض !

فـ « الزعرنة » السينمائية السياسية تحرض الانسان أحيانا على معاملتها بالمثل !.. وتزييف التاريخ وتمجيد « فضائل واخلاق » بعض الشعوب الاستعمارية على حساب الشعوب الطيبة النامية أمر أشد فظاعة ، في نظري ، من الافلام الجنسية التي تسارع رقابتنا الى منعها ، بغض النظر عن قيمتها الفنية ، كما لو ان جسد امرأة عارية أشد خطرا على أمتنا من الافكار السياسية الهدامة !

اسم هذا الفيلم الذي عرضته احدى صالات بيروت ، خلال اسبوعين متواصلين ، « الشارة ٣٧٣ » .

وهو يروي حكاية ضابط شرطة اميركي ، يلاحق مدمني المخدرات القادمين من بورتوريكو . والبورتوريكيون في اميركا هم من البروليتاريا والاقليات البائسة ، ويلقون ـ كزنوجها ـ معاملة غير انسانية ! وفي احدى هذه الجولات البوليسية يحاول مدمن بورتوريكي الهرب فيلقي بنفسه من على السطح فيقتل ، ويعتبر الشرطي الاميركي « البريء » ، ذو الرقم ٣٧٣ ، مسؤولا عن قتله . وتتدخل « العدالة » الاميركية ، ويتم توقيف الشرطي عن عمله ريثما تشكل لجنة تحقيق تبت في امره ، خصوصا وان هياج البورتوريكيين بلغ ذروته . وبعدها بأيام يجدون صديق الشرطي (وهو ايضا من رجال الشرطة البيض) مذبوحا بوحشية . وهنا يثور الشرطي ٣٧٣ ويعمل لكشف الجريمة رغم كونه خارج سلك الشرطة . ورغم كل ما يتعرض له من ضرب وتعذيب على يد الاقلية البورتوريكية « المنحطة » ، نجده ينتصر في النهاية ويكشف « مؤامرة » ضد اميركا ، وصفقة سلاح يحاولون شحنها الى بلادهم في بورتوريكو للقيام بالثورة وتحرير الارض . الفيلم يرسم لنا صورة الشرطي الاميركي النزيه الاخلاقي في مواجهة « الثوار البورتوريكيين » الذين يقدمهم لنا في ابشع صورة . ففي هذا الفيلم نجد الثائر « مجنون عظمة » ورفاقه مهووسين بالجنس والمخدرات وفكرة الثورة « صبيانية » ، وهو يصور عذاباتهم بصورة كاريكاتورية ساخرة ...

وعلى طريقة افلام الهنود الحمر ورعاة البقر ، نجد الآن راعي البقر الاميركي متقمصا صورة عصرية هي الشرطي النيويوركي ، ونجد « الهنود الحمر » الاقلية ، في صورة الاقلية البورتوريكية ، وطبعا يتم حصدهم بالرشاشات على يد الشرطي المغوار كما لو كانوا سربا من الذباب . تماما كما كانت تتم ابادة الهنود الحمر في الافلام التقليدية العتيقة !..

جميع السود في الفيلم اشرار . وجميع البيض في الفيلم ابطال يتمتعون بكل مزايا اسطورة عبقرية الفرد الاميركي وتفوقه على شعوب الارض كلها !.. حتى رجل الشرطة الاسود ، ذو الاصل البورتوريكي ، يجعل منه الفيلم قاتلا حتى لصديقه رجل الشرطة الابيض . هذا التمييز الهتلري العنصري نجده حتى على صعيد الفواني ! فالاميركية البيضاء نجدها في الفيلم تتحول الى سيدة فاضلة تستشهد دفاعا عن اميركا « العظيمة » ، اما المومس التي تموت غارقة في أفيونها وعارها فهي سمراء ملونة من اصل غير جرماني ! كل البيض في الفيلم نبلاء يحبون اولادهم ويحرصون على سعادتهم ، وحتى الابيض الوحيد في الفيلم الذي « يزل » ويغرر به السود ، انما يفعل ذلك من اجل اعالة اسرته ، ويدفع حياته ثمنا لخطيئته الزوجية والمسلكية (وربما يفعل ذلك لانقاذ ما يمكن انقاذه من تحامل الفيلم على السود !) . ولكن الفيلم لا يفسر لنا سبب ضائقته المالية ، خصوصا وان زميله الشرطي (من المفروض ان راتبهما واحد) يمتلك سيارة اميركية فخمة هائلة الضخامة حرص المخرج على استعراضها في كل لقطات الفيلم دلالة على « عظمة » الصناعة الاميركية ايضا !..

منذ اعوام أغرقتنا السينما الاميركية بافلام تتحدث عن المجد الاميركي ، العظمة الاميركية ، التفوق .... الخ ، الاسطوانة اياها في اطار افلام « الهنود الحمر » ، وتبرر الابادة الجماعية لذلك الشعب الآمن ... وتربينا ونحن نشاهد هذه الافلام المزورة للتاريخ، واليوم تبدأ اميركا باصدار دفعة جديدة عصرية من الافلام تؤدي اللعبة القديمة نفسها . ولان لعبة الهندي الاحمر « البشع » انكشفت للعالم ، لجأت هوليوود الى لعبة جديدة تتلاءم واحداث العصر ، فعادت تعرض لنا صورة « الاميركي الجميل » الذي يحارب « الثوار

البشعين » وشعوب العالم النامية ، وينتصر عليهم ويبيدهم ، مصورة هذه الابادة كما لو كانت عملا اخلاقيا له مبرراته « الانسانية » ، وذلك في سلسلة افلام جديدة شاهدت بعضها مؤخرا - وكلها يسخر من ثورات العالم الثالث وثواره - وكثرتها تدل على ان الامر قد لا يكون مصادفة وانما نتيجة سياسة اعلامية مدبرة ... واذا كان اختراع السينما انتصارا علميا كبيرا ، فانه من المؤسف توظيف الحضارة في خدمة الحقارة ، وفي محاولة لتبرير اضطهاد اميركا للاقليات ، والسخرية من الثورة والثوار والحرية وحق الناس في ارضهم ...

لقد كنت دائما ضد فكرة « منع » اي فيلم او كتاب او منشور.. كنت دوما اؤمن بأن مساوىء اطلاق الحرية اقل من مساوىء كبتها ولجمها ...

ولكنني اقترح « مقاطعة » هذا النوع من الافلام الاميركية ، وان يتم ذلك بناء على موقف واع للمستوردين ولو كلفهم الامر بعض الخسارة المادية ، لان عرض هذه الافلام الدعائية الاعلامية المضللة جزء من الحرب ضدنا ، وبالتالي فان في عرضها خدمة لاميركا ، ولانه في حال تحقيق هذه المطامع لن يبقى لاحد منا ارض او نقود ... ولاننا جميعا المرشحون - مع شعب فلسطين - لنكون « الهنود الحمر » في الارض العربية !..

الاسبوع العربي
٥ تشرين الاول

« عيد الغفران » العربي !

عيد الغفران ...

تقول غولدا مائير اننا هاجمناهم يوم عيد الغفران ، « عندما تكرس اسرائيل يومها للصلاة والصيام » ، على حد زعمها .

والمدهش ان يكون لاسرائيل عيد واحد من هذا النوع كل عام !..

فحينما ينزلق في عيوننا شريط انتهاكات اسرائيل لكل الشرائع الانسانية والاخلاقية ومذابحها ، نشعر بأن عليها تكريس كل أعوامها الباقية ، للصلاة من اجل الغفران ، وان عليها ان تتحدث عن « أعوام الغفران » لا عن « يوم الغفران » .

وحينما تصف غولدا مائير الهجوم العربي الصاعق بانه لم يراع التقاليد الاخلاقية (!) نشعر بحاجة الى الانفجار في الضحك والغضب معا ، تماما كما قد نشعر امام مومس تحاضر عن الفضيلة في جمعية « الدفاع عن مكارم الاخلاق » ! (التقاليد الاخلاقية الاسرائيلية العريقة (!) كانت وراء ضرب المدنيين العزل في دمشق وحمص واللاذقية) .

عيد الغفران ...

كان يوم ٦ اكتوبر يوم عيد الغفران الاسرائيلي . فصار يوم عيد الغفران العربي .

انه عيد غفراننا لانفسنا خطيئة ما بعد ٥ حزيران ، وعيد غفران التاريخ لنا ...

عيد الغفران العربي في ٦ اكتوبر هو عيدنا القومي الحقيقي ...

الالعاب النارية فيه كانت قذائف الطائرات ...

واضاحي هذا العيد كانت أجساد المقاتلين العرب الذين نحروا أنفسهم على مذبح التاريخ ليمنحهم التاريخ الغفران ... صوت الرصاص كان أغنية العيد ... والطائرات اراجيحه ... والنصر حلواه ...

لقد سقطنا بعد هزيمة ٥ حزيران في هوة الحزن واليأس والعار ، وحملنا الهزيمة مثل حجر القبر فوق صدورنا . رزحنا تحت وطأة الشعور بالذنب . وكما يقول الدكتور يوسف ادريس : « في البداية ، كنت مثل أغلب زملائي شديد القهر للنفس والتبكيت لها والمعاتبة والاحساس بانني آحد اسباب الهزيمة . ثم بدأت اكتشف ان الهزيمة الحقيقية هي ان نقف هذا الموقف المكسور » ...

« الموقف المكسور » كان من بعضه ان انسقنا الى تمجيد قوة عدونا لنبرر امام أنفسنا هزيمتنا ... ووجدت اسطورة اسرائيل التي لا تقهر أرضا خصبة في نفوسنا المكسورة ... ونسينا طرح قضية احتمالات الحرب ، وتوقفنا عند الحديث عن حالة « اللاسلم - اللاحرب » التي توهمنا ان اسرائيل فرضتها وكرستها ولا راد لقضائها !

الى ان كان يوم ٦ اكتوبر ... يوم عيد الغفران العربي ... يوم استعدنا الامكانية الاشرف والقدرة الانبل : القدرة على الحرب .

نصر ؟ هزيمة ؟.. لا يهم ! فالحرب جولات ... المهم اننا انتصرنا على « موقفنا المكسور » ...

وكان عيد غفراننا لانفسنا ...

* * *

● حينما تنفجر الحرب ، أية حرب ، تصير « الكلمة » للبندقية ، ويصير « السيف أصدق أنباء من الكتب » ، ويقرر زند المقاتل مصير الامة . ولذا يشعر الفنانون - بصورة عامة - بشيء من الخجل الضمني ، ويقفون حائرين ، ويغمى على الكلمات فوق شفاههم . يصيبهم احساس الاخ الصغير الذي يرقب صراع أخيه مع عدو لا يرحم ، ويرى الدم يسيل ولكنه لا يملك الا الصمت او نظم قصيدة مدح في شقيقه أو تطبيير برقية تأييد له ووعده بشرح عدالة قضيته للعالم ... وفي ٥ حزيران كف الفنان العربي بالقلم ، فلغة البندقية في زمن الحرب هي لغة الحوار الوحيدة الممكنة ... وكثيرون أعلنوا في نتاج تلك المرحلة عن أسفهم لان مهنتهم غير مجدية لامة مكتوب عليها ان تحمل السلاح لتحيا ...

ولكن ما مدى صحة هذا الشعور الآني ، الموجع ، باللاجدوى ؟

لقد أصاب بايرون ذات يوم مثل هذا الشعور ، فكسر قلمه والتحق بالثورة اليونانية عام ١٨٢٢ لانه آمن بها . كان شاعرا عظيما ومقاتلا سيئا ، ومات بعد التحاقه بالثورة بعامين اثر مرض عضال ونوبات صرع ، فجسده الهش لم يقو على ضريبة الدم في الحرب ... ولكنه لو عاش لاستطاع ان يمنح ضريبة الفن ، ولغنى الثورة والثوار ، ولخلدها كما فعل بيتهوفن الذي كان اكثر وعيا بحقيقة مهمته كفنان في زمن الحرب . بيتهوفن كان معجبا بنابليون ، ولكنه لم يقدم طلبا للانضمام الى صفوف الحرب وانما انزوى في غرفته ليقوم بمهمته الحقيقية التي أهلته الطبيعة لها ، وهي العطاء الفني . وكتب بيتهوفن واحدة من اجمل سيمفونياته الخالدة هي السيمفونية الثالثة وأهداها الى نابليون (ثم عاد وحرمه منها لان نابليون تحول في نظره من بطل للشعب الى عدو للشعوب المسالمة حين شن عدوانه التوسعي على الاقطار المحيطة به وزحف على المانيا) . فعاد واسمى سيمفونيته تلك سيمفونية البطولة (لا نابليون) . واليوم ، حينما يستمع الثوار في كل مكان الى سيمفونية البطولة ، يشعرون بان بيتهوفن كان يغنيهم جميعا . لقد خرج بيتهوفن بتجربته من حدود بطولة فرد وشعب الى البطولة الانسانية وصراع الشعوب المناضلة كلها من اجل الكرامة والعدالة ... ولو ذهب بيتهوفن الى القتال لكان مقاتلا آخر سيئا كبايرون ، ولخسر العالم كنزا من العطاء هو موسيقى ذلك المبدع الكبير ... الفن والحرب معا على طريقة ابي فراس الحمداني ؟ ربما ، ولكنني أذكر بالمقابل همنغواي الذي التحق بالحرب الاسبانية فكان نصف مقاتل ونصف مبدع ولم يرق

قط الى مرتبة بيتهوفن الابداعية .

ربما كنت أخط هذه السطور لاقنع بها نفسي ، قبل ان اقنع العالم ، لانني ، وانا جالسة في مقعدي اخط هذه السطور - الان الساعة الثانية من يوم الاربعاء ١٠ اكتوبر - أرى عبر النافذة معركة جوية بين طائرات العدو وأخرى سورية . ها هي طائرة تهوي الى البحر .. تهوي .. تهوي به وانا مسترخية في مقعدي (يا لخجلتي !) ويهوي القلم من يدي .

الاسبوع العربي
١٥ تشرين الاول

جائزة نوبل للسلام لطائرة فانتوم العدوان

بينما كانت مئات الطائرات الاميركية تنقل أسلحة الموت والدمار الى اسرائيل كي تتابع افتراسها للشعوب العربية ، وبينما كان الرئيس نيكسون يعلن الحرب على العرب بلغة دبلوماسية تكتفي مفرداتها بالتحدث عن حماية اسرائيل التي ((وجدت لتبقى)) ... الى آخر المعزوفة الاميركية العدوانية ، وبينما شعوب العالم الحر تستنكر ذلك كله ، وبينما الاميركيون المقيمون في الشرق الاوسط ينطلقون صوب سفاراتهم في بيروت في مسيرة رفض لسياسة جلادي بلادهم ، وقد حملوا اللافتات :((واشنطن ، لقد ابتاعك الاسرائيليون)) - ((هنري كسينجر ، مارس الحب لا الحرب)) - ((العرب لهم الحق في ارضهم)) ... وبينما الحرب العدوانية التوسعية الاسرائيلاميركية تقوم بمزيد من غارات اغتيال الطفولة والانسانية والعدالة ، بينما ذلك كله يدور على مرأى ومسمع من العالم ، طلعت علينا وكالات الانباء بالخبر التالي : منح الدكتور هنري كسينجر وزير الخارجية الاميركية جائزة نوبل للسلام !!! أجل للسلام !!!

للوهلة الاولى يبدو الخبر شبيهاً بنكتة سمجة على الطريقة الاميركية (براكتيكل جوك) ... نكتة ؟ بل مهزلة ! انها لمهزلة ان تمنح جائزة نوبل للسلام الى برميل من البارود !! فالمعروف ان العالم نوبل ، الذي اخترع البارود ذات يوم ، قرر ان يكرس كل ما يملك تكفيرا عن خطيئة امكانية استعمال البارود ضد الانسانية ... وقرر انفاق كل الاموال التي كسبها من اختراع البارود على كل ما من شأنه تعزيز السلام والعدالة ، ومن هنا كانت جائزة نوبل للسلام . وبعد حرب حزيران بأشهر ، تم منح جائزة نوبل للكاتب الاسرائيلي اجنون ! وكانت صدمة للعالم الحر ، فقد كانت لجائزة نوبل يومئذ هالتها كقيمة انسانية ... وطرحت يومها تساؤلات كثيرة عن الاعتبارات (غير الانسانية) التي لعبت دورها كي تمنح جائزة نوبل لبرميل من البارود !!!

وظلت هناك فئة من حسني النية أشادت ((بالاسلوب الادبي الجميل)) لاجنون ، ورغم يقيننا بأن الاسلوب امتداد للفكر ووعاء له ، وبالتالي ليس هنالك أسلوب جميل اذا كان المضمون عدوانيا ولاانسانيا ، مع ذلك سكتنا ، بل كدنا ننسى لاننا بدلا من مقاطعة جائزة نوبل عدنا نتحدث منذ أشهر عن ترشيح كتاب عرب ((للفوز)) بها ...

اما الآن ، فما هو المبرر لمنح وزير خارجية اميركا ، أي المنفذ لسياستها العدوانية المغتصبة ، جائزة السلام ؟

صحيح ان الجائزة منحت مناصفة بينه وبين لي دوك ثو ، الثوري المناضل المقاتل الذي أجرى واياه محادثات أدت الى اقرار السلام في فيتنام ، ولكن هل يشفع ذلك لكيسنجر الذي اغلق فيتناما ليفتح في أرضنا فيتناما اخرى ؟ كسينجر يصافح لي دوك ثو بيد ويعطي الاشارة للطائرات الاميركية الالف ، المحملة بالموت ، للطيران الى شرقنا الاوسط والبدء بحرب عدوانية جديدة ! انه دكتور جيكل ومستر هايد السياسة الاميركية ، في يده غصن الزيتون ، وفي الاخرى خنجر يقطر بدم العرب ، فكيف يمنح جائزة نوبل للسلام في اليوم ذاته الذي يبدأ فيه مذبحة ((ماي فير)) جديدة ؟!

لو قدم كيسنجر استقالته احتجاجا على شحن الاسلحة الى اسرائيل لاستطعنا ان نفهم مبرراً لمنحه جائزة السلام ... ولكن !

ولكن ، أين تعيش اللجنة القيمة على جائزة نوبل ؟! هل تعيش في محجر فكري ولا تعرف شيئا عما يدور على وجه الكرة الارضية ، الذي جرحته عدوانية اميركا في اكثر من موضع ، وتركت فيه ندبا لا تندمل آثارها أبدا ؟!

ألا يقرأ افرادها الصحف ؟ ألا يستمعون الى الاذاعات ؟ ألم يشاهد احدهم قط صورة طفل أحرقه النابالم الاميركي في فيتنام او فلسطين او سورية او مصر ؟ هل يظنون ان كيسنجر يشحن على الطائرات الشوكولاته و ((البونبون)) والدمى لاطفال الشرق الاوسط ، والحمام الابيض وغرسات الزيتون لاهلها ؟! - بلى ... كان يشحن لنا الدمى : اميركا تصنع لاسرائيل قنابل على شكل دمى الاطفال ، ترمي بها طائراتهم ويحترق بها أطفالنا حين يحاولون اللعب بها - (معلومات من تقرير الاطباء الموفدين الى سورية) .

اذا كان التقمص واقعا ، فانأي انسان مجهول ، من الآلاف الذين ينتحرون كل يوم ، أطلق على نفسه الرصاص لحظة اعلان منح جائزة ((السلام)) لرجل ((العدوان)) ، هذا الانسان هو المتقمص لروح نوبل ... وسوف يطلق على نفسه الرصاص او يفجر بها برميل بارود كل مرة تمنح فيها جائزته لرائد من رواد الحرب !

* * *

● في نطاق أسبوع الاغتراب اللبناني تنظم جامعة اللبنانيين في العالم مهرجانا لالقاء الشعر بين الثانويين والجامعيين . نعم ! مهرجانا لالقاء الشعر !.. كان ما يدور بيننا وبين اسرائيل هو ((مساجلة شعرية)) لا حرب ب ((الفانتوم)) ! كأننا في سوق عكاظ لا في ساحة حرب ! هذا بينما ينشط يهود العالم لجمع التبرعات ، وقد جمعوا مئات ملايين الدولارات في أيام ، وأيام اخرى وتتحول الملايين الى طائرات وقنابل تمطر فوق سمائنا ، وقد تسقط واحدة منها فوق مهرجان الخطباء ! ما أشد اغتراب المغتربين عن لبنان ! بل ما أشد اغتراب بعض اللبنانيين عن لبنان !

فبينما كان بعضهم مشغولا في بيروت بانتخاب اجمل كلب وارشق كلب ، كان عشرات اللبنانيين على بعد كيلومترات عديدة منهم يحصدون في جنوبي لبنان بمنجل القنابل والموت والدمار ... وينامون وملء أفواههم الدماء .

المهم ان اجمل كلب نام ليلتها وفمه ملآن بالحلوى !..

الاسبوع العربي
٢٢ تشرين الاول

.. ونسوا انهم عبروا النهر ليلة الميلاد !

● غريب أمر هذا العالم !

فجأة صار بعض الصحافيين الاميركيين والغربيين عاطفيين اكثر من روميو ، رقيقين اكثر من سيرانو دي برجراك ، متمسكين باخلاقيات المبارزة اكثر من الكونت دي مونت كريستو !..

ففي اكثر الصحف والمجلات الغربية التي طالعتها في الآونة الاخيرة ، لاحظت ان الكتاب يركزون على ان مصر هاجمت اسرائيل يوم الغفران المقدس ... وان عبورها للقنال واليهود مشغولون بشعائرهم الدينية عمل غير أخلاقي .

من الضروري تذكير اولئك السادة بأن بطلهم جورج واشنطن سبق له ان عبر نهر بوتوماك (نهر اميركي) بجنوده ليلة عيد الميلاد كي يفاجيء الجنود البريطانيين ، وانه أغار عليهم بينما كانوا مشغولين بتناول عشاء « الكريسماس » . وهم يدرسون هذه الواقعة في كتبهم المدرسية بكل فخر ، ويعتبرون هذا العمل من دلائل ذكاء بطلهم القومي !..

* * *

● اليزابيت تايلور رعت حفلا في روما لتأييد حرب اسرائيل وجمع التبرعات لها ، وكانت الامبراطورة السابقة ثريا تمنح الحفل « بركتها » !

ليزا مانيللي الموهوبة ، التي أحببناها في فيلم « كاباريه » ، تصل قريبا الى اسرائيل « لترفه » عن الجنود هناك .. الاميركي داني كاي وصل وباشر نشاطه « الترفيهي » !

انريكو ماسياس ، لينونار كوهين ، توبول ، وغيرهم من الفنانين جددوا ولاءهم لوطن اللاولاء للانسانية !

الامبراطورة ثريا هي مجرد امرأة عادية عاثرة الحظ ، وممثلة فاشلة ، وليس لانحيازها لاسرائيل أي مدلول فكري . ربما كانت ضجرة تلك الليلة فذهبت الى أول حفل دعيت اليه !

ولكن ماذا عن بقية الفنانين الذين لا يخلو بعضهم من الموهبة ؟ يمكننا القول ببساطة : اكثرهم او كلهم من اصل يهودي ، ولذا انحازوا الى اسرائيل . ولكن هذا التفسير يصلح للحديث عن الناس العاديين ، حيث الولاء العشائري فوق الولاء الفكري ، ولكن ماذا عن المبدعين ؟ أليس من المفروض ان ولاء المبدع الوحيد هو للحقيقة وللعدالة ، اي للجمال وللحب ولكل ما هو انساني في هذه الحياة ؟ ان الانسان لا يستطيع أن يكون فنانا مبدعا الا اذا كان يحمل البراءة والعدل الى العالم ، وكان ولاؤه الوحيد هو للحقيقة قبل رابطة الدم او الدين . الفنان هو الذي انعتق من تدجيل الولاءات العادية ليصير جنديا في معركة الحقيقة والصدق والانسانية ، فكيف يمكن لمن هو كذلك ان يصير مرفها عن جيش مكرس للعدوان والاغتصاب ولتدمير العدالة والفرح والحب ؟!

من هنا ان اي فنان حقيقي هو حكما عدو لاسرائيل ما دامت اسرائيل عدوة لكل المثل والقيم التي يحيا الفنان ويموت لاجلها ...

ولكن يبدو أن الشخصية اليهودية ما تزال بدائية الولاء والانتماءات ، حتى لدى مفكريها وفنانيها (الا في ما ندر ، مثل المستشار كرايسكي الذي كان ولاؤه للنمسا لا لاصله اليهودي) .

فاذا كان هذا حال مبدعيها ، فعلى أية درجة من التخلف العشائري نجد بقية افرادها ؟! ان تيه بني اسرائيل ، الذين يغربون في الارض ، ينبع من داخلهم ، من حسهم الموهوم بالتفوق الى حد ولائهم لشهواتهم بدلا من ولائهم للانسانية والعدالة ... ولن يكون هنالك سلام لا لهم ولا لنا قبل ان يطوروا حسهم الانساني بقدر ما طوروا حسهم التجاري . ومجيء فنانين من اصل يهودي الى اسرائيل للرقص في وليمة العدوان هو ادانة اضافية للشعب اليهودي ، واثبات على ان العشائرية لا العقل تتحكم بسلوك حتى فنانيه ومبدعيه .

مبدعيه ؟
عفو الكلمة ! فالابداع سلوكية كونية راقية لا يعرفونها .

* * *

● « عندما يقضي «الجيتان» في الحرب ، يحتفل ذووه بموته فيقيمون الولائم . اما عندما يولد لهم طفل ، فانهم ينتحبون لدخوله هذه الدنيا حيث سيلاقي العذاب ، لا مناص » (من كتاب « الحقيقة ولدت في المنفى » لفانتيلا هوريا) .

وعندما كان الاسبارطيون يذهبون الى الحرب ، كانت الام تقول لابنها : « ارجع بدرعك او محمولا عليه » .

وحينما قامت حرب التحرير في اوكرانيا ، بقي بين السنتش المقاتلين اربعة كبار في السن . فلم يكن ممكنا ان تجد بينهم اناسا طاعنين في السن ، اذ لا رجل من زابورجي مات ابدا ميتة طبيعية . كلهم يموت في الحرب فقط !

من زمان كان العرب يبعثون بأولادهم الى البادية كي يتعلموا الشعر والفروسية . اليوم ، ابعثوا بأولادكم ايها العرب الى سورية وربوهم هناك ، ففي سورية بدأت تتكون أخلاقيات عربية حربية جديدة معاصرة ... وستكون لنا حكايانا التي نمنحها للتاريخ بعد طول غياب ...

* * *

● في ٥ حزيران اعتنقنا الحزن .

في ٦ تشرين اعتنقنا الفرح .

متى نعتنق الحقيقة ؟

أرسطو قال : « الجاهل يؤكد . العالم يشك . والعاقل يتروى » .

متى نتروى في الحزن والفرح ؟

الاسبوع العربي
٢٩ تشرين الاول

عرس الدم في دمشق

حينما اغمض عيني ، تندلع الحرائق فيهما . ففي عيني اختزنتك يا دمشق ، حملتك عاما بعد عام ودرت بك الدنيا ، ودارت بي الدنيا وكنت ابدا ملجاي ومبكاي ومبخرتي وبوصلتي ، وتعويذتي التي بها أطرد شرور العالم ... وكنت الجزيرة الوحيدة المخضرة في بحار الذاكرة الدامية .

مثل زهرة دوار الشمس كنت أدير وجهي ملاحقة رقصة العصر المسعورة ، ولكن جذوري كانت ابدا مفروسة في « قاسيونك » ونسغك يصب في شراييني ، وكانت الغربة عنك مزيدا من الالتصاق برحم تاريخك ...

دمشق ، يا العريقة كسنديانة الاساطير ! طيورك المهاجرة تقطنك اينما كانت ، تحترق أجنحتها اذا مرت بصمودك صاعقة ... دمشق ، يا لؤلؤة الزمن ! ليست صدفة ان تضربك اسرائيل ، فانت أقدم

مدينة في التاريخ ، وفي مجرد وجودك تحد لكل ما يفتقد الى العراقة والاصالة والعظمة الانسانية . لقد كنت دوما مقبرة الغزاة ، وكل هجمة بربرية « تيمورلنكية » كانت تتكسر عند اقدامك ... وهذه ليست أول مرة تحاول فيها فئات مقاتلة هجينة تطويعك ، ففي لوائحك السريانية والارامية وفي لوائحك المكتوبة بأول أبجدية اخترعها العالم ، حكايات دفاعك عن الانسانية والاصالة ، وخابية الفرح المعتقة في أرضك ... ولبني اسرائيل مطامع فيك منذ عهد داود الذي هزمك الى حين ، كما هزمت في ١٩٦٧ الى حين .

* * *

هل هي صدفة ان الغارة الاسرائيلية الاخيرة اصابت ، فيما أصابت ، ما يلي : مستشفى الشرق الاوسط ، المركز الثقافي السوفياتي ، دار المعلمين والمعلمات ، نقابة الاطباء ، مبنى الاذاعة والتلفزيون ، بيوت المدنيين ؟

أي انها ضربت ما يلي : مستشفى ، مدرسة ، مركز ثقافي ، مركز اعلامي ، أبرياء عزل ؟!

ألا تختزل اسرائيل بهذه الغارة وحدها كل ما تمثله ، وتكتب صيغتها بكلمة حروفها القنابل ، تقول ببساطة : « انا ضد الثقافة المثلة بالمركز الثقافي . ضد الانسانية المثلة بالاطباء والمستشفيات . ضد الطفولة والبراءة المثلة بالاهلين العزل . ضد الحضارة واللغة المثلة بمركز اعلامي ؟ » . وهل كانت صدفة ان تضرب اسرائيل شارع السفارات لتعلن عن عدائها الشامل لشعوب العالم كله ، وهل هي صدفة ان قتل وجرح في الغارات رجال ونساء من الامم المتحدة يحملون جنسيات الدول الآتية :

هولندا ، بولندا ، فرنسا ، باكستان ، ايرلندا ، النروج ، الهند ، روسيا ؟

هل هي صدفة ، أم هو بيان لخطة عمل اسرائيل ، وبرقية مكتوبة بالصواريخ تحمل اعترافات اسرائيل بنواياها وتهديداتها للعالم المتمدن بأكمله ؟!

وحين فقد العدو أعصابه أمام هزائمه في الجولان ، وانطلق يضرب على غير هدى ، ألم يكن عقله الباطن هو الذي يحدد أهداف العدوان ، فكان الهدف ممثلي العالم في شارع السفارات في دمشق ؟

عشرات الطائرات حملت الجحيم وركضت به فوق وجه دمشق الناصع ، جرحته ولكن ما ظفرت بدمعة ، زرعت فيه الحرائق ، اشعلت مدرستي وبيتي وشارعي واسرتي وقبر أبي ... ولكن ما هم ! دمشق الحرائق تضيء .. وكالفينيق تولد من الرماد . وككل الامم المقاتلة من أجل الحق والانسانية ، ينبت ثوارها من حطام البيوت ، ويخرجون من الزجاج المحطم ، كما تشق الكماة موت الصحراء وتخرج من العدم حين يمر بها طائر الرعد .

* * *

يوم الثلاثاء ٩ اكتوبر ، الساعة ١٢ ظهرا ، بدأ عرس الدم في دمشق . أمطرت السماء نارا وزجاجا مسحوقا وحديدا وأجسادا ممزقة . ونبتت أنياب دمشق وأظافرها ، وولدت هانوي العربية ، وصارت شوارعها أنهار مقاتلين ، ولم يهرب المواطنون الى الملاجيء ، بل وقف اكثرهم يتأمل ما يدور كما يخرج الناس من بيوتهم الى الحقول حين يهطل المطر للمرة الاولى مع الخريف ...

مطر القتال ، مطر الدم ، مطر النار كان بردا وسلاما على قلوبهم التي قتلها القهر طيلة أعوام ستة تساقط خلالها ثلج الذل باستمرار ، بصمت ، بهدوء ، وكاد صقيعه يطمر النفوس ويحجر الآمال ببعث جديد لامتنا ... حتى وكالة الانباء الفرنسية لاحظت ان ردة فعل المواطنين في دمشق على الغارة لم تكن عادية ، ففسرت ذلك بقولها ان « الغارة أثارت الفضول في شوارع دمشق اكثر مما اثارت الفزع » ! اذ لم يعد لدى المواطن العربي فزع يكبر فزعه من الاستسلام لحالة « اللاسلم ـ اللاحرب » على الطريقة الاسرائيلية .

* * *

دمشق ، هانوي العرب ... فصحيح ان عشرات البيوت تهدمت فوق رؤوس اصحابها ، والسيارات انفجرت بأهلها ، واغصان الاشجار في الشوارع حملت ثمار الحرب البشرية الممزقة الدامية ، المعمدة بعرس الدم ، الا ان الشمس عادت تشرق من جديد في عيون أهلها . ففي كل شارع ، وكل زقاق ، وعلى سطوح المنازل ، وفي شقوق الارض المحفورة بالقنابل ، وفي مسام التراب يفور المقاتلون الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ سنة و ٦٠ سنة : الرشاش في كتف ، وسلة الاكل في الكتف الاخرى ، والكمامات على وسطهم . الحياة العادية تتسلل من جديد الى قلب المدينة ، والطائرات الاسرائيلية تتابع تسللها الى سماء المدينة ، وفي أية لحظة قد تطلق صفارات الانذار زغرودة جديدة في عرس الدم . انها الحرب ، وها هو انسان عربي مقابل يعي موقعه الحقيقي ، ولم يحدث أبدا ان أطلق أحد رشاشه حزنا على فقيد تحت الانقاض او احتفالا بنصر (كما يحدث في أقطار عربية اخرى ما زال السلاح لديها من لوازم الافراح ودفن الموتى فقط لا غير !) فالسلاح لصدر العدو ، والعدو فقط .

* * *

دمشق الحرائق تضيء منارة في ليل ذلنا الطويل ...

وعرس الدم في دمشق لا يمكن ان يخلو من نغمة باكية أسيانة ، فالحرب هي الحرب ، والطبيعة البشرية لا تتبدل ، لكن النغمة الغالبة في سيمفونية الحرب السورية هي الوعي الجماعي بانه لا مفر من دفع ضريبة الدم من أجل الحياة بكرامة ، وذلك يتم بقبول واع رزين اكثر من « يوفوريا » خطابية ...

في دمشق ، حمص ، اللاذقية ، بانياس ، وكل المدن السورية الصامدة ، يواجه المواطنون الحرب بنضج عربي تتكشف عنه نفوسهم يوما بعد يوم . انها الحرب تكشف معدن الشعوب كما النار تكشف الذهب .

المهم ان خرافة الطيران الاسرائيلي الذي لا يقهر ، كما لو كان سربا من طيور الاساطير ، هذه الخرافة سقطت في دمشق ، وخلفت في شوارعها حطام الطائرات منحوتات وأنصاب مجد ...

والمهم انك تجد اليوم في شوارعها « معرض دمشق الدولي لجثث الطيران الاسرائيلي » . والطائرات الاسرائيلية ، التي كانت شيئا خارقا ، بدأ الناس يمرون بحطامها بشيء من الاعتياد كما لو كانت من معالم دمشق .

* * *

دمشق الحرائق ، يا مدينتي الملتهبة ، المضيئة ، انت اليوم بحق جمرة آمالنا المتوقدة ، وعروس المجد في عرس الدم ! وأينما كنا، فكل رصاصة تنطلق عليك تستقر في صدورنا ...

الاسبوع العربي
١٢ تشرين الاول

ميشال سليمان

مسائيات جندي في الجولان

« ... فيما الاعصار يقلب أوراق الفصل الآخر
من سفر الدم

وتموت الاعشاب فلا يرثيها اللون الاخضر

حملت أجفان الريح

رقيما مكتوبا بالدم ... »

٧ تشرين الاول

وقعت شمس على سبابتي ، فبدأت أكتب ، بل أرسم :
شجرا ، أرضا ضاعت حدودها
ربما فقدت سبب وجودها على خريطتي الذائبة كالملح
ورحت أدب فوق ما رسمت
كأن الحياة قد انشلت حولي
وكأن الخريطة مقبرة حبلى بالحرائق
لكن العربة التي أقلتني كانت الدليل على اني فعلا
في محطة من خريطتي التي بارحها الجميع فتوقف قلبها
وخيل لي ان الدرب التي رسمت على خريطتي
حية تحملني صوب العدم في دهشتي الصامتة .
هل أنا الرجل الوحيد الباقي في هذا المدى الغريب ؟
أنا الطفل المحاول اللعب بالتراب المشتعل ؟
ولم أنا هنا ، بعيدا عن أرض جذوري ؟
روحي تشتعل ...

٨ تشرين الاول

مزقت الصمت طلقة .
العشب لا يرى اخضراره يحترق .
رأيت الطريق التي رسمت
تمشي في الظلمة عبر الموت اليومي
ورأيت دبابات العدو تسد مجراها
صعدت دمائي الى رأسي . وحين اخذت قنبلة من وسطي ،
ورفعت رأسي لارى مسراها ، أبصرت سيلا
من القنابل تنطلق من حولي .
انعقد الغبار حزما كثيفة متداخلة . سمعت صياحا
مذعورا يبتعد حتى يبتلعه الصدى ، وصليلا مجنونا يخـــرج
من أشداق شياطين الارض
هل أتقدم ؟
تقدمت شاعرا بفقدان وزني ، عبر الضباب الجائع لطعم الدم .
عضلاتي لم تتشنج . قدمي تدق ابواب الجدار الضبابي من حولي .
قشرة الليل تتفصد من ضغط الجو .
وأمد يدي للظلمة
أهجم
أتردد
أتوقف
اتابع هجومي كأني اسمّر الليل بجلد النجوم الشفاف
لم أتراجع
كانت أقدام رفاقي
توقظ
تفتح ثغرات
في صدر الضباب الجائع لطعم الدم ... وفي صدر الاعداء ...

٩ تشرين الاول

حتى الآن لم أنم
فيما كان الصباح منشغلا بطرح شباك أشعته
رأيت العدو في البعيد مهتما بجمع شتاته ووحداته
طويت الطريق ورائي مسرعا
نحن في أرضنا . أجل في أرضنا .
ارضنا هذه . وجدتها وكانت ضائعة . كانت سليبا .
الحب لا يكفي لكي أسميها ، وأدفعها في صورة الحلم البعيد .
رأيتك يا ارضنا الطيبة . نتوء جبينك
تخرج من قاعدتها الجامدة . تخرج من رتابة النعاس اليومي .
تعانق الايدي الباحثة عنك .
لن أبارحك بعد اليوم . سوف تكونين جلدي

الذي غادرني في زمن اليباس والاغتراب . الماء عزيز في
هذه اللحظة . ولكن
لا بأس ... جرعة تكفي . واحتفظ بالباقي .
قلبي يهفو على بردى .

١٠ تشرين الاول

ها نحن . وها انت في عناق الدم والصدور .
الحب أعظم صوت ساعة يتعانق الانسان وأرضه
تحت الشمس ، ليخلقا حياة تبسم فيها الاغنية ،
ويقهقه الخبز ، وترقص الارجل .
مرت فوقي نحله .
أز جناحاها
خلتهما طياره
قلت في سري : ترى هل هي تسعى الى رزقها ؟
أم هي مثلي في معركة مع العدو الذي حرق أزهارها
وحرمها الرحيق ؟ ليتها كذلك .
ولكن ، مالي وللنحل .
عيني اليمنى تؤلمني
اقتحمها غبار اليوم . وهي بلا نوم .
حان الوقت . فلنتقدم .

١١ تشرين الاول

جرح في كفي اليسرى
شددت عليه بأسناني حتى اندمل
القمر الليلة يبدو تعبا مثلي
هو فوقي
لم يسبقني
كم تبدو ارضنا جميلة رغم الجراح التي في وجهها
أرضنا
عبر الجلد الذي يشكل جزءا من وجهك
وأثلام الضوء المنسابة في جسدك
وخلال جذورك المشدودة الى أعماقك
ترتسم لي صورتك المتعددة بالامس ، الموحدة اليوم
ويجري في عناقيد غضبك خمر ابنائي الذين لم يولدوا .
اليوم عرفت كيف يكون قرع الحديد بالحديد .
عرفت ايضا كيف يكون الانتصار .
رأيت مدرعاتنا تطحن بنيرانها عتاد العدو . فيشتعل
بركانا . ويتعانق الغبار مع النار .
وفوق حطام الغزاة حيث انا الآن ، أحاول ان أستجمع صورة
تتراءى لي من خلال ألسنة اللهب
رأيت احدى قرانا يعاد بناؤها ، والفجر الطالع
يذهّب سقوف منازلهـا المتواضعة
والسنونو الذي لا يغرد
يغرد وتلتمع في عيونه فرحة سحرية .
ورأيت حياتي في ولد يلعب خلال لحظة صمت تستريح .

١٢ تشرين الاول

اليوم ...
ثلاث مرات دفنت . وكنت في كل مرة أنهض من القبر .
صاروخ جوي ، في المرة الاولى ، فجر الارض حولي وغمرني
بالتراب والدخان . فقدت وعيي . وعندما فتحت عيني ،
خيل لي انني ارى الارض لاول مرة . في المرة الثانية ، لزمت
حفرة لاتقي نار العدو ، وأرصده .
كان على مقربة من مواقعنا . قنبلتي انطلقت من يدي .
تبعتها يدي . سبقتها لكي لا تخيب . أتبعها رفاقي
برشاش . رد العدو بكثافة . فقذفتني ناره بجرف ترابي .
لم يغم علي . لكنني شعرت بخيوط عضلاتي تنحل .
انبطحت في حفرة قذيفة ، لافيق مذعورا ، على خيالات
ووقع اقدام رفاقي تدق الارض من حولي .
نهضت ، ومشيت .
يظهر ان العدو خارت قواه . لا رصاص من صوبه . هل
ولى الادبار ؟ هل أبيد ؟... أحد أمرين .
اني وأنا أكتب في أعلى هضبة
أرى جسد الجولان مثل البحر الذي ابتعد عنه لازوره .
وارى وجهه مكللا بالخبز والغضب
مدرعا بعظام الشهداء
مسورا بالبيارق ، بأسماء المواليد القادمين ، بضجيج
العجلات والمدافع الداخلة في حلمه ، والتي ترفع نجومه
الخفية ، وترفع تماثيله المتحركة ، وببصمات الاكف التي
ترويه بالعرق والدم
وتمحو آثار الجوع عن احلامه الحلى بالبروق والمطر ...

١٣ تشرين الاول

لن أكتب شيئا هذا اليوم
يبدو الامر كذلك .
لكن ....
(طائرة عدوة قطعت حبل ذاكرتي) زحفت في خندق
توقفت اثناء الزحف مرارا ، لارفع قنابلي من ان تدق
الارض
(طائرة عدوة تئز فوقي مسرعة) دوت قذائف برقية .
ارتسمت في الجو دوائر دخان اسود . تمددت . تشابكت .
وانقشعت . وسمعت على مقربة مني ضجة تتقلب على
الارض . وسمعت تأوها . رفعت رأسي . رأيت رفيقي
يتقلب على التراب . يا الله . رأيت روحه تخرج من فمه
زاعقة . اجبرتهاعلىالخروجشظية . هل ابكي ؟ هل انتحب ؟
كان قريبا لروحي . كنا ننام في مهجع واحد . آه . مسكين.
قص علي ذات ليلة قصة عينين سوداوين ، وخصر ، وحبتي
كرز سماوي . حبه الوحيد . عيناه تحدقان بي . تقولان :
خذني . لا تتركني وحيدا . اني أقاتل معكم . لم يكن لي
وقت لابكيه . قبلته من شفتيه .علق على شفتي دم تدفق
منهما . أخذت بندقيته . ومشيت . وظل يقاتل معنا ،
بيدي ...

١٤ تشرين الاول

وجه أمي ... وجه أمتي
تراءى لي في هذه اللحظات . عند الغياب . الشمس أراها
من مكمني بين الادغال والصخور ، رغيفا احمر هاربا وراء
الشفق الليلكي . اطلقت عيني في اثره تلتقطه . تعيده الينا
خبزا كثيرا .
خبزا ؟
قلت : قنابل . قلت : رصاص . قلت : حجار .
ليس بالخبز وحده ... بل الرصاص هو الخبز الاكبر اليوم .
نعجنه ، ونطعمه للعدو . نعيش على عجنه واطعامه .
كم الساعة الآن ؟

كان عقرب الدقائق في ساعتي متوقفا . فيما عقرب الساعات يشير الى السابعة مساء .
ترى اختل جهاز ساعتي ؟
أم المدى اختصر الوقت ؟
أم هذا على الافل ما تؤكده قدماي المنهوكتان من القفز والانبطاح ثم الركض ؟
ومسحت الغبار عن جفوني . ونمت . او هكذا خيل لي . لان خيوط الدم المتدفق من فم رفيقي بالامس شد جفوني ... يدعوني ...
افقت مذعورا على الدوي والازيز من جديد ...
عيني تحتضن قاسيون !

١٥ تشرين الاول

هناك أيام طويلة ، يحس فيها المرء كأنه يخون نداء الصباح . ومع ذلك ، أفقت لارى الفجر الطالع في اثر الليل . وأرى أرضنا بما فيها ، تشد ازره . ووجدتني طواعية أندمج في موكب النور .
قلت : سلام يا صخرا من صدورنا صلابته وثباته .
سلام يا قبرة تغرد ، وتذهّب جناحها بخيوط الفجر
لتحجب من الشمس قدر حجمها عن العدو .
سلام يا عقبانا تشحذ مناقيدها على حطام الفانتوم .
سلام يا نبالا رأسها في صدور الاعداء وعقبها فيأيدينا.
سلام يا رفاق المعركة في كل معركة ، وبكل خندق ،
وعلى كل قمة ، وفي كل ساح .
سلام يا كل حبة رمل تشتعل حريقة تحت قدم عدو
سلام يا ارض اصابعنا المغروزة فيها حتى العظم
سلام يا سنابل القمح المحروقة بدم الغزاة .
اليوم ، حقا ، رفعت رأسي فوق الغبار المتصاعد من أرضنا ، يسد على الاعداء وجوه الآفاق . قلت لرصاص العدو : هنا انتحر (في صدري) . وقلت للعدو المتسربل باكفان الهزيمة والعار :
ـ قف . اسمع . مع كل ضوء الشرف المتمرد الذي لن يركع سوف ترى نجمتك مصنوعة بحجم الهزيمة .
كل ترابة في عالمك ستكون حائط مبكى ، وصرير أسنان . وأنين الخزي الابدي .
وغدا ... لن تكون اليوم الذي يلي لحظة انفرازعيني في عينيك. قد تكون كل العمر الذي نريده بناية للقيمة العليا : حريتنا !

* * *

« ... حملت أجفان الريح
رقيما مكتوبا بالدم
فيما الاعصار يقلب
آخر فصل في سفر الدم
والشجر المحروق
يجن غصونا
حبلى باللون الاخضر » .

البلاغ ٢٢ تشرين الاول

عدسة الاديب وعدسة الواقع

عندما تمتحن مراحل التاريخ ، أمة ما ، بالبلاء ، تلقي على طبقاتها وحكوماتها وجماهيرها مسؤوليات ومهمات جساما ، بمقدار ما لهذه الطبقات والحكومات والجماهير من علاقة مباشرة بعوامل التحولات الاجتماعية ، وبمبادىء صيرورتها الواعية واللاواعية على السواء .

وانما تكون المحن على قدر الهمم ، فان نهضت بها ، حملتها على العمل لصالحها . قلت : لصالح الجماهير الناهدة الى غد افضل . ومهما يكن من امر التحول هذا ، فانه لا بد سائر صعدا ، وان بنسبة قليلة . الا انها درجة في السلم المفضي الى الغاية المنشودة .

من هنا تبدو خطورة مسؤوليات العاملين على جبهة الادب والفكر والفن . خاصة عندما يكون شعبهم امتهم تخوض غمار حرب مصيرية ، كالتي نخوضها اليوم ، ضد عدو شرس متغطرس يشكل جزءا من الامبريالية العالمية التي تسعى جهدها في الكيد والتآمر على الشعوب المناضلة من اجل حريتها وسيادتها وتقرير مصيرها بذاتها .

ومن عجب ان ينطرح السؤال عن مهمة الاديب ، كلما عصفت بمجتمعنا عاصفة سياسية ، او طلعت ظاهرة اجتماعية . كأنما الاديب، في اذهان الناس ، يعيش بالضرورة خارج نطاق الواقع ، او على مدرجة منه في ادنى احتمال .

وعندي ، ان الاديب والشاعر والفنان ، لا مناص لهم وهم العدسة التي ترصد الواقع وترافق حركاته ، من ان يكونوا في قلب كل حدث ، وان يعبروا عنه . انما يكون وعيهم ومعاناتهم بمقدار ما يختزنون من عوامل التعبير التي تغني بالممارسة والتعمق في درس جزئيات الواقع الاجتماعي وكلياته .

وتزيد مسؤولية هؤلاء الذين أوتوا من رهافة الحس مبلغا يجعلهم يرتعشون لادنى هزة تحصل ، في الظروف العصيبة التي يمر بها شعبهم ووطنهم وأمتهم ، بحيث يترتب عليهم ان يكونوا جزءا مندغما بتراب الوطن وبدم شعبه ولحمه . كما يترتب عليهم ان يكونوا ، بالتالي ، التمثل الاتم لما يقوم به الشعب من اعمال ، وما يعتلج في صدره من آمال وتطلعات .

ولهذا فان الاديب العربي مسؤول بالدرجة الاولى اليوم ، فيما الجيش والشعب العربي في كل من سورية ومصر والعراق وسواها يقف هذه الوقفة البطولية لاعادة الكرامة العربية التي أهينت . وقد عادت فعلا بفعل الصمود والتضحية .

وتكمن مسؤوليته في وجوب قيامه بالخطوة « الاولى الى الامام » بحيث يضع كل مواهبه في خدمة القضية التي يناضل الشعب من اجلها . وبحكم انتمائه لهذا الشعب عليه ان يساعده في مسيرته الدامية ، على الرؤية الواضحة ، ودعوته الى العمل ، واستخلاص التجارب من هذا النشاط كله ، بحيث تصبح بين الاديب وبين الشعب وحدة تامة ، فيأخذ الادب والفن مركزا قتاليا في النضال الدائر بين الشعب وبين اعدائه .

لقد استطاعت الصهيونية ، بما لها من سيطرة على العديد من مراكز الاعلام العالمية ، وما لها من نفوذ مالي واقتصادي ، ان تضلل الكثير من الاوساط السياسية والثقافية ، لتكسب عطفها ومساندتها .

ومن واجبات الاديب العربي في هذه الظروف الحرجة ان ينتبه الى هذه العملية البالغة الخطورة التي طالت ، وان يفضح مراميها، ويكشف اهدافها العدوانية والاجرامية ، وينقذ تلك الاوساط من شبكة الزيف والعهر السياسي ، ويجعلها بالتالي مساندة لنا في نضالنا من اجل استعادة الارض والكرامة ، وانقاذ الحرية المهانة .

فاذا ما نهض الاديب العربي اليوم لهذه المهمات وقام بها ، يكون قد اسهم فعلا ، مع المقاتلين في جبهات القتال ، في التمهيد للنصر واحرازه . ويكون بالتالي قد بدأ يعجن الخمير الذي يبشر بالغد المرتجى .

الانوار
٢ تشرين الثاني

أعمدة عواصم الغضب

الى الصامدين في خطوط النار

في ساعات الغبار والدم
في رحلة المصير التي يفقد فيها الموت جبينه ويده
نسمع دقات الساعـــة تتوالى ، متدافعة ، كأنها الشلال في انصبابه
وفي لحظات العبور المطبقة على العزلة
نبصر ارواح الشهداء ، عيونا تزرع السنان في الحراب
نحن الذين في هذه الفترة ، حيث يجري الوقت سائلا كعرق جباهكم
لا نستطيع ان نتشبث بصور الوردة التي رسمناها ذات يوم
لانها تداعت . لاننا رغبنا عنها .
ولان تويجات زهرة النـــار
المتفتحة بين ايديكم
وتحت أرجلكم
هي التي تشرئب من الارض وحيدة .
لكنها ليست وحدها
كما انكم لستم وحدكم
ومعكم قلوب الذين لم يحملوا السلاح بعد
وأمنيات الجرحى
وأغاني الاطفال الذين ترتفع أناملهم فوق هدير الطائرات
ومناديل الفتيات اللواتي لم تدنسهن روائح السلاح الذهبي
والوطن الكبير بأسره معكم .
معكم القمح الشامخ برغم الرياح السموم
معكم الجداول التي غليانها من حرارة عروقكم
معكم النخيل ، سعفا ، سيوفا ملّت الركون الى اغمادها
معكم عقبان القمم ، أعداء الافاعي
معكم الدروب التي تنام في عيون الاطفال ، وتركض نحوكـم أسرع من الحلم .
وفيما انتم تقفون امام سجلات الخضوع والعار
وتمزقونها
نرى أجسادكم كيف تنزلق فـي الضباب الاحمر ، في بحر النار والبارود
نرى أجسادكم في وحل الظلمات ، أمواج غضب ، تكنس الهزيمه
نرى أجسادكم في الفجر ، طلائع أشعة تدمر ليلا خيل انه لن ينتهي .
تراكم سكان الضجة التي حسبها الناس سوالف زمن ارتفـاع الاسعار وانخفاضها
فيما أنتم ، الآن ، تتكلمون عن حرقتنا اليومية بلغة الرصاص
وبكم يتعلق كل شي
من مثل الاطفال الذين ينبجسون الليلة ، طرايا ، من بطـون أمهاتهم
من مثل البسمات التي لم تنعم ببكارة المحبة
من مثل عمارات الفجر ، المقدودة احجارها مـن مقالع العرق الخـلاق
من كبرياء الانسان ...
انساننا الباحث عن كلمة جديدة لا ينتهي عملها
عن عظمة ضوء القناديل
كي لا يتسرب الظل كالمهربين الطامعين بثروة وقتية
من عظمة محطة اقلاعكم
صوب الحسرات المحترفة صناعة الحلم الثوري .
وأنتم ، بعد ، أعمدة عواصم الخبز المقاتل ، والحرف الجارح
وأنتم أسوار عواصم الغضب والثورة .

البلاغ
٥ تشرين الثاني

فؤاد الخشن

نذور لوردة الرمل

قطعت اليك نهر العصف واللهب !..
ركبت الهول كي ألقاك يا مسبية الجسد
بحصن شاده « خيبر »
وأيقن ان قلعته التي التفَّت
بسور الرمل والفولاذ لا تقهر !
وبعد عبوريَ العجبِ
على الجسر الذي اقحمتَ ...
عبر تدفق الحمم
وقفت وشمس تشرينِ
تلولب في شراييني !
ويلهث وهجها اللفّاح في الانفاس
وقلت : اماميَ الاعداء
الى محبوبتي السمراء
وخلفي الماء ...

●

سعير الشوق بعد سقوطيَ المخزيّ ما هجعا
وارثي من لظى العنقاء ظل شراره يرشفْ
لابعث بعد هذا الموت تحت رماد أكفاني
فعدت الآن فارسك الذي يعشق
وقد رجعا
اليّ جبينيَ الاسمر
نفياً من وحول العار ...
وقد كادت به الاجراس
لطول الصمت أن تصدأ !

●

رجعت اليك في دوّامة الغضبِ
لالثم وجهك المهتز خلف الحزنِ والعتب
أنوّر ثغرك المطفأ
وأفنى فيك حين تغيب عن أشكالها الاشياء
تزول صفاتها العرضية الناسوت والاسماء
ويمسي العاشق المسلوب من حسه
ـ بشطح تهافت ينهار
لفضّ براعم الاسرار ـ
فراش النار !
يصير الضوء والشمعه
اذا ما غاب عن نفسه
وحلّ ... وذاب في الشعله !..

... عرفت مكانك المرصود ... لم أسأل
عن الاطياب ... دلَّتني
الى بوابة الصحراء
زنابق من دم الاهلِ
وباسمك سرت ، باسم سنائك المعبود ، لا أرتدْ
وسال الرمل بالنيران ...
أنبت فطره الاسود
مكان المنّ في سيناء
وصار معابر الفولاذ نحو « الطور » ...
صار صواعقاً تمحو الذي خطَّت
قديما من وصايا الله في صخرية القممِ !

●

وعدتُ قبيلتي امسِ
بمهر من نياق الجنّ يا عبله !
ووعدي دين
فجئت اليوم للايفاء
لاجلك أنت يا ليلية العينين
وللدمع الذي حفرا
بخدّيك
وليس لاجل شَداد وما همست بنو عبسِ !
ومهما كانْ
مصيري الآن ...
مهما شوّهوا الصورا ...
فيكفيني
بأني جئت
واني شئت
عذاب الطير في الاودية السبعه
لتدرك منبع الانوار
وانك انتِ كنت الذات ...
والمرآة ...
وكنتِ وردة الرمل التي يُنذرْ
لها سكب الدم القاني
وان جمالك الابدي أنساني
طلاء الزهد والايمان ...
يسقط كلما زعموا
بأن صلاتهم كانت
تقام لاجل عينيك !

خليل تقي الدين

استيقظ المارد العربي

هزيمة ٥ حزيران لسعت المارد العربي النائم فتنبه ، وتمطى ، وتثاءب ست سنوات ـ هنيهة في عمر الزمان ـ ثم هب كالاعصار في ٦ اكتوبر وانتصب بجبروته وقوته يحطم العدو ويدمره ولا يترك له مجالا لالتقاط أنفاسه .

خرافة الجيش الذي لا يقهر ، ولها اكثر من سابقة في التاريخ ، قضى عليها ابطال العرب الذين عبروا القناة ، وتوغلوا في سيناء ، وشقوا طريقهم بالصدور والحديد والنار في مرتفعات الجولان .

ونسور العرب جعلوا من السماء ميدانا للبطولات ، يتبارى مع ميدان الارض في البسالة ، والاستهتار بالموت ، والتصميم على النصر ومحو العار .

ست سنوات تمادت خلالها اسرائيل في جنون العظمة ، وعنفوان النصر لتقتل في نفوس العرب كل أمل بالانبعاث .

الحرب النفسية التي شنها العدو على العرب كانت أقسى ، وأشد هولا من حرب المدافع ، والقنابل والطائرات .

أرادت اسرائيل ان تقنعنا بأن لا أمل لنا بمقاتلتها ولا باستعادة الارض المغتصبة ، وان كل آمالنا تنحصر في ان لا نفقد أرضا جديدة، وبلدانا أخرى .

فجاء ٦ اكتوبر يحمل الى العرب مع الانتصار الذي فاجأ العدو ما قد يكون أهم من الانتصار نفسه . حمل هذا اليوم المبارك ثقة النفوس العربية من المحيط الى الخليج بانفسهم ، وبقادتهم ، وبالمقاتلين الابطال الذين يقاتلون بضراوة ، وشجاعة ، وتصميم فرضت اعجاب العالم كله واحترامه الذي يتردد صداه من قطر الى قطر .

وانهارت خرافة اسرائيل . حتى ومن وراء اسرائيل من دول كبيرة وصغيرة . وأدرك العالم ان العرب يحاربون ، وانهم يقاتلون . يموتون ويميتون . لقد حلت الافعال محل الاقوال . وغطى ضجيج المعارك ، واصوات انفجار المدافع والقنابل الاهازيج ، والاناشيد ، والاغاني التي كانت كل سلاحنا ، وكل شغلنا ، وكل حربنا .

واليوم تعرف الجيوش التي تخوض المعارك ان الشعوب تساندها وتدعمها دعما كاملا لا نقص فيه ولا تردد .

ولعل هذا العامل النفسي أهم ما في هذه الحرب .

وسيكون هو الحاسم في تحقيق النصر !

الانوار ١٠ تشرين الاول

على نفسها جنت !..

اسرائيل هي التي عبأت العرب ، وشحنت رؤوسهم ، وصدورهم بالكراهية والبغضاء . بالحقد الاسود . بالتصميم الصخري الاصم على غسل الاهانة ، ومحو العار ، واسترجاع المنهوب والمسروق من أراضيهم ، واعادة الحرمات الى أماكنهم المقدسة التي حولها العدو الى خمارات ، ومرابع ليلية ، ومراقص لشبابها المستهتر وغانياتها المرفهات عن الشباب .

اسرائيل ، بعد ٥ حزيران ، هي التي نشرت ، وقالت ، واذاعت انها مرغت جبين العرب بالتراب ، وانها بلد العلم ، والعقل ، والتقنية ، البلد المتمدن الوحيد في منطقة الجهل ، والابل ، والتخلف !

اسرائيل هي التي كذبت على العالم بأبواقها المستأجرة ، وصحافتها المشتراة واذاعاتها العميلة ، وتصريحات قادتها وحكامها حين زعمت انها دولة مسالمة ، وانها حمل وديع محاط بالذئاب ، في الوقت الذي كانت طائراتها الحربية تسقط طائرات العرب المدنية وتقتل المسافرين الابرياء . في الوقت الذي كانت تتوغل داخل مصر وتقصف المستشفيات والمدارس التي تعج بالطلاب . وها هي تعيد الجريمة الهمجية وتكررها في دمشق ، فسقط المدنيون الابرياء ضحايا قصف جوي وحشي لا مبرر له .

قال وزير خارجية فرنسا امس للصحفيين الذين كانوا يسألونه رأيه في الحرب : ان العرب لا يحاربون للحصول على مكاسب ، بل لاستعادة ما أخذ منهم بالقوة . وأضاف : هل يعتبر عدوانا ان يعود كل منكم الى بيته ؟

لقد فجرت غطرسة اسرائيل السدود النفسية التي احتوت العرب طوال ست سنوات ، بل طوال ربع قرن .

وتدفق السيل . وكلما مر يوم ، بل انقضت ساعة ، تفجرت سدود جديدة كانت تختزن الطاقات في الارض العربية ، وفي الصدور العربية ، وازداد السيل قوة واندفاعا وجرف في طريقه كل عقبة ، ودمر كل قلعة من قلاع العدو .

لقد جنت اسرائيل على نفسها بعد أن مارست طويلا مهنة الجناية على الآخرين .

وكثيرا ما يبالغ المجرم في التلهي بالقنبلة التي يعدها لعدوه ، وفي تقليبها ، والمفاخرة والتباهي بها ، فتنفجر بين يديه وتمزقه تمزيقا !!

الانوار ١١ تشرين الاول

حرب « الغفران » !

بعد حرب حزيران ١٩٦٧ « طحلونا » بحرب الايام الستة .

أطلقوا عليها هذا الاسم مدفوعين بالغطرسة التي درجوا عليها ، للدلالة على السرعة التي الحقوا فيها الهزيمة بالعرب .

أبطال مصر ، وأبطال سوريا ، وكل مقاتل عربي يقاتل معهم اليوم ، غسلوا عار الايام الستة في مياه القناة ، ودفنوه في مرتفعات الجولان .

وها هي حرب العرب ، حربنا ، تطوي يومها السادس وتنساه لان جنود العرب لا ينظرون الى الوراء ، بل يتطلعون اليوم الى الامام، والى العلاء .

الى الامام . الى ارضهم المنهوبة ، المغتصبة يحررونها شبرا شبرا مهما طال أمد التحرير .

الى العلاء حيث نسور العرب يحطمون طائرات العدو فتتساقط كالذباب .

هل أنا الذي يقول هذا ؟ كلا . كلا . هذا الكلام ورد في الصحيفة الفرنسية الكبرى « لوموند » ، اذ قال معلقها العسكري في عدد أمس بالحرف الواحد : « ان أجهزة الصواريخ والمدفعية الثقيلة العربية تبدو وكأنها حاجز من لهب ترتطم به الطائرات الاسرائيلية وتسقط كالفراشات حول المصابيح » .

وأشارت « لوموند » الى قول الخبراء العسكريين : « ان اختراق

هذا الحاجز يعني التضحية بسبع طائرات قبل ان تصل الثامنــــة الى هدفها » ..

أول من أمس صاح « تكواه » مندوب اسرائيل في مجلس الامن : « لقد هاجمنا العرب في يوم عيدنا المقدس ، عيد الغفران » .

ومنذ تلك الدقيقة بدأت صحف العالم تسمي الحرب الدائرة رحاها اليوم « حرب الغفران » . الغفران الذي تستجديه اسرائيل من الله .

وبيــن حرب الايام الستة وحرب الغفران فرق كبير .

لان الاسرائيليين لو ظلوا يستغفرون الله طول حياتهم لما غفر لهم جرائمهم ، واعتداءاتهم ، وتقتيلهم النساء ، والعجزة ، والاطفال الابرياء دون ما سبب او مبرر كما جرى ويجري في بور سعيد ودمشق وحمص وطرطوس اليوم وما قبل ذلك منذ ثلاثين سنة الى الآن وفي كل مكـان من الارض العربية .

الانوار ١٣ تشرين الاول

... وســلاح النفط أيضا

أطلقت الرصاصة الاولى في معركة النفط العربي فانفجر صداها في أرجاء العالم كله ، وكان دويها عظيما .

ويمكنني الآن ، دون ان أنكث بوعد أو أخون عهدا قطعته عــلى نفسي ، أن أذيع سرا أؤتمنت عليه ، وكتمته مدة سبعة وثمانين يومـا ، منذ ١٩ تموز الماضي الى هذه الدقيقة التي أكتب فيها هذه السطور .

ففي ذلك اليوم – ١٩ تموز ١٩٧٣ – كنت في الطائف ، المقــر الصيفي للملك وحكومته ، في فندق « العزيزية » . وكنت أعرف انني سأتشرف بمقابلة الملك في الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم، فقد أبلغتني الموعد « التشريفات الملكية » .

وعند الفجر استيقظت على صوت المؤذن : الله أكبر ! الله أكبر ! فنهضت ولبست ثيابي ، ونزلت الى بهو الفندق . فرأيت أحمــد ، سائق السيارة الرسمية الموضوعة تحت تصرفي ، يصلي مع رجليــن آخرين . فلم أعكر عليهم صفو الصلاة . حتى اذا فرغوا أشرت عــلى أحمد أن يتبعني الى السيارة . وصعد اليها وصعدت . ثم قلت له : تذهب مسافة ساعة الى الصحراء ، على طريق « الرياض » .

وفي الصحراء ترجلت ورحت أمشي واملأ صدري بهوائها النقــي المنعش . وأدير نظري في هذا المنبسط من الارض الذي يبدو وكأنــه لا نهايــة له ، كالسماء التي تعلوه والتي لا نهايــة لها .

وصار رأسي نهبا للافكار ، وصدري خلية للمشاعر .

لكن فكرة واحدة طغت علي ، وملكت لبي .

من هذه البطاح خرج النبي العربي الكريم .

لقد اخترقت السيارة بي عشية أمس ، وانا في طريقي من جــدة الى الطائف ، مكة المكرمة .

لم اتبرك بزيارة الكعبة المشرفة هذه المرة. لكــن قلبي هفـا اليها واشتد خفقانه حين كان السائق احمد يقول لي ، وهو يحسب انــني لا اعرف : هذه « منى » ، وهذه عرفات ، وهذا ... وهذا ...

من هذه الارض المقدسة انتشر الاسلام ، وحقق المعجزات ، وأبدع الفنون ، واستوى على ذروة الفكر والفلسفة ، وكان هديا للمهتدين ، ومثلا في السماح ، والحق ، والعدالة ، والخير .

من هنا ... الى أبواب الصين !

وبعد أربعة عشر قرنا تهزم هذه الامة العربية عصابة من شــذاذ الارض وفدوا الى فلسطين من كل قطر على مراكب من حقد ، وسفــن من طغيان ، وطائرات من كراهية وبغضاء .

كيف حدث ذلك ؟ وكيف يمكن ان يكون ما حدث حقيقة لا وهمــا من الاوهام ؟

كلما اسعدني الحظ ومثلت في مجلس الملك فيصل تهيبت ، وتملكني شعــور قوي هو مزيج من الرهبة والاحترام والغبطة والاعتزاز .

لا أدري كيف قلت له : ان حديث جلالتك للصحافة الاميركية عن تمادي اميركا في مساعدة اسرائيل وانها اذا استمرت في سياستهـا هذه فستعيد النظر في سياستك البترولية ، ان هذا الحديث كان لــه في العالم دوي عظيم .

استوى فيصل في مجلسه وقال :

أمس أدليت بحديث الى محطة « ن. بي. سي. » التلفزيونيــة الاميركية عن البترول . لقد انتقلنا الى التحذير . وسننتقل من التحذير الى الانذار .

وأضاف الملك وأنا أسمع باذني وعيني وقلبي وكياني جميعا كــل كلمة من كلماته : ان اسرائيل قد طغت وبغت وتكبرت وتجبرت . انهــا انتهكت أرضنا ، ودنست مقدساتنا ، وقتلت ، وجنت ، والعالم يتفرج عليها ولا يقول شيئا . واميركا تساعدها . ان الله سبحانه وتعــالى قد أمرنا بالجهاد في سبيله جل جلاله . ونحن مؤتمنون على الاماكــن الاسلامية المقدسة .

وصمت الملك قليلا ، ثم ارتفع صوته ، لكنه لم يخرج عن هدوئه ووقاره الشهيرين وقال : لقد عيل صبرنا ..

وأنهى كلامه بقوله : واذا عزمتم فتوكلوا ..

* * *

ادركت ، منذ تلك الساعة ، ان في الجو شيئا . انتابني احساس عجيب يشبه حدس النساء ، او الشعــور بأمر آت لا ريب فيــه . واقسمت بيني وبين نفسي على أن لا ابوح بشيء .

وصعد فيصل تحذيره ، الى انذار بقطع العلاقات مع الدولة التي تساعد اسرائيل على تقتيل العرب .

ثم تتالت الاحداث ، سريعة ، قاطعة حاسمة . فتصالح العــرب بعضهم مع بعض .

وما كان حلما اصبح حقيقة . ورؤوسنا التي كانت مطأطئة رفعها الى السماء أبطال العرب المقاتلون في سيناء ، وفي الجولان .

هذه الحرب هي حرب كل العرب . لن يبقى عربي خارج المعركة . لان هذه ، لا غيرها ، هي معركة الحياة والموت .

وغدا ، حين يجتمع في الكويت ممثلو بلدان النفط العربــي ، سيضيفون باذن الله الى الاسلحة الماضية التي يحارب بها العــرب عدوهم سلاح النفط ، وهو لا يقل مضاء وأهميــة وفتكا عن المدفع ، والطائرة والصاروخ .

الانوار ١٦ تشرين الاول

تواضع المنتصر

أصغيت بكل جوارحي الى خطبة القائد الرئيس أنور السادات ، وكنت أمام زوجتي وخادمة البيت أهلل مع المهللين ، وأصفــق مــع المصفقيــن .

تيار عجيب وصلني بقاعة مجلس الامة في القاهرة ، وجدتنــي ، والراديو في حضني ، متمسكا به ، أخاف عليه ، بل على نفســي ، ان يفلت مني ، او يصاب بسوء فيسكت ، وتفلت مني كلمـة مــن كلمات الرئيس .

الرئيس الذي وهبني الله ما حرم منه الكثيرين : شرف معرفته ، والتقرب منه ، والاستماع الى حديثه ، والتحدث اليه مدى ثــلاث سنوات ، مرة او مرتين في الشهر على الاقــل ، يوم كنت أعمــل في مصر .

أمس واليوم ، بل منذ اللحظة التي أنهى فيها الرئيس السادات خطابه ، أصبح الخطاب شغل العالم الشاغل . طغى صوت القــائد المنتصر حتى على أصوات المعارك في سيناء ، وفي الجولان .

رأى الناس فيه شيئا جديدا. لم يألفوه ، ولم يروا مثله من قبل .

رأوا وسمعوا قائدا بطلا منتصرا تسير قواته الباسلة ، وقــوات حليفه ورفيقه البطل الاسد ، من نصر الى نصر ، رأوه وسمعوه يتكلم من مركز القوة ، وذروة الانتصار ، بلغة لا عهد لهم بها على لسان الاقوياء ، لغة التواضع والابتعاد عن المفاخرة والكبرياء ، لغة الانسان المؤمن بربه ، الواثق من نفسه ، ومن ابنائه المقاتلين ، ومن شعبه .

بل اكثر من ذلك ، اني أعرف منذ الآن انه سيراق حبر كثير ، وتكتب مقالات ، وتؤلف مجلدات حول اسم أنور السادات ، المارد العربي الذي أطلعته أرض مصر الخالدة ، والارض العربية المعطــاء ، والذي عاهد الله ، وعاهد أمته على ان يرد للعرب كرامتهم ، ويرفــع رؤوسهم ، ويجعل راياتهم المنكسة شامخة الهامات ، خفاقة في السماء . وقد فعل .

سيكتب الكثيرون عن الرئيس ، والزعيم ، والمخطط ، والقائد .

سيروون قصة العذاب النفسي الذي تحمله صابرا ، راضيــا ، طوال ثلاث سنوات . وفضل ، كما قال علي أمين أمس ، احتمال الظلم على ان يكشف أوراقه للعدو .

أما أنا فأريد ان أقول بضع كلمات عن أنور السادات الانســان ، كما شاءت العناية الالهية لي ، وشاء حظي ، ان اعرفه .

لعل أولى صفاته ، وهي كثيرة جدا ، ايمانه بالله ، ايمان عميق ، صادق ، حار ، ايمان الورع ، الناسك ، المتعبد ، المتوجه دائمــا وأبدا اليه تعالى بقلبه وعاطفته وعقله واتكاله .

في خطبته الرائعة ظهر الثلاثاء كان الرئيس السادات ينهي اكثر مقاطع الخطبة بقوله : « واحمد الله » .

وتذكرت وأنا أسمعه . تذكرت زيارات الناس له في داره فــي القاهرة عشية كل يوم . وكنت اكثر الاحيان بين الزائرين ، وبينما هو جالس في صدر البهو والزائرون حوله وبين يديه ، يرتشفون بآذانهــم وعقولهم ، وقلوبهم ، كلامه الهادىء الرصين ، اذا به يسكت ونسكت جميعا . لقد ارتفع من احدى زوايا البهو صوت قارىء رخيم يرتــل آيات الله البينات . انه شيخ زائر وجد نفسه في بيت أنور السادات فعمل بما يرضي صاحب البيت ويطيب له .

كان ذلك يجري عفوا . وكان الناس يعرفون ان بيت انور السادات هو أحد بيوت الله التي لا عد لها ولا حصر . وفي بيــوت الله تتلى الآيــات .

وبعض صفاته التواضع . أنور السادات كاتب كبير واديب ينهل من ينبوع علم ومعرفة لا ينضب . وهو سهل العبارة ، يؤثر السهــل المتين على الزخرف المنمق . ولست اشك في ان سهولة عباراته ، على قوتها ، نابعة من تواضعه . لقد سمعته الملايين يتحدث عن تحقيــق المعجزات متواريا وراءها ، مجردا ألفاظه من كل تفخيم ، مرسلا شكره ، وشكر الامة الى جميع من استحقوا الشكر ، ناسيا نفسه .

ان العظيم هو الذي لا يحتاج الى الكلمات لتسجيل عظمته ، لان أفعاله تقوم مقامها ، وتنوب عنها .

وبعض صفاته ... رباه ! كيف لي ان أقول في سطور كل ما أعرفه عما انطوت عليه نفس القائد الرئيس وعقله ، وصدره ، من وطنية ، وحكمة ، وشجاعة ، وتسامح ، وكرم ، وجلد ، وصبر ، وفروسية .

كيف لهذا القلم ان يصف في كلمات قليلة قلعة انسانية اسمهــا أنور السادات ؟!

الانوار　　　　١٨ تشرين الاول

الكلمة والرصاصة

الكاتب المصري الكبير توفيق الحكيم ، أحد أكبر عباقرة الفكــر العربي في كل عصر ومصر ، طلب من حكومته « عملا يدويا » يساهم به في المعركة لان الكلمة ، كما قال ، لم تعد تكفي .

واسمح لنفسي ، وليسمح لي أستاذنا الكبير ، بأن أخالفــه في الرأي .

المعركة هي كل يتالف من أجزاء تختلف أهميتها ، وفعاليتها .

المعركة مقاتل وسلاح . تخطيط وتنفيذ . استبسال وشجــاعة واستهتار بالموت .

المعركة قيادة حكيمة . تزن . وتتحسب . تأمر بالهجــوم ، وبالانسحاب . وقد يكون في الانسحاب أحيانا من الروعة والعبقريــة العسكرية ما في الهجوم والاقتحام .

وللمعركة اكثر من ميدان . ميدانها الاول الجبهة .

ومن ميادينهــا المؤخرة العسكرية . ومؤخرة المؤخــرة ، وهــي الشعب .

الشعب الصامد وراء أبطاله . الشعب الذي يسعد ببعض الحرمان، بل بكل حرمان ، ليوفر للابطال كل راحة ، وكل حاجة .

ومن ميادينها السماء . تتلاحق فيها الطائرات ، وتتصــارع ، وتتهاوى . وقد رأينا طائرات العدو تتحطم وتنفجر تحت ضربــات الطيارين العرب ، وتتساقط كالفراشات على حد تعبير المعلقين الاجانب.

ومن ميادينها الماء من بحور وأنهار وأقنية .

وقد دخلت قناة السويس وعملية عبورها المذهلة ، منذ اليــوم ، كتب الاكاديميات العسكرية واحتلت مكانها في تاريخ الحروب بجـانب اوسترليتز ، وستالينغراد ، والعلمين .

وكما تكثر ميادين المعركة وتختلف ، تكثر أسلحتها وتختلف .

البنادق ، والمدافع ، والدبابات ، والصواريخ ، كلها أسلحة .

ويظل الجندي المقاتل ، يظل الانسان هو السلاح الاعظم ، لانه يحملها ، ويستخدمها ، ويوجهها وينتصر معها ، وبها ، ويحطم عدوه . أو يمــوت .

الحرب « كل » يتالف من أجزاء . والكلمــة جــزء من هــذه الاجزاء . سلاح من الاسلحة .

هذا الـ « كل » الضخم ، الهائل ، المخيف الذي يملك هــذه الميادين ، وهذه الاسلحة يملك ميدانا آخر ، وسلاحا اخر .

يملك الكلمة ، من نثر وشعر . وللكلمة ميدان فسيح هو عقول العالم ، وقلوبهم ، ومشاعرهم في انحاء العالم كله .

وقد اتسع الميدان بعد ان عمت الصحف ، والراديو ، والتلفزيون العالم ، ودخلت كل بيت ، وطرقت كل اذن ، وظهرت امام كل عين .

والكلمة ، تخرج من شق كاتب مبدع من طراز توفيق الحكيم ، هي سلاح ماض ، وأي مضاء !

في موسكو ، عندما ذهبت اليها في العام ١٩٤٦ ، على اثر الحرب العالمية الثانية ، سمعت ستالين في الاذاعة يقول عن الكاتب الكبيـر ايليا اهرنبورغ ، انه أسهم في ربح الحرب وسحق العدو . واهرنبورغ لم يحمل البندقية ولا أطلق رصاصة . بل شرع وعبأ شعبه بشحنــات هائلة من الكراهية والحقد على العدو المغتصب ، المعتدي . وقــاتل بمقالاته ، وقصصه ، واخبار المعارك ، بمثل الضراوة التي كان يقاتل بها جنود بلاده الغازي البغيض .

فيا سيدي توفيق الحكيم .

أنت لا تقل عبقرية عن أي كاتب غربي ، وشرقي . فلا يحزنك ان سنك لم تعد تسمح لك بحمل البندقيــة واطلاق الرصــاص علــى العــدو .

سلاحك القلم . وميدانك رحب ، فسيح . ميدانك العالم وعقول الناس وقلوبهم . فانزل الى الساحة .

وغدا ، عندما يتحقق النصر ، وقد بدت تباشيره ، سيقول عنك بطل مصر ، الرئيس انور السادات ، ما قاله ستالين عن اهرنبورغ .

الانوار　　　　٢٤ تشرين الاول

ليلى بعلبكي

حضرت ولادة الفجر

في البدء كان الوجه .
وغطست في حلم لذيذ .

صرت معلقة في الفضاء الرمادي . ولم أعد اعرف ولا أحس طعم الغبار على فمي . صقيع نائم سكن رؤوس أصابع القدمين واليدين ولم أعد أطأ البلاط ولا الاسفلت ولا التراب ، صرت سحابة .

والوجه الذي كان في البدء يطفو على وجهي استطعت ان اشاهد فيه شروق العينين : نبعان من الضوء يتدفقان .

آه .
لا تستفهموا مني عما أتحدث .
امنحوني نعمة الهذيان .
احاول ، أحاول ان ادلي بشهادتي .

بصعوبة قاسية ، انسلخنا هذا اليوم ككل يوم عن مضاجعنا . وسحبنا أجسادنا في الطرقات نفتش عن مأكل لنا ومشرب ، ودخلنا المراحيض وتدشانا ، وتبضعنا أحذية جديدة . وليبرهن الرجل منا على انه رجل ، حلق باتقان شعر ذقنه . وكشفت النساء عن أثدائهن وكدسن أطنان الاحمر اكثر واكثر على الفم والافخاذ والاظافر .

أحاول ان اشرح :

اننا ، وفي السادس من شهر تشرين الاول ، وكان اليوم يوم سبت ، والوقت بعد الظهر ، وبهاتين اليدين والعينين حضرت ولادة فجر .

آه .

كانت هذه الارض تغرق في الظلمة والجفاف . وكان سكانها مجموعة من جذوع اشجار التين المتسوس المهترىء وكان المحصول فيها على مدار السنة ، كان المحصول دوما ، الذل والقهر والخسارة والانكسار .

واهتزت الارض قليلا . لم تمطر . وهاجرت الينا من جوانب العالم نسمات منعشة باردة ، وحده الفليان كان في صدغي .

اجل ، أنقل اليكم ما رايت . اكتموا انفاسكم ، نادوا على كتاب الملاحم :

من جوف الاضطهاد والتعذيب ، من سواد الظلم ، شق مارد عربي اسمر رحم الارض ومشى . نعم بهذه الحنجرة ، بحنجرتي العاجزة عن الصراخ ، شاهدته هكذا :

يولد ويمشي .

هكذا بأعجوبة ينقل قدما . يتوجه الى الامام ، يرفع القدم الاخرى ويمشي . هكذا يتقدم الى الامام .

اسألوا الوجه الذي كان يطفو فوق وجهي فوق الغمامة ، فهو الشهيد وهو الشاهد .

فشهقت .
لا .

أسمعوا غيري نشرات الاخبار ونتائج المعارك والتحاليل العسكرية .

الوجه يكبر . صرت أرى الرقبة والصدر عاليا يغرق في بركة الدم ، وتعرفت اليه تعرفت اليه . في هذا الشارع حدثت جريمة ، من الخلف اغتالوه . قطعوا البحر ، نزلوا الشاطىء ، تغلغلوا في الزواريب الوسخة ، صعدوا السلالم ، دقوا جرس البيت وذبحوه ، وعيون سكان المدينة حجارة رملية تنهار ، يسجدون لمعبودهم الخوف .

فرجاء .

رجاء الى الذين يشعلون الآن الحرائق المقدسة في كل شبر في هذه الارض العطشى الى الشجاعة والفداء والكرامة ،

الى الابطال الذين يتقدمون في الوديان والتلال والصحارى ،

الى الرجال الذين عادوا الينا بعد زمن طويل بعيد من شتيمة الذل والمهانة ،

اليهم أطلب ،
اليهم رجاء ،

ان يرفعوا فوق جسد كمال ناصر قطعة من سلاحهم بهدوء وخشوع وشجاعة ، فتنبت فوق جسد الشهيد حقول الازهار ، ونعود فنشم في البراري رائحة الغار ، ويعود وينمو لنا فوق جبل الكرمل شجر الزيتون .

الدستور
١٥ تشرين الاول

على وجه الماء مشى حبيبي

أيها الحبيب ،
الذي أنت تقاتل ، الآن ، في أرضك الفسيحة الطيبة ، أنت في شرايين الجسد وفي مآقي العيون .
لاني متهوسة ..
لاني متهورة ..
لان فرحي بك صار جنونا ، دعني أركض اليك ، فانا ايضا صرت أتحرك وأنت تعلم اني ولدت كسيحة من أم كسيحة وأب كسيح .

دعني أخترق جدار الصوت . أعبر الفضاء البعيد . أخترق أفواه الصواريخ المسننة . ألف بجسمي جسم الطائرات الصقع ، أحط في فوهة بندقيتك ، أتسلق سيفك المشحوذ ، أمسح حبات العرق عن جبينك وأصير لك حديقة مفروسة بأشجار التفاح والدوالي ، يعبر الليل فيها بطيئا ويطلع باكرا ضوء القمر وأصير أنا نبيذك والفيء .
أيها المارد .
أيها الرائع .
انتظرتك عند شواطىء البحار على رأس صخرة . حدقت لحظة بالبحر ، وحلفت أن أراك تشق مياه البحر بسلاحك وتمشي على وجه الماء ، فاذا بك فعلا امامي تظهر على وجه الماء تمشي .
من أين تفجر الصوت فيّ ؟
كيف استطعت أن تزيل أنت عن وجهي الركام والعفن ؟
كيف استطعت أن تعيد اليّ نظري ؟

ها أنا أبصرك آتيا والبحر الابيض المتوسط يعجّ بالغواصات ، بالمدرعات ، بحاملات الطائرات ، بالسفن التجارية ، بالاسماك ، بالصيادين ، بالاصداف ، بالحشائش الناعمة ، بالشفق ، وأنت هو النسيم عابر المسافات والمخاطر رأيتك آتيا .

أشعر ببرد المفاجأة اللذيذ وقبلان أنسى ، اوصتني العجائز ان أنقل اليك دعاءهن وانهن يحكن لك جوارب الصوف لايام الشتاء القاسية .

ثم دعني أخبرك أيضا اننا نذكرك هنا ولا زلنا نطبخ ، ونأكل ، نقشر الثوم والبصل ، نغسل أقدام الاطفال ونشرب ، وبحماس أكثر نندفع الى اعمالنا ، نسكر لماذا نسكر ، نبكي ونحسّ الوجع بك نقفز طربا وبكل الوقاحة نظهر بين الناس بعد ان خلعنا عنا ثياب التحفظ ، ولا يخجلنا أبدا ان نستمر في روتين حياتنا ، فحياتنا هذه هي عظام ظهرك ، نحن الرحم الذي تنمو أنت فيه وتتوالد .
اصغ اليّ ،
يوم حملت بطني ، بعد حرب الانكسار المشؤومة ، حملت بطني المتورم ودخلت باب دمشق ، يومها مات حبيبي .

فتشت عن حبيبي الميت في الوجوه المحروقة بالنابالم ، في العيون المتوجعة . فتشت عن حبيبي في ثياب القادة . فتشت عنه في اعلانات الصحف اليومية المبوبة . فتشت عنه في الكلام الكاذب . فتشت عنه في الخطابات . في روائح الخيانات والجبن . فتشت عنه في عيون الاطفال . وجدته في عيون الاطفال مدفونا .
فكيف استطعت أيها الساحر أن تبعث حيا هكذا حبيبي ؟
مدّ لي أيها الرجل ذراعك لاتسلل في جرحك وأتفجر .

الدستور
٢٢ تشرين الاول

أيتها الدبلوماسية : نارنا لا تطفئيها

أسمع لغطا .
أسمع قدوم خطوات الدبلوماسية .
فايتها الدبلوماسية التي أنت في الضفة الاخرى من العالم ، أشعلنا النار .
لان السلام الذي قبلناه مرارا ، فادخلناه صدورنا وأسكناه النخاع وبؤبؤ العين ومزجناه في ملح الطعام في الماء ، هذا السلام خدعنا .
معبودك السلام هذا ، أيتها الدبلوماسية المتربعة على عرش العالم ، من شدة ما التصقنا به ، وآمنا ، صار السلام مرضا خبيثا تشعب في الاطراف والعظام والشرايين والمسام ، وصار يقتالنا على مهل في صمت رهيب . وصرنا نهترىء ، نسقط جثثا تتصاعد منا روائح الانخذال ، ويتلذذ العالم في المشي في بطوننا والبصق ، ويتفنن في اختراع الشتائم الموجهة لنا والاهانات ، مشجعا اسرائيل على التنكيل بنا وتعذيبنا وقتلنا والابناء . حتى صار السلام عارا نحمله على جباهنا نحني من ثقله رقابنا ، يعاقبنا العالم ، لاننا قبلناه ، بضرب متواصل على قفانا .
النار .
النار ، النار ،

فجرناها النار وتفجرنا فيها ، لان الوجع لم يعد يحتمل ، ولان الغضب وصل فينا الى ذروة الجنون ، وحين أعلن نبأ اطلاق النار ، لم نصدق آذاننا ، هكذا جمدنا قليلا ، ثم ذهلنا ، ثم تلفتنا حولنا حذرا ، ووصلت الى أنوفنا روائح الاحتفالات المقدسة ، ولفح وجهنا ريح ملتهب ، فصرخنا وقفزنا في الهواء ، صرخنا ان النار صارت ملموسة ، صارت غير مستحيلة ، ورمينا جميع الاشياء في النار ، ونفخنا فيها فازدهرت ، وأطعمناها اثاث المنزل وغصون الاشجار ولعب الاطفال وباقات الزهر ، وحملنا بعضنا بعضا وتقدمنا ننحني ، نرمي بعضنا بعضا في اللهب ، نترنح طربا نزغرد نرفع الذبائح في الهواء ، نرمي اغلى الرجال واحلى العرائس ، ثم نعود نرقص رقصة الموت الرهيب ، ونسجد للدار نطعمها ذريتنا والعشب ، نحلم اخيرا بالخلاص ، نحلم بالخلاص ، بخيمة وحيدة في الصحراء مع الكرامة وضوء القمر .
أيتها الدبلوماسية ،
نخاطب قفازاتك البيضاء ، نخاطب قبعتك الرزينة ، مفروس على حافتها ريش النعام ، نخاطب القمصان البيضاء المنشاة ، نخاطب الاحذية النظيفة اللماعة ، نخاطب كلامك المنمق ، نخاطب افكارك الباردة ، نخاطب ما تدعين من ايمان بالسلام ، هذا السلام الذي كان بالامس جرثومة وخديعة ، أيتها الدبلوماسية المهذبة .
لا تقربي نارنا ، لا تطفئيها ، لا تدنسيها ، فهي مطهرنا والخلاص . وزمن القلوب الطيبة حتى الغباء قد ولى .
اكشفي لنا ، أيتها الدبلوماسية العريقة ، اكشفي عن وجهك .
فنحن نخاف ان يكون خلف الحجاب الرقيق المسدل وقارا على وجهك ، ان يكون وجهك وجه غولدا مائير ،
واغفري لنا ايتها السيدة الفاضلة عدم الثقة .

الدستور
٢٩ تشرين الاول

منير البعلبكي

صلاة السادس من تشرين الاول

تبارك اليوم السادس من تشرين الاول وتمجد اسمه بين الايام!

الا وتقدست المخيلات التي نسجت خيوطه ، والعزائم التي نفذت تخطيطه ، وكل يد بشرية او الة ميكانيكية اسهمت فيه !

ربنا زده من لدنك شرفا على شرف ، وفضلا على فضل ، وانزله في ميزان القيمة عندك منزلة يوم بدر ، وليلة القدر ، وموسم النحر !

ربنا واسلكه في عداد اللحظات القدسية التي نذرت لطاعتك ، وكرست لعبادتك ، وتاق فيها الاولياء والقديسون الى ان يكحلوا العين باجتلاء طلعتك !

الا وتقبله منا شهادة ايمان ، وفعل ندامة ، واية تكفير عن كل ما فرط منا طوال خمس وعشرين سنة من تقصير في حقك ، وتقاعس عن نصرتك !

ربنا واحفظه لنا من ختل الخاتلين ، وكيد الكائدين ، وغدر الغادرين ، واجعله في حساب الايام كألف سنة مما يعدون ..

فهو يوم ولادتنا الجديدة ، وانا بيوم ولادتنا الجديدة لضنينون ... ـ

فيه انبعثنا من المحنة كما ينبعث طائر الفينيكس من الرماد وهو اتم ما يكون شبابا ، وانضر ما يكون اهابا ، منسلخين من ماضينا القريب الذي جعل منا امة تضحك من جهلها الامم ، وتنافس عير الحي والوتد في الذلة والمسكنة وقبول المهانة .

وصل ، يا رب ، وملائكتك الابرار على هذا اليوم المجيد وسلم تسليما كثيرا .

ففيه عدنا رجالا نغزو حين نغزى ، ونغير حين يغار علينا ، ونثأر للشرف والكرامة كما يثأر الابطال ، ونموت في ميدان الشهادة كما يموت الرجال .. وكنا الى ايام خلت اشباه رجال ولا رجال .. مجرد غرض ، وهدف تسدد اليه النبال يغار علينا فلا نغير ، ويغزونا العدو في عقر دارنا فلا نغزوه ، وتسرق اوطاننا كل يوم ، وتدنس مقدساتنا كل ساعة فنكتفي من النضال بان نوسع الصهاينة سبا ، ونكتفي من الجهاد بالتسكع في اروقة الامم المتحدة ، وكواليس مجلس الامن ، ثم نقنع من الغنيمة بالايام !

الا واحمل ، يا بديع السموات ، نبأه العظيم الى ارواح مناضلي الارض جميعا ، بيضا كانوا ام سودا ، وعلى ثرى الشرق سقطوا ام على ثرى الغرب !

ففيه اصبح عندنا بنادق تطلق النار ، وطائرات تمحو العار ، ودبابات مشوقة الى ان تكلل هاماتها بالغار ، وكانت كل بنادقنا من قبل عصيا خرساء ، وجميع طائراتنا دمى بلهاء ، ومختلف دباباتنا من ورق مقوى !

الا ولتفرح به قلوب شهدائنا في دير ياسين ، وكفر قاسم ، وبحر البقر ، ففيه انتقمنا لهم جميعا ، مستعيدين امجادنا في القادسية وحطين ، واليرموك وعين جالوت ، وفيه محونا خزي الخامس من حزيران وخزي كل حزيران تلاه ، وكأنما السادس من تشرين الاول ما جاء ـ سادسا ـ الا لنسخ ـ الخامس ـ من حزيران ، مثلما نسخ ضياء الفجر حلكة الليل البهيم !

الا واسبغ عليه ، يا ذا الاكرام ، جلالا من جلالك ، وجمالا من جمالك ، فهو بهذا كله حقيق وبه جدير !

ففيه جبلنا كل حبة من تراب الوطن السليب بدم الشهداء من ابناء العروبة ، على تنائي الديار وتباعد الاقطار ، فانتصرنا على انفسنا ولم يبق الا ان ننتصر على الاعداء ، وما اهون الانتصار على العدو بازاء الانتصار على الذات !

المحرر ١٥ تشرين الاول

في اليوم الثامن عشر

لو اراد مؤرخ غربي منصف ـ ولنفترض انه ارنولد توينبي مثلا ـ ان يتحدث اليوم عن الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة ، مستبقا نتائجها النهائية ، لكان من المحتمل ان يقول اي شيء يخطر في البال ، او ان يغفل اي شيء يخطر في البال ، ولكن حديثه لن يخلو في اية حال من التوكيد على الحقائق الاتية :

اولا : ان الانسان العربي ولد من جديد في اليوم السادس من تشرين الاول : انتصر على الهزيمة ، وحطم اسطورة « الاسرائيلي الذي لا يقهر » ، وطلع على الدنيا بوجهه الاصيل : الوجه الذي كان عقبة وطارق وصلاح الدين نماذج خالدة له .

ثانيا : ان الانسان العربي اعاد الى المؤرخين ايمانهم بنواميس التاريخ ، ومن ابرزها ان الامر الواقع لا يمكن ان يكون بديلا عن الحق ، وان الظلم المدجج بالسلاح اضعف من العدالة العزلاء الا من الايمان ، وان ارادة الشعوب في الحياة الحرة الكريمة قادرة على اجتراح المعجزات ، حتى بعد انقضاء عصر المعجزات .

ثالثا : ان العرب دافعوا عن ترابهم وشرفهم ومستقبل اولادهم كما يدافع الرجال ، وخاضوا (للمرة الاولى) المعركة المفروضة عليهم صفا واحدا ، وبذلك جسدوا الوحدة التي طالما حلموا بها تجسيدا عمليا ، وعمدوها بالدم والنار . ولو فعلوا ذلك من قبل لما عرف التاريخ يوما اسمه اليوم الخامس من حزيران .

رابعا : ان سلاح النفط الذي طالما لوّح اصحاب النفط بوضعه في خدمة المعركة قد وضع ، وللمرة الاولى ، في خدمتها ، فلم يبق على دهاقنة السياسة الاميركية الذين زعموا ان العرب لا يستطيعون ان يشربوا نفطهم وان الدولارات اغلى عندهم من تراب الوطن الا ان يعترفوا بانهم كانوا اكثر حمقا من ناطح الصخر واشد غباء من القابض على الريح (وبين هلالين : لو ان العرب استخدموا هذا السلاح من قبل لما كان الفلسطينيون شعبا بلا وطن ، شعبا يعيش في المنفى مشتتا في « دياسبورا » دونها تلك « الديوسبورا » التي عرفها الشعب اليهودي منذ اقدم العصور) .

خامسا : ان العالم كله يقف اليوم في صف العرب ، باستثناء دولتين اثنتين : الولايات المتحدة الاميركية وجمهورية جنوب افريقيا . واذا جاز لجمهورية جنوب افريقيا العنصرية ن تنحاز الى اسرائيل ، لانهما من معدن واحد ، فان المؤرخ لا يستطيع ان يفهم كيف تستطيع دولة عظمى مفروض فيها الدفاع عن القيم الانسانية وميثاق الامم المتحدة ان تنحاز الى من داس كل القيم الانسانية وكل قرارات الامم المتحدة ، وان تلقي بثقلها كله في الميزان ، لنصرة قوى الظلام والعنصرية والعدوان . (ترى الا تزال كتب التاريخ المدرسية الاميركية تتحدث عن اباء الاستقلال الاميركي من امثال واشنطن وجيفرسون وعن نظرياتهم في الحق والعدالة والحرية وتقرير المصير ، وباية لغة تتحدث ؟) .

سادسا : ان الدول الاسلامية لم تقدم حتى الان شيئا اكثر من الدعم الكلامي للامة العربية . ولو انها انصفت نفسها ، قبل ان تنصف العرب ، لكان لها موقف اخر .. الم يكن في مستطاع ايران ـ مثلا ـ ان توقف ضخ النفط الى اسرائيل ، كما اوقف العرب ضخ النفط الى الولايات المتحدة الاميركية ، وعندئذ تتعطل الة الحرب الاسرائيلية وتصبح في ميسور المؤرخ ان يسجل ان الحرب العربية ـ الاسرائيلية استمرت ثمانية عشر يوما فقط ..

النهار ٢٥ تشرين الاول

حسين حيدر

عين اطفالك شاشات الرادار

ـ ١ ـ

صاموا ، حبة رمل من سينا للافطار
وانهار جـدار
صارت جدران الرعب شريط غسيل للثوار
ها هم يأتون ...
جسر أم وهم ممدود ، وجنود جمال
جاءوا يلقون على ضفتها الاخرى وجه جمال
ها هم يأتون ...
سكتت كل اللحظات
واطل الزمن الاخر من ابراج الدبابات

* * *

ـ ٢ ـ

كان الغفران
مرساة الاثم الى قاع النسيان
صار الغفران
كفارة يوم من رمضان

* * *

ـ ٣ ـ

قرأوا تاريخ العدأدات
لكن الحرب لديهم ما زالت ترتيل صلاة .
ها هم يأتون ...
عقبة يتألق ثانية بين الفرسان
ومراكب طارق نار في بحر الجولان
ها هم يأتون ...
معتصم يحمل ماء فرات
يسقي اغراس الوحدة في اثلام المرتفعات

* * *

ـ ٤ ـ

أعين اطفالك شاشات الرادار
وعلى اطراف اصابعهم خيط اغبر
يرسم في اوراق النار
الاء تلهب الاصفر
ونسورك في قلب الاعصار
كانوا من احلامك اخطر
بردى ، قبلها ، قبلها اكثر
فدمشق عروس ذاهبة للفرح الاكبر .

منح الصلح

نهاية استعماريـن

عام ١٩٥٦ ، وجه النضال العربي ضربة قاسية للاستعمار الاوروبي القديم . فعلى اثر العدوان الفرنسي البريطاني على السويس ،وجدت الامبراطوريتان الاوروبيتان نفسيهما في عزلة عن العالم . وكانت نتيجة هذه العزلة التي فرضها صمود مصر والعرب ان الاستعمار القديم لفظ اخر انفاسه ، وانتهى عصر الامبراطوريات .

عام ١٩٧٣ ، تقف الولايات المتحدة في نفس المكان الذي كانت تقف فيه فرنسا وبريطانيا ، وتعاني ، دوليا ، العزلة اياها . فليس وراء الولايات المتحدة من يشدها في موقفها من اسرائيل الا دولة واحدة هي « جنوب افريقيا » التي صرح وزير خارجيتها بانها تؤازر اسرائيل لانها في افريقيا ما هي اسرائيل في اسيا ؟

وهذه العزلة الدولية التي تجد اميركا ذاتها فيها هي من صنع النضال العربي ، ومن صنع المعركة الاخيرة بنوع خاص ،التي سيكون اثرها في تصفية الاستعمار الجديد مشابها لاثر معركة السويس الاولى في تصفية النفوذين الفرنسي والبريطاني .

فكأن التاريخ يشاء ان تقترب الامبراطوريات الاستعمارية من نهايتها ، حين تبلغ ذروة الظلم للحق بتحالفها الاكمل مع اسرائيل ، اوضح كيان استعماري في العالم .

وهكذا يكون النضال العربي قد لعب الدور المميز في تحرير الانسان من الاستعمارين القديم والجديد معا .

ان اميركا تستسلم في موقفها الحالي للعمى المطلق . فهي لم تعتبر بما جلبه على فرنسا وانكلترا اشتراكهما عام ١٩٥٦ في حرب واحدة الى جانب اسرائيل ضد العرب .

لقد قام في انكلترا وفرنسا من حاسب ايدن وغي موليه على عدوان السويس وكان المأخذ الرئيسي عليهما ، والذي كان مقتلهما السياسي ، توحيد قضيتهما مع قضية بن غوريون ، وخوضهما معه الحرب ضد منطقة باسرها من العالم ، قوية وعريقة وذات امكانات لا تحد .

واليوم تقترب في اميركا الساعة التي سينهض فيها من الاميركيين من يحاسب نيكسون على بقاء دولته دون دول العالم جمعاء في صف واحد مع اسرائيل . ان اقتراح مانسفيلد زعيم الاغلبية الديمقراطية في مجلس الشيوخ الاميركي بعقد مؤتمر قمة دولي لمواجهة قضية الشرق الاوسط يحضره الاتحاد السوفياتي ودول اوروبا واليابان هو صرخة الم من العزلة الراهنة التي تعيش فيها اميركا، وهو بداية التخلي الشعبي والرسمي الاميركي عن سياسة نيكسون الانفرادية الخرقاء في دعم اسرائيل .

ان اميركا تستفيق حاليا على حقائق جديدة في البلدان العربية، وبالتالي في العالم كله ، انها تفاجأ بانها عاجزة عن ان تفرض حتى على اصدقائها من الحكام العرب الخروج من انتمائهم العربي . انها تفاجأ بمواقف فيصل والحسن والسالم ، وكل من وضعته في السابق في جيبها من الاصدقاء ، وقد وجدتهم يختارون واقع امتهم على الرباط مع الاجنبي . فلا مكان في ارض العرب ، وخصوصا في لحظة التحدي الذي تحدث عنها الرئيس السادات ـ الا الاوفياء للمصير العربي .

ان المفاجأة الاميركية هذه ستستمر وستتضخم مع استمرار المعركة ، الى ان تتحقق اميركا نهائيا من ان كل طاقة عربية وكل ثروة عربية وكل كيان عربي اصبحت بكليتها في صميم المعركة .. عندئذ ستندم اميركا على تخلفها عن فهم الامة العربية وادراك القوانين الثابتة التي تحكم التاريخ .

اما العرب فهم واثقون بانفسهم ، معتزون لا بالنصر وحده بل بكونهم يعملون من خلال نضالهم على ايجاد عالم اشد صلة بالحق والعدل واكثر تحكيما للعقل وارتباطا بالحضارة .

وكما كان تحرير فرنسا وانكلترا من نزعة الاستعمار القديم في مصلحة الشعبين الفرنسي والانكليزي ومصلحة الانسانية ، كذلك سيكون تحرير اميركا من نزعة الاستعمار الجديد في مصلحة شعب اميركا .

وسينظر كل اميركي في المستقبل بخجل الى اليوم الذي كانت فيه اميركا تحارب الى جانب اسرائيل ، ضد امة هي من جميع الوجوه محور العالم الثالث كله .

المحرر

١٨ تشرين الاول

النصر ليس مفاجأة

لم يستطع احد في الغرب ، باستثناء الولايات المتحدة الاميركية ، ان ينكر على العرب هذه المرة حقهم في مباشرة الحرب ضد اسرائيل. ذلك ان اسرائيل ذهبت في اعتداءاتها وعنجهيتها الى ابعد مما يطيق حتى اصدقاؤها . وكانت الحركة الديبلوماسية التي مهدت بها مصر للمعركة في عواصم العالم موفقة جدا ، ومن النوع المرن الذي تتوافر فيه عناصر المخاطبة العقلانية الناجحة للرأي العام العالمي. وركزت هذه الحركة جهدها على ابراز استخفاف اسرائيل بقرارات الامم المتحدة ، وعلى تأكيد حق العرب في القيام بمبادرة يحررون بها ارضهم . وحرصت القيادة العربية ، من جهة ثانية ، على انلا تخوض المعركة الا وقلوب العرب جميعا الى جانبها . فجاءت المصالحات العربية التي سبقت الحرب تنشر بين العرب شعوبا وحكاما جو الولاء للهدف القومي الكبير ، او على الاقل ، حس الواجب بمؤازرة المعركة التي تصدت لها مصر وسورية .

وكانت البراعة الكبرى في النشاط السياسي الممهد للمعركة هي الايحاء للانظمة جمعاء بان انتصار مصر او سورية على اسرائيل ليس انتصارا على العدو ، وحده ، وانه ليس لحاكم عربي او فرد في طبقة ان يعتبر نفسه مهزوما بتحقق نصر عربي .

من هنا جاءت المعركة العسكرية التي تعاهدت على خوضها

سورية ومصر في افضل الظروف الدولية والعربية للنصر . فالعرب جميعا مندفعون فيها ، والرأي العام الدولي مقتنع بسلامةاهدافها.

لقد كان سر النصر الاول الامانة الكاملة التي التزمت بها القيادة العربية في دراسة تجربة ٥ حزيران وتلافي الاخطار والنقائص التي انطوت عليها . فالرئيس السادات الذي شارك الرئيس عبدالناصر الحكم كان خير من يستطيع الافادة من التجربة الغنية الماضية ، وكان خير من يؤمن للمعركة شروط نجاحها .

والحق ان المرحلة السابقة لمجيء السادات الى الرئاسة كانت مرحلة تاريخية حافلة بالانجازات الوطنية والاجتماعية . ولكن جانب تأجيج الثورة السياسية والاقتصادية كان اغلب من جانب الاعداد للحرب ، وكأن الثورة كانت في غنى عنه ، او كانت مغنية عنه . وبسبب طبيعة المرحلة الماضية كمرحلة توعية وتحريك سياسي، كثر ، احيانا ، الكلام على حساب الفعل ، واصطبغ بطابع الاستفزاز والمبالغة الضارين على الصعيدين الدولي والعربي معا ،وحصل غلو في التشكك في صدق وطنية بعض العرب انفسهم ، حتى من غير ذوي المصالح ، ولم يعط الجميع فرصة المشاركة في النهوض بأعباء الدفاع عن المصير .

وقد سلك السادات منذ الساعة الاولى لوصوله الى السلطة العليا خط التعبئة الوطنية داخل مصر ، فحد من تسلط الاجهزة على الناس ، ورفع الضغط عن بعض الفئات الاجتماعية ، وخارج مصر، اقام علاقات مع العرب الاخرين متسمة بقدر كبير من الانفتاح والديموقراطية ، وعلى الساحة الدولية تعامل مع العالم ككل ، ولم يدخل في اسر احد ، ولم يسمح لاحد ان يلونه بلونه الخاص .

وكان في ذلك كله محققا ما كان الرئيس عبدالناصر قد بدأ يفكر به بعد الحرب بل يطبقه ، وسط حديث المراقبين بان عبد الناصر قد خرج من المعركة انضج مما دخلها .

ان النصر الذي حققه العرب حتى اليوم هو، فيبعض جوانبه شهادة على ما يمكن ان تفعله الارادة الوطنية المنبثقة من التراث الوطني والمستفيدة من دروسه وعبره . فلولا الماضي ومعرفته معرفة حقيقية ، بحسناته ونواقصه ، لاستحالت على العرب وثبتهم الحالية.

ولقد انتصرالسادات لانه كان عبدالناصر ولم يكنه في الوقتنفسه.

والنصر هذا الذي تم لم يكن مفاجأة ، كما تردد . فليس بكثير على الامة العربية وطاقاتها وعظمتها ماضيا وحاضرا وعمق احساسها بأصالتها ورسالتها ان تحارب مثلما حاربت ، شرط ان تعيش بقلب دافىء وعقل مفتوح تراثها الوطني وتنكب على التجارب التي مرت بها لتأخذ منها ما تأخذ وتترك منها ما تترك .

ولعل اهم ما قدمته هزيمة حزيران للامة العربية تلك العين الواقعية التي ترى وتحلل وتعتبر ، فلا تقع اليوم في اخطاء الامس، وتلك الرغبة القومية العارمة لوضع كل ذرة من قوة العرب وطاقاتهم في خدمة المعركة ، فلا يكون غير الولاء للمعركة مقياسا لابعاد عربي وتقريب عربي ، واخيرا ذلك الدرس الاكبر ، وهو ان لا توسط في مركز العرب الدولي ، فهم اما مهزومون ومهانون كما لم ينزل هوان بأمة ، واما منتصرون ، وآخذون بالضرورة مكانا مرموقا في العالم . ولعل مصيرهم يختلف في ذلك عن مصير كثير من الامم التي تمكنها ظروفها من هوان اقل اذا انهزمت ، ومن تألق اذا انتصرت .

١٨ تشرين الاول — الصياد

أميركا والكبرياء العربية

لم يكن صعبا على الولايات المتحدة ،في وقت من الاوقات ، ان تدرك ضخامة مصالحها الاقتصادية وغير الاقتصادية في البلاد العربية . ولا هي بحاجة الى جهد كبير لتقدر احتمال خسارتها لهذه المصالح من جراء اصطدامها مع ارادة التحرر العربية .

وانما كان الصعب على الولايات المتحدة ان تجد تلك الصيغة من التعامل مع العرب التي تتفق مع نظرة العربي الى نفسه والى وزن امته في العالم .

فاميركا عاجزة عن فهم سر الكبرياء القومية التي لم تتخل عنها هذه الامة في احلك مراحل حياتها .

وبعض الاميركيين — من المسؤولين والمفكرين — يسردون بدهشة تجاربهم الفاشلة في التقرب من بعض الدول العربية ، وعلى الاخص تجربة بالذات هي محاولتهم في مطلع عهد ثورة يوليو للتقرب من مصر، ويبدون الاستغراب من ان هذه المحاولة لم تثمر على الرغم من سخاء العروض التي قدموها يومذاك !

واليوم ، وقد شاء الرئيس السادات ان يحاور اميركا من مركز القوة ، تسنح الفرصة لتحليل سبب فشل هذه المحاولة ، لا تفاؤلا بموقف ممكن للولايات المتحدة ، بل تصويرا لقضية هذه الامة ، في ابعادها النهائية ، مع اميركا وغير اميركا من دول العالم ، ومع نفسها وتاريخها وقيمها اولا ..

وعندما قام عبدالناصر والسادات ورفاقهما من الضباط الاحرار، كانوا جميعا — وخصوصا عبدالناصر والسادات — من المعجبين بشخصية المصلح التركي الكبير مصطفى كمال ، وكانوا شديدي التقدير لتجربته الاصلاحية التي كانت تعتبر في زمن ما نموذج التجربة الاصلاحية الناجحة في بلاد الشرق . فقد حقق مصطفى كمال لامته في فترة تاريخية قصيرة قفزة واسعة على طريق التقدم والاخذ بمقومات الحياة العصرية . وكانت صداقة السادات لعزيز علي المصري وهو البطل العربي لاكثر من انقلاب اصلاحي في زمن الدولة العثمانية ، تجعله على اتم اطلاع على الجذور الحقيقية للحركة الكمالية وعلى اهدافها الوطنية التقدمية .

كانت نظرة الثورة المصرية هي هذه الى مصطفى كمال وانجازاته ، عندما تقدم الاميركيون من الثوار المصريين يعرضون عليهم ، بشكل مفاجىء ، ان يكونوا مصطفى كمال مصر ، وان تكون الدولة التيينشئون نسخة اخرى عن الدولة التركية ، وهم بالمقابل — اي الاميركيون — مستعدون لكل مساعدة !

وكمن تعرض عليه على غير توقع اضخم الاغراءات ، كان رد فعل عبدالناصر ورفاقه الذين كانوا يومذاك في اول عهدهم بالسلطة ولم يتكون لهم بعد رصيد من الانجازات ، ان ارتابوا بالعرض السريع السخي وخرجوا بالقناعة الثابتة انه لو لم يكن مقدرا لثورة مصر ان تلعب دورا في المنطقة اعمق واوسع من دور مصطفى كمال ، ولو لم تكن تناديهم ، في مصر والبلاد العربية ، قضية اضخم من قضيته، لما جاءتهم اميركا وفي يدها كل هذه العروض ..

وهكذا رفض عبدالناصر ورفاقه التلويح الاميركي بالمساعدة علىاقامة دولة عصرية ، في المنطقة ، ولكن محدودة الاثر في محيطها ،وثانوية في الحساب النهائي ، واثروا المصير الاخر ، مصير الارتباط بحلم الدولة العربية ، الكاملة الكبرياء القومية والمنتشرة الاشعاع الانساني ، الدولة الكبيرة الشريكة في تقرير مصير العالم .

هذا هو السر الاعمق للخلاف الاميركي العربي . اميركا ، في اقرب حالاتها الى التعاطف مع العرب ، لم تستطع ان تفهم عن العرب انهم اكثر من دويلات متخلفة خليقة بان تتجاوب مع اول تلويح لها بالمساعدة ، كائنة ما كانت هذه المساعدة ... مفروض في الدول العربية في زعم اميركا ، ان تقبل ما تعرضه عليها ، وان ترحب به، لان البديل الوحيد عنه هو الحرمان ..

اما العرب فهم ينظرون الى انفسهم بمنظار اخر ، هم امة عريقة ووطن ضخم كبير . هم وجود غير قابل لان يعيش في ظل وجودآخر، سواء اكان اميركيا ام اسرائيليا ام غيرهما ، يحاول ان يكون وصيا علىدرجة نموهم وتقدمهم وقوتهم ، ويعتبر نفسه مسؤولا عن تقنين التطور العربي في كل المجالات ، وفقا لمبدأ ان استمرار حياة المستقل شرط لاستمرار استقلاله !

اميركا لم تفهم اختلاف الامة العربية النوعي عن الكثير من الامم التي نجحت فيها ، ولو الى امد ، السياسة الاميركية ساعدت

في ابقاء الدول والشعوب في اطار تقدم محدود ومضبوط ، حيث استحال ابقاؤها في حالة التخلف الكامل .

اميركا لم تفهم مثلا تجربة بريطانيا الاستعمارية .. استطاعت بريطانيا ان تدخل الهند ونهرو الى الكومنولث ، ان تجعل من امة تعد ٥٠٠ مليون تقبل بتاج الملكة تاجا لها ، وان تدخل جنوب افريقيا والجنرال سمطس برضاهما تحت ظل التاج البريطاني ، وان تجر كندا الى عضوية الكيان الدولي الكبير ، ولكن بريطانيا لم تستطع ان تقنع شيخا عربيا واحدا في اقصى منطقة عربية ، سلطانا من عشرات السلاطين ، اصدقاءها بل محبيها ، بتقبيل فكرة الانضمام الى هذا الكومنولث .. ذلك انه كان من المستحيل على اي عربي تصور عزته مرتبطة بعزة التاج البريطاني ، وكيانه القومي ذائبا في كيان آخر .

واميركا اليوم تستمر في عدم الفهم .. لانها تتحدث عن المفاجأة في التحرك المصري والسوري ، وفي الارادة العربية للقتال . .

اي مفاجأة ؟

ان المفاجأة في نهوض امة عريقة وعميقة الحس باصالتها وتراثها ومليئة بالكفاءات والطاقات لتحقيق جزء بسيط من حقوقها ؟

انتم امام امة مغروس في ذاتها الايمان المطلق بنبلها ، والحرص الكامل على شخصيتها ، وتستكثرون عليها ان تندفع من اجل الحفاظ على وجودها !

انتم امام امة كل عرق فيها يرفض الا ان تصنف في طليعة الامم وترفضون ان تسلموا لها حتى بازالة آثار العدوان !

انتم امام امة لكم ولغيركم من المستعمرين تجارب معها ،وهذه التجارب تدل ، لو امعنتم في فهمها ، انها لا تستطيع ان تتقبل اي فكرة تريد ان تجعل من العرب دولا عادية فكيف بجعلهم في مستوى اقل من الدول العادية .

لقد رفضت الثورة المصرية ان يعاملها الغرب بمثل ما عامل به حركة مصطفى كمال الاصلاحية . وكان المغزى الاصرار على الدور التاريخي المرموق لا لمصر وحدها بل للامة العربية كلها .. هذا هو الشعور الداخلي الثابت عند كل عربي حتى وهو يعاني الوهن والضعف في واقعه لانه ينظر اليهما على انهما حالة موقتة طارئة على جوهر امته . وهذه هي الحقيقة العميقة التي لا بد ان يتعامل معها اولا كل من يريد التعامل مع العرب .

الانوار ٢٠ تشرين الاول

خطوة الى الامام

زمن المعركة ، تظهر صورة الامة العربية على حقيقتها ، وتتجلى المكانة الفريدة التي لقضيتنا في العالم . ويجب أن لا نترك الايام تطمس هذه الصورة ، وتعود بنا الى الشك بقدراتنا .

لقد أصبح الموقف من العرب ، كما أكدت فترة المعركة ، ومن قضية فلسطين بنوع خاص - من اسباب العظمة او التردي ، النجاح او الفشل ، في حكم أي حاكم من حكام العالم ، حتى اولئك الذين لا تبدو العلاقة واضحة بين أوضاع بلادهم الداخلية والاوضاع العربية .

وقد كان من أسرار عظمة الجنرال ديغول ، ومن العوامل التي مكنته من تحقيق الوثبة المعاصرة في فرنسا ، الفكرة التي يحملها عن العرب وطاقاتهم ووزنهم في العالم .

ولو لم يكن ديغول يحمل تلك الفكرة ، لما انطلق في دوره التجديدي التاريخي من حل القضية الجزائرية ومد اليد الى العرب والبقاء على صداقته لهم وتأييده لحقوقهم حتى ما بعد هزيمة حزيران . ويصعب الآن ان نتصور انه كان امام فرنسا غير ذلك الطريق الى بعث ذاتها .

وهكذا ، فبموقف ايجابي من العرب شق ديغول الطريق لنفسه ولوطنه ، بعد ان حارت الطبقة السياسية الحاكمة في الاهتداء اليه .

وبالنسبة الى الاتحاد السوفياتي نفسه ، لعب التمسك بصداقة العرب دورا مشابها . فلو سيطر على قادة الاتحاد السوفياتي اليأس من قدرة العرب على النصر - كما كانت تريد بعض الاوساط داخل الاتحاد السوفياتي - لضعفوا على الساحة الدولية ، وخسروا جزءا كبيرا من تألقهم في العالم ، خصوصا بعدما آل اليه الامر في الصين ، وبعد ان نشأت في دول اوروبا الشرقية المشاكل التي نشأت .

لكن سلامة الفكرة عند قادة الاتحاد السوفياتي عن العرب وامكاناتهم ودورهم كانت تمد الاتحاد السوفياتي بقدرة دائمة على لعب الادوار العالمية والبقاء في المرتبة الاولى من دول العالم .

ومع ان فضل السوفيات كبير بل اكبر من كبير على النضال العربي ، الا ان السوفيات اخذوا ، بالمقابل ، الشيء الكثير من سياسة اليد الممدودة الى العرب .

بالنسبة الى الولايات المتحدة ، فان النظرة السلبية التي ينظر بها قادتها الى العرب وقضاياهم كانت دائما من امارات الضياع والتخلف والفساد في السياسة الاميركية .

ولا نغالي اذا قلنا ان من أبرز الادلة التي يمكن ان تساق على نوعية الحكم السائد في الولايات المتحدة طريقته في التصرف نحو العرب .

وعندما كانت تتوالى في الفترة الاخيرة اخبار عزل نيكسون للقضاة الاميركيين اصحاب المواقف المبدئية في قضية ووترغيت ، جنبا الى جنب مع اخبار المساعدات بالبليارات لاسرائيل المدانة من العالم اجمع ، كان كل عاقل يستمع ويحلل ويستنتج كم اصبحت الولايات المتحدة بحاجة الى نهضة ترد حكامها الى أبسط القواعد العقلية والاخلاقية في سياسة الحكم .

فالوضع في الولايات المتحدة متخلف فعلا ، سياسيا ، لا عن الدول المختلفة عنها في نظامها السياسي ، بل عن الدول الآخذة بنظامها نفسه .

وقد عرفت فرنسا ، في الفترة الاخيرة من حياتها ، على يد ديغول وبومبيدو ، نهضة وضعتها على طريق داخلي ودولي معقول .

وعرفت المانيا ، على يد برانت ، شيئا من الارتداد الى خط موزون في العلاقات الدولية .

واغلب الدول الراسمالية - فضلا عن الاشتراكية - جددت من عقليتها واساليبها ونظرتها الى العالم بشكل آخر .

... الا اميركا ، فان كل ما فيها ينادي بحاجتها الماسة الى نهضة من هذا النوع ، وأبرز سمات هذه النهضة وصول درجة معينة من فهم العالم الثالث ، وخصوصا فهم الامة العربية ، الى عقلية حكامها .

فبدون فهم العرب ، يستحيل على اميركا ان تصوغ تلك السياسة الدولية المتمدنة غير القائمة على الفرض ، التي تدرك كيف تتعامل مع الشعوب ، وتعرف كيف تخلق مصالح مشتركة بينها وبين غيرها من البلدان والقارات .

ولا شك انه لو دامت الحرب اكثر مما دامت ، فاستمرت الظواهر الاميركية غير المحدودة في دعم اسرائيل ، لاحس كل اميركي بعمق حاجة بلده الى نهضة عاجلة تضع شيئا من العقل والضمير في تصرفات حكامه ، ولخرجت التظاهرات في نيويورك وواشنطن وسان فرنسيسكو تطالب بقطع المساعدات عن اسرائيل ، ووضع حد للحلف العدواني بين اميركا واسرائيل . وكان ذلك من شأنه ان يكمل في الولايات المتحدة الوعي الذي خلقته فيتنام ، ويجدد الولايات المتحدة سياسيا ، ويزيحها ، لمصلحة شعبها ومصلحة شعوب العالم ، من طريق تحرر الشعوب ، ويعطي الفضل التاريخي للامة العربية بانها بنضالها قد ساهمت وهي تعمل لتحررها في نقل العالم خطوة جديدة الى امام .

وهكذا ففي وسعنا القول ان الثقة بقدرات الامة العربية قد تعدت بعد اليوم ان تكون فرضا على كل حاكم عربي يستحق هذا الاسم ، لتصبح فرضا على كل حاكم في العالم ، يريد ان يحكم في بلاده نفسها بعيون مبصرة .

الصياد ٢٥ تشرين الاول

انسي الحاج

مفكرة حــرب السلام

٦ تشرين الاول

في آخر الليل وصلنا نداء حافظ الاسد الى السوريين . وأنـا اقرأه ، نسيت أخبار المعارك . انتشلني من غمرة التفاصيل . جعلني أرى أبعد من اليوم ، من المعركة ، من نتائج المعركة . انه خطاب يعتذر عن القتل الذي ستسببه الحرب . لم يقلها ، ولكنه روح الكـلام ، روح الرجل وراء الكلام : « لسنا هواة قتل وتدمير ... نحن طـلاب حق وعدل ... نحن نرد عنا القتـل والتدمير ... نحن نعشـق السلام ... نحن نعشق الحرية ... »

هؤلاء هم العرب الحقيقيون . العرب الانسانيون ، عرب السـلم والمحبة والتسامح . ونداء الاسد الى شعبه كان يمكن ان يقوله كـل عربي حقيقي .

فالحرب بالنسبة الينا ليست سكرة دم من أجل مجـد القوة . انها حرب اليأس من الوسائل الاخرى كلها . انها حرب الابرياء الذين يكرهون الحرب ، ومع هذا يخوضونها لان العالم ، العالم الذي يعرف ولا يريد ان يعرف ، دفعنا دفعا الى الانفجار .

قرأت نداء حافظ الاسد وتمنيت لو يسمعه العالم بكل لغاته .

العرب الرحماء ، حتى الحرب لن تعمي انسانيتهم .

وكم يبدو غيرنا حتى في السلم ، من أقصى العالـم « المتحضر » الى اقصاه ، متوحشا تحت قناع الحضارة .

٧ تشرين الاول

مدبرة ... ليست مدبرة ...

مدعومة ... ليست مدعومة ...

ملغومة ... ليست ملغومة ...

لماذا اشتعلت هذه الجبهة ولم تشتعل تلك ؟ لماذا قالوا كذا ولـم يقولوا كذا ؟ ما تراه يكون وراء الظواهر ؟

وتكرّ السلسلة . تساؤلات تستلذ الغموض وغموض يستلـــذ التساؤلات وثرثرة فوق الدم .

وعلى الجبهات جنود يموتون وجنود سوف يموتون .

ما أثقل النفوس المعقدة !

وما أطيب النفوس البسيطة ! وما أسعدها !

البسطاء يقولون : حرب .

والحرب هي الحرب في نظر البسطاء ، لا تعقيد ولا فلسفة .

البسطاء يعرفون انها الحرب ، وهذا يكفي .

ويصلون .

والله يسمع صلاتهم .

٨ تشرين الاول

اذا اعتبرنا الوجود قوسا طرف منه الحياة والطرف الآخر هـو التاريخ ، فاللحظات التي نعيشها ترخي طرف الحياة لتوصل التوتـر في طرف التاريخ الى ذروته . التاريخ يسحبنا الآن مـن الحيـاة ويحتل الساحة .

من يصنع التاريخ ؟

غالبا ما نعلمنا ان التاريخ يصنعه المتمردون على الحياة ، المغامرون بها ، المؤمنون بالتاريخ ايمان الموحدين بالله . وهكذا يصبح التـاريخ نوعا من الديانة ، تراوح طقوسها بين العبقرية والارهاب والحرب .

وفي هذا التصنيف لصانعي التاريخ ، غالبا ما أبقي العرب خارجا . اعتبرناهم كلنا على وشك الانقراض لان التاريخ يصنع من دونهم .

اليوم تمرد العرب على التاريخ .

تمردوا على التاريخ الذي يصنعونه لهم دون ارادتهـم وبرغـم ارادتهـم .

وأجمل صفحات التاريخ لم يكتبها « صانعو التاريخ » الموالون له والشغوفون به كأنما هو الله ، بل كتبها المتمردون على التاريخ .

وكتبوها كرامة للانسان وتمجيـدا للخير الذي فيه وانقـاذا للجزء اللازمني منه ، للجزء الذي لم يستطع ان يسحقه التاريخ .

وهذه هي حقيقة مفاجأة العرب في هذه الحرب . ومفاجأتهـم لانفسهم قبل سواهم .

مفاجأتهم هي انهم تمردوا على تاريخ يصنعه لهم العالم كله ليفرضه عليهم . هـذا التمرد هو الانتصار الحقيقي . بل هـو الجـواب الحقيقـي .

وحياله تأخذ الانتصارات العسكرية حجم الشكل امام الجوهر .

٩ تشرين الاول

أمس قصفوا بور سعيد واليوم دمشق وحمص .

البعض يقول : هذه هي الحرب لا فرق بين مدني وعسكري .

سقى الله أيام زمان كانت الحرب أنبل . كان فيها قوانين شرف

يخجل المتحاربون من مخالفتها .

ألهذا تقدمت البشرية ؟

ألكي تلغي التمييز بين الاعزل والمسلح ؟ بين العاجز والقادر ؟ ألكي تهدم حدود الاخلاق ؟

هل طوت البشرية كل هذه العصور لتطور أساليب الدمار فقط وتترك وراءها مبادىء الشرف ؟

لا نصدق .

البشرية قطعت مسافات الزمان كي تزيد من اقترابها بعضها من بعض ، كي نعمق تشابك أيديها ، كي تعزز اتحادها وتضامنها لتكسر طوق عزلتها في الكون . من أجل هذا كان التقدم وبسببه . وهذا هو ما سوف يكون .

أما الجنون فموجات وتمضي .

١٠ تشرين الاول

لعل اكثر ما يؤثر في نشوة المصريين بما حققوه خلال قتال الايام الخمسة هذه ، انها نشوة أمة تقول للامم : نريد النصر من اجل حياتنا لا من اجل موت الآخرين . نريد النصر لمجد الحرية لا لفرض الاستعباد.

أليس المصريون أعرق الشعوب في حب الحياة والفرح بها ؟

الحرب المغسولة بالنيل يصبح وجهها أقل بشاعة من أي حرب .

ونكاد نطير منها حمامات سلام من أجل الغد .

١١ تشرين الاول

ترى ، ماذا يحدث من اليوم الى الاحد ؟

هل سيموت رجال كثيرون ؟ هل تكبر الحرب أم ينزل العدل فجأة بعد طول انتظار ؟

« حرب السلام » ، هكذا سماها رفيق شرف .

كان يقال ، من باب الاتهام ، ان الحرب لا تليق بالعرب .

في خمسة أيام صار يقال : والله العرب يحاربون !

وفي الغد ، وقد نلنا استحقاق الحرب ، نريد ان يعود العالم فيقول عنا : كم هم مسالمون هؤلاء العرب .

لانها حقا حرب السلام . لانها انفجار المسالمين في وجه من يرفضون السلام . لانها الحرب على الحرب .

السلام عليك أيتها الحرب ...

ملحق النهار

١٤ تشرين الاول

لا ضحايا ولا جلادون ، بل أحرار

شباك على الهواء

حماستنا هي حماسة ناس طيبين . انها حماسة من اجل الحياة.

والحرب ، هنا ، شباك انفتح فجأة على الهواء بعدما كاد البيت يختنق. الدمشقيون الذين صعدوا الى السطوح يستقبلون بالمناديل طائراتهم العائدة لم يفعلوا ذلك بنشوة الغزو ، بل بنشوة الانفراج .

لقد كانت اللاحرب سدا يمنعنا من الحياة ولم تكن سدا يمنعنا من الغزو . نحن لسنا توسعيين ولا استعماريين . نحن شعب له جذور في الحياة ، وله عبقرية في الحياة ، وله شغف بالحياة يرقى الى عهود لم تكن شعوب كثيرة اليوم موجودة بعد فيها على الارض . ثم توالت علينا الشدائد والاعداء والطامعون وكسرونا .

ماذا نريد ؟ الثأر ؟ كلا . أخطأ من سماها حرب الثأر . نحن أرسخ من ان نكون مجرد جزر لمد او مد لجزر .

ما نريده أبسط بكثير وأجمل بكثير واصعب بكثير : انه العدل .

نريد ان نحيا . نريد ان نحيا دون تأجيل ودون خوف ودون ذل .

لا أن نكون ضحايا ولا ان نكون جلادين : بل أحرار .

وحماستنا هي حماسة مساجين أخذوا يبصرون تباشير الضوء يطلع من الساحات الحمراء .

فهل تفتح الحرب لنا ابواب السجن ؟

أيها العالم نرفض « احترامك »

« كنا في أوروبا ... للمرة الاولى شعرنا باعتزاز لكوننا عربا . تغيرت نظرتهم الينا . صاروا يحترموننا » .

من منا لم يسمع صديقه العائد من سفر يخبره كلاما كهذا منذ بدأت الحرب ؟

ولماذا تغيرت نظرة « العالم » الينا ؟ لاننا أثبتنا اننا « أقوياء » . وصار « يحترمنا » ..

... يوم كنا نضع ثقتنا في الامم المتحدة والقوانين والضمير العالمي ، ساعين الى حل سياسي من غير اراقة دماء ، كان « العالم » يحتقرنا .

ويوم نزعنا ثقتنا من « العالم » وتجاهلنا ضميره الكاذب ، رفعلنا قبعته وانحنى اجلالا .

أي عالم هو هذا « العالم » ؟

ألم يجد فينا ما « يحترمه » غير السلاح والحرب ؟ أهذه كل فضائلنا ؟

وتسامحنا ؟ وانسانيتنا ؟ وتاريخنا ؟ وحضارتنا ؟ وكل ما في انساننا من خير ومحبة وطيبة ؟ وحقوقنا العادلة الواضحة البديهية الصارخة ؟ أهذه كلها كان يحتقرها « العالم » ، كان يحتقرها الغرب ، لاننا لم نثبت قدرتنا الحربية ؟

سلام عليك أيها الشرق ! سلام على نومك وكسلك ! سلام على « انحطاطك » و « انهيارك » و « تخلفك » !

فالنهضة في نظر العقل الغربي هي العنف ، والتقدم هو التنكر للاخلاق ، والمدنية هي البطش ، والحق هو القوة المادية ، والتفوق هو انعدام الرحمة ، والنجاح هو غاية الغايات ، و « الاحترام » هو لمن ينتصر لا لصاحب الحق والقضية العادلة .

لقد كنا أصحاب حق وقضية عادلة ولم « ننتصر » بالمفهوم الغربي البربري ، ففقدنا « احترام » الغرب .

والآن يبدو اننا نستعيد « احترام » الغرب لا لانه اقتنع باننا أصحاب حق وقضية عادلة ، بل لاننا « أعجبناه » كمحاربين !

« احترام » كهذا من يرضاه ؟

« احترام » لا يعبأ بفضائله الانسانية الجوهرية بل تستوقفه المظاهر وحدها ، من يرضاه ؟

« احترام » يتجاهلنا كشعوب و « يحترمنا » كجيوش فقط وشرط أن تنتصر الجيوش ، من يرضاه ؟

في مملكة الوحوش لا بد ان يكون مقياس « الاحترام » أكثر نبلا من هذا .

« احترام » كهذا هو في الواقع اهانة . واننا نرفضه .

ان لهذه الحرب شفاعتين :

الاولى انها حرب أصدقاء السلام .

والاخرى انها حرب الذين خيب « العالم المتحضر » كل آمالهم ، فاضطروا ان يخاطبوه باللغة الوحيدة التي يفهمها .

وها هو بدأ يفهمها .

واذا كانت هذه الحرب شهادة للعرب فهي في الوقت نفسه شهادة

ضد « العالم المتحضر » .

وبنسبة ما « يحترمنا » « العالم المتحضر » على هذه الحرب ، بنسبة ما يدين نفسه . فبسببه وحده وقعت .

وهو الآن « يحترمنا » لاننا خضناها .

وها نحن نحتقره على هذا « الاحترام » .

ففي « احترامه » هذا فضيحته كلها .

الفعل ، الفن ، أيهما ؟

توفيق الحكيم يطلب « عملا يدويا » يساهم به في المعركة لان الكلمة ، كما قال ، لم تعد تكفي الآن .

وبالامس ، شيخ آخر هو اندريه مالرو ، شيخ كلمة وشيخ عمر ، عرض هو ايضا ان يحمل السلاح .

لماذا يتاثر الناس بنوع خاص حين تصدر بادرة كهذه عن فنان ؟ لان الفن هو ، بالضبط ، عكس الحرب . فالاول يحيي والاخرى تميت ، والاول فعل حب والاخرى اما ان تكون فعل يأس او تكون فعل جنون .

ولان الفن هو نقيض الحرب ، فعندما يقدم الفنان نفسه هدية في ساحة المعركة ويطلب ان يحمل السلاح كالجنود ، أو ان يقوم بعمل « يدوي » نافع نفعا مباشرا وسريعا ، فانما يعطي الحرب وجها انسانيا يرقى بها الى مستوى الجهاد المقدس في سبيل مثل عليا طاهرة .

يعطيها « ضميرا » ، يعطيها شفاعة عند الروح .

وهكذا يتعطل الفن ، تتعطل الكلمة حين يعمل المدفع .

وقبل ذلك قال نزار قباني ، عندما سئل كلمة في المعركة : الكلمة الآن للمعركة .

وأمس قال لي مسرحيان صديقان : اوقفنا مسرحية كنا نعدها ، ولا نعرف ان كنا سنعمل غيرها ، فلا نشعر ان هناك الآن ما نستطيع ان نقوله ..

لماذا ؟ لماذا يتعطل الفن في الحرب ؟ ربما لان الفن تامل والحرب حركة ، ولان الحركة تنسف التامل . ربما . وربما لان الفن حلم يخترق الحياة ، ولان الحرب يقظة تجتاح التاريخ .

ربما .

لكن أيبقى الفنان مشلولا امام طغيان التاريخ ؟ ام يتخطاه برؤياه ، بحدسه ، بالجزء اللازمني فيه ؟

الفعل ، الفن ... أيهما ؟ أيهما ؟

حيرة قديمة .

لكن الفنان ، اذا فضل الفعل في لحظات استثنائية من التاريخ كاللحظات التي نعيشها ، فانما يفعل ذلك عطاء منه « فوق » عطائه الاصلي . يفعل ذلك ليعطي مثلا وليس يفعله ليسحب الثقة من الفن .

فالفن هو ذاته يتضمن الفعل . يتضمنه ويبدعه ويسبقه ، ويبقى بعده .

الفعل ، الفن ... أيهما ؟ أيهما ؟

حيرة قديمة .

ويتردد الفنان احيانا ، وقد يتردد طويلا قبل ان يجيب . لكنه في النهاية يجيب : الفن .

لكل جبهته .

ولكل سلاحه على جبهته .

ولكل استشهاده ...

الياس لحود

مدافـع اعمـاق الجولان

تصحو أشواق سفوحك .. تخضر العتمات ..
تدوّن ايقاعات الوثبة في أجنحة الزمن
الصاعد من حفر التاريخ ، وطائرة
تنقضّ على طائرة تسقطها في الصخب ،
تعود الى الاجواء العربية .. بالامس
رأينا عملاق الاسطورة ينزل عن صهوات
الآلهة ليصبح في اسر الاحزان بقايا
انسان مشدود الاذنين ..

* * *

وتصدح في الاحداق مدافع اعماق الجولان
كأن الوتر السادس في القيثارة يعزف وحده ..
اعرفكم تنتظرون ، على جثث الايام ، الفرحة
اعرفكم تصبون وفي الاعماق اجيج الالحان
الخامدة يطأطىء مضغوطا .. اعرفكم في
الاودية وفي القمم الغاضبة .. مدافع
اعماق الجولان .. كأن الوتر السادس ،
طائرة تصعد في العصب الذابل ...
ينتفض الشريان العصب ، يطير
النسر تنوح الدبابات الاخرى ،
طائرة تسقط اسطوره ..
تلتطم الجهة الاخرى بالتاريخ يفيض
اللحن ويفرق آخر ضوء ، ينزل علم
عن صهوة قمه ..
يتدحرج يأس آخر ،

* * *

مدافع اعماق الجولان
وكان الفجر ينادي المرتفعات الوسطى
كانت الحان القيثارة من كل مكان تبدو
حتى من سيناء ..
مدافع اعماق الجولان
وصواريخ الليل ، انا في ليلة عرس اكبر

(بيروت ـ مرجعيون)

مصر

توفيق الحكيم

عبرنا الهزيمة

عبرنا الهزيمة بعبورنا الى سيناء ... ومهما تكن نتيجة المعارك فان الاهم الوثبة .. فيها المعنى ان مصر هي دائما مصر .. تحسبها الدنيا قد نامت ، ولكن روحها لا تنام . واذا هجعت قليلا فان لها هبة ، ولها زمجرة ، ثم قيام . وقد هبت مصر قليلا وزمجرت ، ليدرك العالم ما تستطيع ان تفعل في لحظة من اللحظات ، فلا ينخدع أحد في هدوئها وسكونها . وكانت يدها التي بدرت منها حركة اليقظة هي جيشها المقدام بصيحة رئيسها الوطني بالقيام . سوف تذكر مصر في تاريخها هذه اللحظة بالشكر والفخر .

الاهرام
٩ تشرين الاول

عبرنا الهزيمة في روحنا

نعم . عبرنا الهزيمة في الروح . وشعرنا انه قد حدث ويحدث في داخلنا شيء . لقد كان جو الهزيمة جو سجن واختناق . والآن نحن نتنفس هواء نقيا . هواء الحرية والانطلاق . وهذا هو المعنى الحقيقي للانتصار . انه ليس في مجرد كسب المعركة الحربية . بل هو فيما يحدث في النفوس بعدها ونتيجة لها .

ان الكسب الحقيقي للمعارك الحربية انما هو في نوع الجهاد ودرجة البسالة وروح البطولة .

وليس في مجرد الكسب المادي المعتمد على المعدات والآلات ... وكسبنا الباقي لنا دائما بعد اليوم هو في الروح التي انطلقت من سجن الاحساس بالهزيمة .

هزيمة النفس التي لم تقاوم ولم تجاهد ... روحنا المنطلقة اليوم بعد جهادها البطولي هي التي سوف تتجلى غدا في الاعمال الرائعة التي ينتجها الفكر المصري في مجالاته العديدة من علم وأدب وفن ...

ان تاريخ فكرنا الجديد المعبر عن روحنا الجديدة يكتب منذ الآن في سكون بمداد عظيم من دم شهدائنا الابطال .

ملحق « الثقافة »

يوسف السباعي

دور الاديب في المعركة

لم تكن المعركة قد اشتعلت بعد ، وأنا أكتب افتتاحية العدد الاول من الثقافة أحدد فيها دور المثقف والاديب في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ أمتنا ، وقد طالبت الاديب المثقف بأن يعمل على :

● اضاءة وجدان المواطن بالفن المبدع والفكر الخلاق ، لتمكينه من مطاردة الظلام الذي تسرب الى النفوس بعد نكسة طارئة ، ولا شك ان الفكر والفن من أخطر الاسلحة التي سنهزم بهما اليأس والتمزق .

● وقلت ان المثقفين مطالبون في تلك الفترة بصياغة العقل العربي الذي يرفض التخلف ، والارادة العربية التي تستعلي على الهزيمة ، والضمير العربي الذي يتأبى على التبعية والتلاشي .

ومنذ السادس من اكتوبر ، تغير ايقاع الحياة ونبضها من حولنا بعد ان عبرت قواتنا المسلحة الى سيناء . لقد عبرت الى آفاق المستقبل ، وخلفت وراءها كل ظلام اليأس والتمزق والهزيمة وراحت ترسم خريطة جديدة للتاريخ العربي الحديث .

ولا أظن ان الادباء والمثقفين في حاجة الى من يذكرهم بدورهم في تلك اللحظات التي جاش فيها كل شيء في الامة العربية بالامل والحياة . فهم عقل الامة المفكر وضميرها المرهف ، وهم يؤدون دورهم الفكري والفني في الحرب والسلم على السواء .

ولا شك انهم سيقومون بدورهم كمواطنين اولا في تلك المعركة ملتزمين بكل ما يلتزم به المواطن العادي في خدمة الجنود وعائلاتهم وتحصين الجبهة الداخلية ، والوقوف وراء المقاتلين في يقظة واستعداد .

وهم بحكم تكوينهم الروحي والفكري والفني سيسارعون الى تسجيل ما يدور الآن من معارك الشرف المقدسة في أعمال فنية وسيسهمون مع أجهزة الاعلام المختلفة في كل عمليات التوعية والتثقيف والتبصير وحماية المواطنين من حرب الشائعات والتخاذل .

وهم مستعدون في أية لحظة ان يتحولوا الى كتائب مقاتلة تحمل السلاح وتخوض معارك القتال الى جوار اخوانهم الجنود على خط النار حتى نحقق لامتنا المجد والانتصار .

لطفي الخولي

الانسان .. هو المعجزة

عبور الجنود للقناة ، أخيرا ، في ست ساعات ، هو الخطوة الاولى في معركة تحرير الارض التي احتلت خلال ستة ايام من عام ١٩٦٧ .

الخطوة الاولى دائما أخطر حركة في المسيرة . هذه المرة صاحب خطوتنا ذكاء وكتمان ودفء شجاعة المبادرة .

هل نحن ـ كما يتصور البعض ـ امام معجزة ؟

العبور ـ في حجمه المادي ـ اجتياز ناجح لمانع مائي يرافقه اختراق ساحق لخط بارليف المنيع . غير انه يعني ـ بوزنه المعنوي والسياسي ـ عبور الانسان المصري ، في لحظة من لحظات الصحوة التاريخية ، مسافة امتدت لاكثر من ست سنوات ظل خلالها ـ بصور وأعماق متعددة ـ يصارع الهزيمة والمهانة ، تحت جلده وفي أحشاء مجتمعه ووطنه .

مضت سنوات الصراع الذاتي والموضوعي ، رهيبة في مرارتها واضطرابها ، بدا فيها الانسان المصري ـ حينا ـ كما لو كان يعشق ادارة جولات لا تنتهي من الملاكمة مع ذاته وواقعه وقومه وعدوه معا . وبدا .. حينا آخر كما لو كان قاصرا عن ان يفتح عينه لمواجهة التحديات التي تلطم كيانه بعنف صباح مساء ، غير قادر على رد اية ضربة من الضربات المتوالية ولو بخرطوشة ظفر .

لكن ما أن انتصف اليوم السادس من اكتوبر حتى انطلق هذا الانسان المصري من أتون الصراع ، يعبر القناة والهزيمة وخط بارليف ويرفع رايته فوق سيناء .

نفس الرحلة .. من الهزيمة الى الصراع الى انطلاقة التحرير .. خاضها الانسان السوري ، وبميعاد موقوت .

هذا الانسان ، في مصر وسوريا ، هو ذاته الذي صارع الهزيمة سنوات ستا ، بيد انه كان في نفس الوقت ـ لحظة ـ العبور ـ انسانا جديدا : صهره الصراع . تطهر مما كشفه تحت جلده وفي مواقعه من سلبيات . واستولد كل ما ورثه واكتسبه من ايجابيات . وما تعلمه بتواضع من خبرات تجاربه وتجارب الآخرين : أصدقاء وأعداء .

أين تكمن المعجزة اذن ؟

ليست المعجزة في العبور واجتياز الخطوة الاولى بنجاح . كل ذلك نتائج لا مصدر أسباب . المعجزة كل المعجزة في هذا الانسان البسيط .. عندما وجد نفسه وعرف طريقه . وهي معجزة انسانية تتفجر ، دوما وبلا انقطاع ، في كل شعب تظل جذوة رفض الهزيمة مشتعلة في ذلك الركن الدفين غير المرئي منه .

سلام على من قرر العبور وخطط له .

وطوبى لمن عبر ورفع الراية وما برح يواصل المسيرة ..

والخلود حق لكل من يسقط شهيدا على الطريق ..

نجيب محفوظ

عودة الروح

ردت الروح بعد معاناة طعم الموت ست سنوات ، رأيت المصري خلالها يسير في الاسواق مرتدياً قناع الذل ، يثرثر ولا يتكلم ، يقطب بلا كبرياء ، يضحك بلا سرور ، يتعامل مع المكان وهو غريب ، ويساير الزمان بلا مستقبل ، من حـــوله عرب متقاربون وقلوبهم شتى ، واصدقاء من العالم يعطفون عليه باشفاق لا يخلو من زراية ، وعدونا يعربد ، يأسرنا في السماء ، يتحدانا في الارض ، ضربة في سوريا ، لطمة في لبنان . واسأل النفس الحزينة ما العمل ، ما المصيـــر ؟ القتال منا يقال محال ، والاستسلام محال ، والاستنزاف لا يتوقف . ثم ردت الروح بعد معاناة الموت ست سنوات ، روح مصر تنطلق بـلا توقع ، تتعملق ونحلق بلا مقدمات ، تتجسد في الجنود ، بعـد ان تجسدت في قلب ابن من أبر ابنائها ، تقمص في لحظة من الزمـــان عصارة ارواح الشهداء العظام من زعمائها ، واتخذ قراره ، ووجـه ضربتـــه .

ووقعت المعجزة .

انتقل الجيش من الغرب الى الشرق .

بادر العرب الى العروة الوثقى .

ذهل الاصدقاء والاعداء .

استرد المواطن عهود مجده وكبريائه .

سارت مصر من عصر الى عصر ، ومن عهد الى عهد ، ومن موت الى خلود .

أيها الزعيم .

لقد وفرت السلاح ، ولعلمك بأن الانسان لا يحارب بالســـلاح وحده سلحت شعبك قبل ذلك بالقانون والديمقراطية والحوار الحر .

فالى الامام . ومهما تكن العواقب فقد ردت الينا الروح والعصر والمستقبل .

الاهرام
١٠ تشرين الاول

ثورة ٦ اكتوبر

انها ثورة وليست معركة فحسب . المعركة صراع بشري ينتهي بالنصر او بغيره ، اما الثورة فوثبة روحية تمتد في المكان والزمان حتى تحقق حضارة . وهي ثورة لانها لم تكن مجرد تدبير محكم وتنفيذ متقن ، ولكنها رمز لثورة الانسان على نفسه وتجاوزه لواقعه وتحديه لمخاوفه ومواجهته لاشد قوى الشر عنفا وتسلطا . والثورة قد تتعثر ولكن جذوة روحها لا تنطفىء ، فثورة ١٩١٩ كفت عن القتال المـادي بعد عامين من قيامها ولكن روحها ظلت تناضل وتبدع في مجـــالات السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة . لذلك اقول ان ٦ اكتوبر ثورة وليس معركة فحسب ، فتحت لنا طريقا بلا نهاية ، ليستمعركة التحرير الا اول دقة على بابه ، وليس العبور الا اول قفزة في تيار تحدياته ، وليس النصر الا اول نصر على عقبة من عقباته . وهـــو طريق يصادف الماضي فيه النجاح والفشل ، والنصر والهزيمـــة ، والتقدم والتقهقر ، ولكن كل اولئك مواقع وعلامات ، نمر بها ونتعلم منها ، ولا نتوقف عن التقدم ابدا .

هذه هي ثورة ٦ اكتوبر ، ثورة بطل تحرير مصر الحديثة ، ثورة الارادة والعقل والروح .

الاهرام
١٩ تشرين الاول

الدرس الاول

الدرس الاول المستخلص من ٦ اكتوبر هو الدور الذي لعبـــه الايمان في الصراع . الايمان عنصر جوهري فيروح الامة العربية . انها تستيقظ وتنام ، تأكل وتشرب ، تجتهد وتجاهد ، تتحدى وتقـاتل ، تخاصم وتهادن ، باسم الله ، بمناجاة الله ، وفي سبيل الله . لذلك فان مسؤوليتها حيال هذا الايمان خطيرة باعتباره جزءا لا يتجزأ مـن شخصيتها .

عليها ان تدعمه ، ان نقيمه على أسس راسخة مضيئة ، عليهـا ان تنقيه من الخرافات ، وتصونه من الانحرافات ، وتسمو به الى الدرجات العليا من الصفاء والنقاء .

الايمان رسالتها الذاتية في وطنها الذي كان اول وطن يدعى فيه الى عبادة الواحد الاحد منذ عهد اخناتون . وطنها الذي كان بعد ذلك مهد الرسالات السماوية ، وميدان جهاد الانبياء والمرسلين. فرسالتها هي رسالة الحب والاخاء لجميع عباد الله ، لا تفرق في ذلك بين اغلبية واقلية ، ولا تعيش فيها الاقلية بفضل حماية الاغلبية وتسامحها ولكن بصفتهم اعضاء متساوين في الحقوق والواجبات في وطن مقدس واحد ، وحد اهله حب الارض والشوق الى ذي الجلال ، جميعهم مواطنون مؤمنون من درجة واحدة ، لا تمييز بينهم الا بالكفاءة والخلـق .

بذلك تتحدد رسالة العالم العربي الانسانية الاخلاقية في هـذا العصر ، يضرب بها المثل الاعلى للمنصريين في جنـوب افريقيا ، ومضطهدي الزنوج في الولايات المتحدة ، والمتعصبين في ايرلنـدا والفليبين واسرائيل . هذا ما يطالبنا به الايمان . وهذا ما تطالبنا به ارواح الشهداء .

الاهرام
٢٦ تشرين الاول

الدرس الثاني

الدرس الثاني هو الدرس المستخلص من الانتفاع الذكي من العلم على جميع المستويات . القيادة السياسية تعمل بتخطيط منهجي دقيق وحكيم ، غزت به حصونا منيعة كانت تقف حتى الامس القريب مع العدو ، والفت بين قلوب عربية شتتها نزاع هوائي واهي الاساس فتحقق بذلك انجاز هام مهد الارض لمعركة مصير .

القيادة العسكرية كما ثبت من انتصاراتها ، وكما شهد به الاعداء قبل الاصدقاء من قوة تاكتيكاتها ، آية على الكفاءة العسكرية العلمية التي أهلتها لمعركة عصرية معقدة. والجنود الابطال لم يهجموا ويصمدوا بقوة الارادة والروح وحدها ولكن باستيعاب جيد للاسلحة الحديثة .

نستخلص من ذلك انه لا نجاح في حرب او سلم في هذا العصر بغير العلم ، انه الباب الشامخ الذي لا دخول الى العصر الا من خلاله . والعلم استيعاب ودراسة من ناحية وخلق وابداع من ناحية اخرى . ونحن نستوعب بدرجة محمودة ولكن يجب ان لا نقتنع بذلك، لا بد من تهيئة المواهب والمناخ وتشجيع البحوث التي تنقلنا من مستوى الدرس والاستيعاب الى مستوى الخلق والابداع . وليس الهدف من ذلك اثبات الذات فحسب ، ولكنه ضرورة حيوية للتعامل الحقيقي مع العصر ، بل هو السبيل الوحيد للاستقلال الذي نضحي بارواحنا في سبيله . أجل لم يعد الاستقلال حماية للحدود وحفاظا على الارض فحسب ، ولا هو حتى الاستقلال الاقتصادي مضـافا للاستقلال السياسي ، اذ انه ما دامت توجد اوطان مبدعة خلاقة في العلم واخرى متلقية مستوعبة ، فلا مفر من ان يكون الخلاق متبوعـا والآخر تابعا ولو استقل بارضه واقتصاده وثقافته ، سيجد نفسـه في حاجة متواصلة الى استيراد الخبرة والجهاز والسلاح والدواء ، سيجد نفسه عند الشدة تحت رحمة الآخرين ، ولن يكون له وجـود كريم الا اذا اسهم في الابداع وشارك في العطاء .

ولقد انهزمت المانيا هزيمة ساحقة في الحرب العظمى الثانية ، وقد انتصرت فيتنام في حرب التحرير انتصارا بطوليا أسطوريا ، ولكن لان المانيا أمة علمية فما لبثت ان وثبت الى مركز القيادة الحضارية الجدير بها . اما فيتنام العظيمة فلن تغنيها بطولتها عن طلب الخبرة والعلم من اعداء الامس .

فلنعط العلم بلا حساب وبلا حدود .
هذا ما يطالبنا به العصر .
وهذا ما تطالبنا به ارواح الشهداء .

الاهرام
٢٧ تشرين الاول

يوسف ادريس

الخــــلاص

بضربة ارادة واحدة تمت المعجزة .

تحولنــا من كائنات لا كرامة لهــا ، كائنات كالسائمة او الحيوان الى بشر ذوي كرامــة .

بضربة ارادة واحدة ردت الينا كرامتنا وعادت انسانيتنا .

لم اكن قبــلا اؤمن كثيرا بدور الفرد في التاريخ .

لم اكن اعلم ان الفرد باستطاعته حين يجمع ارادتــه ان يحتــوي فيهــا ارادة امة وتاريخ شعب وقدرة حضارة .

ولكن البطل انور السادات غيّر من مفهومي .

سحق الهزيمة الكامنــة في كل منــا حين قرر العبور .

فبقراره لم يعبر جيشنا القناة فقط .

ولكن شعبنــا عبر معه فيافي الذلة والمسكنة ، عبر الصغائــــر والحقارات ، عبر الالام التي لا يطيقها بشر ، آلام العجز ، عبر الحياة .

كيفمــا اتفق الى الحياة كما يجب ان تكون .

كان العبور هو الخلاص .

يا لسعادتي وانا اسمع اسرائيل تتحدث عن (العدوان) المصري ،

يا لوقع الكلمة الحبيبة في اذني اننا اخيرا اصبحنا معتدين .

نحن اصحاب حق ولا يستعيد الحق الا اصحاب معتدون .

اكاد لا اصدق كل ما يحدث .

احقا اصبحنا نقاتل لاستخلاص ارضنا وكرامتنا ؟

احقا ثبت لنــا اننا لا عيب فينا وانمــا العيب دائما في الظروف ؟

احقا عبرنا القناة ونحــررسيناء ونحطم المدرعات ونسقط الطائرات ونأسر منهم مئــات ؟

احقا يحدث هذا كله ؟

بأيدي مصريين مثلي ومثلك ؟

الم اقل انهــا المعجزة ؟

معجزة ارادة الامة حين تحتويها ارادة بطل .

فبهذا ، وبهذا وحده تتحقق المعجزات .

الاهرام
١٢ تشرين الاول

يميــن الســـلام

لم يكن عبور قواتنا المسلحة القناة واقتحام خط بارليفوتحرير شرق سيناء عمــلا بطوليــا في حد ذاته ، لقد كــان واجبا . امــا البطولة الحقة ، امــا الملحمــة التي ستظل اجيال كثيرة ، واجيــال تتحدث عنها فهي الطريقــة التي ادت بهــا قواتنا هذا الواجب المقدس.

والبطولة كلمة ــ في رأيي ــ مبهمة ، ان هاملت شكسبير بطــل وعطيل بطل ومحسن « عودة الروح » بطل ، ولكن البطولة هنــا هــي ما تكشف عن انسانــا المصري العادي من قوى خارقــة لم تكن قبلا ملحوظــة فيه . ان المقاتليــن المصرييــن كانوا اولئك الشبان الذيــن كنت تراهم ولا تزال تراهم في شوارع القاهرة كائنات بشرية شابــة مبتسمــة طيبة مسالمة ولكن ، كان لا بــد ان تشهــد هؤلاء وقد واجهوا العدو ، انشبوا اظافرهم فيه ، لترى الى اي آماد خارقــة تفتق عن هذا الانسان المصري العادي كائنــا لم نعرفه ابدا ولم نكــن نتصور وجوده. ولقد اتيح لي ان ازور قريبا لــي جاء جريحا من الجبهــة مصابــا برصاصة في كفه . كنت اعرفه وكان يأتينا قبل الحرب شابا ظريفــا حاضر النكتة احيانــا يحدثني عن اشتياقه للقتال وظمئه ان نخــوض الحرب وكانه يتحدث عــن شغفه برؤية فيلم جديد . في المستشفــى وجدته كائنا اخر ، انسانا تكشفت عنه الغشاوات تماما ، ثاقب النظرة ثاقب الفكر ، جريئا وكأن الخطر عبث ، وكان يصرخ طالبا ان يفــك عنه حصار المستشفى وان يعود لرفاقه في الميدان .

كان سعار حرب التحرير قد اصابه وحوله من المصري كما يحيــا ويوجــد الى المصري كما يجب ان يكون . وحدثني طبيب المستشفــى عن الحكيمة المسئولة عن العنبر ان زوجها واخاها وزوج اختها يقاتلــون

في سيناء وهي تعمل طوال الاربع والعشرين ساعة بلا كلل وانما بابتسامة غريبة كأنما تفتقت عنها ابواب السماء تحتل وجهها تزيل عنها وعن الاخرين التعب وتبث روح القتال وتبعث الامل . والظاهرة ليست افرادا مبعثرين ، انهـا كل مـن لمستهم نار الحرب المقدسة ، كل من اطلق طلقة ، كل من عبر ولم يعبر ، كل من صاح وهو يهجم على الوكر اليهودي مسددا سلاحه صائحا : الله اكبر .

هذه الظواهر دفعتني للتفكير ، منذ مائة عام ، منذ احقاب طويلة واحقاب وشعبنا يتحرق شوقا لمواجهة عدوه . العدو الغامض المستتر دائما خلف لافتات او ادعاءات او احلاف . والعدو الذي لم يتح لنا ابدا قتاله منذ موقعة رشيد ، الانجليزي مرة والاميركي مرة والصهيوني مرة . العدو الذي واصل خنقنا باصابع من فولاذ لا ترى ، الذي كان يكبل تقدمنا بقيود بالغة العنف . العدو الذي حرص دائما وابدا على ان لا يدع لشعبنا مطلقا فرصة قتاله او القيام بثورة شعبية مسلحة ضده . كنا ما تكاد تتكامل اسباب الثورة وظروفها وما تكاد تحين لحظة الالتحام حتى يجهض المعركة فينسحب مرة الى فايد وصحراء السويس ، او يخلق الظروف التي تجبرنا على ايقاف القتال واطلاق النار ، دائما ينأى عن اظافر الشعب ان تشرع وعن انيابه ان تظل فهو يعلم العلم اليقين ان لو حدث مرة واتيح لشعبنا ان يخوض معركته المسلحة فان الشعب لن ينتصر فقط وانما ستذوب في نار الحرب التي يخوضها الشعب كل ادران الماضي وصغاراته ، ستنفك القيود ، سينطلق الانسان المصري جديدا كما لم يعرفه العالم منذ زمن طويل ، يبني مصر الجديدة العملاقة ، رافعا راسه الى اعلى والى الابد ، وهو ما خشيه دائما اعداؤه الفرنسيون والانجليز والاميركان والصهيونيون . ان حروب التحرير لا تخرب البيوت . انما تعمر البيوت ، ولا تقتل الرجال ، انما تبني الرجال وتستنبت الرجولة في الرجال . انها تحيل الانسان الصاغر من عبد الى حر يملك قدره ويصنع مصيره ويملي على الحياة ارادته .

وهكذا فان الثورة الرابعة التي قادها العظيم انور السادات بعد ثورات ٨٢ ، ١٩ ، ٥٢ كانت اول حرب تحرير حقيقية نخوضها شعبا وقوات مسلحة ، امة وافرادا ، زعيما وقاعدة . ومنها سننطلق ، ولن يكون هناك حد لانطلاقنا . سنبني حضارتنا الحديثة التي طال الحديث عنها ، نحرر انساننا ويتحرر ويسبق ويبني ويبتكر ويخلق .

وهكذا ايها الابطال الذين صنعتم لنا المجد ، ايها الابطال الذين استشهدتم والذين جرحتم والذين سلمتم . ان كل نقطة دم نزفت من شهيد او من حي لن تذهب عبثا . ستظل عبر الاجيال تحفظ لها الجميل ، سنظل باعيننا نراها ونرعاها ونشمها ونستوحيها ، فمن نقط دمائنا الغالية التي بعثرت على رمال سيناء سننسج خيوط المستقبل ومن رائحة الدم سنسكب ملء البحر عرقا وسنبذل كل ما نملك من دم ودموع .

وعلى هذا نقسم ، والله سبحانه على ما نقول شهيد .

الاهرام
٢٦ تشرين الاول

بدايـة ثورة رابعة

ان ما حدث في مصر ولمصر يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، لا يمكن ان نسميه بداية حرب تحرير فقط ، لان في هذا غبنا له اي غبن ، انه في الواقع بداية للثورة الرابعة للشعب المصري ، تلك الثورات التي بدأت بثورة احمد عرابي ١٨٨٢ ، ثم ثورة ١٩ ، ثم ثورة ٥٢ ، ثم ثورة ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، بل اكاد اقول انها اعظم هذه الثورات جميعا ، لانها بدأت والشعب المصري في اعمق اعماق الهزيمة ، بدأت والشعب في حالة من الاحباط ، وفي حالة من فقدان الشخصية ، وفي حالة من الياس ، وفي حالة من التردي في مغارات الحرمان ، وانتفضت به من هذه الاعماق كلها ، الى قمة الثورة . وقمة الثورات في رايي ، هي الثورة الشعبية المسلحة ، تلك التي يمسك فيها الشعب بسلاحه ، ويدافع به عن وطنه ، ويواجه عدوه وجها لوجه ، وبندقية لبندقية ، ودبابة لدبابة . وهذا هو ما حدث يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، لقد قادنا انور السادات في هذه الثورة الشعبية المسلحة قيادة لا اقول انها قيادة شخص عادي ، لكنها قيادة بطل تحسس نبض الشعب ، وادرك انه يختزن في اعماقه طاقة وقوة ، قادرين على كبح جماح العدو ، فأعطى اشارة البدء بالمعركة ، كانت ضربة ارادة قوية اهتزت لها اعماق الشعب ، وتكشفت عنها بطولاته ، وما نسمعه الان من هذه البطولات الخارقة ليس جديدا ، وما سنسمعه عنها لن يكون جديدا ، لان هذا الشعب يحتوي بين صدوره كل مقومات البطولة ولكن وكأنها كانت هناك مؤامرة من الاستعمار العالمي ، والقوى الرجعية ، والحكام الطغاة ، على كبح جماح هذه البطولة ، وعلى دفنها وعلى افقاد الشعب لشخصيته . كان الاستعمار طوال الوقت يتحاشى الالتحام مع الشعب او يتحاشى بمعنى ادق ان يحمل الشعب سلاحه دفاعا عن حقه في الثورة ، وحقه في التحرير ، ولهذا حين قامت المظاهرات سنة ١٩٤٦ ، واحس الانجليز ان الشعب على وشك الغليان ، جلا الانجليز الى منطقتي فايد والسويس ، وحين حدث عدوان ١٩٥٦ ، ما كاد العدوان يبدأ حتى فوجئنا بايقاف اطلاق النار . وهذا هو ما حدث سنة ١٩٦٧ ، فما كادت الحرب تبدأ حتى انتهت دون ان يتمكن الشعب من ان يدافع عن نفسه ، ومن مواجهة عدوه ، ومن حمل السلاح دفاعا عن حريته ، ولهذا فنحن الان في فترة من اعظم فترات هذا الشعب ، انني امشي في الشوارع واصافح الوجوه بناظري ، فاذا بها حافلة بالبشر ، واذا بالامل يتفتح ، ولم يحدث اي تغيير يذكر في حياتنا ، لم يحدث سوى ان هذا الشعب احس انه لاول مرة يحمل السلاح دفاعا عن نفسه ومواجهته لعدوه ، انها ثورة . ثورة بالمعنى الكامل للثورة ، وكل ما اتمناه ان تمضي هذه الثورة قدما ، لتخلق مصر الجديدة ، مصر التي بشرنا بها ، والتي آمنا بها . والتي تفاءلنا بوجودها ، ان تخلق هذه المرة ذلك الخلق السوي الذي انتظرناه لها جميعا ، ذلك الذي حلم به عرابي ، ذلك الذي بشر به سعد زغلول ، ذلك الذي كافح من اجله جمال عبدالناصر ، نريد لكل هذا ان يتحقق على يد انور السادات ، وعلى يد الشعب المصري ، المتحرر ، الحر ، المدافع عن نفسه ، عن امجاده وعن تراثه ، وعن تاريخه .. المعيد الى الاذهان كل بطولاته السابقة من ايام احمس .. الى قطز .. الى انور السادات . اني لشديد التفاؤل ، وعظيم الامل ، في ان كل ما حلمنا به ، وما ضيعنا العمر من اجله ، سيتحقق في هذه الثورة الرابعة من ثورات الشعب المصري .

الطليعة
عدد تشرين الثاني

محمود امين العالم

معركة تاريخية فاصلة

لقد بدأت معركة التحرير العربية مرحلة جديدة من مراحلها ، واستطاعت ان تحقق مع بداية هذه المرحلة خطوات رائعة حقا في الطريق الطويل الصعب لاستعادة الارض العربية المحتلة ، والثقة العربية المهتزة والكرامة العربية المهدرة .

ان هذه المرحلة هي بغير شك تتويج للمراحل النضالية السابقة قبل هزيمة عام ٦٧ وللمعارك الصغيرة التي خاضتها أمتنا العربية بعد هذه الهزيمة ، معارك رأس العش وايلات والكرامة وعمليات المقاومة في الاغوار وجنوب لبنان واخيرا حرب الاستنزاف . وهي كذلك تتويج لجهود سياسية ودبلوماسية على المستوى العربي والعالمي ، وهي استفادة ذكية لاوضاع عالمية ملائمة ، وهي استجابة ثورية لارادة أمتنا العربية التي عبرت عن نفسها بمختلف وسائل التعبير السياسي والثقافي والاجتماعي .

لم يكن امام أمتنا العربية من سبيل غير المعركة ، لانتزاع ارضنا المحتلة من براثن العدوان الاسرائيلي بحد السلاح ، وقهر المخطط الصهيوني الاميركي ضد الامة العربية بحد السلاح ، السلاح العسكري ، والسلاح الاقتصادي ، والسلاح السياسي والدبلوماسي ثم السلاح القومي الذي يتمثل في وحدة العمل العربي على المستوى الرسمي والجماهيري والاقتصادي والعسكري .

وبخوض معركة التحرير العربية الشاملة ، تتحرر الامة العربية مما يعوق حركتها التاريخية نحو تأكيد ذاتها ، وتجديد حياتها ، والارتفاع الى مستوى عصرها تفاعلا خلاقا ، وفعلا خلاقا كذلك .

لهذا كان ٦ اكتوبر بداية مرحلة جديدة في معركة التحرير والتحضير العربية .

ولهذا كذلك لا ينبغي ان تتوقف هذه المعركة دون تحقيق هدفها الاخير .

لقد عبر الانسان العربي منذ الايام الاولى للمعركة أسوار القلق والانتظار الممض واليأس ، واقتحم أحاسيس الهزيمة وانطلق من مرحلة اجترار الاحزان المرة الى مرحلة الفعل الخلاق المظفر ، وصادم بجسارة واقتدار قوى العدوان الاسرائيلي الصهيوني الاميركي ، واستعاد ثقته وثقة شعوب العالم في كنوز طاقاته النضالية الكامنة .

على انه في مرحلة الاندفاع البطولي نحو تحقيق هدف قومي تاريخي كبير ، يكون التوقف خطيئة لا تغتفر ان لم يكن استعدادا لمواصلة اندفاع اكبر نحو هذا الهدف .

ان وقف اطلاق النار ليس نهاية للمعركة ، ولا ينبغي ان يكون . بل هو مجرد منحنى من منحنيات الحركة النضالية في طريقها الصاعد . وهذا ما ينبغي ان يكون .

انه ليس وقفا لاطلاق النار على غرار ما تحقق عقب انكسار الجيوش العربية عام ٦٧ واجتياح الغزاة الاسرائيليين للاراضي العربية في الجولان والضفة الغربية للاردن وسيناء . انه مجرد لحظة سكون مؤقتة مشحونة بالتوتر وأقصى درجات الاستعداد في غمرة معركة لم تحسم بعد برغم ما حققته من انتصارات عسكرية وسياسية ومعنوية .

ونتساءل : هل من سبيل لحسم هذه المعركة بغير جولة اخرى ، بغير مواصلة النضال ؟ ما أظن ذلك .

ان الجرح النازف من جسد الوحش الاسرائيلي سيزيده توحشا وشراسة . لقد أصيب الوحش الاسرائيلي ، لا في غروره وغطرسته فحسب ، بل في فلسفته التي يقيم عليها كيانه العدواني كله . ولقد أصيب في مؤسسته العسكرية الحاكمة ، وأصيب في استقرار اوضاعه الاجتماعية والاقتصادية الداخلية ، واصيب في قوته الجاذبة لآلاف المهاجرين اليه من يهود العالم ، وأصيب في علاقاته الدولية ، لا من الدول الافريقية التي يتوالى قطع علاقاتها به وحسب ، بل من دول اوروبية كانت تسانده ، أو تعطف عليه ، وأصيب كذلك بانفجار تناقض سوف يتسع داخل الولايات المتحدة الاميركية نفسها سنده الاساسي في العدوان والتوسع بل الوجود .

ان الوحش الاسرائيلي لا يلعق اليوم جراحه فحسب ، وانما هو يتأهب كذلك لاستعادة كيانه العدواني الاصيل بعدوان غادر شرس جديد علينا . انه يدرك ان انتصار الامة العربية عليه ــ حتى في

حدود استرجاع ما احتله من اراضيها منذ عام ٦٧ ـ هو بداية النهاية لكيانه العنصري الصهيوني العدواني كله ، ولهذا فان معركته هي معركة الحياة والموت لهذا الكيـان .

ووهم كبير أن نتوقع ضغطا اميركيا عليه يعيده الى حـدود عام ٦٧ ، أو اتفاقا سوفياتيا اميركيا مشتركا يعيده الى هذه الحدود. ان أميركا ـ نيكسون فضلا عن طبيعتها الاحتكارية المندمجة المصالح مع العدوانية الاسرائيلية الصهيونية التي تغذيها الصهيونية ، أبعد من ان تقوم بهذا الضغط ، بل أعجز عنه ، في هذه الايام بالذات بسبب فضيحة ووترغيت ، برغم ما أصاب مصالحها في الشرق العربي من أضرار ، وما تتعرض له علاقاتها بحلفائها الغربيين من أخطار . ولهذا تقوم اميركا اليوم بلعبـة الديبلوماسية المزدوجة . وجـه ديبلوماسي ترفع فيه راية السلام والدعوة الى انسحاب القـوات الاسرائيلية الى حدود ٦٧ واحترام الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني ، ووجه عملي آخر تدعم به العدوان الاسرائيلي وتتآمر به ومعه سعيا وراء اجهـاض الاندفاع التحريري العربي بالتخـدير والتضليل والمناورات الخبيثة المطلة . ان اميركا تتحرك بين عـدة محاذير : حرصها على استمرار الانفراج الدولي بينها وبين الاتحاد السوفياتي ، وحرصها على استعادة مكانتها بين حلفائها الغربيين ، وحرصها على حماية مصالحها البترولية والاستغلالية عامة في الشرق العربي ، ودعم علاقاتها بدوله بل استعادة نفوذها فيها ، وحرصهـا على حماية الكيان الاسرائيلي الصهيوني العدواني كلب حراستها لهذه المصالح وأداتها لضرب حركة التحرر والتقـدم والوحدة العربية ، بل سمسارها في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، وفضلا عن هـذا كله ، حرصها على ضرب التحالف المتصاعد بين حركة التحرر العربي ومنظومة البلاد الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي .

لهذا كله تلعب اميركا لعبتها المزدوجة في معركتنا التحررية . ديبلوماسية سلام وواقع عدوان وتآمر ومناورة .

لهذا لا ينبغي ان نتـوقع من اميركا غير الكلمات والوعـود ومحاولات الدوران والمماطلة في متاهات اللقاءات والمباحثات المجدبة البليدة . ولكن ... ألا تستطيع مرحلة الانفراج الدولي التي يعيشها عالم اليوم ، ألا تستطيع عـلاقات اميركا الجديدة مع الاتحـاد السوفياتي أن تفرض عليها موقفـا آخر من اسرائيل ؟ ان الانفراج الدولي أرضية ملائمة بغير شك لتحقيق الانتصار على قوى العـدوان الاسرائيلي الاميركي . وهو بغير شك كذلك عامل حاسم من عوامـل ما نراه من تناقض وتفكك بين البلاد الاوروبية الغربية في الموقف من اسرائيل ، بل ومن التصرف المستقل عن اميركا ، وعزلتها ، وهـو كذلك عامل من عوامل هذا الموقف المزدوج الذي تتخذه اميركا مـن قضيتنا . فلاول مرة تعترف بقرار مجلس الامن الصادر عام ٦٧ وتؤكد على ضرورة تنفيذه ، وعلى ضرورة انسحاب اسرائيل الى خطـوط عام ٦٧ ، وان تكن في الوقت نفسه تواصل مساندتها لاسرائيـل وتآمرها معها . على ان الانفراج الدولي لن يكون وحـده العامل الحاسم في حل قضيتنا حلا عادلا نهائيا . ذلك ان الانفراج الدولـي لا يلغي الصراع بين أطرافه ، انه بغير شك يحـد من تفاقم الصراع حتى يبلغ ذروة صدام دولي مسلح ، ولكنه لا يوقف تدفق الاسلحة الاميركية الى اسرائيل وتدفق الاسلحة السوفياتية الى العرب . ولهذا فان العامل الحاسم في معركتنا هو نحن . هو اصرارنا على التمسك بحقنا في مواصلة معركتنا حتى تحقيق هدفنا التحرري ، هو وعينا بهدفنا وعيا موضوعيا صحيحا ، وهو حسن تخطيطنا العلمي لنضالنـا على المستوى العسكري والشعبي والدولي ، على المستوى السياسي والاقتصادي والبشري ، هو عمق وعينا بحقيقة الاوضاع العالميـة ، وقدرتنا على حسن الاستفادة منها ، هو اقتدارنا على تعميق وتوسيع تحالفاتنا المبدئية مع أصدقائنا ، وعزل أعدائنا .

ان الانفراج الدولي أرضية مـلائمة لمعركتنا ، ولكن العامل الحاسم فيها هو نضالنا نحن .

انها معركتنا من أجل تحرير الارض المحتلة ، واقرار الحقـوق المشروعة العادلة للشعب العربي الفلسطيني ، وهي معركتنا من أجل اطلاق الطاقات العربية في طريق الازدهـار الاجتماعي والثقافي ، والوحدة القومية والاضافة الحضارية الخلاقة .

ان وحدة العمل العربي في هذه المعركة ، هذا التنسيق الرائع ، والمشاركة الايجابية في تهديد المصالح الامبريالية للدول التي تساند اسرائيل ، وهذا الاسهام الايجابي المتنوع الابعاد في عبء المعركـة سياسيا واقتصـاديا وعسكريا ، هو في الحقيقة أرض الاختبـار والاختمار للمنهج الموضوعي لتحقيق الوحدة القومية الشاملة ، فضلا عن انه ايقاظ وحفز لكل قوى النضال من أجل التحرر والتقـدم والديمقراطية في وطننا العربي الكبير .

وان تحالفنا المبدئي مع القوى الاشتراكية والديمقراطية والسلام في العالم هو دعم وتنمية لنضالنا التحريري والتقدمي والقـومي ، وهو دعم كذلك للنضال الانساني كله من أجـل الحرية والتقـدم والسـلام .

هذا هو معنى معركتنا التحريرية . وهـذا هو معنى ضرورة الانتصار فيها ، من اجل مستقبلنا الحضاري ومن اجل مستقبـل الحضارة الانسانية كلها .

انها معركة تاريخية فاصلة ، وانتصار تاريخي فاصل . واذا كنا قد حققنا في الجولة الاولى لهذه المعركة انتصارات رائعة للانسان العربي في طريق هدفه الكبير ، بعبور القنـاة وتدمير خط بارليف والاندفاع في سيناء والجولان ووحدة العمل العربي وعزلة اسرائيـل واميركا دوليا ، فلا ينبغي أن نغالي في تقدير هـذه الانتصارات الا بمقدار ما تدفعنا الى مزيد من المواصلة حتى يتحقق الهدف التحريري الكبيـر .

كما لا ينبغي ان نغالي في تقدير ما تحققه اسرائيل من تسلـل مضاد في أرضنا في الضفة الغربية للقناة أو نتهاون كذلك في هذا التسلل . انها لا تستطيع بهذا التسلل ان تشرخ ما حققناه مـن انتصار ، بشرط ان نواصل معركتنا لتحرير ضفتنا الغربية منهـا ، وتعقبها في اصرار واقتدار حتى يتحقق لنا النصر .

ولا ينبغي ان نستنيم الى وعود اميركا ، في وقت تواصل فيه دعمها للعدوان وتآمرها معه لاخراجه من محنته ، واستعادة سيطرتـه على كيانه المهتز المأزوم .

ان معركتنا ليست معركة محلية محدودة بين الثورة العربيـة وبين الصهيونية العالمية ، بل هي معركـة تاريخية بيننا وبيـن الصهيونية العالمية والامبريالية الاميركية . وهي معركة طويلة وشاقة ومعقدة ، ومتعددة المراحل والجولات .

واذا كنا نرفع شعار السلام القائم على العدل ، واذا كنا نحترم المواثيق الدولية ونتحرك في اطار المشروعية الدولية ، فينبغـي ان ندرك كذلك ان لا سبيل الى تحقيق هذا الا بقوة النضـال وفاعليتـه

وحسن تخطيطه وتنفيذه .

فهذا هو المنهج الوحيد الذي يتحقق به العدل والسلام لنا وللعالم . ذلك ان الانفراج الدولي ليس كما يزعم البعض تواطؤا بين دولتين كبيرتين هما الاتحاد السوفياتي واميركا ، وليس علاقة تكتيكية بينهما ، بل هو واقع أملته ظروف موضوعية متعددة ، لعل في مقدمتها قوة النظام الاشتراكي العالمي العسكرية والاقتصادية ونموه المطرد اقتصاديا وسياسيا وثقافيا ، ونمو تحالفه الموضوعي مع ثورات التحرر الوطني في العالم . ولهذا فان انتصارنا في معركتنا التحريرية - وان يكن الانفراج الدولي أرضية ملائمة لها - فان هذا الانتصار نفسه هو انتصار للانفراج الدولي نفسه ، بل هو عامل من عوامل دعمه وتثبيت مبادئه . ان انتصارنا ليس مجرد اختبار لهذا الانفراج بل هو دعم وتنمية له . ذلك لان انتصارنا هو انتصار للحرية والعدل والسلام في العالم أجمع وليس انتصارا لقضيتنا التحريرية وحدها . ان انتصارنا على العنصرية الصهيونية وعلى المساندة الاميركية لها هو دعم لقوى التحرر والتقدم والديمقراطية والسلام في العالم . فالصهيونية التي تتجسد في اسرائيل ليست حربا علينا فحسب بل هي حرب كذلك على قوى التحرر والديمقراطية في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، بل هي قوة تآمرية ضد النظم الاشتراكية والتقدمية في العالم .

ولهذا فان المعركة التي تخوضها أمتنا العربية هي معركتنا وهي معركة العصر كله كذلك .

ولهذا فلا بد من الانتصار فيها . انه انتصار ممكن ، وهو انتصار ضروري كذلك .

ان تجدد الصدام بيننا وبين العدوان الاسرائيلي هو الاحتمال الاكبر ، بل هو فيما يبدو السبيل الوحيد لتحقيق السلام العادل في الشرق العربي . ان موائد المباحثات لن تتحرك حركة نشطة فعالة الا على صوت المدافع . حقا ، ان الحرب ليست ارادتنا الوحيدة . فارادتنا هي السلام العادل ، ارادتنا هي تحرير أرضنا المحتلة واقرار الحقوق المشروعة لشعب فلسطين . الا ان الحرب هي الضرورة التي يمليها علينا العدوان الاسرائيلي والمساندة الاميركية له .

وان حرصنا على السلام لا يتناقض مع خوضنا المعركة حتى النهاية . فمعارك التحرير في ذاتها هي معارك سلام . وان حرصنا على المشروعية الدولية لا يتعارض مع مبادراتنا بمواصلة تحرير ارضنا بحد السلاح واحقاق حقنا بالقوة المسلحة . فالمشروعية الدولية معنا ، وانتصارنا هو تدعيم لها ، لانه هزيمة للعدوان الاسرائيلي والاميركي على هذه المشروعية . وان حرصنا على مواصلة الجهود الدبلوماسية سعيا وراء استكمال تحقيق هدفنا التحريري بالعمل السياسي لا يتناقض مع حرصنا على التأهب والحذر ، ومواصلة المعركة دعما للعمل السياسي نفسه وتحقيقا لارادة الحرية والعدل والسلام لنا وللعالم أجمع . ولنحذر كل محاولة استعمارية صهيونية للغدر او المناورة او التآمر لاجهاض معركتنا واحباط اندفاعنا النضالي .

ان معركتنا مستمرة ما دام العدوان الاسرائيلي قائما متصلا . ولن تتوقف المعركة دون ان يتحقق لها الانتصار الكامل لقضيتنا العادلة .

على انه اذا كانت معركتنا تتحرك باستراتيجية عسكرية وسياسية موحدة على المستوى العربي والعالمي ، فما أشد حاجتها كذلك الى بعد استراتيجي ثقافي على المستوى العربي والعالمي كذلك . بل لعل الاستراتيجية الثقافية ان تكون عاملا رئيسيا من عوامل الانتصار لاستراتيجيتنا العسكرية والسياسية . ذلك ان الاستراتيجية الثقافية تعني مواصلة تعبئة قواتنا المسلحة بالوعي الصحيح بحقيقة قضيتنا ونضالنا ، وبالعقلانية العلمية الموضوعية بأساليب النضال ، وبروح اليقظة والاندفاع الواعي الجسور . والاستراتيجية الثقافية تعني مواصلة حشد كل الطاقات البشرية في أمتنا العربية حشدا خلاقا ، في مختلف مجالات الخدمة والانتاج والمقاومة المسلحة والمساندة الفعالة لقواتنا العسكرية . والاستراتيجية الثقافية تعني التحرك في العالم أجمع بوجهنا الحضاري ، بقضيتنا العادلة ، بمختلف وسائل التعبير الادبي والفني ، لمساندة استراتيجيتنا السياسية والدبلوماسية وكسب المزيد من الاصدقاء لقضية نضالنا العادل . ان الصهيونية تسيطر على أغلب وسائل الاعلام في العالم الغربي ، على ان حركتنا الثقافية النشطة تستطيع ان تقوم بدور مؤثر في جماهير العالم ، عن طريق الكتاب والفيلم والمعرض الفني ، والفنون الشعبية وغير ذلك من وسائل التعبير الثقافي .

ان حاجتنا الى وضع استراتيجية ثقافية عربية منسقة موحدة شاملة نتحرك بها على مختلف مستويات النضال ومجالاته ، واجب أساسي ، بل بعد أساسي من أبعاد نضالنا ، وركن أساسي من اركان الانتصار فيها . ولن تكون استراتيجيتنا الثقافية مجرد سلاح من أسلحة النصر ، بل ستكون بمشاركتها الفعالة في هذه المعركة معنى من معاني الانتصار فيها ، وثمرة كذلك من ثمراته . بهذه المشاركة ، وبهذا الانتصار ستتجدد الثقافة شكلا ومضمونا وسيتحقق لها أرفع مستوى من النضج والتألق لا بالتعبير فحسب عن معاناة النضال وتضحياته وبطولاته ، ولا بالتعبير فحسب عن جوهر الانسان العربي المناضل من أجل أشرف القيم الانسانية ، ولا بالمواصلة الخلاقة فحسب لارفع ما في تراثنا العربي المجيد من كنوز فكرية وفنية ، بل بارساء قيم وكنوز انسانية جديدة في مجتمعنا وانساننا العربي الجديد المنتصر . ان انتصارها بالمعركة وفي المعركة ، سيكون دعما لوحدتنا القومية وانتصارا وازدهارا لانسانيتنا العربية ، ولانسانية الانسان في عصرنا ، وسيكون اضافة حضارية جادة . ولهذا فما أجدر المثقفين العرب ان يتنادوا اليوم لعمل ثقافي عربي مشترك يسهمون به في تغذية المعركة وانتصارها .

تحية للقائدين المناضلين أنور السادات وحافظ الاسد اللذين اتخذا القرار الحاسم ببدء المعركة .

وتحية لوحدة النضال العربي .

وتحية لقواتنا المسلحة الباسلة وللمقاومة الفلسطينية المجيدة . وتحية لوحدة النضال البشري من اجل الحرية والعدل والسلام. والنصر للنضال العادل لامتنا العربية .

القاهرة — **محمود امين العالم**

زكي نجيب محمود

يومهم السابع

كانت حرب ٦٧ حربا مدتها في حساب الاعداء ستة ايام ، ظنوا ان سيأتي لهم بعدها سبت الراحة ، لكن دقتهم في حساب أموال الناس قد أخطأتهم في حساب الايام والحوادث ، توقعوا بعد نهاية الايام الستة يوما سابعا يستريحون فيه الى الابد ، واذا بالايام السابع والثامن والتاسع وما تلاها ، واذا بالسنوات الاولى والثانية والثالثة والى ان استأنف القتال حدته هي كلها يوم سادس مكرر ، واذا بحرب الايام الستة في حسابهم ، تصبح حرب الاعوام الستة في حساب الفلك ، وسوف يكون سابعها لا سبت الراحة لهم كما توقعوه ، بل سيكون عليهم يوم الثأر والعذاب ، جزاء ما غدروا وما استكبروا عن صلف مجنون ، فللبحر الساكن غضبة اذا ما عصفت الريح ، وللعدل والحق عند الله ميزان ، وانكم أنتم يا أبناءنا على أرض سيناء وفي سمائها وفوق بحرها ، لموكلون بمشيئة الله ان تردوا لنا الارض السليبة والكرامة المهدرة ، والنصر حليفكم بعون الله .

الاهرام
١١ تشرين الاول

هذه بعض سماتنا

عندما تزهر الشجرة او تثمر ، فان لحظة ازهارها أو اثمارها لا تكون كسائر اللحظات في حياتها ، لانها لحظة اكثر أصلا وهدفا ، فشجرة القطن لا تصبح تعبيرا من سواها عن طبيعة تلك الشجرة شجرة قطن بكامل معناها الا عند تفتق الزهرة وظهور الثمرة آخر الامر ، وأما قبل ذلك فهي في طريق الاعداد للهدف ، فاما حققته فحققت طبيعتها ووجودها ، وأما أخفقت فكانت الى حطب الحريق أقرب منها الى شجرة القطن : ولقد أتصور الشجرة ساعة ازهارها او اثمارها ، تستجمع كل كيانها في فعل واحد ، هو فعل الولادة للكائن الجديد ، وربما حدث لاجزائها نوع من التوتر ، لينفرج لخروج الزهرة او الشجرة من عالم الخفاء الى عالم الشهادة .

وقد يكون هذا نفسه هو ما يحدث فيحالة الابداع الفني ، فهنالك ارهاصات مبهمة تسبق ذلك الابداع ، وتشيع في كيان الفنان شيئا من القلق الغامض ، ثم ما هو الا أن تجيء اللمعة فيتحدد الهدف والطريق ، هكذا يكون الكائن الفرد في حياته ، وهكذا ايضا تكون الامة ، فلكل أمة لحظاتها الفريدة التي تتبلور فيها أخص خصائصها لا لانها خصائص تظهر فجأة من عدم ، بل لانها كائنة هناك ، تنتظر اللحظة ـ لحظة الازمات ـ فتتجمع بعد تشتت ، وتتبدى بعد غموض واختفاء ، وفي لحظة كهذه تتقاطع كل الخطوط لتلتقي في نقطة واحدة ، لو احسنا تحليلها ورؤيتها ، كشفت لنا عن غوامض النفس وخوافيها .

وأعتقد ان الامة العربية اليوم تعيش لحظة من هذه اللحظات الكاشفة ، فلكم سأل منا كاتب : من نحن ؟ ما حقيقتنا وأين نكون ؟ لكم قال فينا قائل : اننا في هذه المرحلة المرتجة من تاريخ العالم ، نريد البحث عن هويتنا حتى لانذوب ونمحي في هويات الاخرين ؟ وها هي لحظة مخبارية نجتازها ، قد تهدينا الى بعض الاجابات عن أسئلة الكاتبين وأقوال القائلين ، فماذا نرى في لحظتنا الراهنة على سبيل الاجمال ، الى ان يتاح لنا سبيل البحث المفصل المستفيض ؟

نرى أول ما نرى أمة تتحقق وحدتها بفعل موحد مشترك ، فلقد قالها الامام ابن تيمية منذ زمن بعيد ، حين قال ان فكرة « الامة » لا تتحقق لمجموعة من الناس الا اذا اشتركوا في « فعل » واحد ، ان فكرة الامة لا تتحقق ـ عند ابن تيمية ـ لمجرد ان يعيش افراد المجموعة على رقعة جغرافية واحدة ، ولا لانهم يشتركون في تاريخ واحد ، ولا لانهم يتكلمون لغة واحدة ، بل تتحقق فكرة « الامة » في حالة واحدة وبشرط واحد ، هوان تلتقي فاعلياتهم في فعل موحد يستهدف هدفا واحدا ، وذلك لانه بالفعل المشترك يجاوز كل فرد حدود نفسه لينفتح على الآخرين الذين يشاركونه في اداء ذلك الفعل. ان التجاوز المكاني وحده لا يكفي في ايجاد الرابطة الحيوية العضوية التي تجعل من الامة أمة واحدة ، فالمتفرجون في دار السينما يتراصون متجاورين على مقاعدهم، بل وتتجه انظارهم الى شاشة واحدة ، ويتتبعون قصة واحدة ، ومع ذلك فلا شأن للواحد منهم بمن يجلس على يمينه او على يساره ، دع عنك من يجلسون وبينهم وبينه صفوف ، لكن ما هكذا الحال في فريق الكرة ، فها هنا يتفرق اللاعبون على أرض اللعب ، لكنهم يترابطون معا برباط الفاعلية الواحدة المشتركة المنبثقة من الداخل ، فالكسب لهم جميعا والخسارة

عليهم جميعا ، وضربات الكرة باقدام اللاعبين تأتي متكاملة يعاون بعضها بعضا على اصابة الهدف المشترك .

هنالك مجموعات بشرية تجمع أفراد المجموعة الواحدة منها « دولة » واحدة ، لكنك لا تشعر بين أفرادها بمثل هذا الرباط العضوي الذي أشرنا اليه ، فسكان الولايات المتحدة لم ينصهروا بعد في « أمة » واحدة ، ولا يصعب على الزائر ان يرى بين الافراد مثل الرابطة التي يترابط بها الشركاء في عمل تجاري واحد او في ادارة مصنع واحد ، هي ما تزال رابطة المصلحة ـ والمصلحة المادية فوق كل شيء ـ ولا غرابة ان يكون أول ما تسمعه ممن تلاقيهم من أفراد ، هو ان يذكر لك المتحدث اليك أصله الاوروبي او غير الاوروبي الذي ينتمي اليه اول الامر . فيقول لك : أنا الماني ، او انا ايطالي وهكذا ، ولقد لحظت أثناء اقامتي هناك فترة ، بعض الجهود التي يبذلها كتابهم نحو « أمركة » الاميركيين في « أمة » ، وليس ذلك بغريب عنا نحن العرب ، وقد رأينا كيف ينتمي الاميركي اليهودي الى ما يتصل بيهوديته قبل ان ينتمي الى وطنه الاميركي .

اذن فمن أبرز سماتنا هذا الرباط الاسري الذي يجعل العلاقة بين افرادنا تجاوز حدود المصلحة الى ما هو اهم من ذلك واعمق ، وهي علاقة قد تخفى عن الرائي في فترات الحياة العادية ، لكنها تشتد ظهورا في لحظات التأزم كاللحظة التي نعيشها اليوم ، ولا يجوز ان نخلط بين مثل هذه العلاقة « الاخوية » التي لا تكون الا بين ابناء الاسرة الواحدة ، وبين تلاحم الافراد الذين جمعتهم المصادفات ساعة الخطر ، كأن تشرف سفينة على الغرق فتظهر بين ركابها روابط لم تكن قبل وقوع الخطر ولن تكون بعد زواله .

سمة أخرى نتميز بها اكثر مما تتميز بها أمة اخرى فيما اعتقد ، وتلك هي الحاسة المرهفة التي نتميز بها بين ما يستحق الاهتمام الجاد وما لا يستحقه ، اننا أمة قطعت على طريق الزمن اكثر من ستة آلاف عام وحملت على كتفيها أربع حضارات متعاقبة ، وهي الآن تدخل في الخامسة ، ومحال ان يكون وراءها هذا الرصيد الضخم من خبرات متراكمة دون ان يترك على وجهة نظرها اثرا باقيا يشبه ما تتركه الاعوام في حياة الفرد الواحد . فعلى خلاف الحدث الغر ، ترى من أثقلته السنون بخبراتها بطيء الانفعال أمام الحوادث . فلا يستثيره منها الا ما يمس صميم الحياة . لقد طبع ليوناردو دافنشي ابتسامة ماكرة على شفتي مونا ليزا ، فلبث النقاد يعلقون ويشرحون لعلهم يكشفون الغطاء عن سر تلك الابتسامة الغامضة ، وفي عقيدتي ان مئات التماثيل التي نحتها الفنان المصري القديم ، بادئا من ابي الهول فصاعدا مع تاريخ الفن عند أجدادنا أسرة بعد أسرة ، تحمل ابتسامة أشد ألغازا وأعمق غورا ، هي ابتسامة من خبر الحياة وسرها ، فأخذ يسخر سخرية ممتزجة بالاشفاق ممن تهزهم صغائرها وعوابر أحداثها . لكنه اذا جد من الامر ما يعلم انه جد ، نفرت همته ونشطت جوارحه الى ان تتحقق على يديه المعجزات ، وتلك هي صورة المصري الى يومنا هذا ، انني كثيرا ما ألتمس ملامح الفلاح المصري ، وهو ما يزال في بقاء الريف ، خصوصا من تقدمت به السن ، فأجد على وجهه وفي نظرات عينيه تلك الرصانة الرزينة ، والحكمة الهادئة ، مع صمت لا يلغو ولا يثرثر ، التي يراها الرائي في تماثيل الاقدمين ... انها فزارة ثقافية صقلت الطبائع وحدت من نزوات الرعونة .. لقد قرأت عبارة تنسب لرجل من رجال الدين المسيحي في أوروبا ابان العصور الوسطى ، وقفت عندها لما فيها من غزارة المعنى ، وهي عبارة يبتهل بها قائلها الى ربه ما معناه : اللهم اعطني الصبر امام ما ليس في وسعي ان اغيره ، واعطني الشجاعة لاغير ما يمكن تغييره ، ثم اعطني اللهم حكمة أميز بها ما يمكن تغييره من الامور وما ليس يمكن ... وتلك الصفات الثلاث التي يبتهل بها هذا الداعي ان يمده الله بها ، هي من سمات المصري بحكم تاريخه وثقافته . فهو يصبر امام ما يتطلب الصبر ، وهو يهم بالتغيير اذا دعت الدواعي ، ثم هو بحكمته يفرق بين ما يستحق ان يتغير وما لا يستحق .

والمصري ، بل العربي بصفة عامة ، متفائل بطبعه ، فهو مهما ضاقت عليه الدوائر ، آمن بكل كيانه ان بعد العسر يسرا ، ولا يجيء تفاؤله هذا عن سطحية النظر كالتفاؤل الذي أجاد تصويره تشارلز ديكنز في شخصية مكوبر ، بل هو تفاؤل صاحب النظرة العميقة التي تعلم ان في الكون تدبيرا يكفل ان يعتدل الميزان ، فلا يكون نقص هنا ولا اجحاف هناك الا ابتغاء تكامل أسمى ، لا يترك مثقال ذرة من الخير او من الشر الا ان يعقب عليه بما يوازنه .

وانظر بعد هذا الى أي مواطن عربي عابر في الطريق ، كيف يقابل اللحظة التي نجتازها ، تجد خصائصه الكامنة في طبعه قد وضحت أمام الابصار : فهو لكل مواطن عربي آخر أخ تجمعهما أسرة واحدة ، وهو على وعي كامل بما تلقيه الظروف عليه من تبعات ، حتى ولو لم يكن ابان الحياة العادية ممن يطيقون تحمل التبعات . وهو هادىء ، متفائل ، يعلم في يقين ان الامور صائرة آخر الامر بارادة الله ـ متمثلة في ارادته ـ الى خير .

الاهرام
١٢ تشرين الاول

ليت عدونا يعرف

ليت عدونا يعلم ماذا يعني التراب المصري للمصري ، ليته يعلم ان المصري تملكه أرضه اكثر مما يملك هو تلك الارض ! يسافر المصري الى غير بلاده او يهاجر ، لكنه اينما حل وحيثما ارتحل يشم عبير مصر . دع الدنيا بأسرها تقل عن سيناء أنها كثبان من الرمل وراءها كثبان ، فرمالها في عين المصري ليست كأي رمال ، لرمالها في بصره ألق وفي أنفه شذى ، قد يكون معنى سيناء عند العدو ان جوفها ممتلىء بالمعدن ، او انها هامش لامن بلاده ، ولكنها عند المصري سيناء وكفى ، سواء أكان في جوفها معدن أم كان ذلك الجوف خاويا . هي ليست عند المصري هامشا للامان بل انه ليحميها بروحه كي تنعم هي بالامان . قد يتصور العدو ان تشطر سيناء شطرين : شطرا له وشطرا لنا ، على غرار ما تصور جده شايلوك ان يقتطع له من جسم تاجر البندقية رطلا من اللحم وفاء لدينه ، لكن سيناء في قلب المصري كيان واحد حي يؤلمه ان تقتلع منه قلامة ظفر .

كنت في انكلترا أيام الحرب العالمية الثانية ، وقالت لي ربة البيت الذي جعلت منه مسكني : ان الموت يتربص بنا جميعا لحظة لحظة ، فبماذا توصي لانقل وصيتك اذا ما جاءتك اصابة الموت ؟ قلت لها : وصيتي الوحيدة هي ان يدفن جثماني في أرض مصر .. سألتني متعجبة : أليست الارض كلها سواء بالنسبة الى الموتى ؟ أجبتها : انك لا تدركين علاقة المصري بأرضه ، ولو قلت هذا لمصري لفهم مني ما أريد .

الجنسية عند عدونا كالرداء يلبسه او يخلعه على هواه ، فليس

يرى غرابة في ان يكون روسيا اليوم ، واميركيا غدا ، ثم اسرائيليا بعد ذلك ، كما هي الحال بالنسبة الى رئيسة وزرائه غولدا مائير ، فليته يعلم ان الشمس قد تغير من طبيعتها قبل ان يكون المصري شيئا غير مصري ، انه لا يتردد في جنسيته ولا يختار ، انه مصري منذ ستين قرنا من الزمان ، ذهبت منه اجيال وجاءت أجيال ، لكن اجياله كلها موصولة بحبل سري واحد يربطه بأمه مصر .

ليت عدونا يعلم كيف يرتبط المصري بأمه سيناء ... بل لعله يعلم ، ومن ثم كان كل هذا الحقد في قلبه والغيظ .

الاهرام
١٩ تشرين الاول

النغمة الهادئة

النغمة الهادئة هي نغمة المصري في حياته ، اذا ما أطلقت له تلك الحياة على سجيتها ، لم تعترض سبيلها حوائل وموانع . المصري في حياته العملية مطرد منتظم مهذب ، ينساب انسياب النيل في مجراه ، لا يفاجىء ولا يباغت ، فنهر النيل حتى في فيضانه مقيد بموعده ، كأنما هو ينذر بقدومه لكي لا يأخذ احدا على غرة وخديعة . المصري بانٍ للحضارات صانع للثقافات ، ولولا نغمة حياته المطمئنة الهادئة ما صنع ولا بنى ، ولكنه اذا فاجأته فاجئة استدار لها وأزالها لكي يعود الى هدوئه فيبني ويصنع .

وللانسان في حياته العملية ـ كما للكاتب في كتابته وللمتحدث في حديثه ـ أسلوبه الخاص الذي يميزه من سواه ، وأسلوب الانسان في حياته العملية ـ كأسلوب الكاتب وأسلوب المتحدث ـ هو الجانب المنظور من حقيقته ، وهو مؤلف من مجموعة اختيارات وحذوف ، فهو يختار لنفسه في كل موقف ـ والمواقف الحاسمة من حياته بصفة خاصة ـ هذا الفعل دون ذاك ، يختار في حديثه هذه اللفظة دون تلك ، فهو اذ يختار ويحذف ، يعكس نفسه امام الناس كما يريدها ان تكون ، وحياة المصري كما يبديها في الظروف المعتادة سلوكا وحديثا ، تتميز بهدوء الاعتدال .

انه اذا رضي انسان عن نفسه ، أبداها في تعامله مع الناس ومع الاشياء كما هي على حقيقتها ، لا يدعوه داع ان يسدل عليها أقنعة ليخفيها . ولقد عاش المصري في أزمة النكسة ست سنوات وأربعة أشهر ، خرج فيها على طبيعته ، فأخذه الضيق ، واستبد به القلق ، وتوترت أعصابه حتى لتستثيرها توافه الاسباب ، ثم ما هو بعد يوم واحد من النصر الا ان عادت له طبيعته ، وهأنذا ألحظ في كل من أصادفهم حولي من الناس ، أينما توجهت ، وكائنة ما كانت الصلة بيني وبينهم ، هدوءا في النغمة : نغمة الحديث هادئة ، الحركة هادئة ، يزدحم الناس هنا وهناك ولكنه زحام يوشك ان يكون صامتا ، لم تعد وجوه الناس عابسة ، التعاطف والتراحم والتعاون اصبحت في لمح البصر هي قاعدة السلوك ، كشأن المصري اذا ترك لطبيعته .

كنت أتصفح كتابا يؤرخ لاعلام الرجال في الوطن العربي ابان القرن السادس عشر ، فكانت تلفت نظري صور طريفة لرجال يمثلون المعايير المقبولة في حياتنا ، فهم في رأيي ليسوا « اعلاما » بالمعنى الشائع لهذه الكلمة ، ولكنهم نماذج لمتوسط الانسان المصري في حياته العملية ، حين تكون تلك الحياة موضع مدح وثناء من عامة الناس ، وهاك صورة من تلك الصور ، لترى فيها الملامح الرئيسية التي أسلفت القول بأنها هي قسمات من الطابع المصري الاصيل : في هدوئه ، وعذوبته ، وتعاطفه وتراحمه وتعاونه ، وفي شعوره العام بأن كل مصري ـ أو قل ان كل عربي ـ هو واحد من أفراد أسرته ، يعامله كما يعامل اخوته وابناء عمومته .

والصورة التي أقتبسها ، هي لرجل يدعى محمد بن النجار الدمياطي . كان خطيبا لمسجد في القاهرة ، جمع الله له بين العلم والعمل ، فهو في علوم الشرع امام ، وهو في التعبد قدوة ، وكان غاية في التواضع ، يخدم العميان والمساكين ليلا ونهاراً ، ويقضي حوائج الفقراء والارامل ، يجمع لهم من اموال الزكاة ما استطاع ان يجمع ، وكان يلبس الثياب الزرق والجبب السود . ويتعمم بقماش من القطن . من عاداته كل يوم ان يتلو بعد صلاة الفجر نحو ربع القرآن سرا ، فاذا أذن الصبح قرأ جهرا قراءة تأخذ بمجامع القلوب ، وكان يخدم نفسه بنفسه ، يحمل الخبز على رأسه الى الفرن ، ويحمل حوائجه من السوق ، ومع ذلك فقد كان ذا هيبة عظيمة ، ولقد حدث له أيام السلطان قانصوه الغوري ان استودعه تاجر مالا ليعطيه لولده بعد موته ، وجاء الولد وهو دون البلوغ ، فأبى ان يعطيه ماله الى ان يبلغ رشده ، فشكاه الغلام للسلطان ، وطلب منه السلطان مال الغلام ، فأقسم للسلطان ان ليس عنده شيء ، ولما بلغ الغلام رشده ، جاءه فأعطاه ماله ، فسأله السلطان في ذلك ، فقال ان فقهاء الشافعية أفتوا بأن الظالم اذا طلب الوديعة ممن اؤتمن عليها ، فلهذا المؤتمن ان ينكرها ويحلف على ذلك ، وأنت ظالم ...!

صورة ـ كما ترى ـ فيها سذاجة قد لا تصلح نموذجا لعصرنا الراهن ، لكن فيها اركانا أساسية هي التي يقام عليها الخلق المصري الاصيل اذا لم تمنع دون ظهوره موانع ، ففيها الهدوء الذي أشرت اليه ، والذي يضمر في ثناياه النظرة الجادة العاملة العاطفة المتعاونة الامينة ، وهي صفات لا تتوافر الا اذا غزرت الثقافة وعمقت بعد ماض طويل عريق . فالنغمة الهادئة في الكلمة وفي الحركة ، هي نتيجة ضبط للجوارح والجام للسان ، فلا تسرع اذا أمكن التأني ، ولا صياح اذا أمكن الهمس ، ولا جزع اذا توافرت للقلب سكينة الايمان ، واذا شئت فانظر الى أسرة ريفية اجتمعت حول طعام العشاء : فلا تهتز الابدان بحركة تزيد على الحاجة ، ولا تنطق الالسنة بلفظة لا تقتضيها ضرورة السياق .

هذه النغمة الهادئة في الحديث ، وفي العمل ، وفي التعامل ، هي صورة حياتنا اذا لم يطرأ عليها طارىء دخيل . لقد قال سقراط ذات يوم لمن جلس بجانبه صامتا : يا هذا كلمني لكي أراك ! وعلى أساس هذا المبدأ السقراطي في ان النفس تكشف عن حقيقتها في نوع الحديث وطريقة السلوك ، نقول اننا ـ وقد أزحنا عن صدورنا كابوس النكسة ـ نعود اليوم الى حقيقة نفوسنا ، من هدوء ينطوي على تاريخ طويل كنا فيه صناع ثقافة وبناة حضارة بل حضارات تعاقبت واحدة بعد واحدة .

الاهرام
٢٦ تشرين الاول

احمد بهاء الدين

مصر تنهي غربتهــــا

شاء لي الحظ ، ان تقـــــع الحرب في بلادي مرتين ، وأنـا بعيد عنها ...

سنة ١٩٦٧ : في باريس .

سنة ١٩٧٣ : في بيروت .

غربة قاسية في الحالتين ، ووحشة لا يعرفها الا من يكابدها ، وان كان شتان بين الغربتين : فالغربة الثانية انتهت بها الغربة كلها .

سنة ١٩٦٧ كانت الغربة ليست بمعناها الجغرافي فقط ، ولكن بمعناها الروحي والمعنوي ، غربة طالت وطالت ، فلم أعد ـ ولم نعد جميعا منها ـ الا ظهر السبت ٦ اكتوبر ١٩٧٣ . ساعتهـــا زالـــت غربتي ، وأنا ما ازال بعيدا في بيروت ، تفصلني عن بلدي بحـــــار واخطار ، وزالت غربة خمسة وثلاثين مليون مصري ، بل ومائة مليون عربي ، كما تنقشع السماء كلها في لحظة واحدة .

سنة ١٩٦٧ ، في باريس ، كانت غربتان ..

غربة المكان البعيد ، والعداء الذي تلمسه من الناس ، والشماتة التي تملا رائحتها الجو ، وتحس مذلتها حتى في لقمة الخبز : غربة ان أرى باريس تحتفل حتى الفجر بسقوط القدس ، وتمر المـــواكب في شوارعها خلال النهار هاتفة لاحتلال سيناء ، ولا توجد جريـــدة او اذاعة او شاشة تلفيزيون الا وتطل منها صورة لعدو منتصر ، أو مصري قتيل او أسير ..

كنت أخفض رأسي ، متحاشيا ان تلتقي عيني بعيني السيـــدة التي تصعد الى غرفتي صباحا بفنجان القهوة . فالى جوار فنجـان القهوة صحف الصباح بعناوينها المذلة المهينة الشامتة ...

كان ابني الطفل قد طلب مني أن اشتري له لعبة مدفعا رشاشا ، فوصلت الى باب المحل ، ثم عدت على أعقابي : كم ستسخر منـــي البائعة في محل لعب الاطفال ؟!

كم ألف قصة صغيرة ، مريرة ، يمكن ان احكيها وارويها ؟!

على ان غربة المكان كانت الغربة الصغيرة . فهي تنتهي بالعودة الى الوطن . ولكن الغربة الكبرى كانت قد بدأت . سبع سنـوات والفرد فيها غريب والوطن فيها غريب . ليس هذا أنا . ليست هذه مصر . ليست هذه هي الامة العربية . العالم كله كأنه غير حقيقي !

انني اعرف ما ينقص بلادي تماما . واعرف اننا من البلاد التي تحاول ان تزيح تركة تخلف طويل . ولكنني أعرف ايضا ، وبكـــل موضوعية غير عاطفية ، ان مصر تستحق شيئا آخر غير هذه الغربـة القاتلة عن نفسها وعن عصرها . المتعلمون في مصر وحدها اكثر مـن عدد سكان اسرائيل جميعا . التنوير والتطور والاتصال بالعالم عندنـا عمره يقرب من قرنين . بلادنا حافلة بالفنيين والخبراء والمثقفـــين والعقول من أرقى طراز . وقد أثبتوا جدارتهم من مواقع شتى مـــن العالم . وحافلة فوق ذلك بالشجعان ! وفي أرضها بئر لا قرار لهـا من حب الوطن وتركة الكفاح ورفض الذل والعناد. وضباطنا وجنودنا ليسوا أقل كفاءة ولا بسالة من كفاءات هذا الوطن .

كانت هذه هي الغربة الكبرى .

وما هي الغربة ؟ أليست هي ان لا تتعرف على نفسك ، ولا على من حولك او ما حولك ، ولا على وطنك وأمتك ؟

أن تكون عواطفك في عقلك وقلبك صورة وملامح حفرها التاريخ، وعمقتها العاطفة والمعرفة معا ، ثم تنظر باحثا عن هذه الملامح فـــلا تتعرف عليهـــا ؟

٦ اكتوبر ١٩٧٣ : في بيروت ، وبيني وبين بلدي الذي يحارب ـ بارادته هذه المرة ـ بحار وصحراوات .. ولكن الغربة زالت . لقد تم التعرف من جديد على النفس ، فالمسافة الجغرافية لا تهم .

والمعركة ليست بعيدة عن بيروت . ومن النوافذ ترى المعـــارك الجوية والطائرات تسقط في البحر . ولكن الفرد منا يمشي رافعـا رأسه . فاخبار مقاتلينا تطل ـ منتصرة هذه المرة ـ من كل صحيفة واذاعة وشاشة تلفيزيون بل ومن فم كل بائع سجائر او سائق تاكسي بيروتي ، وأنفاس القتال البطولي في سوريا الملاصقة تحس بحرارتها وتكاد تلمسها وأنت تسمع اخبارها من شهود العيان .

وتكون الرحلة الى القاهرة تحصيل حاصل . فهي انهاء شكـلي للغربة التي زالت من النفس ومن الضمير . ساعات الطائرة الـــى بنغازي : ثم اربع وعشرون ساعة متواصلة بالسيارة عبر الصحـــراء الى القاهرة ، تدفعها لهفة واحدة : ان ارى وجه قاهرة اكتوبر ١٩٧٣ حتى تزول من خاطري صورتها يوم عدت من باريس في يونيو ١٩٦٧ ذات أمسية حزينة .

لقد أنهى الرئيس السادات غربتنا الكبيرة بقرار اكتوبر ١٩٧٣ ، قرار ربما كان كلمة واحدة ولكنه خلاصة لكل الآلام العظيمة والامـــال الكبار المختزنة منذ سبع سنوات .

وقد انهت قواتنا المسلحة غربتنا بالطريقة الفذة التي نفذت بها القرار . انهم هناك تحت اللهب والنار وكانهم حملوا الغبار الثقيل الى العلو : السماء تنقشع كلها في لحظة واحدة عن وجه مصر الحقيقي .

الاهرام
١٥ تشرين الاول

مع بداية الاسبوع الثالث للقتال

تدخل حرب اكتوبر ١٩٧٣ اليوم أسبوعها الثالث . وأول ما يخطر على البال قول موشى دايان كما سمعته باذني يوم ٧ اكتوبر حين قال : « يومان لصد الهجوم المصري السوري ، ثم يومان يكتمل خلالهما استدعاء الاحتياطي الاسرائيلي ، ثم يومان لانهاء القتال ! » .

أي ستة ايام اخرى ، لا اكثر ولا أقل .

وأيضا ، في نفس اليوم ، سمعت غولدا مائير تعزف على وتر آخر ، موجه هذه المرة للعالم الخارجي « نحن ندافع عن انفسنا . انهم هم المعتدون ، ونحن لا نريد الا السلام » .. فاسرائيل سنة ١٩٦٧ وجدت في اغلاق خليج العقبة بضع ساعات سببا كافيا لشن الحرب ، ولكنها لا تجد في احتلالها لاراضي ثلاث دول عربية ، وتشريد مليون عربي آخرين ، ورفض كل الضغوط الدولية من اجل السلام ، سببا لان يحارب العرب !

أما والحرب تبدأ اسبوعها الثالث ، فلا أظن ان هناك شيئا يستطيع ان يضيفه كاتب الى شعور أي مواطن :

لقد كان لا بد مما ليس منه بد ! كان لا بد مهما كانت النتائج ان تعرف اسرائيل ويعرف العالم ان ارضنا لها ثمن باهظ ، سوف نظل ندفعه حتى نستردها .

والاتفاق شامل بين كل المعلقين والمحللين في مختلف انحاء العالم : ان أي عمل تقوم به اسرائيل لا يمكن ان يلغي اثر التغير الذي حدث : حتمية السيطرة الاسرائيلية على العالم العربي تحطمت. اسطورة عجز العرب – الابدي ! – عن استخدام أدوات العصر الحديث حتى الحربي منها ، لم تعد واردة .

يبقى ان يعرف هذا العرب جميعا ! بمعنى ان يعرفوا ان مردود هذا التحول ليس مقصورا على دول المواجهة وحدها . وليس مقصورا على استرداد او فقدان قطعة من الارض ، ولكن مردوده يشمل كل حياة العرب وكل مصالح العرب وكل مستقبل العرب في هذا العالم الذي تعاد صياغته لقرون طويلة مقبلة ، بالتطور الاقتصادي والعلمي والاجتماعي تارة ، وبالصراع أو الوفاق السياسي تارة ، وبالدم والحديد والنار تارة أخرى .

ولنحاول استعراض كل قضايا العرب : حدود متنازع عليها .. جزر تائهة .. ثروات طبيعية لا تهدأ حولها حرب الاسعار .. آمال في التنمية والتقدم .. أموال سائلة في بحار من المضاربات الدولية .. ان ما يحدث في الجبهة ينعكس على هذا كله : بالفارق بين أمة يعاملها العالم معاملة المهزوم المذعن ، وأمة يعاملها العالم معاملة الند .

وفي هذا المجال لا بد ان يقال ان أي ثروة او سائل خام ليس أغلى من الدم ! ولا بد ان يقال ان الاسهامات الرمزية لم يعد لها مجال .

ولا بد ان يقال ايضا ان كل شيء في الحياة قد يمكن معالجته أو التعامل معه بنصف مجهود ، او نصف قلب ، ما عدا الحرب ! الحرب جوهرها هو كيف يستطيع شعب او تستطيع امة ان تضع فيها « كل شيء » من طلقة الرصاص الى لقمة الخبز الى دقيقة العمل الى كفاءة العقل ، وبالسرعة اللازمة .

فالشعار الذي يجب ان يرفعه كل قطر محارب ، وتفرضه على نفسها الامة العربية جمعاء هو : الكل ... والآن !

قواتنا المسلحة تعطي « الكل ... والآن ! » .. فهل تعطي أمتنا هذه المعركة البطولية التاريخية : الكل ... وبدون تأجيل ؟

الوقت في الحرب ليس من ذهب .. انه من دم !

●

قال الرئيس أنور السادات في أهم خطاب له ، في أهم يوم في حياتنا : « انني أفضل احترام العالم ولو بغير عطف ، على عطف العالم اذا كان بغير احترام ! » .

وليس هناك أصح من هذا الكلام . ليس في باب الكرامة والكبرياء فحسب ولكن في باب المصلحة ايضا ! ان عطف العالم لا يعطي شيئا ، في حين ان الاحترام هو الذي يعطي الكثير !

وهنا يجب ان يكون هذا الآن واضحا هذه المرة للعالم الخارجي !

هناك « أصدقاء » ليس لديهم مانع أبدا من ان يربتوا على اكتافنا ، ويخففوا من آلامنا ، ويصدروا التصريحات في تأييدنا ، وربما أعطوا ايضا اصواتهم لنا في المحافل الدولية .. ما دمنا الطرف الاضعف ، لكن هذا لن يحل لنا قضية ، في حين انه يضمن لهم مصالحهم الحيوية لدينا .

هؤلاء الاصدقاء ، فيهم الدول ، وفيهم الاحزاب ، وفيهم الكتاب والصحفيون !

ماذا يضيرهم ان يشتروا ما لدينا بالعطف ، في حين ان قلوب بعضهم ليست – في أعماقهم – مع حقوقنا ، وعقلهم الباطن يخشى انتصارنا ؟

الكثيرون اتقنوا فن معاملتنا على هذا النحو طوال سبع سنوات تقريبا !

ولهؤلاء يجب ان نقول ان هذه هي ساعة الحسم والصدق !

وقد خانت البعض مشاعرهم بالفعل ، فوجدناهم يتوجسون النصر العربي ... لان الامة العربية – بموقعها ومساحتها وثروتها وتراثها – يمكن ان تكون ماردا يحسب لمستقبله الف حساب . وهو حساب يؤرق بعض هؤلاء من « اصدقاء العطف » ، الذين يرغب « لاشعورهم » في ان تظل علاقتهم بنا علاقة الغني بالفقير لا بأس لديه ان يتصدق عليه بالعطف ، ولكنه لا يقبل بعد فكرة ان يكون شريكا له على نفس القدم من المساواة !

من أخطر آثار الاسبوعين الماضيين والاسابيع المقبلة : ان مزيدا من الناس في العالم بدأوا يشعرون ان المستقبل العربي يمكن ان يكون حقيقة !

●

سياسة الوفاق الدولي دائما عبر التاريخ ، هدف للقوى الكبرى في أي عصر ، اذا اقترنت بعجز كل منها عن تدمير الاخرى ...

وعلى الاقل منذ فشل سياسة فوستر دالاس في احتواء روسيا ثم « ردها الى الوراء » على حد تعبيره ، ثم منذ سحب الصواريخ السوفياتية من كوبا في تلك المواجهة الخطرة سنة ١٩٦٠ ، وروسيا واميركا تعملان بشدة للوصول الى صيغة وفاق ..

وكان لا بد ان يمر هذا الوفاق عبر قضايا بالغة الخطر ومشحونة بامكانيات الانفجار : الموقف في أوروبا ومشكلة المانيا بالذات – تحديد الاسلحة الذرية – حرب الهند الصينية – مكان العملاق الصيني من خريطة العلاقات الدولية – موازنة المصالح الاقتصادية للدولتين العظيمتين في أماكن شتى من العالم – والشرق الاوسط بمركزه الحساس .

ووصلت محاولات الوفاق الى قمتها بعد رحلتي نيكسون الى

الصين وروسيا والتوصل الى اتفاق فيتنام . والاعتراف بدولتين المانيتين ودخولهما الامم المتحدة ثم الاتفاقات الاقتصادية الكبرى المباشرة بين الدولتين ، وان كانت ما تزال معلقة بسبب اعتراضات كثيرة داخل اميركا ، بعضها من اليمين الاميركي التقليدي الـذي يراها تقوية لروسيا ، وبعضها من الليبراليين بسبب تأييدهم لاسرائيل ورغبتهم في ربطها بالتاثير على موقف روسيا نحو اسرائيل والهجرة اليهودية .

ولكن كل دارس للسياسة يعرف ان الاحداث الدولية لا تعرف « المطلق » ابدا . خصوصا في عالم اليوم المتشابك المعقد ، الـذي مهما بلغت فيه قوة الدولتين العظيمتين ، فهما لا تستطيعان السيطرة تماما على كل ما يمكن ان يحدث في العالم . لم يعد العالم مهملا كما كان في العصور القديمة : يكفي ان تتهادن الامبراطوريتان الرومانيتان لكي يسود السكون في العالم .

وحتى قبل بدء حرب اكتوبر في الشرق الاوسط بدأ من يقولون بأن سياسة الوفاق وهم قصير العمر . وانها خلقت لكل دولة من الدولتين العظميين من المشاكل مع حلفائها وخصومها اكثر مما حلت من مشاكل . ألا نرى أوروبا تتململ وتعيد بحث موقفها ؟.. ألا نرى اليابان تغير من كثير من اتجاهات عملها ؟ ألا تستمر الحرب في كمبوديا ؟.. أليست الصين تعود الى تذمرها وتحفظاتها ونقدها للدولتين معا ؟.. أليس ما حدث في شيلي بكل عنفه ساحة اخرى للصراع ؟ ثم أخيرا تنفجر حرب خطيرة في الشرق الاوسط ؟..

ان الخلاصة من هذا كله واضحة :

١ ـ القوتان العظميان لهما تأثيرهما الاكيد على ما يجري في العالم ، تأثير يقوى أحيانا حين يتفقان ويضعف حين يختلفان ، لان اتفاقهما ليس كاملا ، ولا يمكن ان يكون كاملا ذات يوم أبدا .

٢ ـ ان الارادات المحلية لها دور كبير تلعبه وتؤثر به على أقدار نفسها .. أي ان امامها ساحة كافية للحركة ، وان الكثير يتوقف على تصميمها وعلى خلق واقع يؤثر على مواقف وسياسات القوى الكبرى ذاتها ...

فلا مجال للاستسلام امام بديهية غير حقيقية وهي ان الوفاق قاطع ، والرضوخ لمتطلباته حتمية ...

أليس قرار العبور التاريخي في ٦ اكتوبر ٧٣ ، وما خلقه فعلا من واقع جديد في الشرق الاوسط ، أسطع الادلة على ذلك ؟

الاهرام

٢٠ تشرين الاول

●

قبل وبعد ٦ اكتوبر

لست أقصد ان أحدد « أين كانوا وأين كنا قبل ٦ اكتوبر » بمعنى المواقع التي تقف عندها جيوشهم وجيوشنا . فهي على وجه التأكيد مواقع للانطلاق نحو نضال سياسي عنيف او نحو قتال عسكري جديد أشد عنفا وضراوة .

لست أقصد اذن المعنى الجغرافي في عبارة أين كانوا وأين كنا .. فالحرب لم تنته بوقف اطلاق النار .. وانما أقصد المعنى السياسي والمعنوي والنفسي ، وهو ايضا تعبير بالغ الاهمية او نتيجة بالغة الاهمية من نتائج القتال ..

اذا كانت ثقتنا بانفسنا وبقواتنا المسلحة قد صعدت ، وثقتهم في انفسهم وفي قواتهم المسلحة قد هبطت ، فهذه نتيجة هامة ..

اذا كانت صورتنا في العالم قد تغيرت الى الاحسن ، والهالة التي كانوا يحيطون بها انفسهم قد تبددت ، فهذه نتيجة اخرى .

اذا كان نهوضنا لاستئناف القتال غدا أسهل علينا نفسيا وعسكريا بكثير من نهوضنا به بعد ركود ست سنوات ، فهذه نتيجة هامة ايضا ، اذ سوف يحسب كل طرف في الدنيا حساباته على ان المصريين قد قاتلوا ، وابلوا بلاء حسنا وسوف يقاتلون .

واذا كانت ارادة القتال حلقات تتصاعد بينما القعود والركون له أيضا منطقه الذي يجذب المجتمع الى القاع ، فقد عادت عزيمتنا تطفو على السطح وتتنفس الحياة ، باستعداد اكبر لمواجهة مخاطر المستقبل دون وجل .

ولعل المرء لا يدرك الفارق الهائل الذي طرأ باندفاع قواتنا نحو القتال يوم ٦ اكتوبر ، الا اذا ألقى نظرة قارن فيها بين ما يشغل الاسرائيليين الآن (محاولة انقاذ سمعة اسرائيل القديمة ـ تقييم الخسائر الفادحة ـ الصراع حول من المخطىء ـ الشك في الطريق العسكري كطريق وحيد وأكيد لمعاملة العرب) وبين ما كان يشغلهم حتى صباح ٦ اكتوبر ١٩٧٣ .

كانوا قبل ٦ اكتوبر يستعدون لانتخابات جديدة ، ولا مجال هنا لاستعراض ماذا كان يطالب به كل حزب . يكفي ان نقف عند نصوص البرنامج الذي وضعه الحزب الحاكم واتفق عليه بعد خلاف .

البرنامج ـ اولا ـ كان لمدة اربع سنوات مقبلة ، بما يشمله من اجراءات وميزانيات واعتمادات ومواعيد . كانوا يخططون في راحة بال تامة الى نهاية سنة ١٩٧٧ . أي انه كان في حسابهم ان لا شيء جديد حتى ١٩٧٨ على الاقل .

والبرنامج ـ ثانيا ـ يقوم ، على اساس استيعاب كامل للاراضي المحتلة بعد صراع حاد حول هذا الموضوع انتصر فيه من يسمونهم بانصار « الكل » أي ضم كل ما استولى عليه الجيش الاسرائيلي في حرب يونيو ٦٧ .

فقد اقامت اسرائيل في الارض المحتلة حتى الآن ـ خلال ٧ سنوات ـ ٤٦ مستوطنة يهودية ، تنفيذا لخطة الاستيلاء على الاراضي وتوطين الاسرائيليين فيها ، التي هي العمود الفقري لسياسة الضم النهائي . اما خطة السنوات الاربع المقبلة فهي اقامة ٢٦ مستوطنة (قرية زراعية او صناعية او سياحية) كالتالي : ٦ مستوطنات في هضبة الجولان ـ ٦ في غور الاردن ـ ٧ في مشارف رفح ـ ٦ في قطاع غزة ـ ٣ في خليج العقبة !

وفوق ذلك المضي في ثلاثة مشروعات خطيرة : أولها توسيع « القدس » التي اعلنوا ضمها رسميا منذ ١٩٦٧ بحيث يضم الى المدينة عشرات القرى العربية وآلاف الافدنة الجديدة حتى تصل الى مدينة بيت لحم وتجعلها ضاحية من ضواحيها ـ وثانيها اقامة ميناء عميق ومدينة عند رفح ـ وثالثها اقامة مركز صناعي كبير في كفر سابا لتحويل منطقة طولكرم وقلقيلية المحتلة الى منطقة صناعية كبرى .

وكل التفاصيل حول اسلوب « شراء » الاراضي او الاستيلاء عليها وتطبيق القوانين الاسرائيلية على المستوطنات (تمهيدا لتطبيقها على كل الاراضي المحتلة) .. واردة في البرنامج الانتخابي الذي كان مقررا له ان يبدأ تنفيذه في توفمبر المقبل .

ولم تغب أهمية هذه الوثيقة عن بال المعلقين الاسرائيليين يوم صدورها ، وكان ذلك قبل حرب اكتوبر بأسابيع قليلة ...

فطوال السنوات السبع منذ هزيمة ١٩٦٧ ، كان ما يسمونه « بمستقبل الاراضي المحتلة » محل نقاش حاد وطويل في اسرائيل . وطبعا لم يكن النقاش بين من « يريدون » ومن « لا يريدون » ، لان الكل بالطبع يتمنى ويريد ، ولكنه كان بين من « يرون ان هذا ممكن » ومن يرون « انه غير ممكن » . وفي البداية ، كان الذين يرون ان هذا صعب ، هم الاكثرية .. ولكن مع مرور الوقت ،

واستمرار الركود ، وما بدا من انشغال العرب باي شيء سوى تحرير ارضهم ، الا على صفحات الصحف وفي التصريحات ! اخذ عـدد الذين يرون « ان هذا ممكن » يزداد بسرعة ، ومع ذلك فقد ظـل حزب العمل الحاكم ممتنعا زمنا طويلا عن جعل خطة الاستيعاب الكامل برنامجا رسميا له ، حتى اقترب موعد الانتخابات التي كان مقررا لها نوفمبر المقبل . واخذت استفتاءات الرأي العام توضح انه مع غيـاب عنصر القتال ، اي غياب عنصر « الثمن » الـذي يمكـن ان تدفعـه اسرائيل ، اخذت أغلبية الرأي العام تتجه بسرعة الى قبول فكـرة الضم الكامل ، وان الزمن لمصلحتهم . وهكذا وجد حزب العمل الحاكم انه من الممكن ان يلتزم رسميا وتنفيذيا ببرنامج للضم الكامل .

قالت صحيفة « دافار » الاسرائيلية يومها : « هكذا اصبحت هذه السياسة قرارا ملزما لمؤسسات الحـزب وممثليه ، وستكـون هذه الوثيقة هي دليل العمل الموجه لنشاطات الحكومة كلها خـلال السنوات الاربع المقبلة » .

وقالت « هاآرتس » أيضا : « كان الحديث عن هذه الاشيـاء قبل ذلك شفهيا وضمنيا ، اما الآن فقد أصبح هذا التزاما ببرنـامج عمل لاشياء محددة كالميناء والمدينة اليهودية عند مشارف رفح كمنطقة عازلة بين قطاع غزة « وذلك الجزء من سيناء الذي قد ترده اسرائيل الى مصر » ، وتوسيع الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية كلها ، وتخصيص مليار وربع مليار ليرة لهذه المشروعـات .. وهـذا كلـه يمثل اندفاعا في الضم لم يسبق له مثيل في تاريخ اسرائيل » .

وقالت « هاآرتس » ايضا : « ان التردد في هذا الاندفـاع كان مبعثه في السابق خوف حكومة اسرائيل من خلق واقع يصعـب الدفاع عنه بعد ذلك ازاء الضغوط الخارجية ، ولكن هذا الخـوف قد زال الآن (كان هذا الكلام في أواخر سبتمبر) وأعلنت ان الحكومة قد بدأت فعلا في تنفيذ هذا البرنامج بضم ٤٠٠٠ فدان الى القدس ، وقديما كانت تبرر الضم رسميا « باعتبارات الامن » من باب المناورة ، والايحاء بأن الضم مؤقت (حتى يستقر طبعا) ولكنها في هذه الحالة بررته صراحة « بضمان العمل اليهودي وتوسيع المراكز الصناعية في القدس » أي بالضم القانوني الرسمي الصريح » .

وبدأ التنفيذ فعلا (قبل الحرب بشهر واحد ايضا) في ضم بيت لحم الى القدس . اذ استولت حكومة اسرائيل على الاراضي الزراعية العربية الفاصلة بين المدينتين ، وعندما احتج اصحـاب الارض من العرب قال لهم الحاكم العسكري في بيت لحم : « ان الاستيلاء هو حقيقة منتهية » . وقالت احدى الصحف الاسرائيلية : « بهـذه الخطوة ، سيتم بصورة عملية اقامة اتصال مباشر بين بيت لحـم والقدس » . وعلقت جريدة « الاتحاد » هناك : « ان هذا يعني دمج بيت لحم ، ثاني أكبر مدن الضفة الغربية ، ومهد المسيح ، الـى القدس واعتبارها جزءا قانونيا من اسرائيل » .

وفي اتجاه آخر عميق الدلالـة ، بدأ الاسرائيليون قبل حرب اكتوبر بشهرين فقط يعودون الى التنقيب عن البترول في سينـاء ، بعد ان كانوا قد توقفوا عن ذلك خلال حرب الاستنزاف ـ كما تقول جريدة الجيروزاليم بوست ـ وان شركة « لاميدبار » (ملكيتهـا اسرائيلية ـ كندية) اخذت تستعد لذلك ... وخصصت ١٥ مليون دولار مبدئيا واختارت ثلاثة مواقع للبدء بالتنقيب فيها : الطـور ، رمانة ، العريش .. اي في ثلاثة اطراف سيناء .

واقترن هذا ، في نفس الشهر الذي نشر فيه هـذا الخبر ، بافتتاح بنحاس سابير وزير المال لاول كلية اسرائيلية للعلوم البترولية في « رامات ابيب » .

وقبل ذلك بشهر ، افتتحت مصفاة جديدة لتكرير البترول فـي ميناء اشدود ـ اقرب الموانىء الاسرائيلية الى سيناء .

وبدأت حملات واسعة في اميركا لجمع المال والمساعدات والخبرات لهذا الاستثمار الواسع لسيناء ...

وقد كان التخوف السابق لدى بعض الاسرائيليين هو ان ضـم الاراضي المحتلة معناه ضم مليون عربي لدولة اسرائيل الامر الـذي يهدد بتغيير هوية الدولة اليهودية مع الزمن . واستنام من بيننا عرب كثيرون الى هذا الرادع لدى اسرائيل . ولكـن الرد كان موجودا ولكنه غير معلن : تهجير العرب تدريجيا من الاراضي المحتلة !

(ملاحظة اعتراضية : تقيم اسرائيل والصهيونية العالمية الدنيـا ضد روسيا دفاعا عن « حق الفرد في الهجرة من بلده » ولا احـد يتحدث هناك عن حق اسبق وهو : حق الفرد في عدم الهجـرة من بـلده) .

فالى جانب القوانين التي تمنع العرب من اقامة مبان لهـم ولسكناهم ، والسماح بشراء أراضي العرب بواسطة اليهود ـ حكومة ومؤسسات وأفرادا ـ والجمعيات الكثيرة المشكلة لتشجيع العـرب ـ خصوصا المتعلمين ـ على الهجرة الى اميركا وكندا واستراليا وغيرها مع اعانات مالية ، وفرص عمل ، وكل هذه الخطوات كانت سائـرة في طريقها في ايقاع متصاعد باستمرار .

ان كل ما ذكرته ماخوذ من قرارات اسرائيل وتصرفاتها فقط في الشهرين السابقين على حرب اكتوبر ... عندما كانوا في قمة تحويل ترف احلام اليقظة لدى اكثرهم طموحا الى حقائق صلبة .

والواقع انها لم تكن بالنسبة لهم أحلام يقظة . كان الواقع في أيديهم ، وكانت أيديهم مطلقة الحرية في تشكيل هذا الواقع . بينما كان كل ما لدى العرب ـ دم ، سلاح ، بترول ، كل شيء ـ واقفـا راكدا حسبه البعض نائما وحسبه آخرون ميتا لا حراك له .

كانوا يشعرون حقا انهم يبيعون جلد العرب و « بعد » اصطياده !

ولكن ما بذلته قواتنا المسلحة من دمها وشجاعتها في اقتحـام ساحة القتال هو الذي قطع عليهم أحلام يقظتهم التي كادت تتحـول الى واقع ، وهو الذي بعث الحياة في الكثير مما لدى العرب مـن أسلحة رجال او مال او عتاد .. لانه أثبت ان الانتصار ممكن ..

لقد كان اتخاذ قرار القتال صعبا .

وكان القتال أشد صعوبة وضراوة ومرارة .

وهذا يوضح لنا ان المستقبل لن يكون بدوره سهلا .

وان التحديات الكامنة على الطريق الخطر الطويل كثيـرة : عسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية ...

فمثل هذا الصميم الاسرائيلي لن يزول من افئدتهم في غمضـة عين . وتاريخهم القائم على الخديعة ، وانتظار الفرص ، والتآمـر الدولي والانقضاض العسكري ، والنفاذ من خلال التناقضات العربية ، يوضح انه حتى تراجعهم عن خطوط وصلوا اليها على الخريطـة لا يعكس على الفور تراجعا بنفس النسبة فاطماعهم ، وعقيدتهـم السياسية ، ومخططاتهم التي يحسبون لها بالاجيال وليس بالايـام والشهور ...

كان جيشنا رأس الحربة في التصدي لعدوانهم على الخريطة .

بقي ان تكون كل طاقاتنا الفكرية والنضالية والتنظيمية والانتاجية زاحفة وراء رأس حربتنا : لتصد عدوانهم الكامن في نفوسهـم ، ولتكون كلها سندا لقواتنا المسلحة .

الاهرام
٣٠ تشرين الاول

رجاء النقاش

بداية تحول كبير

بعد حرب ٥ يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ كان العرب يحركهم الامل في نشوب القتال مرة اخرى على الجبهات العربية ، لرد العدوان الاسرائيلي ، واذكر انني حضرت جلسة مع بعض الاصدقاء من الادباء والمثقفين مع المستشرق الفرنسي الكبير « جاك بيرك » ، وساله واحد منا عن رأيه في الموقف فقال : اذا انتصر العرب في الرد على العدوان الاسرائيلي فانني أشعر بالتفاؤل كانسان ... واذا انهزموا فاني متفائل كمؤرخ !

والحقيقة ان كلمة جاك بيرك المستشرق المحب للعرب والمؤمن بقضيتهم .. هذه الكلمة تعتبر من اجمل واصدق ما سمعت في التعليق على الصراع بين العرب واسرائيل ..

ومعنى كلمات المستشرق الفرنسي ان : العرب اذا انتصروا في معركتهم العاجلة ضد اسرائيل فان هذا النصر يدعو للتفاؤل ، اما اذا لم ينتصروا ذلك الانتصار السريع .. فان التاريخ يدعو الى التفاؤل .. ذلك لان اسرائيل تقف ضد حركة التاريخ ، بينما يقف العرب ، بعدالة قضيتهم ، مع حركة التاريخ ..

اسرائيل تقوم على احياء كل الافكار والمواقف التي يؤكد التاريخ انها في طريقها الى الزوال .

بينما يحمل العرب في اعماق موقفهم وتكوينهم الحضاري كل العناصر والافكار التي يؤكد التاريخ انها يمكن ان تنتصر بل ويجب ان تنتصر ..

اسرائيل تقوم على اساس ان ابناءها هم « شعب الله المختار » وهم افضل الناس في العالم .

وقد اكدت كل الافكار الكبرى التي ظهرت منذ آلاف السنين على هذه الارض ، ان هذه الفكرة خاطئة .. وانه لا فضل لانسان على انسان الا بشرفه وقيمته ومساهمته في الاضافة الى الحياة والمجتمع ..

ولو كان بالامكان ان تنجح هذه الفكرة لنجح هتلر . فقد كان هتلر هو الآخر يؤمن بان « الجرمان » هم سادة البشر ، وهم صانعو الحضارة ، بينما الآخرون هم مدمرون للحضارة او على احسن الاحوال فانهم ناقلون للحضارة .

وكان هتلر يريد ان يضع أحذية الجرمان فوق رؤوس العالم كله ، وقد احدثت حركته زلزالا عالميا لا شك فيه .. ولكن هذه الفكرة الخاطئة قد لقيت مصرعها لانها فكرة خاطئة ، وقد دفع العالم ما يقرب من مائة مليون من البشر ليرد على هذه الفكرة الخاطئة .. ورضي العالم بهذا الثمن الغالي ليثبت ان حكاية « الانسان المختار المتميز عن غيره من البشر » هي خرافة واكذوبة ...

والحركة الصهيونية في جوهرها لا تزيد بحال من الاحوال عن تجديد للحركة النازية .. كانت النازية تؤمن بتفوق الانسان الجرماني وتعتبره سيدا على جميع الاجناس البشرية ، والصهيونية تؤمن بتفوق الانسان اليهودي وتعتبره سيدا يجب ان يمشي على جثث العرب غير المتحضرين كما مشى المهاجرون الاوروبيون على جثث الهنود الحمر في القارة الاميركية البكر بعد اكتشافها واكتشاف ما فيها من كنوز .

وكأن اليهود يرون نفس الرؤية : كانهم يرون في الوطن العربي قارة مليئة بالثروات والخيرات وان الانسان الذي يعيش فوق هذه الارض لا يستحق ما في الارض من نعم وخيرات وكنوز .

ولكن اليهود اخطأوا في تفكيرهم ... كما اخطأ النازيون من قبل ..

والغريب الذي يدعو الى التامل : ان النازيين صبوا نقمتهم يوم انتشرت حركتهم في اوروبا على اليهود ... وكان هتلر يقول انه يكره شكل اليهودي ورائحته وسلوكه ، ويعتبره اقذر المخلوقات البشرية .

وعندما تخلص اليهود بمساعدة العالم كله من النازية جاءوا ليكرروا نفس الدور النازي ولكن مع العرب .

ويذكرني هذا الموقف بقصة شهيرة قدمتها السينما الاميركية في فيلم ناجح ، واسم هذه القصة « ... من الذي يأتي على العشاء » . وتقوم القصة على تصوير تجربة حب بين شاب زنجي وفتاة بيضاء . ويلقى هذا الحب معارضة من اهل الفتاة ... ولكن اكثر الاصوات اعتراضا على هذا الحب كان صوت « المربية الزنجية » التي تعيش مع الاسرة البيضاء .

كانت هذه المربية الزنجية تستنكر اشد الاستنكار ان يفكر شاب زنجي في حب فتاة بيضاء ... لماذا ؟ لان هذه المربية الزنجية قد آمنت وتسممت بوجهة نظر اعدائها ومضطهديها ... لقد تسممت بفكرة محددة هي ان الزنوج أقل شأنا وقيمة من البيض ... وهي تعتبر هذه الفكرة سليمة وصحيحة ، ومن هنا لا يجوز للزنجي الذي ينتمي الى الجنس الاسود ... لا يجوز لهذا الزنجي ان يفكر في المساواة الكاملة بينه وبين الجنس الابيض .

ووجه الشبه هنا هو ان اليهود قد تسمموا بفكرة الذين اضطهدوهم وآمنوا بهذه الفكرة اشد الايمان .

انهم مثل النازيين الذين يضطهدون العرب لان العرب جنس أقل قيمة وأقل صلاحية للحياة من اليهود المتفوقين المتحضرين .

وزعماء اليهود الكبار يعبرون عن هذا الموقف تعبيرا مباشرا .. وأذكر انني قرأت في دراسة عن « بن غوريون » انه طول ما عاش في فلسطين لا يعرف كلمة واحدة من اللغة العربية لشدة كراهيته للعرب ، رغم انه تعلم الاسبانية ليقرأ بها رواية سرفانتس العالمية « دون كيشوت » .

على ان اليهود اذا كانوا يقيمون دولتهم اليوم على اساس تفوقهم على الشعب العربي ، وهي فكرة خاطئة ، ولا بد ان تلقى في نهاية الامر مصرعها التاريخي ، كما حدث للنازية من قبل ... اقول ان اليهود لا يكتفون بهذه الفكرة الخاطئة المعادية لكل الافكار الانسانية الكبرى ، بل انهم يقيمون بناء مجتمعهم على اساس من افتراض « تفوقهم العسكري الدائم » ، وهم يعتزون بأنهم قد هزموا العرب في كل الحروب التي خاضوها منذ ١٩٤٨ الى اليوم .

وهذه فكرة خاطئة ولا يمكن ان يقبلها التاريخ ، وسوف تلقى هذه الفكرة مصرعها التاريخي ايضا .

ولست اشك في ان المعركة الراهنة ، معركة اكتوبر العظيم سنة ١٩٧٣ ، سوف تكون بداية لهذا التحول في المجال العسكري بالنسبة لاسرائيل . ان الانتصار العسكري المؤقت لاسرائيل لا يمكن ان يقلب حقائق التاريخ ، ولقد كان على العرب ان يفهموا اسرار ضعفهم العسكري امام اسرائيل حتى يتحول هذا الضعف الى قوة حقيقية .

وكانت أسباب الضعف العسكري دائما واضحة :

في حرب ١٩٤٨ كانت الرجعية تقود المعركة ... تتحدث عن فلسطين وعينها على مصالحها الخاصة ... فهذا حاكم يريد جزءا من الارض الفلسطينية ليزيد حجم مملكته التي تعيش تحت سلطانه ... وهذا حاكم يريد ان يتخلص من المشاكل في بلده ـ كما فعل فاروق ـ فارسل الجيش الى فلسطين لعله بذلك ينجو من ثورة الشعب والجيش ... ولا يمكن لمثل هذه الرجعية ان تنتصر في معركة كبرى من هذا النوع .

وفي ١٩٥٦ لم يكن أحد يتصور ان يجد الجيش العربي المصري نفسه في مواجهة دولتين كبيرتين هما فرنسا وانكلترا بالاضافة الى اسرائيل .

وفي ١٩٦٧ كانت المفاجأة سببا رئيسيا للهزيمة ... وكان العرب في أغلب الظن يتصورون ان الضمير الدولي لا يمكن ان يسمح لاسرائيل باكثر مما اخذته قبل يونيو ـ حزيران ـ ١٩٦٧ .

وكان هناك اخطاء عربية كثيرة في التفكير والتنظيم والسلوك جعلتنا نسقط منذ الضربة الاولى ...

ولكن الشعوب تتعلم وتستيقظ وتأخذ العبر والدروس .

ومن الصعب ان تعيد الاخطاء نفسها .

والعرب معهم سلاحهم القوي الحاسم الذي يمكن ان تنبع منه كل الاسلحة الصحيحة القادرة ... هذا السلاح هو انهم اصحاب قضية عادلة .

اما اليهود فهم اصحاب قضية غير عادلة . وهذا بالضبط ما يعنيه المستشرق الفرنسي جاك بيرك بكلمته الرائعة حين يقول :

« حتى لو انهزم العرب فانني متفائل كمؤرخ » . نعم ... لان القضية العادلة لها النصر في النهاية كما يؤكد سير التاريخ .

واذا عدنا مرة اخرى الى أخطاء اليهود التاريخية فاننا نجد في تحصنهم حول تفوقهم العسكري ما يفسر لنا قولا آخر لمفكر يهودي هو « ماكسيم رودنسون » ... يقول رودنسون : ان اليهود لديهم نزعة انتحارية تاريخية .

وتفسير هذه الكلمة هو انهم يضعون انفسهم دائما في مآزق حضارية تؤدي بهم الى الانتحار او ما يشبه الانتحار . فاذا كان وجودهم اليوم في فلسطين والاراضي العربية الاخرى معتمدا على التفوق العسكري ... فماذا يحدث لهم اذا استفاد العرب من أخطائهم القديمة وسيطروا على قوتهم العسكرية وتفوقوا على اليهود ؟ ان هذا الموقف ـ الذي لا بد ان يحدث ـ سوف يؤدي باليهود الى مأزق تاريخي يشبه الانتحار .

ان أي دراسة لما تدعيه اسرائيل فكريا وحضاريا وما تبني عليه وجودها سوف يخرج بنا الى نتيجة واحدة هي ان اساس اسرائيل كله خطأ في خطأ .

هذه هي الافكار الاساسية التي تقوم عليها اسرائيل والحركة الصهيونية ، وكلها افكار خاطئة ترفضها حركة التاريخ الرئيسية .

دولة تقوم على اغتصاب شعب آخر .

ومجتمع يدعي ان له حقوقا تاريخية وحقوقا دينيـة في الارض العربية ... وليس له حقوق تاريخية ولا حقوق دينية بما يسمح له بطرد شعب باكمله والحلول محله .

انني أقصد من هذا الاستطراد التاريخي ان القي ضوءا على الواقع الراهن .

فاسرائيل تعزز جذورها في الاخطاء التاريخية والفكرية والانسانية .

بينما يعزز العرب جذورهم في مواقف سليمة وأفكار صحيحة وقضايا عادلة مهما كانت هزائمهم واخطاؤهم الجزئية في حق انفسهم .

ومن هنا يكون منطق التاريخ في صف العرب ، لانه في صف الصواب والعدالة ، وليس في صف الخطأ والانحراف والاضطهاد للبشر .

ومن الغريب ان يكون العرب بالذات هم اكثر الشعوب الذين عاملوا اليهود معاملة انسانية كريمة خلال مراحل التاريخ المختلفة .

ففي الحضارة الاسلامية كان اليهود يحتلون مكانهم كافراد وجماعات حسب كفاءتهم وقدرتهم على المساهمة في التقدم .

وفي التاريخ الحديث كان اليهود يعيشون في شتى اجزاء الوطن العربي في أمان واحترام يلقونه من الجميع .

وفي سنة ١٩٢٤ قام سعد زغلول زعيم ثورة مصر وبطلها في ١٩١٩ بتاليف اول وزارة وطنية ، وكان من بين اعضاء هذه الوزارة « يوسف قطاوي باشا » اليهودي المصري الذي كان وزيرا للمواصلات ثم وزيرا للمالية .

وفي جامعة القاهرة وهي أقدم جامعة عربية حديثة كان هناك استاذان كبيران يلقيان كل الاحترام والتقدير من العرب هما : اسرائيل ولفنسون وكان يسمي نفسه باسم مستعار هو « ابو ذئيب » و « بول كراوس » ..

وهكذا ... فالعرب لم يرفعوا سيف الاضطهاد ابدا ضد اليهود ، ولم يغلقوا امامهم باب الاندماج في المجتمع العربي بصورة سليمة . ومع ذلك فالعرب مطلوب منهم ان يكونوا ـ برضاهم ـ ضحايا المؤامرة الصهيونية الاستعمارية المشتركة .

ولم يكن بالامكان ان يتم هذا الامر ... ولا كان بالامكان ان يستمر اذا تم . والموقف الراهن الذي تمثله معارك اكتوبر العظيمة على جبهة مصر وجبهة سوريا هو البداية السليمة للرد على كل الاخطاء التي وقعت فيها اسرائيل منذ زمن طويل بمساندة الاستعمار ومساندة اخطاء العرب ضد انفسهم .

فاسرائيل تمثل مجموعة من القضايا الخاسرة وغير العادلة .

والعرب يمثلون مجموعة من القضايا الصحيحة والعادلة .

والتاريخ لا بد ان يكون في صف اصحاب القضايا العادلة ، وخاصة اذا عرفوا كيف يدافعون عن هذه القضايا ، وآمنوا بها ايمانا صحيحا لا ارتباك فيه ، وعرفوا كيف يفهمون الواقع الذي يحيط بهم على حقيقته ..

وقد ادرك العرب بعد تجارب مريرة ما ينبغي ان يدركوه .

ادركوا ان قضيتهم عادلة حتى في جذورها التاريخية القديمة .

وأدركوا ان العدالة وحدها لا تكفي للانتصار وحماية الحقوق..

فلا بد ان يكون العادلون اقوياء ومدججين بالسلاح .

ان العدالة الرقيقة الوديعة المثالية لم تعد تقنع احدا ... ولا حتى اصحابها .

ولا بد للعدالة ان تكون شجاعة وان تتصدى لمن يريدون تشويه وجهها الجميل .

ومن حق العرب ان يتفاءلوا ... لانهم في الواقع يقفون في الموقع السليم والصحيح ، رغم ما تعرضوا له من ضربات وهزائم .

من حقهم ان يتفاءلوا لان التاريخ معهم .

اما الذين يقولون ان هذه الحرب هي تمثيلية فهم في اقل القليل مخطئون . ان الدماء لا يمكن ان تكون جزءا من تمثيلية . عندما تنطلق الرصاصة الاولى وتسقط القطرة الاولى من الدم ... عندها لا يمكن ان يكون الامر لعبا او مسرحية من اخراج « كيسنجر » او من هم اقوى منه ...

وفي اعتقادي ان معارك اكتوبر العظيم سوف تكون بالدرجة الاولى درسا للعرب انفسهم قبل ان تكون درسا للاخرين ، فالهزيمة الحقيقية بعد ١٩٦٧ كانت في الحقيقة قد لحقت بنا في اعمق اعماق نفوسنا لا على جبهات القتال .

كنا قد فقدنا الثقة العادية بالنفس . كنا نشعر بالتهيب ، وكنا نشعر ان أي حركة من جانبنا سوف تلقى ردا عنيفا من العدو .

كانت عوامل التدمير في داخلنا وعوامل البقاء تتعطل .
ولم يكن شيء من هذا صحيحا ... ولم يكن بالامكان ان يستمر.
ان القضية الآن هي ان نتذكر الحقائق الرئيسية وان نؤمن بها ونثق فيهـا :

علينا ان نتذكر ان فلسطين عربية بالواقع والتاريخ معا .
وعلينا ان نتذكر ان العرب مائة مليون ، وعلينا ان نتذكر ان بيوت السويس المهدمة وان العلم الاسرائيلي الذي كان يرفرف على الضفة الشرقية للقناة كان يستفز قوة الحياة في الارض ... ولقد زرت هذه المواقع عدة مرات بعد ١٩٦٧ وكنت اشعر ان قوة الحياة ترفض هذا الواقع الاسرائيلي الموضوع في غير مكانه ...
كنت اشعر ان كل شيء يرفض حتى التراب والصخور .
وكان علينا ان ننتظر لحظة بداية جديدة ، وقد جاءت اللحظة ...

فاذا قالت اذاعة لندن :
ان العرب متفائلون بدون سبب .. فهي تخطىء التقدير .
لان الموقف العربي الاصلي يقف في نقطة عميقة من نقاط التفاؤل التاريخي بالنصر في النهاية .
واذا قال البعض :
انها تمثيلية من اخراج « كيسنجر » ، فان شهداء سيناء والجولان يقولون لنا باللون الاحمر : لا ... ان هذا كذب غير معقول .
وما أصدق الشهداء ...
لان دماء الشهداء ليست ولن تكون دماء تماسيح .
واذا قال قائل :
وأين السلاح الكافي ؟.. فان الاجابة الوحيدة هي ان نقرأ ما يقوله التاريخ ... من ان نتائج الحروب دائما تكون حسب نوع المقاتلين لا حسب نوع السلاح ...

البلاغ ١٥ تشرين الاول

الغزوة الثالثة

لا بد للعرب أن ينتصروا في هذه المعركة التي يخوضونها اليوم ...
وليس للعرب فرصة للتقدم والمشاركة في بناء الحضارة الانسانية بدون هذا النصر . وهذه دائما عبرة التاريخ في هذه المنطقة من العالم والتي اصبحت اليوم معروفة باسم الوطن العربي .
فكلما ضعف شعب هذه المنطقة وتخلى بسبب هذا الضعف عن دوره الحضاري زحفت عليه موجة استعمارية لتقتل ارادته وتسيطر على كل شيء في ارضه وحياته ...
وهنا تنتهي مشاركة هذه المنطقة من العالم في حضارة الانسان وتتراجع الى الوراء .
وعندما يستيقظ شعب هذه المنطقة ليملأ الفراغ في بلاده بنفسه فانه يطرد الموجة الاستعمارية ، ويساهم في الحضارة مساهمة بارزة متميزة .
وقد تعرضت هذه المنطقة لثلاث غزوات كبيرة :
والباحثون في تاريخ هذه المنطقة من العالم يكتشفون ان المعركة الراهنة هي الحلقة الثالثة من الغزوات التاريخية الكبرى ضد شعب هذه المنطقة .
كانت المعركة الاولى او الغزوة الاولى هي غزوة الاسكندر الاكبر ، فقد عبر الاسكندر البحر الى شواطىء مصر ، واجتاح الشرق ، ومن يومها بدأت السيادة الغربية على المنطقة وانسحق سكان المنطقة امام الغزاة الوافدين من وراء امواج البحر الابيض المتوسط .
وظلت المنطقة أسيرة لليونان والرومان حتى ظهرت الموجة العربية الكبرى مع ظهور الاسلام في القرن السابع للميلاد ، وامتدت الموجة الحضارية العربية بقوة واستطاعت ان ترد غزوة الغرب الاولى .
وانطوت صفحة الغزاة في هذه المنطقة . ويومها بدأ العرب يلعبون دورهم المضيء البارز في تاريخ الانسان .
ثم ضعف العرب وتمزقوا وبدأ الفراغ من جديد يظهر في الوطن العربي .
وعلى الفور ... ونتيجة طبيعية لهذا الفراغ الحضاري جاءت الغزوة الثانية من وراء البحر الابيض المتوسط ايضا .
وكانت هذه الغزوة الثانية هي غزوة الصليبيين ... جاءوا الينا من الغرب وأقاموا في الوطن العربي اكثر من مائة سنة ، وأرادوا ان يطفئوا شعلة الحضارة العربية في المنطقة ويقضوا على الانسان ويحولوا العرب الى تابعين .
وظهر صلاح الدين ليرد العرب ويرد الغزوة الثانية عن طريق تعبئة القوى الكاملة للامة العربية .. روحيا وماديا .
وبعد انتهاء هذه الغزوة على اثر معركة صلاح الدين العظيمة بدأت مرحلة جديدة من اليقظة والنهضة والنمو واحترام الانسان العربي لنفسه ولامكانياته ثم اقباله على المساهمة في حضارة الانسان .
وأخيرا جاءت الغزوة الثالثة الى الوطن العربي على شكل موجات من فرنسا وانكلترا ... وكانت بداية الغزوة هي الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٨٩٨ ، وظلت هذه الغزوة من يومها تأتي الينا في شكل موجات متتابعة حتى استقرت في شكل « دولة اسرائيل » .
الغرب الاستعماري من وراء دولة اسرائيل يريد مرة اخرى القضاء على هذه المنطقة وتحويلها الى منطقة تابعة ، على تحويل الانسان العربي الى انسان من الدرجة الثانية .. يخدم الغرب ، ويقدم اليه البترول والاسواق ، دون أن يكون سيدا لمصيره او مساهما اساسيا في حلق الحضارة الانسانية .
ولن تكون لنا حياة حقيقية الا اذا استطعنا ان نقف في وجه الغزوة الجديدة ونقضي عليها ... لا حياة للعرب ، ولا أمل لهم ، بدون خوض هذه المعركة الكبيرة والانتصار فيها .
اذا انتصرنا ، ولا بد ان ننتصر ، فسوف يبدأ عصر عربي جديد فيه الكرامة والامل للانسان في ارضنا ، وفيه القدرة على المساهمة الحقيقية في حضارة هذا العصر ...
تماما كما حدث بعد انتصارنا الباهر على الغزوة التي بداها الاسكندر وأنهاها العرب تحت راية الاسلام .. وكما حدث في الغزوة الثانية التي قام بها الصليبيون وقضى عليها العرب بقيادة صلاح الدين ..
وتماما كما ينبغي ان يحدث اليوم تحت راية الوحدة والتقدم والعدل والحرية .
انها الغزوة الثالثة التي بدأت بالحملة الفرنسية وانتهت باسرائيل ولا بد من القضاء عليها لنبدأ الحياة .
ولعل هذه الغزوة الثالثة التي تمثلها اسرائيل هي أهون الغزوات وأقلها خطرا .. لو عرفنا كيف نقرأ التاريخ .
على ان العبرة في الغزوات الثلاث ـ مهما اختلف حجمها ـ واحدة ..
لا بد ان ننتصر على هذه الغزوة لننهض ونتحرر ونتقدم ونتوحد.
ولا نهضة ولا تقدم ولا حرية ولا وحدة بدون هذا النصر .

الاحرار
٢٣ تشرين الاول

الاولى من الحرب الرابعة بخبر عسكري لا يقل أهمية ـ وهو اجراء تعديلات عسكرية هامة في القيادة العسكرية الاسرائيلية مما يؤكد ان الايام الستة الاولى من هذه الحرب تتكامل حلقاتها معا ، ويمكن اعتبارها مرحلة اولى وحاسمة في حرب الحياة او الموت التي ينخرط فيها العرب .. وكل العرب .

فبعد ٢٥ عاما من انشاء اسرائيل ، ولاول مرة ، ينخرط العرب في حرب هجومية مفاجئة .

ويمكن تصور المفاجأة ، ليس فقط ، لان القيادة العسكرية العربية الموحدة ، اختارت يوم « الغفران » الاسرائيلي ، ليكون يوم العمل العربي ، بل لان القيادة ايضا اختارت الساعة الواحدة و ٥٥ دقيقة ، وهو على غير المواعيد التقليدية للهجوم في الفجر تحت أول ضوء ، كما ان اختيار الساعة الواحدة يسمح ايضا بالقيام بعمليات العبور ، ثم تجنيد الليل لمصلحة العملية العسكرية .

وقد تباهت الحرب النفسية المعادية والتي ظلت تدك العقول والقلوب العربية ـ او تحاول ذلك ـ بأن العدو يعرف كل شيء عن أسرارنا ـ مثلا ـ بأن ابا ايبان ترجم توفيق الحكيم الى العبرية ، وان المخابرات الاسرائيلية (في كتاب عين اسرائيل) كانت تجمع كل تفاصيل الحياة اليومية لضباط وجنود مصر ، وتجمع كل عاداتهم ، متى يأكلون ، ومتى يشربون ، بل كانوا يجمعون منذ حرب ٥٦ كثيرا من التفاصيل غير المريبة من ألسنة الجنود المصريين ، وكانوا يقذفون بكل هذه التفاصيل الى العقول الالكترونية التي حددت لهم موعد الضربة المميتة للطيران المصري في حرب ١٩٦٧ وهو موعد افطار القوات الجوية في الصباح ، حين تكون أغلب الطائرات على الارض .

ومهما يكن من صدق هذه الانباء ، ومن البراعة التي قيل ان مدير المخابرات الاسرائيلية السابق ـ وهو صديق موشى دايان ـ قد أدخلها الى استخدام « قوة المعلومات » المنظمة والمكثفة والعصرية ، فأن جزءا بلا شك من هذه « الصورة » التي انشأتها وروجتهااسرائيل هي ان الجيش الاسرائيلي « جيش لا يقهر » ، وانه يعتمد على المعلومات الكاملة والتامة والتفصيلية ، وانهم يحصون علينا الانفاس والسكنات والحركات ، ويستخدمونها ويوظفونها لخدمة معاركهم وقبل اتخاذ قراراتهم .

وولم يتصور أحد منهم ان العلم ليس حكرا ولا احتكارا ، ، وان الجزائريين تعلموا من الفرنسيين ، وان الهند الصينية تعلمت من فرنسا واميركا .. وان الالمان تعلموا من الفرنسيين والعكس بالعكس ، وان مونتغمري تعلم من رومل وان العلوم العسكرية ليست امتيازا لجنس او دين او لون ..

لهذا جاء اختيار الوقت والزمان مفاجأة لاسرائيل .

ولذلك لم تكن المفاجأة في توقيت العبور ، وطريقة العبور ، ولكن المفاجأة لهم ـ انها مزقت أسطورة غير علمية وغير عصرية من ان العلم احتكار على « العقل » الاسرائيلي .

ومما يؤكد ان المفاجأة كانت اكبر من مجرد اختيار تكنيكي موفق ليوم العبور والهجوم ، وساعة هذا العبور وهذا الهجوم ، ان « الجو » العام الذي عاشت عليه اسرائيل وطوال فترة اللاحرب واللاسلم يوحي بغطرسة عسكرية لم يشهدها تاريخ السجال بين البشر ، باستثناء العقلية البروسية ثم الهتلرية . فلقد كان من بين تصريحات موشى دايان التي سبقت الحرب ببضعة اسابيع « ان اسرائيل لم تكن في يوم من الايام اكثر أمنا ، ولا أشد طمأنينة منها تلك الايام » . كما قررت الحكومة الاسرائيلية تخفيض الاعتمادات العسكرية اعتبارا من السنة المالية المقبلة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ، كما وضعت المخابرات الاسرائيلية تقريرها السري « الشهير » عن الشرق الاوسط عام ٢٠٠٠ ، فوضعت العقول الالكترونية والتقدم والتكنولوجيا والروح العلمية والعصرية في كفة اسرائيل ، ووضعت التقدم المتعثر، والتمزق ، والتخلف في صف ومن نصيب وقدر العرب .

وهكذا استغلت اسرائيل التقديرات الالكترونية والعلومالجديدة للتنبؤ بالمستقبل لتقول ان اسرائيل ستزداد تفوقا ومناعة ورسوخا ، وان العرب سيبقون غارقين في بحيرة الكلمات الراكدة ، والاغاني الخليعة ، وبلادة الاحساس بالوقت .. الى غير ذلك .

والمفاجأة من الناحية العملية ان الاسرائيليين كانوا يأخذون آلاف الاطنان من الرمال .. التي كان المصريون قد ألقوها على الضفة الشرقية من قناة السويس ، والتي كانوا يستخرجونها من جوف القناة لتوسيع مجراها ، حتى تستوعب الزيادة المنتظرة في التجارة الدولية ، لزيادة حجم الدخل من القناة ، لمواجهة الاعباء الداخلية ، فاذا بالاسرائيليين بعد الاحتلال يرفعون هذه الرمال الى ستة امتار ، لتصبح سواتر عسكرية ..

وهكذا أصبح من مصاعب العبور ، ليس فقط اختراق القناة ، ولكن ايضا اقتحام هذا الساتر الرملي الذي وصفه الفريق سعد الدين الشاذلي بأنه أكبر وأعلى عائق مائي وبري في تاريخ حروب المنطقة ، ان لم يكن في العالم (باستثناء نهر الراين في بعض المناطق) .

فاذا كانت المفاجأة قد تضاعفت باختيار الوقت ، والساعة ، واجتياز العوائق المائية والبرية ، فان المفاجأة ايضا التي تجعل كل خبراء المنطقة العسكريين يراجعون حساباتهم هو ذلك الانجاز الذي أتمته القوات المصرية حتى قضت على أسطورة أخرى .. طالما لعبت بها وسائل الاعلام الاسرائيلية ، وفروعها المنتشرة في أنحاء عديدة من العالم .

هنا المفاجأة هي : التكنولوجيا والعقل العربي .

فلم تلعب كلمة عصرية مثل هذه الكلمة في حياة المجتمع المصري ، حتى كاد المصريون جميعا يصابون بعقدة جماعية اسمها « التكنولوجيا » !

وعلى الرغم من ان المصريين منذ أيام محمد علي ، حاولوا استيعاب فنون نابليون الحربية ، حين ذهبت أول بعثة مصرية الى باريس عام ١٩٢٤ ، وتركز جهد الكثيرين على التعلم في مدرسة البولتكنيك ، وهي المدرسة التي أنشأها نابليون للضباط الذين يتعلمون الهندسة العسكرية ، وعلى الرغم من ان الجيش المصري في ذلك الوقت ـ عن طريق بعثات الكولونيل سيف الذي أشهر اسلامه وأصبح اسمه سليمان باشا الفرنساوي ـ وعن طريق البعثات الذاهبة والقادمة من باريس ، حاول هذا الجيش استيعاب علوم القرن التاسع عشر بكل تعقيداتها في ذلك الوقت ، الا ان الدول الاوروبية ضربت الجيش المصري ضربة قاصمة ونهائية في معركة نفارين البحرية عام ١٨٤٠ ، وكانت ضربة ١٨٤٠ تشبه الى حد كبير ضربة ١٩٦٧ ، لان البحرية في القرن التاسع عشر كانت مثل الطيران في القرن العشرين ... وانسدل على مصر هذا الظلام الدامس الذي انتهى الى اغلاق المدارس ، في أيام سعيد وعباس ، « حتى يتخلص المصريون من العلوم « الافرنجية » ، التي قيل انها كانت من اسباب النكسة » .

وتخلخلت الثقة وهبط الشوق الى العلوم العصرية ... وكان الانحطاط الحقيقي . وقد أدرك عبد الناصر فور الهزيمة ان الجيش الذي لا ينفتح على أحدث العلوم الحربية لا يستطيع ان يقوى على الحياة وسط هذا القرن المليء بأشرس انواع الحروب .

ومن هنا كانت الهزيمة درسا سريعا ، واليما ، ومريرا له ولنا ، وللجميع ، وكان لا بد من التصميم على التعلم والتدرب والانفتاح على العلوم العسكرية العصرية التي تتيحها لنا علاقتنا بالعلوم والعقول والخبرة التي تتوفر للسوفيات كمحاربين ، لهم خبرات هائلة في الحرب العالمية الثانية ، وقدرات معروفة في تطوير السلاح .

ومهما قيل ، أو يقال ، فان معارك الايام الستة الاولى من الحرب الرابعة اثبتت حقيقة هامة ، وان الاسلحة التي يستخدمها

العرب (وطالما دخلت هذه الاسلحة في ميادين المناظرات السياسية والعواطف الايديولوجية) انما هي أسلحة صالحة وعصرية وتستطيع أن تواجه او تنجح في مواجهة كل ما في ترسانة اسرائيل من اسلحة غربية . وان استيعاب الجندي المصري للتكنولوجيا العصرية على درجة كافية من الكفاءة .

ولعل هذه الايام الستة قد طوحت نهائيا والى الابد تجارة الهزيمة « النفسية » التي راجت بعد الهزيمة العسكرية .

لقد قيل الكثير عن « نوعية » القيادة العربية ، وراجت قصص بعضها حقيقي وأليم حقا . وبعضها يقوم على الحقائق فعلا .

ولكن « تجارة » الهزيمة نشطت وتحولت الى مطبوعات ومجلات وحملات باسم الموضوعية او الغيرة على الموضوعية ، ويقودها تجار وسماسرة وأنصاف متعلمين .

ولم يعان هؤلاء لا تجربة الهزيمة الاليمة ، ولا تجربة الهزيمة المفيدة .

ولم يقرأوا لا سارتر ، ولا كامو عند انهزام فرنسا ١٩٤٤ ، ولا تعاطفوا مع شعراء فلسطين وأحسوا بما في جوفهم من تجارب .

ولم يعيشوا في مصر مع الشعب الجريح حين انهزم .

كانت مصر بعد الهزيمة أشباحا لا أرواح ، سلبت الحياة من شرايينها .

ولم يكن ٩ و ١٠ يونيو الا تعبيرا عن رفض هذا « النوع » من الهزيمة . ولم يكن فقط احتجاجا على الهزيمة ، بل احتجاجا على « ظلم » الهزيمة .

ولم يكن التململ الشعبي من حالة « اللاحرب واللاسلم » الا تعبيرا خاصا وخطيرا عن هذا الرفض .

ولم تعد صيحة تحرير الارض الا تعبيرا عن رجل الشارع ، والمثقفين ، والطلبة وكل الشعب (وكثيرون لم يدركوا اعماق هذه الحركات ، وأهدافها الوطنية الصادقة) .

ولا زلت أذكر أيام هزيمة يونيو حين كنت في السويس أقابل قادة الجيش وضباطه وجنوده يعودون ، وكنت أبحث عن بصيص الامل وسط سواد الهزيمة .

كنت أرى في هذا الامل نوعا من العدل الذي يستحق البحث عنه ..

وتأكد لي ذلك عندما لقيت سعد الدين الشاذلي ، لاعلم كيف انسحب من صحراء سيناء .

فلقد انسحب ـ بطريقة المروحة ـ التي تتسع ثم تنضم .. بطريقة تقلل الخسائر بأقصى درجة ممكنة .

وليس هنا مجال الافاضة عن دوره ـ أو الحديث عن دور غيره من القادة العسكريين ـ ولكنني لا زلت أذكر اليوم الثاني الذي قضيته مع الفريق أول سعد الدين الشاذلي ـ وكان لا يزال عميدا ـ في مدينة حرض باليمن الشمالية عام ١٩٦٦ .

لقد قضيت يوما كاملا وليلة كاملة في موقع قيادته .

وكانت المنطقة صحراوية .

كان الاعصار يرتفع أمامنا في أعلى منطقة ، ويلتف ، ثم يقتلع أي شيء ، وكان يرتفع في هذا الهجير الى مستوى عال جدا ، حتى يتحول التراب الى ثلج من شدة الارتفاع ...

وقال لي سعد الدين الشاذلي : ان هذه المنطقة هي التي زحف فيها الحبش على العرب ، وهي التي نزلت فيها آية القرآن الكريم حول الطير الابابيل التي تلقي حجارة السجيل .

وكان من الطبيعي أن نتحدث عن الجو والانواء والعواصف ، لان كل شيء كان مغطى بالتراب والعواصف الرملية .

فقال سعد الدين الشاذلي :

ـ لقد تعودت عليها من صباي .

لانني كنت أعشق الطيران الشراعي ، وكنت أمارسه منذ صباي .

وقال لي شارحا ان من يفهم « الجو » ، يدرك انه مثل الموج .. اذا فهمته لا تغرق فيه .

وكان سعد الدين الشاذلي شابا في الاربعين . لا يبدو عليه السن . فقد صحوت اليوم التالي لاراه يقوم بتدريبات الصباح مع جنوده ..

وليس هذا مجال التفاصيل ، ولا كشف دوره ـ او دور غيره ـ في الدفاع عن شواطىء البحر الاحمر ، حين كانت اسرائيل « تعربد » داخل أعماق الاجواء المصرية .

انما قصدت ان اذكر « نوعية » قيادة عسكرية ، تتسم بالصبر والدقة والعلم ... وحب وفن الدفاع عن الوطن .

وفي أيام الهزيمة ، وأعقابها ، وحين اشتدت الحملة النفسية ووصلت الى قمتها ، وكانت اسرائيل تدخل بطائراتها ، وتهبط الى المستوى القريب من أسطح المنازل لتمزيق الجو ، وتحطيم زجاج النوافذ ، كان انور السادات نائبا للرئيس عبد الناصر .

وحمل أنور السادات معه مجموعة من الصحف والمقالات الاجنبية التي تحاول دك الثقة الداخلية . وكان الاجتماع في قاعة الاتحاد الاشتراكي العربي بالقاهرة .

وروى السادات قصة الجندي المصري الذي احترق وهو يقبض على مدفعه .. أثناء احدى الغارات الاسرائيلية « السيكولوجية » .

وقال السادات : هذا هو الجندي المصري .. الذي تحول الى فحم ، ولم يترك مدفعه .

والغريب انني تتبعت عددا من خطابات أنور السادات ، فوجدته كثيرا ما يذكر هذا المثل .. الذي يدل على ايمانه بنوعية الجندي المصري .

واذا كان شوفيل مراسل « الفيغارو » قد كتب عن الشاذلي يقول ان سياسته هي ادخال روح جنود المظلات في الجيش المصري كله ، واذا كانت هذه القصص وغيرها تدل على ان الفترة الماضية لم تضع هباء ، ولا سدى ، فيبدو ـ ولحسن الحظ ـ ان اسرائيل ظلت متمسكة بأسطورة « الجيش الذي لا يقهر » او الجيش الذي قضى على عدوه في أسرع معركة حدثت في القرن العشرين .

ولحسن الحظ ، ان القيادة الاسرائيلية ، تظن انها هي وحدها التي تتمتع بحق العلم والتكنولوجيا والقدرة عليها ، ومن حسن الحظ ان هزيمة يونيو كما كانت هزيمة مريرة ، كانت مفيدة .

وأعظم الفوائد ـ علاوة على الثقة بالعلم ، والتكنولوجيا ـ ان خطة اميركا لعزل مصر عن العرب قد سقطت مع أول قذيفة ، وأول جندي مصري عبر قناة السويس .

✶ ✶ ✶

ويبدو ان المرحلة القادمة مرحلة حاسمة جدا ودقيقة جدا . فلا تزال قوات هائلة من الطرفين لم تنخرط بعد في المعركة ودخول القوات العراقية والجزائرية وبقية القوات العربية سيعطي بعدا بشريا جديدا للمعركة . وقد تعلمنا من دروس الماضي ان نبحث عن الامل وسط اليأس ، وان نحاسب ونزن ونحذر من التفاؤل أو المبالغة .

فلا تزال في الحرب جولات ... عسكرية ، وبترولية ، ودولية . لا زالت الحرب دائرة .

واذا كنا قد كسبنا معركة .. فالقضية هي ان نكسب الحرب .

البلاغ

١٥ تشرين الاول

سامي خشبه

الآن .. نحتاج الى فن الابطال

كل الملاحم المصرية والعربية التي صاغها الشعب المصري والعربي في عصور المواجهة الهائلة ضد الصليبيين والتتار . ملاحم عنترة وسيرة بني هلال والاميرة ذات الهمة والظاهر بيبرس والزير سالم وحمزة البهلوان وحكايات الملك النعمان وولديه شركان وقمر الزمان ، التي ضمت الى ألف ليلة وليلة المصرية ، كتبها وصاغها الشعب المصري والعربي في مراحل الصراع الحضاري والقومي الهائل ضد القوى الاجنبية ، الاوروبية والاسيوية التي حاولت تدمير حضارتنا وطمس معالمنا القومية والروحية الاصيلة . انها العصور « البطولية » التي عاشها الشعب العربي في مراحل الدفاع عن نفسه وعن حضارته. وليس من الغريب ان يدمج الشعب في هذه الملاحم عصرين بطوليين دون اعتبار لفارق الزمان بينهما : عصر الفتوح العربية الاسلامية الكبرى ، وهو عصر « الهجوم » الحضاري العربي ، وعصر الحروب ضد الصليبيين والتتار والمغول ، وهو عصر « الدفاع » الحضاري الباسل ، ليس من الغريب ان نرى في هذه الملاحم عنترة بن شداد ، او المهلهل ، عدي بن ربيعة وهو « الزير سالم » او الملك « سيف بن ذي يزن » وهم يدافعون عن الاسلام ويقولون الشعر في مدح الرسول الكريم ، وفي تمجيد القيم الروحية والحضارية البطولية التي رسخها ابطال الفتوح الحقيقيون ، حمزة وعلي وخالد وابو عبيدة وسعد بن أبي وقاص والنعمان بن مقرن ومحمد بن قتيبة ومحمد بن القاسم وطارق بن زياد وغيرهم ..

ليس ذلك غريبا لان « القيم » الروحية والحضارية التي رفع رايتها ابطال الهجوم هؤلاء ، هي نفس القيم التي صاغها وجسدها ابطال « عصر الدفاع » ، رغم ان عنترة والمهلهل وسيف بن ذي يزن عاشوا قبل النبي – صلى الله عليه وسلم – بنصف قرن على الاقل . لكن الشعب الذي اراد ان يجسد بطولته وقيمه ورموز حضارته الروحية والاخلاقية في « اشخاص » محددين ، وقع اختياره على « الرجال او النساء » الذين عاشوا حياة « الابطال » الحربيين ، وحملوا في نفس الوقت راية القيم الروحية والاخلاقية العزيزة على الشعب ، وجسدوا في اشخاصهم فضائل شعبهم وقاوموا رذائله .

سمتان اساسيتان نراهما في هؤلاء الابطال الملحميين : انهم كانوا ابطالا مقاتلين في ساحات الحرب لا يهزمون ، حتى النساء مثل الاميرة ذات الهمة ، وانهم كانوا « شخصيات » انسانية متكاملة وعلى قدر كبير من الواقعية رغم قدراتها الخرافية التي تتناقض مع قوانين الطبيعة . انها شخصيات واقعية ، وليست مجرد « رموز » غامضة ، وهي واقعية ليس فقط لانها تتكامل في كل جوانب السلوك والعواطف والتفكير : الحب والنزوات والاندفاع والتأمل الرصين والتدبير والمراوغة .. الخ .. ولكن لانها كانت ترتسم في الملحمة ، في العمل الادبي التلقائي الكبير ، على مساحة عريضة من الزمان والمكان ، لكي تصبح في النهاية « نمطا » عاما ، يشير الى كل الافراد الآخرين « المحتملين » من ابناء الشعب ، وفي نفس الوقت تحتفظ بتميزها وتفردها الشخصي : البطل فرد متميز لا مثيل له ، وهو في نفس الوقت نمط يحمل السمات العامة لشعبه كله . وهذا هو القانون الاساسي للواقعية .

ولهذين السببين ، وخاصة لواقعيتهما الانسانية هذه ، ظلت تلك الملاحم تلعب دورا أساسيا في تغذية وجدان الشعب على مر العصور ، وحتى زمن قريب جدا . وجاءت المطبعة ، والتعليم ... وتلاهما الراديو والسينما والمسرح والتليفزيون ، وأزاحت هذه الوسائل الجديدة « شاعر الربابة » مغني الملاحم القديمة من مكانه ومكانته ، وشرعت تقدم اعمالها الخاصة التي يكتبها ادباء وكتاب معروفون بالاسم . حلت الوسائط الجديدة محل الشاعر القديم .. وحل هؤلاء الكتاب الافراد محل الشعب كله في ابداع الاعمال الادبية التي لا غنى للشعب عنها ولا يعيش حياته الوجدانية والعقلية الا بها ..

المدهش اننا نعيش الآن ، ومنذ جيل كامل على الاقل ، عصرا « بطوليا » نواجه فيه غزوة حضارية كبيرة ، ونتحمل فيه ايضا مسؤولية التحول الاجتماعي التاريخي الكبير . الجهد الذي تبذله الامة الآن يسير بكل عناصر « البطولة » في طريقين لا ينفصلان : الجهد العسكري من اجل التحرير ، والجهد السياسي والاقتصادي من أجل التحول الاجتماعي الشامل ، وعلى كل طريق من الطريقين ، ينتصب أبطال حقيقيون ، لا حد لبطولتهم ، ولا حد في نفس الوقت لبساطتهم وتواضعهم النضالي العظيم المشبع بالكبرياء ، والجميع جاءوا من ارحام نفس الشعب ، وخرجوا من نفس المدن والقرى والحقول والمصانع والمدارس والجامعات ، والجميع يناضلون بالدم والعرق والفكر من اجل الدفاع عن وجودنا المادي ذاته ، وعن مقومات وجودنا المعنوي ، قيمنا الحضارية ، الروحية والاخلاقية ، وفي نفس الوقت يهاجمون اوكار التخلف والجهل والفقر والقهر ويدكونها لكي يشيد شعبنا حياته الجديدة .

نحن نعيش في عصر بطولي امتزج فيه الهجوم الحضاري بالدفاع الحضاري .. في معركة وطنية واجتماعية لم يعش وطننا شبيها لها من قبل . وأبطالها لا يتمتعون بقدرات خرافية ، ولكنهم اناس عاديون ، بسطاء ، يثقون في العمل والعلم والحياة والمستقبل ، ويعملون في ساحة القتال وفي ميادين الانتاج بنفس المثابرة والصبر وانكار الذات . ورغم هذا فما اقل ما ابدعه ادباؤنا عن هؤلاء الابطال من اعمال ادبية ، ما اقل الابطال الذين صاغهم ادباؤنا لكي يجسدوا فضائل الشعب في هذا العصر البطولي المزدوج العظيم ، وكي يكونوا أنماطا يشيرون الى ملايين الابطال الحقيقيين في كل مكان .. وأفرادا حقيقيين يلهمون الملايين بتجسيدهم البارز المحمل بجمال الفن وطاقته الشعورية الفياضة لفضائل ملايين الابطال الحقيقيين .

ربما كانت لهذا التقصير اسباب موضوعية كثيرة ، ليس هذا مكان بحثها . ولكن ، لا شك ان كل هذه الاسباب يمكن ان تتراجع الان الى منطقة الظل لكي تخلي مكانها للسبب الجديد الذي يدفع بأبطال الحياة الايجابيين العظماء الى مركز الصدارة في ادبنا ومسرحنا واخلاقنا وكل انتاجنا الفني .

هذا السبب هو الذي صاغه جنودنا بالدم على رمال سيناء ، وعلى صخور الجولان وسفوحه . لا مسوغ للتلكؤ في ابداع هؤلاء الابطال : فليمد الكاتب يده الى الحقيقة لكي يحصل على عشرات « الابطال » الحقيقيين ، المتواضعين في بساطة مذهلة ، وهم الذين يجتازون النار والفولاذ في كل لحظة ، ويجترحون المعجزات الانسانية في تلقائية لا يستطيع غير الفن العظيم ان يجعلنا ندرك كل أبعادها .

فلينس كتابنا قليلا الهموم الحقيقية التي افرزت ادب الانهيار، لان املا عظيما ومعركة هائلة تقدم السبب الحقيقي والمبرر لابداع ادب البناء ، البطولي ، الواقعي الذي نتمناه .

الجمهورية
١٩ تشرين الاول

سليمان فياض

الخلود حق للشهداء

ما ينبغي أن نفكر فيه من الآن ، ونحن نخوض حربا مصيرية عادلة ، هو كيف نكرم شهداءنا في هذه الحرب ، والتكريم الوحيد للشهيد هو تخليد اسمه ودوره ، وهويته وذكراه ، فقد قبل ان يفنى في المجموع ، وان يمنح كل وجوده وحياته لقومه ، ويضحي بالعمر الوحيد الذي يملكه ، عن ارادة واختيار ، في صمت ورضا .

ولقد درجنا منذ قرون على منح هذا التخليد بصورة عمومية للشهداء ، في ابان القتال وبعده ، بنصب تذكاري للجندي المجهول ، متجاهلين اسم كل شهيد ودوره ، وحياته وهويته ، ذكراه الشديدة الخصوصية ، او بتخليد بعض الشهداء البارزين لاسباب اجتماعية او عسكرية مختلفة ، وترك الباقين من الشهداء اسمائهم سجينة السجلات ، وقليل منهم من يطل اسمه علينا بين سطور صحيفة ، أو دورية من الدوريات .

وأثناء المقاومة المصرية لاحتلال جيوش نابليون لمصر قام الجبرتي بعمل أفضل في تخليد الشهداء ، كتب عن كثيرين منهم عمدا وفلاحين وتجارا وحرفيين وعربا ، ومنذ ما يقرب من قرنين .

وبوسعنا الآن ، ان نبدأ في الاعداد لتخليد شهدائنا واحدا واحدا ، وبالاسم والدور والهوية والحياة كما تفعل الدول المتقدمة ، وبخاصة الدول الاشتراكية مع شهدائها ، ومن صور هذا التخليد الذي هو حق علينا ، مفروض ان نؤديه ، ونفي به ، « لكل شهيد » :

☐ اقامة نصب تذكاري ، في كل قرية ، ومدينة ، وعاصمة اقليم ، يكتب عليه أسماء شهداء هذه القرية ، او المدينة ، او ذلك الاقليم .

☐ اعداد متحف خاص في كل قرية او مدينة او عاصمة اقليم ، او ارض معركة كبيرة ، يضم كتيبات عن شهداء القرية او المدينة او الاقليم ، تعرف بهم ، وتكشف عن دورهم الذي أدوه للوطن ، ويضم صورا مطبوعة لهم ، والمخلفات الشخصية التي حصلوا عليها من المعارك التي خاضوها .

☐ اطلاق اسماء الشهداء في كل قرية او مدينة او عاصمة اقليم على شوارعها وميادينها ، والطرق المؤدية اليها ومدارسها ومنشآتها .

☐ اعداد أفلام تسجيلية للمعارك التي خاضها الشهداء لاستثمارها في أفلام خاصة بهذه الحرب ، ليس فقط تعبيرا عن المجد الوطني ، وانما ايضا وفاء لهؤلاء الشهداء بحقهم في الخلود ، كأي كاتب ، او عالم ، او فنان ، او زعيم ، او قائد .

وهذه الوسائل والصور لتخليد ذكرى كل شهيد ، يمكن الاعداد لها وتنفيذها ، عن طريق الثقافة الجماهيرية ، والتوجيه المعنوي للقوات المسلحة ، وأهل هؤلاء الشهداء في القرى والمدن وعواصم الاقاليم . وتجارب العالم المتقدم في هذا الموضوع يمكن دراستها والاستفادة منها بما يناسب الواقع المحلي للشعب المصري .

ذلك هو السبيل الوحيد لتحول الشعار « الخلود حق لكل شهيد على الطريق » من كلمات الى أفعال ، من تعميم الى تخصيص ، من حماس موقوت ، الى وفاء دائم ، وباق ، لكل شهيد .

ان شهداءنا هم أفضل من خدم مصر ، وحافظ على روحها ، وتخليدهم ، كل على حدة ، يعني اننا نقيم شعلات مضيئة لكل أجيالنا القادمة ، تحفزهم على التضحية كلما تعرضت روح مصر وحياتها للخطر ، ارضا وشعبا ومستقبلا وحياة ، تدفعهم الى القبول بالفناء في المجموع ، وبالاستشهاد من اجل الوطن ، وقضاياه الانسانية العادلة .

الطليعة
عدد تشرين الثاني

عز الدين آسماعيل

متغيرات صنعتها حرب العدالة

كثيرون اولئك الذين كانوا قد فقدوا الايمان بامكانية تغير الواقع أو كادوا يفقدونه . ولم يتولد هذا الشعور اليائس وهذه النظرة الانهزامية الا في غياب الادراك الواعي لحقائق التاريخ وللقوى الفعالة الكامنة في صميم الواقع نفسه .

ولقد غيرت حرب السادس من اكتوبر — فيما تواتر من تعليقات الخبراء العسكريين — كثيرا من المفاهيم العسكرية التي كانت سائدة حتى بداية هذه الحرب . ولست مؤهلا للخوض في هذه المفاهيم التي غيرها جنودنا المقاتل في ساحة الشرف ، ولكنني أكتفي بأن أبدأ احصائي ورصدي للمتغيرات التي احدثتها هذه الحرب بهذا التغير الباهر .

أولا : هناك متغيرات على المستوى الوطني تتمثل فيما يلي :

١ — التقدير المتبادل بين فئات الشعب ، وبروز الجوهر الانساني في السلوك العام .

٢ — الخروج من السلبية واللامبالاة الى العمل الايجابي نتيجة لوضوح الهدف .

٣ — التضحية بشتى صورها لدى كافة القطاعات الشعبية في سبيل تحقيق الهدف .

٤ — اختفاء جرائم القتل والسرقة وغيرها نتيجة لادراك كل فرد لواجبه وانهماكه في اداء دوره .

٥ — سقوط كل دعاوى التفرقة البغيضة بين فئات الشعب وفي داخل الفئة الواحدة ، وبروز الوحدة الوطنية كأقوى ما تكون .

ثانيا : هناك متغيرات على المستوى القومي ، تتمثل فيما يلي :

١ — ان الوحدة العربية قد تحققت سلوكا وعملا ، لا كلاما وشعارات .

٢ — ان الطاقات العربية التي كانت بفعل عوامل كثيرة — مشلولة عن العمل قد تفجرت وانطلقت على نحو لا يمكن رده اوالوقوف في طريقه .

٣ — ان هذه الامة العربية قد وقفت — بسبب تلك الحرب — على بداية طريق نهضة شاملة كفيلة بأن تجعلها قوة فعالة ومؤثرة في موازين القوى العالمية .

ثالثا : هناك متغيرات على المستوى العالمي ، تتمثل فيما يلي :

١ — ان كل التصورات التي اجتهدت الدعاية الصهيونية طوال ست سنوات في تثبيتها في اذهان شعوب العالم ، تلك التصورات التي تستهدف التهوين من شأن العرب والحط من قدراتهم والنيل من كرامتهم قد انهارت .

٢ — ان كثيرا من الحكومات التي كانت مخدوعة في اسرائيل الصهيونية قد افاقت على الحقيقة ، فسحبت ثقتها فيها ، ووجهت اليها اصبع الاتهام ، حتى صارت في عزلة توشك ان تكون تامة .

٣ — ان بعض الدول التي ظلت — حتى بعد قيام الحرب — تناصر اسرائيل وتقدم اليها شتى المعونات ، قد بدأت — مثل المانيا الغربية — تتراجع امام المد العربي وتبدي أسفها على ما تورطت فيه .

٤ — ان منطقة الشرق الاوسط تقع من قلب العالم في الصميم ، ومنها تخرج شرايين الدم الى شتى أنحاء العالم ، الامر الذي اخذت شعوب العالم تدرك خطورته .

والمهم الآن — حتى بعد ان تحقق الحرب اهدافها العادلة — ان نعمل على تعميق شعور العالم بخطورة المنطقة على حياة كثير من الشعوب ، بخاصة في العالم الغربي .

لقد صنعت حرب السادس من اكتوبر الكثير من التغيير ، وسوف يكشف المستقبل عن مزيد من أبعاد هذا التغيير على مستوى الفرد العربي والامة العربية والعالم أجمع .

الجمهورية
٢٨ تشرين الاول

اسماعيل صبري عبدالله

حي على القتال

ما اروع الفتيان يقتحمون اليم والنار والسماء .

وايه يا مصر يا ام الفلاحين والعمال والمثقفين الذين يجودون غاية الجود فيحطمون الاساطير ويقطعون قيود الاوهام .

وتحية للقائد الذي تحمل في جسارة مسؤولية قرار لم تشك جماهيرنا لحظة في حتميته .

ومرحى بوحد النضال العربي تصوغ في نار الحرب وجها للقومية العربية جديدا وغنيا بالوعود .

وشكرا للاصدقاء والانصار في كل مكان يقدمون التضامن والمساندة بكل ما وسعهم .

ونحن في الصفوف الخلفية لن نكون من القاعدين . فلم يعد ثمة عذر لقاعد . ولكل اليوم مكان :

نصون الوحدة الوطنية كصوننا لحبات العيون او اشد . نقيم كل شخص لا بما قال او فعل بالامس ولكن بما يقدم اليوم من أجل النصر .

نهيىء النفس لحرب ضروس ضد عدو احترف الغصب والقتل واصطنع الخديعة والارهاب وترسخت عنده الاوهام من الشعب المختار الى ارض الميعاد الى التفوق الاوربي .

نبذل . ويسأل كل واحد منا نفسه دوما ماذا صنع من اجل الحرب وكيف يصنع المزيد : في الدفاع المدني والشعبي . في الانتاج . في الخدمات . في التكافل الايجابي مع كل من تصيبه الحرب .

لقد بدأنا قتالا مريرا وضاريا . وان بعثا جديدا لينتظر شعبنا المصري وأمتنا العربية .

حي على القتال .

حي على الانتصار .

الاهرام

١٦ تشرين الاول

انيس منصور

مواقف

في سنة ١٩٦٧ قالوا عن المقاتل المصري : كانت عنده احدث الاسلحة واكثرها خطورة .. انها نفس الاسلحة التي جعلت العالم كله يتفرج على خيبة اميركا في فيتنام . فالعيب في الجندي وليس في السلاح ..وكان من الواجب ان يرتفع الجندي المصري الى مستوى السلاح الذي يضعه في يده وتحت قدميه ويغطي به رأسه في هذه الصحراوات العارية !

وفي سنة ١٩٧٣ قيل عن الجندي العربي : انه ينتصر بفضل الاسلحة المتطورة .

والصحف الغربية ووكالات الانباء تظلم هذا البطل العربي في سيناء والجولان . فالسلاح كان موجودا قبل ذلك .

ولكن شيئا جديدا قد حدث . ان المقاتل العربي قد تدرب وتعلم على هذه الاسلحة التي ترى له وتسمع له وتسدد له .. ثم ان هناك جنودا آخرين يفكرون له ويدبرون له الطعام والشراب والامان. ثم ان هناك عقولا قد درست وصممت ورسمت له خريطة النصر . ثم ان هناك سلاحا اخر قويا عميقا هو ايمانه بالله وتمسكه بقضية الحرية والعدل ، وان يستعيد شرفه للاجيال القادمة .

هذا المقاتل العربي قرر ان تشرق الشمس في ليل الهزيمة ، قرر ان يرسم قوس قزح اكثر بريقا ولمعانا على السحاب الاسود للظلم والهوان .. ان بذرة الهزيمة قد غرسها في أرض طيبة ، فكانت شجرة النصر المبارك ، باذن الله .

والمقاتل العربي – مقاتل وعربي . وهذه ارضه . وهذا حقه . وليس كالمقاتل الاسرائيلي : من كل لون وكل جنس وكل ارض. حبسوه في قفص من الاسمنت ثم أطلقوه في قفص من الحديد واشعلوا فيه واشعلوا به النار – ان هذا ما يقوله الاسرى . انهم يؤكدون لنا – بلا ضغط عليهم – انهم مدفوعون الى القتل والى القتال .. وانهم يريدون ان يعيشوا مثل اليهود الآخرين في اوروبا واميركا بلا خوف من أحد ، وبلا اكراه على الموت فوق رمال سيناء والجولان ، من أجل قضية لا يفهمونها !

ان لرجالنا مكانا عاليا في حياتنا وتاريخنا ..

وسوف يكون لرقم ٦ مكان خاص بين كل الارقام : حرب الـ ٦ ايام .. و٦ اكتوبر .. وسام ٦ .. واختراق بارليف في ٦ ساعات .. والحاسة السادسة التي الهمت قادتنا ان يختاروا ساعة العبور في يوم النصر !

الاخبار

٢٢ تشرين الاول

السيد ياسين

نحن والعدو

من خلال الصراع الضاري مع العدو . وفي لهيب المعارك العنيفة التي تخوضها قواتنا المسلحة الباسلة ، وعلى ضوء السلوك الثوري لجماهيرنا المناضلة الواثقة من النصر النهائي بالرغم من جسامة التضحيات ، تبدو أصالة الشخصية العربية ، ويتكشف معدنها الحقيقي . لم تفلح الحرب النفسية المسعورة التي شنتها اسرائيل عقب حرب يونيو ١٩٦٧ ، والتي حاولت بكل الوسائل تشويه صورة الشخصية العربية ، وتزييف ملامحها وقسماتها الرئيسية ، في ان تجعلنا نفقد ايماننا بفاعلية الشخصية العربية وايجابياتها .

ان الشخصية العربية تمثل نمطا اصيلا من انماط الشخصيات القومية . فهي شخصية عريقة صيغت عبر القرون ، على هدي نسق مترابط من القيم الانسانية . هذه الشخصية يسري في صميمها حب الحرية ، الذي يكشف عنه الرفض القاطع للغزو والقهر ، وكل محاولات السيطرة الاجنبية ، وذلك من خلال ممارسة النضال الثوري ضد الغزاة والمحتلين والمستعمرين . ان اجيالا وراء اجيال من الشعب العربي ، في سوريا ومصر والعراق ، في ليبيا وتونس والمغرب والجزائر ، والسودان ، ناضلت ضد الاستعمار الانكليزي والفرنسي والايطالي ، وجادت بأرواحها في سبيل ان يخلص التراب الوطني من دنس الاحتلال . ولذلك فالنضال العربي ضد التحدي الاسرائيلي ليس سوى حلقة من سلسلة ثورية موصولة عامرة بالكفاح والتضحية .

والشخصية العربية تجنح نحو السلام ، ويهيمن عليها التسامح ، وتمتلك القدرة الخلاقة على الانفتاح على الشعوب الاخرى ، وعلى ممارسة الحوار الانساني ، من خلال ايمان راسخ برسالة تاريخية يستطيع الشعب العربي - كما فعل في الماضي - اداءها للاسهام في تقدم العالم ، ولكن دون ادنى انتقاص من شان الشعوب الاخرى ، وبغير معاناة عقد التفوق على الآخرين . وهي شخصية قادرة على الابداع بكل صوره ، في العلم والفلسفة والدين والفن : اركان كل حضارة انسانية .

حقيقة ان التخلف الحضاري - الذي جاء مصاحبا للسيطرة الاجنبية - الذي هيمن بآثاره المدمرة على هذه الشخصية ، قد فرض عليها ان تتجمد قواها الخلاقة حقبا من الزمان ، ولكنها بعد بداية عصر الاحياء الحضاري ، تواصل نموها من خلال نضال شاق ، وحين تصل الى مرحلة الازدهار الكامل ستكون اكثر قدرة على مجابهة المجهول ، واكثر استعدادا لمواجهة المغامرة .

ولكن ما الذي تمثله شخصية العدو ؟ انها شخصية مرضية ، يسيطر عليها الشك في الآخرين : في العرب ، وفي غير اليهود ، وفي المنظمات الدولية على كافة مستوياتها . شخصية يهيمن على نزعاتها الاحساس بالاضطهاد ، وفي نفس الوقت واقعة تحت تأثير التأكيد المتضخم على الذات ، والشعور بالتفوق على كافة الشعوب ، والاعتقاد في رسالة منفردة يمكن لليهود ان يقوموا بها دون غيرهم من شعوب العالم . وحين تقع هذه الشخصية اسيرة نظام سياسي عدواني ، شعاره هو ضرورة استخدام القوة والردع ضد العرب ، ومؤسسة عسكرية بنت اسطورتها الموصومة على اساس انها لا تقهر ، فمن المنطقي ان يتدعم الوعي الزائف لدى الاسرائيلي العادي بأنه سليل « الشعب المختار » ، الذي يستطيع ان يجابه العالم كله ويتحداه : ومن هنا اهمية المعارك العنيفة التي تديرها قواتنا ضد العدو ، فهي في نفس الوقت الذي تصد فيه عدوانه ، تنسف الوعي الزائف السائد بين الاسرائيليين ، وتردهم الى الوعي الحقيقي الذي يضعهم في احجامهم الحقيقية بغير تهوين او تهويل .

وهناك من ناحية اخرى تعارض واضح بين النموذج الحضاري العربي والنموذج الاسرائيلي . ان النموذج الحضاري العربي يضرب بجذوره في تربة حضارة اسلامية انسانية اصيلة ، ترفض التعصب العرقي ، وتؤمن بامكانية التعايش بين الاديان والشعوب ، وفي ظلها المديد عاشت جماعات وأمم شتى ، حيث صيغت نظرية للكون والمجتمع والانسان ، كانت رافدا من روافد الفكر الانساني الخلاق ، واسهاما للعقل العربي المبدع في بلورة الفكر العالمي الحديث .

ولقد حاول الاستعمار الغربي من خلال معارك ومؤثرات ممتدة وشرسة - ضرب هذا النموذج الحضاري ، وذلك بفرض التجزئة على البلاد العربية ، واثارة النعرات الاقليمية والطائفية ، وتدعيم الخلافات السياسية في المنطقة . ولكن الشعوب العربية ، تكتسب في الوقت الراهن - وبالرغم من كل المحاولات الاستعمارية - الوعي الجمعي بأوضاعها الحضارية ، وبطرق تجاوزها ، وهي تمتلك القوة البشرية ، والقوة الحضارية الكامنة التي تسمح لها بالانطلاق .

اما النموذج الاسرائيلي ، فانه ينهض على اساس مجموعة من المبادىء الرجعية الاساسية : العنصرية التي تزعم ان اليهود أفضل شعوب العالم ، ومن هنا اصرارهم على « النقاء اليهودي للدولة الاسرائيلية » وكفاحهم خارج اسرائيل ضد ما يطلقون عليه « ذوبان اليهود في الشعوب الاخرى » ! ويتبع ذلك بالطبع ممارسة التمييز العنصري ضد كل من هم ليسوا يهودا وضد العرب على وجه الخصوص . والتوسع المستمر على حساب الاراضي العربية ، تحقيقا لاساطير لاهوتية عن ارض الميعاد ، بما يتضمنه ذلك من ممارسة العدوان الدائم على العرب ، وعبادة القوة باعتبارها هي لغة التعامل الوحيدة مع العالم .

والحقيقة ان المعركة بين الشخصية القومية العربية والنموذج الحضاري العربي ، والشخصية الاسرائيلية المريضة او النموذج الاسرائيلي الرجعي ، انما تمثل الصراع بين حركة التاريخ التقدمية التي تنهض على اساس توسيع منظور النزعة الانسانية وتطويرها حتى يسع العالم الشعوب المتباينة في تقاليدها القومية ، سعيا وراء حضارة انسانية شاملة ، وبين الحركة الصهيونية الفاشية التي تتجسد في اسرائيل ، والتي تقاوم النزعة الغلابة لدى شعوب العالم نحو السلام . ومن هنا فقهر القوى الاسرائيلية والصهيونية وردعها لن يكون نصرا للانسان العربي فقط ، ولكنه ايضا سيكون اضافة ايجابية لرصيد الانسان في كل مكان .

الاهرام
٣٠ تشرين الاول

غالي شكري

حوار الادب مع الحرب

منذ هزيمة حزيران ٦٧ الى حرب تشرين الاول ٧٣ والاديبالعربي طرف في معركة الحوار الدائر حول المستقبل . وربما كان صوت الطلبة في مصر – مثلا – اعلى الاصوات التي نادت بالحرب كطريق يتيم لتجاوز الهزيمة . ولكن هذا لا ينفي انه غداة التاسع من حزيران مباشرة ، قد دخلت كل القوى الاجتماعية في صراع حاد – اتخذ حينا هيئة محاولة الانقلاب العسكري – محوره هذا السؤال : وماذا بعد ؟

واذا كانت الاجتهادات الرئيسية الثلاثة التي حاولت الجواب، هي تحليل الماضي والحاضر داخل الحدود انطلاقا من اليأس عندفريق، والثورة على النظام الاجتماعي عند فريق آخر ، والمقاومة عند الفريق الثالث ، فان « الحرب » ظلت تحوم فوق رؤوس الجميع كشبح لا يهبط من عل ، وانما كصراخ تضج به الارض من اسفل . كان الشارع الذي عبرت عنه بعض الاقلام السياسية الشجاعة قد اختار « الحرب » عنوانا لنضاله في المرحلة التالية للهزيمة . وكان « الحل السلمي » عنوانا موازيا تجار به الطبقات التي تملك ما يمكن انيحترق في نيران الحرب .

وكان من الطبيعي ان ينعكس هذا الصراع على الادب والفن انعكاسا مؤثرا في الحوار الدائر . واستأثرت قضية الديمقراطية بحيز ضخم في معاناة الكاتب العربي . هكذا اقبلت فكرة « من لا يستحوذ على حريته داخل الوطن لا يستطيع ان يقاتل دفاعا عنحدود هذا الوطن » واصبحت خطا رئيسيا ينتظم اعمالا كبيرة لكتاب كبار . ولو اننا تذكرنا تمثيليات توفيق الحكيم ابتداء من « كل شيء في محله » الى « سوق الحمير » لشعرنا بوطأة هذا المعنى الرابض في اعماق رائد المسرح المصري ، وهو ان لا حرية للوطن بغير حرية المواطن .

وقد تتنوع النغمات ذات اللحن الواحد ، فالديمقراطية التي تتراءى لاحد الكتاب نوعا من حرية الفكر والتعبير للمثقفين ، تبدو للاخر نوعا من الليبرالية الاقتصادية والسياسية ، بينما تظهر للثالث نوعا من التغيير الاجتماعي لموازين السلطة . وهكذا ، فيوسف ادريس في « المخططين » لا يهاجم الاشتراكية كما ظن البعض ، بقدر ما يدافع عن شيء كالفوضوية التي برزت في اغلب انتاجه السابق على الهزيمة مثل « الفرافير » و « المهزلة الارضية » . والفوضوية التي يعنيها يوسف ادريس تكاد تكون نموذجا فنيا اكثر منها تصورا فكريا وايديولوجيا ، انها مجرد رد فعل عنيف للقهر . وهو في مجموعته « بيت من لحم » يجسم قصده الفني في القصة القصيرة تجسيما رائعا حيث تنعكس ملامح القهر في ادق تفاصيل الحياة اليومية .

ولا يختلف كاتب كبير كنجيب محفوظ في قصصه القصيرة وروايته « الحب تحت المطر » عن كاتب شاب كعلي سالم فيمسرحياته « اوديب ، او البوفيه ، او عفاريت مصر الجديدة » . كلاهما يركز على الفساد الداخلي للمجتمع الذي يثمر بالضرورة فساد الحدود او ما ندعوه بالهزيمة . واذا كان نجيب محفوظ لا يضيف شيئا الى اعماله السابقة التي انتهت برواية « ميرامار » عام ١٩٦٦ حيث اقبلت الهزيمة بعدئذ لتؤكد صدق نبوءاته في كبرى اعماله « ثرثرة فوق النيل » – ١٩٦٥ – ومن ثم فهو لم ير جديدا ، فان علي سالم ظل مبعثرة الانتباه بين الجبهة في تمثيليته الجيدة « اغنية على الممر » التي تحولت فيما بعد الى فيلم سينمائي) وبين الفكرة التي شاعت حول تفسير الهزيمة بانها مأساة رجل محاط بطغمة من الاشرار . وهي الفكرة التي لعب عليها رشاد رشدي في « بلدي يا بلدي » و « نور الظلام » من موقع معاد للشعب ، وامتدت الى سعدالدين وهبه في « يا سلام سلم الحيطة بتتكلم » . وربما كانت مسرحية « العرضحالجي » وحدها – لميخائيل رومان – هي التي ناقشت الوضع الخارجي على ضوء الداخل دون ان تنزلق الىتطويب « السلطان » سواء كان من العصر المملوكي او من الفراعنة ، واستطاع فيها الكاتب ان يمزج بين حرية الانسان وحرية الوطن من موقع الطبقات الشعبية القادرة على صنع النصر ، جنبا الى جنب قدرتها على صنع الثورة .

ربما اقتربت « العرضحالجي » وابتعدت في نفس الوقت من مسألة الحرب ، ولكنها كانت ايذانا رائدا في طرح القضية طرحا جديدا وجذريا ، لا تعادلها من هذه الزاوية سوى مسرحية سعد الله ونوس – الكاتب السوري الشاب – « حفلة سمر في الخامس من حزيران » . لقد تمكن كلاهما من وضع قبضة اليد بأكملها على موضع الجرح المتشعب ، واذا كانت المقاومة في مسرحية رومان ترتدي ثوبا تقريريا مباشرا ، فان الصوت الهامس في مسرحية ونوس لا يقل صراخا ، وان نجح اخيرا في ان يهدينا عملا فنيا جديدا في صياغته الجمالية .

على انني استطيع ان اشير الى بضعة اعمال اتخذت من الحرب خامة حية لها ، من هذا الموقع او ذاك ، ولكنها في النهاية اختارت الحرب طوق نجاة من الهزيمة الجاثمة كوحش طيبة يطرح لغزه على كل القادمين ، ويلتهمهم الواحد بعد الآخر . كانت « الحرب » هي كلمة السر ومفتاح اللغز عند قطاع عريض من ادبائنا ، ايا كانتدرجات الاتفاق او الاختلاف معهم فكرا وفنا ، فقد دخلوا الصراع الدائر دون مواربة .

في الادب المصري ظهرت عدة اتجاهات كان ابرزها الاتجاه الداعي الى القتال فورا ومباشرة . وكانت مسرحية « المسامير » لسعد الدين وهبه هي الصدى السريع لهذه الدعوة الى حمل السلاح ودحر العدوان . والمسرحية « تتذكر » احداثا من ثورة ١٩١٩ لتقفز بعدئذ الى احداث ١٩٦٧ في ثياب تنكرية اقرب الى الكناية منها الى الرمز، خاصة حين تصرخ فاطمة – التي تمثل مصر – باعلى صوت « اضربوا كلكم .. الارض حرير ما فيهاش مسامير .. والسما حمياكم ما فيهاش

غربال .. وايديكو حديد وقلوبكم حديد .. اضربوا .. بلدنا بتاعتنا ، بتاعتنا احنا لوحدنا » وتختتم المسرحية بندائها لعبد الله ـ والمقصود عبد الناصر قائلة « اضرب يا عبد الله .. اضرب يا عبد الله » . ورغم كل التحفظات الفنية على هذه المسرحية فقد كانت مشاركة حية فاعلة في الحوار المحتدم حول الحرب ، حيث كانت هناك جوقة تكرس الهزيمة بدعوى التعقل ، وكانت هناك جبهة مقاتلة ترفض الهزيمة . وقد اختار المؤلف ان ينضم الى صفوف هذه الجبهة ، ولو بكلمة سريعة متعجلة ، كانت تهتز لها ابهاء المسرح كل ليلة .

وكان هناك من اتخذ من فلسطين محورا فكريا لعمله الفني ، كعبد الرحمن الشرقاوي في مسرحيته « وطني عكا » والفريد فرج في مسرحيته « النار والزيتون » . ولقد جسد كلاهما بطولة النضال الفلسطيني لاستعادة هذه الارض السليبة . غير ان الشرقاوي ربط موجات المد والجزر في هذا النضال بما يجري خلف الخطوط ، في القاهرة مثلا ، من سلبيات تعوق مسيرة الحرب . وربط من ثم بين مكافحة هذه السلبيات والحرب ضد العدو في وقت واحد . أما الفريد فرج فقد أهدى للعالم « كارت بوستال » عن شرعية الحق الفلسطيني وبصمة الدم التي وقع بها الانسان الفلسطيني على اهليته لهذا الحق . وكانت اهمية المسرحيتين اللتين كتبهما اديبان مصريان انهما جعلا من فلسطين محور الهزيمة والنصر على السواء ، فسيناء ـ على هذا النحو ـ ليست الا تفصيلة في لوحة اشمل هي الوطن العربي . وهكذا فالصراع مع اسرائيل ليس اقليميا وانما هو صراع قومي . وكانت هذه الصيحة بالغة الاهمية في ذلك الوقت في مواجهة النغمة الاقليمية التي كادت ان تسترد انفاسها في اعقاب الهزيمة . ان المصير العربي المشترك هو المشهد الذي ركز عليه الكاتبان المصريان ابصار المصريين حتى لا تنفصل سيناء في مخيلتهم عن حقيقة الهدف الصهيوني الاكثر شمولا منها .

اما جيل الشباب فقد اختلفت مواقعه من الحرب اختلافا فاضحا .. هكذا نرى محمود دياب في الجزء الاول من ثلاثيته « احزان مدينة» وقد عنونها « طفل في الحي العربي » يؤرخ لنضال مدينة الاسماعيلية تأريخا فنيا عميق الدلالة . هذا النضال الذي يبدو كشجرة جذورها غائرة واغصانها تطال السماء . ولم يصدر حتى الآن سوى هذا الجزء الاول ، ولكنه وحده كاف لاستكشاف منهج المؤلف في الفكر والتعبير . حركة التاريخ ليست تجريدا ميتافيزيقيا خارج ارادة البشر ، وانما هي تتجسد في صراع بطولي لا يرحم الشيخوخة ولا الطفولة ، لانه تعبير عن « وجود » الانسان في ذروة التحامه بالطبيعة. وبحكم الطبيعة كان لا بد ان نقاتل في الماضي ، وان هزمنا في الحاضر ، فاننا سنقاتل في المستقبل . تلك هي نبوءة محمود دياب وادراكه الثاقب للمحمة الحرية . اما زميله السيد الشوربجي فقد اختار في روايته « أطول يوم في تاريخ مصر » مشهد لن ينساه اهل السويس ، وبقية مواطني القنال ، مشهد التهجير الى بقية محافظات مصر . رغم الآلام والمحن الصغيرة يشير الكاتب الى ان « بقاء الانسان في الارض » هو الضمان الاكيد لهزيمة الهزيمة . وقد عمد الى ضفر هذا المعنى بقصة حب ، وقصة الحرب ، بين احد الجنود وفتاة امتزجت حياتهما بحياة شعبهما امتزاجا لا سبيل الى فصله . ورغم ركاكة الصيغ وهشاشة ادوات التعبير في هذه الرواية التي تأثر كاتبها بمسلسلات الاذاعة والتلفزيون ، فانها تظل بموضوعها على الاقل وثيقة هامة عن أطول يوم في تاريخ مصر .

وقد كان القصصي الشاب جمال الغيطاني مراسلا عسكريا لجريدة « الاخبار » المصرية في الجبهة . وقد أتاح له هذا الموقع الاستثنائي ، بالاضافة الى موهبته الفنية الاصيلة ، وفكره الاجتماعي الواضح ، ان يخرج من التجربة بمجموعة قصصية رائدة في مواجهة الحرب ومواكبتها يوما بيوم . انها تذكرنا على نحو ما بمجموعة يوسف ادريس القديمة « البطل » التي صدرت عام ١٩٥٦ في طبعة محدودة ، وكيف ان نكهة الحرب بشقيها : القتال والتحرير كانت الرائحة النفاذة والنافذة الى الصدور والعقول والارواح .

في مجموعة « ارض ـ ارض » يواكب جمال الغيطاني الافراح والمآسي التي تتغلغل في نفس الجندي المصري ، وهو بعد عضو في المجتمع الواسع الى ان يصبح نفرا في كتيبة . يواكب أشواقه وتطلعاته ووثباته وطموحاته ، مواكبة حية دافقة بحب مصر حبا صوفيا يرفعه للشهادة من اجل ترابها الوطني .

ولقد كانت أشعار احمد فؤاد نجم وملحمة صلاح جاهين « على اسم مصر » وقصائد فؤاد قاعود والابنودي وسيد حجاب ومحمد سيف وغيرهم من شعراء العامية المصرية ، الكبار والشباب (بعضهم من طلبة الجامعات) جيشا عاملا في ميدان القتال الدائر بالكلمة حول المصير ، وكانت الحرب ولا تزال هي كلمتهم الاولى والاخيرة . وربما كان احمد عبد المعطي حجازي ـ من بين شعراء الفصحى ـ وخاصة في قصيدته الرائعة « شدوان » هو الذي شارك من موقع التقدم الى الخطوط الامامية في اعنف حوار شهدته مصر اثناء حرب الاستنزاف ، كذلك ربما كان لطفي الخولي وحده ، هو الذي قدم للسينما المصرية في « القاهرة ٦٨ » و « العصفور » رؤيا جديدة للشرخ الكامن في البناء الاجتماعي ، ولكنه لن يحول دون صيحة الجماهير « حنحارب » وهي الصيحة التي لم تعجب البعض وطالبوا بدلا منها بالصيحة الواقعية التي حدثت في ٩ و ١٠ حزيران ، ونسوا انهذا الهتاف هو رؤية الكاتب لما حدث، لا تسجيلا لما وقع .. وعندما شاهدت « العصفور » للمرة الثانية بعد السادس من تشرين الاول ، بهرني حماس الجماهير لهذه الخاتمة التي تطابقت اخيرا مع الواقع .. خارج السينما في سيناء والجولان . وهكذا يصدق الفن مع الواقع حين يراه في حركته اكثر كثيرا من التسجيل السكوني الجامد لقشرة الواقع الخارجية .

* * *

ولم يكن الادب العربي خارج مصر بعيدا عن الحوار .

البلاغ

٢٢ تشرين الاول

لا بد ان ينهض .. حتى الذين ماتوا منا

كانت الحرب في المشرق العربي نقطة الارتكاز في كل فكر وفن ، ولم تكن كما هو الحال في مصر حوارا مع النظام ، وانما كانت حوارا بين فصائل الثورة . ومن الطبيعي اذن ان يتجه الادب مباشرة الى هذه القضية دون اغفال « مبررات الهزيمة » وفي مقدمتها التخلف الحضاري والتقاليد غير الديمقراطية في أسلوب الحكم . وقد ركز البعض على ديمقراطية الجماهير الواسعة ، كما هو الحال في مسرح سعدالله ونوس ، وركز البعض الاخر على العنف في مواجهة الديكتاتورية كما هو الحال في مسرح عصام محفوظ ، وتأرجحت اعمال كثيرة بين التصور الليبرالي للحرية والتصور البروليتاري لها مرورا بمختلف التصورات التقليدية في الفلسفة الوجودية والصوفية وما اليها .

وكان الخيط الذي يربط هؤلاء جميعا هو ان غياب الحرية داخل الانسان والمجتمع يؤدي بالضرورة الى غيابها عن حدود الوطن ، وان السجن الصغير والسجن الكبير سواء بسواء . وقد نتج عن هذه الرؤية الفوضوية شبه العدمية لدى الكثيرين ، انهم لم يتنبهوا الى الطرف الاخر من المعادلة ، وهو التراث الاستعماري المتصل حتى المرحلة الاسرائيلية ، وان هذا الاستعمار الذي سلب الامن الخارجي للحدود ، قد كان بدوره عنصرا جوهريا في سلب الامن الداخلي

لانسان هذه الحدود .

ان فساد الانظمة العربية ، وفي مقدمة مظاهره القهر والعبودية الاجتماعية ، قد ادى دورا رئيسيا في غياب حرية الوطن ككل . ولكن هذا الدور الخطير لم يكن حجمه ليصل الى هذه الدرجة من الضخامة الا لان هناك عنصرا خارجيا لا يقل عنه خطورة هو الاستعمار الاجنبي الذي كان يبذر احيانا مقومات هذا الفساد ، اقتصاديا وفكريا ، وأحيانا اخرى كان يدعمها ويتفاعل معها بالاخذ والعطاء . والذين تصدوا لهذا الاستعمار وحده سقطوا في نفس الخطأ والمصيدة : النظرة الاحادية الجانب ، فبرروا للانظمة كل خطاياها وعلقوا ثيابها القذرة على مشجب العدو الخارجي .

وقليلة للغاية هي تلك الاعمال التي ابصرت الظاهرة في حركتها الجدلية ، ورصدت موجات التفاعل العميق بين الداخل والخارج ، هذا كله لا ينفي ان البحث عن مبررات الهزيمة الحزيرانية كان حوارا بصورة ما مع الحرب ، وان الذين آثروا هذا الجانب دون ذاك قد أسهموا في الاعداد النفسي لهذه الحرب التي تخوضها منذ السادس من تشرين الاول . ومن هنا ، فانني لست اميل مطلقا الى القول بأن ادب حزيران قد سقط في تشرين ، لقد كان افرازا طبيعيا لتلك المرحلة ، تباينت نتائجه سلبا وايجابا ، ولكن اللوحة العامة تظل شاهدا هاما على تضاريس الوجه الاجتماعي للهزيمة ، بملامحه الطبقية والفكرية والفنية . ولعل الذين تسرعوا بالقول ان ادب الهزيمة قد احترق في نيران الحرب ، هم من الذين تستهويهم « المطلقات » فيرتفعون الى ذرى الفرح المطلق ويهبطون الى هاوية اليأس المطلق في لحظات معدودة ، لا يرقبون بعيون مفتوحة المتعرجات والثنايا والمنحنيات التي تتخلل الخط المستقيم ، اذا وجد اصلا مثل هذا الخط في الواقع الحي . ولعل اصحاب هذه المطلقات ايضا ، هم اخطر على الوجدان العربي المهيأ بطبيعته للانفعال الحاد بالنقائص المتطرفة .. لان هذا الوجدان الذكي المرهف والمفرط في حساسيته يحتاج الى ما يدعم توازنه الروحي في الاحداث الكبرى ، حتى لا يختل بين المتغيرات العنيفة ، انه يحتاج لان يرى في قلب « الخط العام » لحركة التطور ، عشرات التفاصيل والزوايا حتى لا يظل كيانه العصبي مرهونا بما ندعوه المفاجآت .

النظرة الاحادية الجانب ، اي النظرة الجزئية ، خطر على صناعة الوجدان . وكذلك النظرة المطلقة التي تعمم هذه الجزئية او تلك على مجرى التاريخ او على حياة امة وكلتا النظرتين تؤديان الى ظاهرتين متلازمتين هما الرؤية السطحية لقشرة الواقع الخارجي، والرؤية المرحلية لمسيرة هذا الواقع . والثمرة الفكرية والفنية لتشابك هذه العناصر مجتمعة هو الانتاج الذي يتراوح بين السكونية والجمود، حتى انه يتحول بمرور الزمن الى ملصقات اعلانية ينتهي مفعولها بانتهاء العرض .

لهذه الاسباب ـ مثلا ـ كنت عنيفا في حينها مع الشاعر الكبير نزار قباني حين صدرت له « هوامش على دفتر النكسة » غداة الهزيمة . لقد وضع نزار يده على احدى الحقائق التي لا تقبل الشك بين مبررات الهزيمة ، وهي التخلف . ولكن المشكلة هي ان حجم الهزيمة الحزيرانية قد أسدل على عيني نزار ستارا كثيفا حتى انه رأى هذه الحقيقة تبدو اولا كما لو كانت الحقيقة الوحيدة ، وتبدو ثانيا كما لو كانت قدرا ميتافيزيقيا لا خلاص منه . وبالتالي فحواره مع الحرب مبتوت الصلة مع المستقبل ، بل والماضي ، أي انه خارج سياق التاريخ ، بعيد عن النسبية ومرتبط عضويا بالمطلق . هكذا مست القصيدة سطوح الاشياء ولم تتوغل الى ما تحت الانقاض ، وكان رواجها المذهل في ذلك الوقت ، لهذا السبب .. فالوجدان الجريح كالاعصاب العارية تثيرها الانفعالات الحادة العابرة ولا يهدىء من آلامها التأمل العميق .

وليس معنى ذلك ان الشاعر في هذه القصيدة وسواها قد اتخذ موقفا ضد الحرب . كلا ، انه لهول الهزيمة ولاننا لم نقاتل ، قد تعجل تسجيل « انطباعه » الفاجع ، لم ينتظر حتى يبرد هذا الانطباع وتختفي بصماته فوق الجلد ، ليستشعر بعدئذ الايقاع المضمر في شرايين الدم وعروق الروح . حينذاك كان هذا الانطباع نفسه ، سيتحول الى شيء اخر اكثر قربا من الحقيقة التي رآها وهي التخلف ، كان سيرى في التخلف « عملية اجتماعية » لها جذورها الممتدة على الشاطئين داخل الحدود حيث « النظام » بهيكله المادي والمعنوي وخارج الحدود حيث « الاستعمار » بدوافعه ومخاليه . حينذاك كان سيتحول اعجابه « ببلاد الثلج والضباب » التي يدعوننا الى التوجه نحوها الى هذا السؤال : لماذا لا تعاني هذه البلاد من التخلف ؟ أليس سببا رئيسيا لذلك انها لا تعاني من الاستعمار ؟

ونزار قباني ـ اكرر ـ لم يكن في قصيدته تلك وغيرها ضد الحرب . انه ضد الهزيمة وقد تجسدت لديه في التخلف وتمثل عنده التخلف في الانسان . غير انه ما ان تنطلق الامال مع الولادة الجديدة للمقاومة الفلسطينية حتى يغني لفتح وابطالها اعذب الغناء . بالطبع دون محاولة لمراجعة الرؤية الاولى التي تجلت في « هوامش » ، بل لعله يبرر هذه الرؤية ويؤكدها حين يصور « فتح » فنيا ـ كالهزيمة ـ بمفاجأة ، فهي وردة جميلة تنبت من جرح ونبع ماء بارد في صحراء. ومن ثم يبدو الامر كله كمعجزة قيامة المسيح من بين الاموات ! انه مع الهزيمة والحرب على السواء مفاجأ دائما ، وهو يسجل مفاجآته على التو واللحظة ، بانفعالاتها الاولية دون اية محاولة لاختزانها في براد العقل والتجربة حتى تخرج الينا بعدئذ شيئا اخر اعمق وابقى. كذلك المقطع « الثاني » الذي نطالعه في قصيدة « فتح » نفسها حين يقول :

« مهما هم تأخروا فانهم يأتون ..
في حبة الحنطة .. او في حبة الليمون
يأتون في الاشجار ،
والرياح ،
والغصون .
... ...
من حزننا الجميل ينبتون
أشجار كبرياء
ومن شقوق الصخر يولدون
باقة أنبياء
ليست لهم هوية
ليست لهم اسماء
لكنهم يأتون
لكنهم يأتون .. »

هنا لا يتألق المعنى الحي الكبير فحسب ، بل الشاعر الكبير ايضا . والرؤية هنا تصوغ جدلا عميقا مع الواقع من داخله لا من قشرته الخارجية .. حتى ان القصيدة لا تبقى مرهونة بحدث عابر او مناسبة طارئة ، وانما يمكن ترديد هذه الابيات في كل وقت . انها وقد كتبت منذ سنوات تصلح شاهدا على ميلاد المقاومة بعد الهزيمة ، ولكنها تمتد في كياننا الى نيران تشرين تؤجج ايماننا بان الهزيمة هي العابرة وان « النضال » وحده هو الجسر الذهبي ـ وان تلون بالدم ـ من الموت الى الحياة .

ورغم النفس القصير والسريع في قصيدة مثل « هوامش » فان ذلك لا ينفي عنها هي واخواتها انها اشارت ـ ضمن مبررات الهزيمة ـ الى احدى الحقائق الهامة وهي التخلف . ولا شك ان نضالنا ضد الاستعمار هو في نفس الوقت نضال ضد التخلف ، لا لان الاستعمار يكرس التخلف ويغذيه فحسب ، بل لان الظاهرة الاسرائيلية للاستعمار الصهيوني تفرض علينا بهدف النصر عليها ، تحديا خطيرا هو مقاتلة التخلف في عقر داره المتشعبة الغرف : جذوره الطبقية والفكرية

في بنائنا الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وجذوره الاجنبية التي تهدد الحدود وفروعه الوجدانية تحت الجلد ، التي تسري في سلوكنا وعاداتنا وقيمنا وأفكارنا . وهنا يكاد انعدام التقاليد الديموقراطية في اسلوب الحكم ، الذي اتخذه البعض منا محورا للبحث عن اسباب الهزيمة ومقومات الحرب ، ان يكون عنوانا مدرجا تحت العنوان الاكبر : التخلف . وقد كانت اعمال سعد الله ونوس ، وخاصة في مسرحيته « حفلة سمر » و « راس المملوك جابر » ابداعا دراميا خالصا لهذا المعنى المكثف . وعلينا ان نلاحظ ان التجديد المسرحي في هاتين الروايتين هو انعكاس امين وحاد لهذه الكثافة في التفكير التي يراها البعض « مسرحا سياسيا » ـ وهي كذلك من أحد الوجوه ـ ولكنها في الواقع تتجاوز المسرح السياسي التقليدي ، الى ما هو اشمل . ان قضية الاستغلال عند بريخت وقضية الاستعمار عند بيتر فايس ، بالغة الوضوح والاتساق .. ولكن الاستغلال والاستعمار في بلادنا ، على ضوء فكرة التخلف ، يحتاجان الى استبعاد الكثير من البديهيات والمسلمات في المسرح السياسي الاوروبي ، والاتجاه بعمق ومعاناة هائلة الى جذور أشرت اليها ، بالغة التشابك والتعقيد . وفي تقديري ان سعد الله نوس قد خط بداية الطريق الصحيح لانجاز هذه المهمة الثقيلة . ان كاتبا كعصام محفوظ ـ خاصة في مسرحيته « لماذا » ـ قد أسهم من زاوية اخرى في التفكير ، بفاعلية حقيقية في انجاز هذه المهمة ايضا . ويبقى الفرق بينهما واضحا ، وهو ان عصام محفوظ اقرب الى المسرح السياسي ، اما سعد الله ونوس فاقرب الى ما يسمونه بالمسرح الشامل . كذلك فان مقابلة الدكتاتورية بالعنف الفردي هي لب اللباب في مسرح محفوظ ، بينما تتحول الجماهير عند ونوس الى قاعدة فكرية وجمالية ايضا . ومن هنا يمكن القول بان الغياب الفاجع للديموقراطية ، والذي تراءى لكثيرين من كتابنا سببا رئيسيا من اسباب الهزيمة ، قد اتخذ عند الرد عليها اشكالا عديدة تبدأ من ليبرالية يوسف ادريس في مصر ـ التي أضافت جماليا الى المسرح المصري البعد الشعبي والبعد التجريدي معا ـ الى فوضوية عصام محفوظ التي أنجزت للمسرح اللبناني ألا يبدأ من نقطة الصفر ، بل حققت له البداية ومن مستوى العصر معا ، الى ثورية سعد الله ونوس التي حسمت قضية معلقة في سماء المسرح العربي الحديث ، قضية الاصالة والمعاصرة .

وهكذا كانت الاستجابة « المركبة » للهزيمة تؤدي في خاتمة المطاف الى تركيب فني جديد . ولكن هذا كله يقع في اطار الحوار مع الحرب ، ضمن البحث عن مبررات الهزيمة السابقة في ٦٧ .

ولكن فريقا آخر من الكتاب آثروا الحوار مع الحرب مباشرة ، دون البحث عن اسباب ومبررات لما وقع في حزيران . وانما كان يعنيهم في المقام الاول مواكبة الوجه الآخر للهزيمة ، وهو المقاومة .

وهكذا اتجه اديب نحوي في روايته ـ القصيرة « عرس فلسطيني » الى صياغة اسطورية بالغة الشفافية لقصة الحب والحرب . ان ليلة العرس انشطرت الى نصفين : اولهما انتظار العروس والآخر رحلة العريس ، ولان العرس الفلسطيني يختلف عن اعراس العالم فقد انتهت الليلة بأغرب زفاف : حضر العريس محمولا على اعناق رفاقه بعد ان احضر العلامة التي بموجبها يستطيع الزواج ، جاء مخضبا بدمه من رصاصة العدو ، وخرجت العروس لتاخذ بندقيته ، خاتما أبديا للزواج . ويهمس صوت لا أحد يدري من اين اتى « لا بد ان ينهض .. حتى الذين ماتوا منا » .

وممدوح عدوان في روايته « الابتر » يرافق الفلاح السوري العجوز الذي يرفض ان يترك مكانه مع البقرة التي يعيش معها ، حتى حين سخر منه ضباط العدو وجنوده ، بانهم سيعطونه بدلا منها قطعة ارض واسعة ، لم يرض . وظل باقيا الى ان مر به « احدهم » ملثما يطلب جرعة ماء وكسرة خبز قائلا :

« ـ كان علينا ان نقاتل منذ زمن طويل ،
لقد تاخرنا كثيرا .
ولكن لم يفت الاوان بعد .
ـ هل انتم كثيرون ؟
ـ لا باس .
ـ مئة ؟
ـ بالآلاف .
ـ عظيم .
ـ لا يجب ان يقاتل الاخرون كلهم .
ـ والآخرون ماذا يفعلون ؟
ـ لا شيء ، يكرهون انفسهم ،
ويحبوننا لاننا نموت » .

وفي مسرحية « زهرة من دم » للدكتور سهيل ادريس ، يحيا الكاتب مع احدى وحدات المقاومة الفلسطينية ، يرافق الامهم الشخصية وقد التحمت بآمالهم العامة في التحرير .. وبين الحلم والواقع يردمون الهوة بكثير كثير من الدم . ولكن يقينا صوفيا يملأ العيون بأنه اذا كانت « المقاومة » هي حياتهم الان ، فلا ريب ان الاجيال القادمة سوف تشهد منظرا مغايرا .. لفلسطين وقد تحررت من الاحتلال الصهيوني .

* * *

في مثل هذه الاعمال وغيرها كثير ، يبرز مشهد الحرب ، وكانه المشهد الوحيد ، سواء كان في الاعداد له والتحضير من اجله ، او بممارسته الفعلية بسواعد المقاومة الفلسطينية ..

والهزيمة في هذه الاعمال « خلفية » في وجدان الكاتب والمشاهد معا ، قد تأتي كديكور بعيد الاضواء والظلال وقد لا تجيء ، ولكنها ماثلة . غير ان « الحرب » ـ هنا ـ ليست مجرد مشهد مسرحي يؤرخ لما يجري من انجازات للمقاومة ، وانما هي رؤيا الكاتب للخلاص . « الحرب ، هذا هو المهم » شعار الاعمال التي ايقنت بحتمية تجاوز الهزيمة ، تجاوزها بالطول والعرض والعمق والارتفاع.. تجاوزها الجغرافي والتاريخي والحضاري ، تجاوزها باختراق الحواجز الخفية والظاهرة . ان « التحرير » في هذه الاعمال ، يكاد يكون ايمانا دينيا بأن لا مستقبل لاسرائيل ، وان العبور من الحاضر الى المستقبل ليس مرهونا بارادة الصهيونية والاستعمار . « المستقبل لنا » . هذا ما تقوله هذه الاعمال التي هيأت الوجدان العربي لما يمكن ان يعتبره البعض هذه الايام من المفاجآت او المعجزات . واهمية هذه الاعمال ، لا تكمن في ان حرب تشرين ، ايا كانت نتائجها ، قد اثبتت صحتها ، وانما تنبع اهميتها في انها لم تكن صدى سلبيا للهزيمة ، اي انها لم تتوقف على شاطىء اليأس رافعة الرايات البيضاء ، وانما هي قدمت حلما قابلا للتحقيق ، حتى ولو لم تؤد حرب تشرين الى كل ما نريده .

ليكن ما حدث ولا زال يحدث ، المهم اننا لسنا قطيعا من النعاج تساق الى الذبح او ألى البيع في سوق النخاسة . وانما نحن أمة قد تنهزم ، ولكن الهزيمة ليست قدرا في حياتها .

* * *

ولان فلسطين هي قلب القلب من المشهد الخلفي والامامي ، فلقد كان لادبائها كلمة باهرة .

البلاغ
٢٩ تشرين الاول

الكلمة والفعل بين المقاتل والسلاح

طلب توفيق الحكيم من وزير الثقافة المصري ان يهيىء له « عملا يدويا » يناسب سنه ويشارك به في معركة الشرف بدلا من صناعة الكلمة التي يحترفها والتي لا مكان لها في ساحة القتال . وقال نزار قباني انه كان يتمنى لو سمع ان كاتبا او شاعرا عربيا قد مات في الميدان باحثا عن لقطة شعرية او روائية نادرة . وقدم نزار قائمة بأسماء الادباء العالميين الذين شاركوا في الحروب فجاءت كتاباتهم عنها باقية على الزمن ، وهنأ توفيق الحكيم على طلبه قائلا ان الاديب الكبير يريد ان يتجاوز الكلمة الى الفعل . واضاف ان الابطال الحقيقيين هم الذين يغيرون بالسلاح خريطة الوطن العربي . واتهم الادباء والفنانين العرب انهم لا يعرفون الموت الا في السينما ، ولا يرون اللون الاحمر الا في معارض الرسم ، وهم « هاربون من الجندية ويتفرجون على المعركة من الطابق العاشر » .

ولو صح رأي توفيق الحكيم واتهامات نزار قباني ، لكان ذلك معناه الوحيد ان حياتنا كذبة كبيرة ويتعين على جميع المثقفين العرب ان ينتحروا او ينفذ فيهم حكم الاعدام الجماعي بالميادين العامة في القاهرة ودمشق وبغداد وبيروت وبقية عواصم الوطن العربي . ذلك انه اذا كان ما جرى في جبهات القتال مبتور الصلة ولا علاقة له بما كتبه وغناه ورسمه الكتاب والفنانون ، فان ذلك يعني ببساطة ان هؤلاء طفيليون على الحياة يثقلون كاهلها بما هي في غنى عنه ، بل لعلهم يعوقون مسيرتها الى اهدافها . ومن ثم يتوجب « طردهم من الجمهورية » كما دعا افلاطون .

والقضية ذات شقين ، احدهما عام يخص الكتابة ذاتها ، قيمتها ودورها ، والاخر خاص بنا نحن الذين نمارسها في هذا الجزء من العالم ، في هذه المرحلة من التاريخ .

بالنسبة للشطر الاول ـ ومن الغريب ان يكون توفيق الحكيم هو السبب في اثارته حيث ان فكرته الجوهرية عن الفن كما نطالعها في مجموع مؤلفاته تقول بغير ذلك ـ فالخطأ كامن أصلا في تصوير « الكلمة » كمقابل « للفعل » . اننا في هذا الصدد مضطرون للعودة الى المعلم الاول ـ أرسطو ـ حيث نراه يبني نظرية التراجيديا بكاملها على اساس الفعل كمرادف للحدث الدرامي ، حتى ان الترجمات الانكليزية والعربية ، القديمة والحديثة ، تختلف فيما بينها على نقل هذه الكلمة عن اليونانية ، انها تارة تسمي ما يقصده أرسطو « فعلا » وتارة تدعوه « حدثا » . كل ذلك دون ان يختلط على هذه الترجمات الامر بين الفعل او الحدث ، وبين « العمل » .

الفعل او الحدث لا يرادف العمل وان لم يكن نقيضا له ، كذلك الكلمة او الكتابة او الفن ليست نقيضا ولا مقابلا للفعل والعمل كليهما . الفن قد يشارك في الفعل ، وقد يكون هو بحد ذاته فعلا كاملا . والكتابة قد تشارك في العمل ، وقد تكون هي بحد ذاتها عملا كاملا .

كيف كان ذلك ؟ لنتخذ من « الحرب » مثلا . ان القتال فعل مركب ، انه تجسيد بالغ التعقيد لعديد من الافعال والاعمال ، شاركت في صنعه وأسهمت في صياغته . المقاتل والسلاح والهدف هم الابعاد الثلاثة للحرب . المقاتل ليس جسدا بشريا يخضع لنواميس علم البيولوجيا وحدها . انه بنفس المقدار عقل ووجدان . فيموازاة تكوين الجسد عضويا بالغذاء والدواء ، يتكون ايضا العقل والوجدان، الفكر والشعور . ان كيانه العصبي من المراكز الجوهرية في تكوينه والتي لا تقل خطورة ـ عند فعل القتال ـ عن كيانه العضلي . ان حواره مع السلاح ومع العدو ومع فرقته ومع الهدف الذي يحارب من اجله ، هو حوار عقلي وشعوري ، حتى في انضباطه وحركة تقدمه او انسحابه ، انما هو يخضع لداخله بقدر ما يخضع لخارجه . ان موجات رد الفعل الواعية واللاشعورية على السواء ، والتي تحدد نجاحه واخفاقه ، تعتمد اساسا على ذلك التكوين العقلي والنفسي السابق على دخوله الحرب .

من أين يجيء المقاتل بهذا التكوين ؟ بالفطرة ام بالاكتساب ؟ بهما معا . الفطرة او الوراثة تمده بالاستعداد او ما ندعوه بالموهبة . الاكتساب او الثقافة تصقله وتربيه بخبرة الحياة وتجارب الآخرين . اليست « الكلمة » التي تلقاها في البيت والمدرسة والصحيفة والراديو والكتاب هي التي انشأته على هذا « النسق » دون غيره ؟ الكلمة السلبية والايجابية على السواء ، هي المسؤولة عن أحد جانبي المقاتل ، فالجانب العضلي ليس موضوعنا . انها مسؤولة عن تكوين « العقل والشعور » داخله ، وبموجبهما تصدر الافعال وردود الافعال الخفية والظاهرة ، الواعية والباطنة . حتى أسلوبه في تلقي « الاوامر » وتنفيذها يتكيف وفقا لهذا التكوين الثقافي .

والسلاح ؟ هذه « الآلة » التي نراها من الخارج تركيبا ماديا صناعيا لمجموعة من المعادلات الرياضية ، هل هي كذلك فحسب ؟ أم ان الآلة في التحليل الاخير هي التعبير الصناعي عن « ابداع علمي » أيا كانت هذه الآلة سلاحا ناريا او تلفزيونا ملونا ؟ والابداع العلمي : أليس هو اكتشاف قوانين الطبيعة والمجتمع بهدف السيطرة عليها وتوجيهها أصلا لخدمة الانسان . أوليست عملية الاكتشاف هذه هي جوهر الثقافة البشرية ؟ والثقافة هنا ليست حكرا للعلم بمعناه الفيزيقي العملي ، وانما هي أوسع من ذلك وأشمل ، فالادب والفلسفة ـ على سبيل المثال ـ قد شاركا في التمهيد لكثير من الكشوف العلمية. وفي القديم لم تكن لتستطيع ان تفصل في كتاب واحد بين العلم والفلسفة والشعر والتاريخ . وفي العصر الحديث تفرعت العلوم الانسانية وتعددت العلوم الطبيعية تفرعا وتعددا مذهلا ، ولكن هذا لم يمنع التشابك المعقد بينها جميعا .

على أية حال ، فالمقصود هو ان الآلة ليست « قطعة من الحديد » والسلاح ليس قطعة من « الحديد والنار » ، وانما الآلة هي احدى ثمار العمل الانساني ، هي تعبير اجتماعي وفكري معا . ولا شك ان مبدعيها يتقدمون علينا خطوات عديدة في ميدان الثقافة ، ولكن المقاتل العربي حين يستخدمها فهو يتفاعل معها ، انه بمعنى آخر «يتثقف» . وهي ليست ثقافة عسكرية محضا . انه يتعامل مع تراث فكري متصل، على هيئة مدفع او دبابة او طائرة . و « التدرب » على هذه او تلك لا يمده بمهارة قتالية فقط ، وانما هو يشارك في تغييره من الداخل، تغيير سلوكه وقيمه وأفكاره ، انه يضيف الى تكوينه العقلي والشعوري عناصر جديدة لم تكن فيه ، انه على نحو من الانحاء يساهم في ولادته الجديدة ، يخلقه من جديد . والمقاتل العربي ليس صدى سلبيا ساكنا للسلاح الجديد ، فهو بتفاعله مع هذا « الابداع الانساني » يرتفع الى مستوى المشاركة والعطاء .. انتصاراته على الجبهة تسجل له انه ـ بعد معاناة التفاعل ـ قد أبدع هو الآخر . لم يبدع بدمه وشجاعته وصموده فحسب ، بل ابدع باستيعابه العقلي والوجداني لاحدث منجزات العصر التكنولوجية .

ولو ان الامر كان جسدا بشريا يعامل قطعة من الحديد الصلب، أي لو ان الامر كان « عملا ماديا بحتا » ، لما كان هناك ابداع او ثقافة او .. قتال ! القتال عمل اجتماعي مثلث الاطراف ، أولهما العنصر البشري بوجهيه المادي والمعنوي ، وثانيهما السلاح بنفس الوجهين

ايضا . والطرف الثالث هو هدف القتال . ولست اشك ان احدا يختلف حول ان درجة تحديد الهدف من الحرب ودرجة وضوحها في ذهن ومخيلة المقاتلين ، من أهم عوامل النصر والهزيمة . ولست اشك أيضا ان ((الهدف من القتال)) لا يجري تحديده ساعة الصفر ، ولا يجري تحديده من قبل القيادتين السياسية والعسكرية وحدهما . وانما يتحدد هذا الهدف - في حالتنا مثلا - ضمن حركة الصراع الوطني والاجتماعي في بلادنا ، ضد الاستعمار العالمي المعاصر بقيادة الولايات المتحدة الاميركية ، وضد الصهيونية العالمية كايديولوجية عنصرية ، وضد اسرائيل كتجسيد واقعي للحلم الصهيوني يحتل جزءا واسعا من ارضنا ، وضد القوى الاجتماعية المحلية التي ترى في التحرير بوجهيه الوطني والاجتماعي خطرا عليها . هذا هو هدفنا ، هدف المقاتل العربي وهو يحارب . والكلمة العربية هي ((الفعل)) الرئيسي في هذا الميدان . انها ، بالاضافة الى المشاعر الوطنية والحوافز الاجتماعية الكامنة في نفسية المقاتل ، اداة التوعية الرئيسية بهذا الهدف . وما نلاحظه من تقدم او انتكاس ، من انتصارات وكبوات ، هو تعبير أمين عن ((الهدف غير المحدد وغير الواضح تماما)) من القتال . هو ايضا تعبير امين عن تباين الثقافات واشكال الوعي التي تصب اخيرا في قنوات ((القرار السياسي)) . حتى استجابة الجماهير العربية لموجات المد والجزر في ساحة القتال ، ببداية الحرب ووقف اطلاق النار ، هي ثمرة التناقض بين وضوح الهدف لدى البعض وضبابيته لدى البعض الاخر ، ثمرة تطابق القرار السياسي مع القرار العسكري او تناقضهما ، ثمرة تطابق القرارين مع الهدف او تناقضهما ، وهكذا .

المقاتل والسلاح والهدف ، هو ثالوث الحرب . والكلمة - كما أوضحنا - تقوم بفعل رئيسي في تكوين كل عنصر على حدة من هذه العناصر الثلاثة ، ثم هي تقوم بفعل رئيسي في ((حركة الحرب)) كعمل اجتماعي تتفاعل خلاله هذه العناصر مجتمعة سلبا وايجابا .

الكلمة ليست نقيضا للفعل ، ولا مقابلا له ، انها قد تكون ((فعلا)) وقد لا تكون . كذلك الحياة او الموت بكل ما يتخللهما من ((حوادث)) ، بعضها يصلح لان يكون ((فعلا)) وبعضها لا يصلح لان الحادثة غير الحدث . وكذلك العمل ، ليس هو العمل اليدوي وحده . كان ذلك مرحلة في التاريخ من مراحل تعريف العمل . اما الآن فالعالم في معمله ، والعامل في مصنعه ، والكاتب ، فيلسوفا وشاعرا ، والفنان ، مصورا وموسيقيا ، جميعا يشاركون في ((فعل)) التاريخ .

لذلك لست اظن ان توفيق الحكيم كان جادا حين طلب من وزير الثقافة المصري ان يبحث له عن ((عمل يدوي)) ، انها احدى مداعبات الكاتب الكبير او هي على أحسن تقدير انفعال طارىء بما يجري في ساحات القتال ، انفعالا أنساه ان جانبا من هذا الذي يجري قد شارك قلمه في صنعه .. فلكل ((فعل)) زمانه ومكانه ، لكل منا موقعه ، والمقاتل لحظة الحرب انما يختتم ويبدأ سباقا طويلا متصلا ، كانت ((الكلمة)) ولا زالت وستظل من عناصره الجوهرية الفاعلة .

اما نزار قباني فقد انضم الى قافلة الذين راحوا غداة الحرب يرجمون ذواتهم والآخرين بحجارة ((الاحساس بالذنب)) حينا ، وحجارة الآلهة المتربعة على عروش الحكم بالاعدام حينا آخر .

وهو موقف غريب بحق . ذلك ان الموقف الراهن ابعد ما يكون احتياجا لتعذيب النفس أو ادانة الآخرين . وكلمات هؤلاء هي البعيدة عن ((الفعل)) ، ولكن ليس من حقهم تعميم حالتهم الخاصة على الكلمة عموما . اننا أحوج ما نكون الآن الى الكلمة - الفعل ، لا الى النقد الذاتي ولا الى منصة الاتهام . ذلك اننا جميعا سنحاسب - شئنا او لم نشأ - على كل حرف نخطه ، ولن يكون احدنا قاضيا. فلنترك ردود الفعل السلبية - بالبكاء او السباب - ولنتجه مباشرة الى الافعال الايجابية . اننا امام عدو بالغ الذكاء والدهاء ، يجند جيشه العامل من الكتاب والفنانين ويستنفر قواته الاحتياطية من مثقفيه المنتشرين فيجميع انحاء العالم ، يقاتلنا - بالكلمة يا سادة ! - قتالا ضاريا على مختلف الجبهات الفكرية والفنية . هذا العدو هو الذي يحتاج منا الى تكريس كل حرف لمواجهته ونضاله ، في عقر داره ، وداخل دارنا للاسف ، وخارج ديارنا باتساع الكرة الارضية. هذه هي مسؤوليتنا العاجلة والملحة ، وأي اعتذار عنها بالسهو او بالخطأ ، بتأنيب النفس او بتجريح الآخرين ، هو هروب حقيقي من الميدان ، والهروب الاكبر - طبعا - هو القول بأن الميدان الوحيد الآن هو ساحة القتال بالحديد والنار لا بالكلمة .

وليست هذه حالنا ، ولم تكن على الاطلاق في الماضي . ان مشاركة الكتاب والفنانين العرب في معارك الحرية لا تحتاج الى شواهد . وهم الذين كانوا اكثر من غيرهم عرضة للاضطهاد والقهر داخل اوطانهم وفي سجون العدو على السواء . اننا لم ننس بعد دماء مولود فرعون وغسان كنفاني وكمال ناصر ، فهي لم تجف بعد . وعلامات التعذيب على ظهور شعرائنا وكتابنا ، الذين دخلوا المعتقلات بالمئات ، لا زالت باقية . وحرام ان تطل علينا ((عقدة الخواجة)) في هذا الصدد ، لان شهداء الكلمة في بلادنا ليسوا أقل بطولة او شجاعة من شهداء الكلمة في بقية انحاء الدنيا .

ومقاومة النازي في فرنسا والاتحاد السوفياتي وغيرهما ، لها نظائر مشعة بالنور في حياتنا العربية المظلمة . ولسنا نبالغ في حجم تضحياتنا ، ولكننا لا ينبغي ان نستهين بهذه التضحيات ، وننسى الكلمات التي رثينا بها هذا او ذاك من الذين ماتوا ، والكلمات التي ساندها بها الذين تشردوا وجاعوا وعذبوا حتى حافة الموت .

ان تاريخنا الادبي لم يطل على المعارك من الطابق العاشر ، ولم يهرب من الجندية ، وانما هو قد ضم بين صفحاته العديد من آيات الصمود جنبا الى جنب مع وقائع الاستسلام ، وهو في ذلك ايضا ، لا يختلف عن التاريخ الادبي في العالم . لقد بدأ شتاينبك مناضلا جسورا وانتهى يغني لاميركا حربها ضد فيتنام ! وهمنغواي العظيم لم يمت في ساحة الحروب التي كتب عنها ، وانما هو قد انتحر ! ومالرو الذي شارك بنفسه في أنبل المعارك وأشرفها وكتب عنها الروائع هو وزير الثقافة الذي اتخذ موقفا مناوئا لثورة الطلبة عام ١٩٦٨ . انني بهذه الامثلة لا انتقص مطلقا - ولا يحق لي - من عظمة هؤلاء العمالقة ، ولا أبرر بخطاياهم خطايانا ، ولا أنسى الى جانبهم دماء لوركا وكودويل ونيرودا .

ولكنني أقول انها ليست موهبة اوروبية او اميركية انهم هناك يستشهدون من اجل الكلمة ، انها موهبة الكاتب والفنان المناضل في كل زمان ومكان . والوطن العربي ليس مستثنى بالا ، من هذه الموهبة الانسانية . بيننا المناضلون ، وبيننا المتعبون .

ونزار قباني نفسه ، لم يهرب من الجندية ولم يتفرج عليها من الطابق العاشر ، انه منذ الهزيمة الى الحرب ، حاول بقدر ما يستطيع وبقدر ما أتيح له من الضوء ان يرى ، وان يفهم ، وان يتكلم .

وعلينا ، قبل غيرنا ، ان نلبي نداء الساعة : لنواصل القتال .

البلاغ
٥ تشرين الثاني

سوريا

نزار قباني

الكلمة للمعركة

في السادس من اكتوبر (تشرين الاول) بدأ تاريخنا الحقيقي. الحرب هذه هي ولادتنا ، والحل الاول والاخير لقضيتنا .

ولا يتوقع الانسان من الحرب هذه سوى البعث والميلاد ، وامامها يبدو كل شيء هامشيا : الكتابة ، القصائد ، وحتى الفكر . لا وجود هنا للحوار ، لا بالنسبة الى المثقفين ولا بالنسبة الى الانتلجنسيا . لا قيمة لهذا كله ، لان المعركة هذه هي معركة حياة او موت . انها المفتاح الى خلودنا ، وكل طرفات الماضي كانت طرقات وهمية ضبابية .

في السادس من تشرين الاول (اكتوبر) بدأنا نكتشف طريق وجودنا الحقيقي . وبين الحياة والموت خطر وهمي دقيق ، اذا لم نتجاوزه وندخل في لعبة الموت ، لن نعرف الحياة . وموتنا سيفجر المواسم الجديدة وسنكون طائر الفينيق الذي يحترق ومن رماده تطلع الحياة .

ان هذه هي معركة العرب جميعهم ، واي قطر يتخلف او يهرب يسلم روحه للشيطان . فلا بد لكل انسان عربي أن يدرك ولا بد لكل دولة عربية ان تدرك ان لا وجود للحياد ههنا ولا مكان للمتفرجين على القاتلين . فالجيشان السوري والمصري يدافعان عن شرفنا وعن تاريخنا ، عن بيوتنا وعن نسائنا وعن اطفالنا . اننا امام محك صعب وكل موقف انهزامي سيحاسب عليه التاريخ .

النهار
١٤ تشرين الاول

دعوة عاجلة » لاحتياطي « الادب

عندما تبدأ آلة الحرب بالتحرك تصبح الة الادب في مرتبة ثانوية . وليس هذا انتقاصا من منزلة الادب ، بقدر ما هو محاولة لتقييم الاشياء بحسب مردودها ونتائجها المباشرة .

ان العمل الادبي بطبيعته يحتاج الى حد ادنى من الصبر والنضج والتخمر ، بينما لا تحتاج الرصاصة الا للمسة اصبع لتنطلق من ماسورتها .

ومن هنا يتضح ان منطق المسدس هو غير منطق القصيدة .

ان عبور قناة السويس مثلا ، كان يعتمد بالدرجة الاولى على لعبة الزمن وهو في الحروب المعاصرة يحسب بالثواني ، في حين ان كتابة رواية عن العبور العظيم قد تستغرق اشهرا بل سنين لتكون بمستوى هذا العبور الاسطوري .

على ان هذا لا يعفي الاديب من مهمة اتخاذ موقعه في صفوف الشعب ، حيث يمكن لكلماته ان تشارك في تعبئة القوى النفسية ، ورفع معنويات الجماهير ، وزرع بذور البطولة والامل في وجدان الشعب .

ان الخطوط الخلفية للمعركة تمتد بالعمق في كل ترابات الوطن العربي .

وعلى هذا المسرح العربي الواسع يستطيع الكاتب ان يلعب دوره ويؤدي « خدمته العسكرية » .

واذا كانت الدول العربية قد استنفرت جيوشها، ودعت احتياطييها خلال ٤٨ ساعة ، فان على « ضباط الادب » العربي واحتياطييه وقدماء محاربيه ، ان يتجمعوا هم ايضا خلال ٤٨ ساعة ومعهم اوراقهم الثبوتية وأقلامهم .. ووطنيتهم .

اما مكان الاجتماع فيمكن ان يكون في أي مكان : في الشوارع.. في الازقة .. في الساحات العامة .. في الجامعات .. في المدارس .. في مكاتب الصحف اليومية .. في حقول المجلات الاسبوعية .. في الجوامع .. في الكنائس .. على ظهور الاوتوبيسات .. على أغصان الشجر .. على أعمدة النور ..

أيها الادباء العرب :
كل القطارات مسافرة الى الجبهة ..
كل القطارات مسافرة الى المجد ..
فتجمعوا بسرعة ..
لانكم اذا لم تكتبوا اليوم ، فلن تكتبوا أبدا ..

الانوار
١٦ تشرين الاول

يموتون عن العرب بالوكالة

ربع مليون جندي مصري ، كسروا قمقم الصبر أخيرا ، وقفزوا الى الضفة الشرقية لقنال السويس ، لكي يستردوا للامة العربية شرفها الضائع ..

ومئة ألف جندي سوري ، ينهمرون كالبرق على مرتفعات الجولان ليضيئوا من جديد تاريخنا الغارق في العتمة ..

جيشان عربيان شجاعان ، احتضنا بصدرهما مسؤولية التحرير ، واتخذا قراراً بالحرب ، ودخلاها بالنيابة عن بقية العرب ، وبالوكالة عنهم ...

لكن الحرب ليست وكالة بالبيع ، او بالشراء ، او بالموت ، ينوب بها الوكيل عن الاصيل .. ولا هي (كمبيالة) قابلة للتجيير من يد الى يد ..

فالقضية الفلسطينية ليست ميراث مصر وسورية فقط . و (كمبيالة) فلسطين ليست دينا عليهما وحدهما ... وانما هي دين مستحق على الدول العربية جميعا ، بصرف النظر عن قربها او بعدها ، او موقعها الجغرافي .

ذلك ان الجغرافيا ـ كما تفهمها اسرائيل ـ لا يكتبها مدرسو الجغرافيا في مدارسها ، وانما يكتبها قادتها العسكريون ، وجنرالاتها العنصريون . وقد كان الجنرال دافيد اليعازار رئيس الاركان الاسرائيلي واضحا جدا في التعبير عن طموحه الجغرافي حين قال : (ان يد اسرائيل قادرة على الوصول الى أي مكان تشاؤه في البلاد العربية) .

ومثل هذا الكلام بالطبع ، يجعل دول المواجهة ودول عدم المواجهة سواسية امام كرباج دافيد اليعازار الطويل الذي يرفعه في وجوه العرب ، كل العرب ، بمناسبة وبغير مناسبة ...

نحن جميعا ، في تصور قادة اسرائيل ، كأسنان المشط ... وحلم العسكرية الاسرائيلية هو ان تكسر أسنان المشط الواحد بعد الآخر .. وتقيم أعمدة مملكة (يهوه) على أنقاض المشط العربي المكسور ...

ان هذه الحرب مختلفة .. مختلفة .. مختلفة .

وهي لن تقرر مصير شبه الجزيرة العربية فحسب ، ولكنها ستقرر مصير (النوع العربي) كله .. فاما ان نربح الجولة ونبقى .. واما ان نخسرها فنندثر ..

لقد فتح المصريون والسوريون امامنا الضوء الاخضر ، وصححوا صورة المقاتل العربي في ذهن العالم ، وثقبوا (بالون) الغرور الاسرائيلي ، واستطاعوا خلال الساعات الاولى من المعركة ان يجرحوا الذئب ، ويقتلعوا بعض اسنانه ..

فعلى الذين لا يزالون في مقاصير المتفرجين ان يشتركوا في مطاردة الذئب .. قبل ان يرتد عليهم .. ويأكل زوجاتهم وأطفالهم ، ويحول بناتهم الى سبايا .

وعلى الذين ينتظرون في المحطة وصول قطار النصر اليهم ، ان يتعلقوا بالقطار المتجه الى الجبهتين المصرية والسورية ... لانهم اذا لم يفعلوا ذلك .. فسوف يبقون حفاة عراة .. على ارض التاريخ .

انني أنادي ، بكل محبة ، اسنان المشط العربي ان تتلاصق ، وتتساند ، وتشد ازر بعضها ..

انني أنادي بقية اسنان المشط ، الطويلة والقصيرة ، الغنية والفقيرة ، الكبيرة والصغيرة ، المسالمة والمتوحشة ، ان تخرج من (علبة التواليت) .. وتلعب لعبة الموت والحياة الى جانب مصر وسورية ..

انني انوسل اليها أن تتخلى ، ولو مرة واحدة ، عن (فن التشريفات) والمجاملات ... و (سؤال الخاطر) .. لاننا عرفنا هذه البضاعة الشعرية ، والرمزية ، والسوريالية ، في حزيران ١٩٦٧ .. ولا نريد ان نعرفها مرة اخرى ..

ان الزمن بين الانتصار والهزيمة ضيق جدا ... وان الحرب المعاصرة لا تحتمل الاستخارة ، والتنجيم ، وضرب المنادل ، ولا تربح بالتمنيات الطيبة وحدها ...

ان يد مصر وسورية في النار ... وهما بالتأكيد ليستا بحاجة الى من يرميهما بقصيدة .. أو بوردة .

لكنهما بحاجة الى شركاء حقيقيين ـ لا اسميين ـ يتناوبون معهما حراسة هذا الوطن ، والدفاع عن كل بواباته ...

انني أشعر ان حرب السادس من اكتوبر هي لحظة ولادتنا الحقيقية .. التي أشعرتنا اننا لا نزال قادرين على الاخصاب والانجاب ...

والمطلوب من أعمام هذا الطفل الجميل ، والنادر الذي جاءنا بعد ست سنوات من العقم ..

المطلوب منهم جميعا ان يغطوه جيدا بعباءاتهم ... ويقفوا بكامل سلاحهم حول سريره .

لان الشتاء لا يزال في أوله ..

وأصوات الذئاب لا تزال تعوي في الخارج .

الاسبوع العربي
١٥ تشرين الاول

وجهي .. وجواز سفري

أسحب جواز سفري العربي من جارور مكتبي .. والثمه ..

أتأمل جلده ، والعقاب الذهبي المرسوم عليه ، وتأشيرات الدخول والخروج ، وملاحظات القنصليات الاجنبية (مواطن عربي ـ للمرور دون توقف) ..

على الصفحة الثالثة ، أرى صورتي للمرة الاولى ..

أرى قسماتي الحقيقية ، وأتأكد من لون عينيّ ، واستطالة انفي، واستدارة فمي ..

قبل السادس من اكتوبر ١٩٧٣ ، كانت صورتي مشوشة ، وغائمة ، وقبيحة ...

كانت عيناي مغارتين تعشش فيهما الوطاويط والعناكب ، وكان فمي خليجا مليئا بحطام المراكب الغارقة .. وكانت علامتي الفارقة المسجلة في جواز السفر هي انني أحمل على جبيني ندبة عميقة اسمها ٥ حزيران .

اما عمري في جواز سفري القديم .. فقد كان مشطوبا .. لان العالم كان يعتبرني بلا عمر ..

واليوم (٦ اكتوبر ١٩٧٣) يبدأ عمري ..

اليوم فقط .. ذهبت الى مديرية الاحوال المدنية ، وأريتهم صك ولادتي التي حدثت في مستشفى عسكري نقال .. يتحرك مع المقاتلين في سيناء والجولان .. فاعتبروني طفلا شرعيا ، وسجلوني في دفتر مواليد الوطن ..

لا تستغربوا كلامي ، فانا ولدت تحت الطوافات ، والجسور العائمة التي علقها مهندسو الجيش المصري على كتف الضفة الشرقية، وخرجت من اسنان المجنزرات السورية التي كانت تقرقش الصخور

في مرتفعات الجولان .
أعترف لكم ان ولادتي كانت صعبة ..
لقد خرجت من تحت الجنازير .. ومن رحم حاملات الجنود ، ومواسير المدافع ، حتى ان الاطبــاء حين رأوني في اليوم الاول لولادتي أركض على رمال سيناء ، وصخور جبل الشيخ .. قالوا انني معجزة طبية ..
والواقع انني لست معجزة طبية ..
ولكن الاطباء الاجانب لا يعترفون الا بالولادات التي تحدث فـي غرف الدرجة الاولى في مستشفيات الولادة ..
اما الولادات التي تحدث في غرف المقهورين ، والمسحوقيــن ، والمعذبين في الارض ، والجائعين الى الخبز والحرية .. فهم لـم يقرأوا عنها في مراجعهم الطبية ..
انهم لا يعرفون ان للحزن رحما تفرز ملايين البويضات ، وتخرج ملايين المقاتلين ..
وأنا كنت واحدا من هؤلاء الذين خرجوا من رحم الفجيعــة والغضب ..
وكانت ولادتي مخالفة لمنطق كل الدكاترة .. وكل المتخصصيـن بالامراض النسائية ، والامراض النفسية ، والامراض القومية ..
انني آسف لانني خيبت رأي الاطباء ..
وآسف لانني مددت لساني لحسابات الكومبيوتر التـي كـانت تؤكد ان ولادتي لن تحدث قبل عشرين سنة ..
وآسف لان الطائرات الاسرائيلية لم تستطع ان تنسف سرير أمي وهي في ساعة المخاض .. كما فعلت في حربها الماضيــة في حزيران عام ١٩٦٧ ..

●

لا تؤاخذوني اذا ولدت في يوم الغفران ..
ولكن الامر ليس بيدي ..
فمشكلتي انني أصبحت أكبر من رحم الصبر الذي يحملني ..
وان مكوثي ست سنوات في قبو الذل والانكسار والفجيعة ..
لم يستطع ان يلغي ذاكرتي ..
انهم حقنوا جسد أمي ـ الارض بأنواع ابر الاجهاض .. أعطوها حبوبا لمنع الحمل ، وقفوا على ظهرها ، داســـوا على بطنها .. ركلوها .. دحرجوها من أعلى السلالم .. رموها مــن الطـابق العاشر ..
ولكن بطن أمي بقي سميكا كقشرة الكرة الارضية .. ومتموجـا كبحيرة ملأى بالاسماك ..
ونجت أمي من كل محاولات الاجهاض ..
ونجوت أنا ..
وها أنذا أسبح في مياه قنـــال السويس كسمكة القرش ، وأقطع بأسناني لحم الجنود الاسرائيليين في الجولان ..
فلا تؤاخذوني اذا أكلت لحما في يوم الصوم الكبير ..
ان سمك القرش لا يصوم ...

الاسبوع العربي
٢٢ تشرين الاول

دمشق ... تتزوج

حفلة ألعاب نارية في سماء دمشق ..
حفلة زفاف حقيقية ..
ومدينتي هي العروس ..
منذ حزيران ١٩٦٧ ، قررت دمشق ان لا تتزوج الا عـلى طريقتها الخاصة ..
رفضت كل الرجال الذين تقدموا اليها ..
ورفضت كل الوسطاء ، وكل سماسرة الزواج ..
ورفضت كل المهور ..

●

كانت تنتظر فارسا طـويل القامة ، عربي العينين ، عريض المنكبين ..
يحمل بارودته على كتفه ..
ويجلس على قمة (جبل الشيخ) ..
انتظرته ست سنوات ..
وراسلته ست سنوات ..
واحتفظت بصورته في طيات ثيابها ، وبين اوراق دفـاترها المدرسية ..
ست سنوات ..

●

أخذوها الى الاطباء النفسانيين ..
فقرروا انها عاشقة حتى نخاع عظمها ..
صوروها بالاشعة ..
فوجدوا فارس (جبل الشيخ) متمددا مع بارودته بيـن الرئـة والقلب ..
أخذوها لعند فاطمة التي تقرأ الحظ في فناجين القهوة ،
فصرخت فاطمة حين رأت رجلا مسلحا يتسلق على جـدار الفنجـان ..
نصحوها بالسفر الى سويسرا ، والكوت دازور ، وبحيـرة غومو ، وجزر الكناري .. والاستحمام بمياه فيشي المعدنية ..
ولكنها ظلت تحمل فارس (جبل الشيخ) في حقـائبها وتحت ضفائرها ..

●

اقترحوا عليها استئجار شاليه في بيروت ..
حيث البحر ساكن كالزيت ..
والرمال محايدة ..
والاصداف محايدة ..
والاسماك مطمئنة على مستقبلها ، ومستقبل اولادها ..
والشمس ، امرأة اجنبية ، تدلك جسمها بالكريم .. عـلى تراس فندق السان جورج ..
نصحوها ـ كي تنسى حبها القديم ـ ان تتمشى على أرصفـة شارع الحمراء .. وتتفرج على مجموعة أزياء الخريف ..
أعطوها شيكا مفتوحا لتشتري كل ما تشتهيه من حقـائب ، وأحذية ، ومعاطف ، وقبعات .. وأدوات زينة ..
دعوها الى المسارح ، والى سباق الخيل ، والى الكازينو ..
دعوها الى أقبية الستيريو .. والى مسابقات ملكات الجمال ..
ومعارض الكلاب والازهار ..
فاعتذرت بأنها لا تشرب ، ولا تدخن ، ولا ترقص ، ولا تلعب البريـدج ..

وأخبرتهم انها مخطوبة لمقاتل في (جبل الشيخ) لا يسمح لها بارتداء الميكروجوب ..

●

سماء دمشق الزرقاء مثقوبة بآلاف الصواريخ ..
وأطفال دمشق اكتشفوا لعبة جديدة ..
انهم يجمعون أجنحة الطائرات الاسرائيلية المتساقطة فوق سماء مدينتهم ، كما يجمعون الطوابع التذكارية النادرة ..
أطفال دمشق : يتخانقون على نجمة داود ..
يصيح كبيرهم : هذه النجمة لي .. لانها سقطت امام بيتنا ..
لكن النجمه التي ستسقط بعدها هي لك ..
وهكذا .. تتساقط نجوم داود ..
حتى لم يبق طفل دمشقي ، الا ويحتفظ في خزانة العابه بواحدة منها ..

●

في السادس من شهر تشرين الاول ١٩٧٣ ..
تزوجت دمشق حبيبها الذي كان ينتظرها على قمة جبل الشيخ ..
تزوجته بالعنف ..
ونامت ، بعد ست سنوات من الانتظار ،
بين ذراعي حبيبها ...

الاسبوع العربي
٢٩ تشرين الاول

يتفرجون على المعركة ..

كتبت رينه فرنكودس ما يلي :

في سؤال طرحته على الشاعر نزار قباني عن مدى استعداده للقيام بجولات في الدول الاوروبية ، يقدم فيها محاضرات ويلقي قصائد ويناقش في مختلف الشؤون العربية ، بالاضافة الى جمع التبرعات للمعركة ، أبدى الشاعر كامل استعداده للقيام بهذه الخطوة على ان يسبق ذلك تخطيط مدروس على صعيد الدول العربية كلها وسفاراتها في الخارج وان يلقى الدعم والمساندة من الهيئات العربية المتواجدة هناك حتى لا تأتي هذه الخطوة ضعيفة وفردية ، ويمكن بسهولة لبعض العناصر أو المؤسسات الصهيونية ضربها أو القضاء عليها .

هذا ما أبداه نزار قباني ، وطبعا هناك غير نزار من الشعراء والادباء والفنانين الذين يملكون نفس الاستعدادات ، فهل تقوم او تؤلف لجنة او جمعية او تجمع يعمل على درس هذه الخطوات وتنسيقها والاعداد لها في العواصم والبلدان الغربية؟ وبهذا لا يكتفي بعض الادباء والفنانين والكاتبات والصحافيات بجمع التبرعات بواسطة الدفاتر الخاصة بالمجهود الحربي . هل هناك من فكر جديا وفعليا بالخروج من الفترينات الزجاجية ؟

الصدق دائما يصل

□ كان شعرك بعد الهزيمة تجريحا عنيفا للتخلف العربي ، فكيف تفسر انه بعد سنوات قليلة استطاع انساننا ان يعبر القناة ويصعد الجولان ؟

ـ كتابتي عن هزيمة ١٩٦٧ وكل الكتابات التي انطلقت من الصدق والموضوعية ومراجعة النفس ، هي التي أوصلت الى نصر ١٩٧٣ . الصدق دائما يصل ، وبالتالي فان الصراخ في وجه الخرافة ، هو الذي جعل العبور الى الضفة الشرقية ، والى مرتفعات الجولان ممكنا ...

انني لا أعتذر لاحد عن كتابات ١٩٦٧ ، لانني أعتبرها عاملا من عوامل التحريض ، ودعوة للانقضاض على كل الموروثات الجاهلية التي كانت تسيطر على العقل والسلوك العربيين في تلك الحقبة ، ان اقصر طريق للخروج من مغارة أهل الكهف ، هي قتل اهل الكهف .. وافضل وسيله زراعية للتخلص من الحشرات التي كانت تمتص دم الامة العربية ، هي احراقها بالنفط ..

ان اللجوء الى العنف الادبي ، في رأيي ، هو مثل اللجوء الى العنف العسكري ، يصبح مشروعاً حين يصبح الاصلاح بالادوية المسكنة مطلبا مستحيلا . وممارسة العنف الادبي ، على الوجدان العربي ، كان من جملة العوامل التي ساعدت على ولادة (انسان قناة السويس) و (انسان مرتفعات الجولان) . وهذان الانسانان لم يولدا بالصدفة ، وانما خرجا من ارض محتقنة بالغضب ، والفجيعة ، والتمزق ، والوجع الانساني الذي لا وجع مثله . ان عبور القناة وصعود الجولان ، ليسا عبوراً وصعودا ماديين فحسب ، ولكنهما يعكسان عبور النفس العربية من مرحلة الانفعال الى مرحلة الفعل ، وصعود الغضب العربي من مرحلة الشكوى ، الى مرحلة الاقتحام .

□ في تجارب الكثيرين من شعراء المقاومة الوطنية ضد النازي او ضد اميركا في فيتنام ، ملامح للالتحام مع القوات المقاتلة ، سرا وعلنا .. لم نسمع حتى الآن ان واحدا من شعرائنا المعروفين قد جند على نحو من الانحاء . في رأيك ألن يترك ذلك اثره على الشعر الذي يكتب الآن والذي سيكتب فيما بعد « عن » المعركة ؟

ـ نحن جميعا هاربون من الجندية .. وكل أدبائنا يصطنعون المرض ، ويقدمون التقارير الطبية .. ويتفرجون على المعركة من الطابق العاشر ، من شققهم المكيفة بالهواء ، والمفروشة بالموكيت ..

نحن لا نعرف شكل الموت الا في السينما ، ولا نعرف اللون الاحمر الا في الرسم ، اما الموت الحقيقي ، والدم الحقيقي الذي يسقي كل ذرة امل في صحراء سيناء ، ومرتفعات الجولان ... فنحن نركبه تركيبا كيميائيا في مختبرات خيالنا . ان مئات المراسلين الصحفيين ماتوا في الحروب بحثا عن خبر جديد، أو لقطة فوتوغرافية نادرة ، لكننا لم نسمع ان شاعراً ، او كاتبا عربيا واحدا مات وهو يبحث عن لقطة شعرية او روائية نادرة .

ان همنغواي مثلا كتب روايته الشهيرة « لمن تقرع الاجراس » وهو يعيش مع المقاتلين في الحرب الاهلية الاسبانية ، واراغون وايلوار واندره مالرو وكامو وسارتر اشتركوا اشتراكا فعليا في حركة المقاومة الفرنسية اثناء الاحتلال النازي لفرنسا عام ١٩٤٠ ، وكذلك بابلو نيرودا اشترك في الحرب الاسبانية الى جانب الجمهوريين عندما كان قنصلا للتشيلي في مدريد .. أختصر القول فأقول ان الشاعر ـ الوديل ـ أو الشاعر ـ المانيكان ـ الذي يجلس في فترينة زجاجية ليتفرج عليه السياح ، قد انتهى امره ، وفي مناخ حربي كالمناخ الذي نعيش فيه هذه الايام ، يشعر الاديب العربي ، انه ممثل ثانوي جدا ، امام الابطال الحقيقيين الذين يغيرون بالسلاح خريطة الوطن العربي . ولقد كان الاستاذ توفيق الحكيم على حق حين كتب الى وزير الثقافة طالبا ايجاد (عمل يدوي) له يشارك به في المجهود الحربي المصري .. ان توفيق الحكيم يريد ان يتجاوز

الكلمة الى الفعل ، وهو في تعبيره عن أزمته الخاصة يعبر عن ازمة الادب العربي كله ...

تغيرت مساحة السماء

☐ في زمن الحرب لا يقل دور الكلمة عنه في زمن السلم .. ولكن هل تتصور كشاعر ، ان القصيدة التي كتبت في الماضي ، بأوزانها وصورها ، سوف تستمر على نفس النسق ، ام ان متطلبات الحرب سوف ترغم الشاعر على التنازل عن بعض مقتضيات الجمال في سبيل الهدف العاجل ؟

ـ الحرب بطبيعتها تغير الارض وتغير الانسان .. اثناء زيارتي للاتحاد السوفياتي قال لي الدليل الذي كان يمشي معي في شوارع ستالينغراد : هل تعرف ان معركة ستالينغراد مست الحياة تماما في هذه المدينة .. فلم تترك شجرة ، ولا زهرة ، ولا نافذة ، ولا سقفا ، ولا عصفورا ، ولا قطة .. وان كل الاشجار والازهار والعصافير والقطط ... ولدت من جديد بعد معركة تحرير ستالينغراد ؟

هذا الكلام ينطبق علينا ايضا ، بحيث لن يبقى شيء عندنا في مكانه . ستتغير مساحة السماء العربية ، ويتغير شكل الشجر ، وملامح البشر ، وستتغير الابجدية ويتغير الكلام ، وتصبح الجماليات القديمة ملابس فولكلورية ، نضعها في متحف الازياء الشعبية ، ولا نخرجها الا في المناسبات والاعياد القومية . والقصيدة العربية طبعا لن تنجو ابدا من قانون الحرب ، وستكون مضطرة الى التخلي عن كل جواهرها ، وعقودها ، وثيابها المطرزة ، وخلاخيلها الفضية ، اذا أرادت ان تتعايش مع المجتمع العربي الجديد .

☐ لسنا في جزيرة مهجورة ، وانما نحن نعيش وسط عالم كبير محيط بنا .. آخر الانباء تقول ان شعراء الصهيونية من يهود اسرائيل واوروبا الغربية واميركا ، يجوبون الدنيا يلقون القصائد والمحاضرات في الجامعات والكنائس والميادين العامة ، ضدنا ، هل هناك مبادرة عربية في هذا الصدد ، وخاصة ان للكثيرين منكم ، أيها الشعراء العرب ، علاقات متينة بالاوساط الادبية في جميع انحاء العالم ؟

ـ ان الفكرة التي تطرحينها ممتازة ، ولكن نجاحها يتطلب شرطين اساسيين : أولهما ايجاد كتابة عربية تستطيع في حالة تعريبها التأثير في الفكر الغربي . وهذا نادر فيما اعرف من اعمالنا الشعرية والادبية ، حيث نتجه بكل ما نكتبه الى القارىء العربي وحده . والشرط الثاني ، هو وقوف الجهاز الاعلامي العربي بكل طاقاته المادية والتنظيمية وراء هذا المشروع ، فبدلا من الانفاق على مهرجان شعري يستمع فيه الشعراء العرب الى بعضهم ، يمكن تمويل سلسلة من الكتب تصدر باللغات الاجنبية وتضم احسن نماذج الادب العربي المعاصر من شعر ، ورواية ، ودراسات جادة . وقد نفذ المعهد العربي الاسباني في مدريد هذه الفكرة بنجاح حين اصدر ترجمات باللغة الاسبانية لشعر المقاومة ساهمت مساهمة فعالة في نقل الفكر الثوري الفلسطيني الى الرأي العام الاسباني .

كانت اميركا طاهرة ومثالية

☐ في حرب ١٩٥٦ كانت لك قصائد وطنية تحفظها الجماهير، كرسالتك الى جندي مصري في جبهة السويس . في ١٩٧٣ هل تتصور ان رؤياك للحرب قد تغيرت بما يعكس تغيراً في انتاجك الشعري الحالي (هل تكتب الان) او القادم ، من زاويتي الفكر والفن ؟

ـ انني أتغير كل يوم ، وما كتبته في حرب ١٩٥٦ كان صحيحا بالنسبة لذلك التاريخ . وللظروف التي رافقت تلك الحرب . ففي تلك الحقبة كانت الولايات المتحدة لا تزال محتفظة بطهرها ومثالياتها ، وكان تدخلها عاملا حاسما في تفشيل الغزو الثلاثي البريطاني ـ الفرنسي ـ الاسرائيلي لمصر . أما في حرب ١٩٧٣ فان الولايات المتحدة أصبحت اكبر دولة تمارس الفحش السياسي في العالم ، وترفع سيفها في وجه الحرية والاحرار في كل مكان . وتقوم بدور محامي الشيطان عن الفاشيستية الاسرائيلية . ومن جهة أخرى يتجمع العرب ، للمرة الاولى ربما ، ليواجهوا اهمية الاستعمار الاميركي الجديد ، بكل طاقاتهم الحربية ، والاقتصادية ، والنفطية ، والقومية ، وتذوب تناقضاتهم امام الخطر الذي يهدد ميراثهم وتاريخهم وجذورهم الحضارية .

وعن هذه التحولات التاريخية المدهشة ، تتكون مواقف جديدة للشعر ، ومنظور جديد للشعراء . انني أكتب ، وسأكتب ، عن الموقع التاريخي الجديد ، هذا كل ما اعرفه ، ولكنني لا استطيع ان احدد اوصاف هذا الشيء الذي سوف يأتي .. لان الكتابة شيء ، واستحضار الارواح ، شيء آخر .

شاعر الحب في زمن الحرب !

☐ استاذ نزار ، منذ أيام سألت احد الشعراء عن ما اوحته اليه هذه الحرب ، وهل كتب او سيكتب قصيدة ما ، فأجابني بانه لم يكتب حرفا لان هذه الايام ليست ايامه ، على حد تعبيره ، وعلى اعتبار انه معروف كشاعر غزل ، فهل تتصور انت ان هناك تخصصات مثلا في ان يكون هذا شاعر مقاومة ، وآخر شاعر كأس او امرأة او حب وهكذا .. وبالتالي يصبح « فعلا » انتهازيا ان يكتب شاعر الحب في القتال زمن الحرب ، والعكس صحيح ؟

ـ انها حقا اهانة بالغة للشاعر ان نعتبره « سوبر ماركت » تصنف فيه البضائع حسب حاجات ربات البيوت ، فقسم للاطعمة المثلجة وقسم للخضراوات وقسم للحوم الخ .. وبتعبير آخر ان اكبر جناية ارتكبها نقاد شعرنا القديم هي وضع الشعر في زجاجات على الرفوف والصاق اتيكات عليها « هذا شاعر المرأة وهذا شاعر الوصف وهذا شاعر المقاومة الخ ... » .

هذه النظرة التجزيئية الى الشعر هي نظرة صيدلية وبعيدة عن جوهر الشعر ، لان الشاعر في ابسط معانيه هو ذلك الانسان الذي يحقق وحدة الوجود وهارمونية الحياة .

البلاغ

٢٩ تشرين الاول

سليمان العيسى

٦ قصائد

اسق العطاش !

اسق العطاش رحيق النصر يا بردى ... اسق الدنى ، ما منعنا كأسنا أحدا
اسق المدرّعة السمرا .. وفارسها ... ومن تخطته في الميدان ان وجدا
اسق النسور .. ولم يعطش مقاتلنا ... كل السماوات كانت تحته بردى
اسقي أسيرك ان يلهث ممزقة ... أضلاعه فرقا ، أنفاسه بددا
اسقيه يا يدنا .. حتى تقنه ... فينا لقد ولد الانسان مذ ولدا
بنت السماء سجايانا .. نوزعها ... ما بين صاعقة أو وردة أبدا

* * *

يا شام .. مغربنا الغالي ومشرقنا ... على بساطك في عرس الدم اتحدا
عرس من النار .. كان الغزو واحدة ... من الاساطير ألقينا بها زبدا
مدّي بساط الهوى يا شام .. رائعة ... أمجاد أمس .. وأحلى ما يجيء غدا

البعث ١٨ تشرين الاول

يا ياسمين دمشق !

تسقي من الازل السحيق وتسكر ... ماذا أقول .. وأي خمرك أعصر ؟
يا ياسمين دمشق .. مدّ بيارقي ... مطرا بملحمة الرسالة يهدر
يا ياسمين دمشق .. عطرك أبيض ... وتغطرست أفعى فعطرك أحمر
وغضبت .. فالوطن الكبير عباءة ... حطّت على بردى .. ونسر أسمر
هشمتها أسطورة .. وذروتها ... كل الغزاة على العبير تكسروا
كل الغزاة .. وظلّ قنديل الهوى ... أبدا على العطر المدلل يسهر
كل الغزاة .. ولم تجفّ منارة ... يا ياسمين .. ولا تزحزح منبر
تمتد يا لون العبير جهنما ... فوق الرمال .. جهنما تتسعّر
وتقهقه الصحراء .. تحت نعالها ... سوداء من قصص الجريمة تقبر
يا ياسمين دمشق .. طوق واحد ... وطن العروبة بالاريج مسوّر
بالنار ، بالغضب المقدس ، بالرؤى ... بالانبياء من التراب تفجروا
من كل زنبقة أطلّ مقاتل ... من كل سوسنة تحدّر خنجر
ولدوا على بردى مروج غمامة ... بالصاعقات وبالطفولة تزهر
ولدوا على سيناء مثل قصيدة ... في بال معجزة الرؤى لا تخطر
من أين ؟ من أعماق أعماق الثرى ... قدر يزيح غطاءه ويزمجر

* * *

يا ياسمين دمشق .. مفتاح الضحى ... بيد العبير حضارة لا تقهر
يا قامة الغضب الذي لا ينحني ... ميلادك العربي أخضر أخضر
يا ياسمين دمشق .. وحدة أمة ... بدم النسور ، دم النسور تسطر

البعث ٢٢ تشرين الاول

الى طائرة استطلاع !

مرّي على هذه الصحراء خاطفة ... وحدقي حدقي ما شئت .. واطلعي
ماذا ترين ؟ جذور الشمس ما برحت ... على رمالي .. ولون الانبياء معي
لا تتعبي .. هذه الصحراء عاشقة ... لم تعط أسرارها يوما .. ولم تدع
مرّ الغزاة .. دعيني عبر أغنية ... أهديك بعض الصدى المهزوم والبقع
على الرمال « أساطير » مهشمة ... فصوريها .. بقايا الغدر والجشع
لا ترصدي أي عصفور على بردى ... لا ترسمي قسمات النيل في هلع
مخابىء الضوء لا تحصى بواحتنا ... ومولد البرق سر غير منتزع
هنا الحضارات .. فاستهدي بسمرتها ... وسجلي صمتها الجبار واستمعي
لم نخف شيئا .. ولو دمرت حانقة ... بعض المنائر لم نركع ، ولم نرع
كنوزنا في يمين الدهر ننشرها ... وامتد يا وهج الانسان واتسع
ماذا ترين ؟ مدى ينداح خلف مدى ... بألف معجزة سمراء ملتفع
رمال سيناء طفل من حديقتنا ... وبطن مكة هدر غير منقطع
لا تتعبي .. هذه الصحراء ساحرة ... الا على آلها البرّاق لن تقع
عودي عن الازل الغافي بقبضتنا ... لقد أفاق .. ويا بركاننا اندفع !

البعث ٢٧ تشرين الاول

من دفتر مقاتل عربي !

يدار الشعر في بيتي   تدار القهوة المرّة
وضوء الشمس أخزنه   جرار محبة ثرّة
وأسقي الليل ، أسقي الضيف ، أسقي النبع والصخرة
أخوض البرق أنقشه   بسنبك مهرتي طرّة
ويهزمني – على ظفري –   جلال قصيدة درّة
تصبّ على مدرعتي   نبيذ الله والخضرة
وتسكرني فتغدو الارض   تحت وسادتي زهرة
تقدّست الكؤوس ، وسرها العربيّ ، والخمرة !
تقدّست الكؤوس ... تعير تاريخ الهوى عطره !
أقاتل كي يمد النجم   فوق هضابنا سخره
أقاتل كي أردّ الى   خدود رمالنا السمره
مفاتيح البيوت .... وطال طال الشوق والهجره
أغاني الضوء تذبحه   « الافاعي » قطرة قطرة
أردّ لجبهة التاريخ   كل تألق الغرة
أردّ كرامة الانسان   معنى أرضي الحرة
أسوّر ياسمين حديقتي بجهنّمي المرّة
وضوء الشمس اخزنه   جرار محبة ثرة

* * *

على سيناء صاعقتي   وفي الجولان مخضرة
وبطن الرمل الف بدا   ية لمّا تزل هدرة
وأحمل .. أحمل النكبات تفجعها غدرة غدرة
وأنذر ... أنذر الطغيان .. ثم يذوقني مرّة
وتمحق « حبيّنة » بالنا   ب والاظفار مفتخرة
أقاتل كي أردّ الى   جبين صباحنا كبره
وأسفحه على الدنيا   رسالة أمة حرة

البعث   ٢٩ تشرين الاول

نفطنا !

أردناه قنديلا على الارض أخضرا   وشاؤوه قصفا أحمرا ودمارا
أردناه أطفالا ، ووردا ، وموقدا   عشياته بالاغنيات سكارى
وشاؤوه فوق الوادعين جهنما   وفوق العيون الحالمات جدارا
ويا ليلة الدفء المعطر بالهوى   دخانا أحالوا دفئنا وغبارا
ثلاثين من عمر الزمان حزينة   حملنا الجراح النازفات شعارا
ونومىء بالدرس العظيم .. وعندنا   مفاتيح ليل .. لا يريد نهارا
تفجره الصحراء شلال نقمة   اذا كابر « الزهو العقيم » ودارا
ويا قصص الاطفال .. لن تتوقفي   على نفسه « الغزو القعيم » أغارا

البعث   ٣٠ تشرين الاول

وصية أبي بكر ! بعد أربعة عشر عاما

الجيش .. نهر من تسا   بيح ، ونهر من سيوف
والقائد الاعلى رؤى   علقت بمجهول مخيف
وتندّ غمغمة .. وتقتحم الصفوف الى الصفوف :
لا تجرحوا بسيوفكم   حلما على غصن وريف
لا تقلقوا أنشودة   رقدت على وتر شفيف
لا تقطعوا خضراء .. لا   ينض السنان على ضعيف
لا تزعجوا شيخا ولا   طفلا .. وتمطر كالحفيف
كالنور ، كالحب ، الوصية في المئين .. وفي الالوف
ويسير نهر النور .. يا   أعلامنا في الارض طوفي !

* * *

يا قائد النهر العظيم من الرجال ، من السيوف !
بعض الوقوف على دمشق وعطرها .. بعض الوقوف !
المجرمون !! وضاع صو   تك في الحرائق والحتوف
المجرمون يفجرون   غمامة الحقد النزيف
المجرمون !! ويصمد القنديل للحلك الكثيف
وتطل اغنية الضياء .. تليدها لغة الطريف

البعث   ٣١ تشرين الاول

حنا مينه

عصر التكنولوجيا عصرنا أيضا

الذين قالوا ، بعد نكسة حزيران ، ان التكنولوجيا سببها ، وقعوا في شيء من التعميم .

الاصح ان التكنولوجيا أحد اسبابها ، ولكن هذه التكنولوجيا صارت ، كالتخلف ، مشجبا طالما علقنا عليه ألبسة الحقائق مقلوبة ، فلم نر الا البطانيات منها .

الآن ، وبعد معارك تشرين ، جاء الوقت لكي نعيد ما علقناه مقلوبا الى وضعه الطبيعي ، المبرهن عنه بمنطق احداثنا ، بعد ان برهنت عنه احداث غيرنا منذ زمن بعيد .

ومن هذه البرهانات ان التكنولوجيا أساس منجزات عصرنا ، ولكنها تكنولوجيا في خدمة العصر ، ولمصلحة قضاياه الرئيسية ، وهذا العصر ، بهذا الامتلاك التكنولوجي ، هو عصرنا بقدر ما هو عصر غيرنا ، بل هو عصرنا أكثر من غيرنا ، لاننا مع مسيرته ولسنا ضدها، ولاننا المدافعون عن تقدمه بينما أعداؤنا يحاولون عبثا اعادته الى الوراء .

ولن نحيل الى التاريخ . حسمت ، الآن ، مقولة ان التاريخ يعيد نفسه ، وحسمت أكثر حقيقة انه لا يرجع أبدا الى وراء ، وان النصر ، في الصراع الدائر لاجل التحرر والتقدم ، حليف المناضلين على جبهة التحرر والتقدم ، الجبهة العريضة ، المنيعة ، التي نحن ركن من أركانها الهامة .

بهذا المقياس ، يملك العرب منجزات تكنولوجيا العصر ، وفوقها الطاقة النفطية التي بدونها لن تحقق التكنولوجيا العلمية التكنولوجيا الانجازية ، بينما لا يملك أعداؤنا سوى منجزاتها ، لان طاقتها المحركة في أيدينا وحدنا .

يبقى ، اذن ، استخدام هذه المنجزات التكنولوجية والاسهام في صنعها تدريجيا ، والعرب شرعوا بالتصنيع ، ودخلوا عصره ، وهم يستخدمون منجزات التكنولوجيا وبالشكل الذي أثبتت كفاءته معارك تشرين ، وبذلك حطموا وهم تخلفنا في هذا المجال ، حطمته مآثر وبطولات تشرين في جملة ما حطمت وستحطم من أوهام وخرافات.

وقبلنا ، في فيتنام ، تحطمت أيضا خرافة العجز عن الاستيعاب التكنولوجي للعصر ، تمرغت هيبة التكنولوجيا الاميركية العدوانية في مستنقعات الارز على أيدي ابطال صارت بطولتهم قدوة ومنارة ، أبطال هم مثلنا أصحاب قضية عادلة ، وهم مثلنا تعرضوا للعدوان فدفعوه ، وصمدوا في دفاعه حتى استخذى وانحسر وانسحب مهزوما محمولا على السفن التي جاء بها .

ان الشعوب ، في عصرنا هذا ، وفي وحدة نضالها وأهدافها ، قادرة على استخدام منجزات التكنولوجيا اذا لم تكن قادرة على صنعها بذاتها ، وفي هذا الاستخدام تتفوق ، لان الايمان بعدالة الهدف هو تفوق اضافي ، ولان الارادة على النصر تعلم الانسان وتجيد تعليمه في كل الميادين وخلال المعارك الدائرة بالذات .

فيا أبطالنا الذين تصنعون على أرضنا المعجزة التي صنعها الابطال الفيتناميون على أرضهم ، انكم بما تأتون من ضروب الشجاعة والكفاءة ، وبما تبذلون من دم هو ماء حياتنا ، وعطر سمعتنا ، وشرف كرامتنا ، لا تحققون الانتصارات وحدها ، تحققون الحقائق نفسها ، تزيدونها نورا على نور ، وترسيخا على ترسيخ .

البعث

١٨ تشرين الاول

شهادات للفخر .. وللوفاء

الصحفيون الذين يصلون دمشق لتغطية أنباء المعارك الدائرة يدهشهم ـ وبدقة الكلمة ـ ان الحياة في دمشق بله في قطرنا العربي السوري كله ، طبيعية ، وان وجوه الناس مشرقة ، واثقة ، زاخرة بالحماسة والتصميم ، ولكن الناس ، في قلب ظروف الحرب ، يمارسون اعمالهم ، في المرافق التي هم فيها ، باقبال وحمية وقدرة على الابداع والانجاز ، تعطي فعاليتهم من خلالها أفضل مردودها ، وتعد بما هو اكثر بكثير .

ونقلت برقيات هؤلاء المراسلين ، من القاهرة والمدن المصرية الاخرى ، وكذلك من بغداد والمدن العراقية ، ومن كل العواصم والمدن العربية ، الصورة ذاتها ، الحياة الطبيعية ، الحماسية ، الزهوة والمنتجة معا ، في تنظيم لا يعود سببه الى الادارة وحدها ، بل الى روح الجماعة العربية ، القابلة لهذا التنظيم ، في انضباطية وعفوية وشعور بالمسؤولية ، أتاح لها في جملة ما أتاح ، ان تتكيف ، وتستجيب وتلبي نداء الواجب تلقائيا ، وبصدق في العزم واندفاع واع الى الهدف .

ان المرء وهو يكتب عن أشيائه الايجابية ، مطلوب منه الحذر من المبالغة ، فالصدق ، في تقييم الواقع ، يفسح في رؤية أرضيته

من كل نواحيها ، ويسمح بتلافي النواقص وتطوير الايجابيات ... وشهادات مراسلي الصحافة الاجنبية تزيد الثقة في قدراتنا ، وتدفعنا الى وضعها في صالح المعركة الى اقصى الامداء .

وهذه الشهادات تتضاعف أهميتها حين تكشف رسائل الصحف الاجنبية من ارض العدو ، حالة الاضطراب السائدة فيها ، وازمة القلق النفسي التي يعانيها الاسرائيليون ، والشلل الذي اصاب مرافقهم ، والتدهور الاقتصادي الذي يعمق التدهور المعنوي ، ثم التدهور المعنوي الذي يعمق التدهور الاقتصادي والاجتماعي في اسرائيل كلها .

وكمن يفيق من حلم لذيذ على واقع كابوسي اليم ، يفيق الاسرائيليون من هناءة حلمهم القصير الآن ، يفتح مهاجروهم اعينهم المذعورة على حقائق تتبدد معها الطمانينة التي وعدوا بها ، وتتبخر الوعود المضللة في عيش آمن رغيد ، تزدرد فيه معدهم ما اغتصبوه في عدواناتهم ازدرادا هينا لينا ، بغير خوف من عقاب ، حسبوا انه لن يطولهم ، لانهم ، في وهمهم ، لا يطالون ، ولان الذين اغتصبوهم لا يجرؤون ولا يقدرون على ذلك .

قال لي مراسل من احدى الدول الصديقة صباح امس ، انه كان مراسلا لصحيفته في هانوي البطلة ، عاصمة جمهورية فيتنام الديمقراطية ، لمدة ثلاث سنوات ، وانه ، ثمة ، راى معجزة فيتنام الشرق الاقصى ، وجاء الى هنا ، الى بلادنا ، ليشهد معجزة فيتنام الشرق الاوسط ، وانه ، بصادق القول يشهدها وما كان ليقدر الانجازات العربية التي تحققت ، على الجبهة وفي المؤخرة ، لو لم يعشها بنفسه ، ويراها بأم عينيه .

ان هذه الكلمات تتوارد بلغات وصيغ مختلفة على ألسنة واقلام مراسلين من كل البلدان ، والاذاعات العالمية تتلقاها وتبثها ، ونحن نسمع والعالم يسمع ، فالحقيقة رمح لا يخبأ في كيس ، والشمس لا تحجب بالاكف ، انه الواقع العظيم لامة عظيمة تستعيد نفسها ومجدها وتشق الصخر دربا الى غدها .

يشبهوننا بفيتنام البطلة ؟ يا لشرف التشبيه ، ويا للمسؤولية التي نحملها في الوفاء به وله وفي صيانته كنور العيون الى ان تكتحل العيون بالنصر ، والنصر آت لا ريب فيه .

البعث
٢٣ تشرين الاول

كـل الغابـات صالحـة

– هل تعرف كيف يصطاد الافريقيون افعى البوا ؟
– يطلقون عليها النار طبعا .
– اطلاق النار احدى وسائل قتل البوا ، ولكنها قد لا تموت ، وعندئذ يقضون عليها بوسائل مكملة .
– مثلا ؟
– يزرعون الغابة من حولها بالشفرات والمسامير ، فاذا زحفت فوقها مزقتها وأسالت الدماء من اماكن كثيرة في جسمها ، وفي هذه الحال ياتي دور النمل الرهيب ، يلاحقها وينهشها حتى يقضي عليها .
– هذه طريقة معروفة ، وكانت مستعملة في الماضي لقتل بعض الوحوش ، وقد تحدث عنها الجاحظ في كتابه « الحيوان » .
– وهي طريقة لا تزال صالحة . الوحش الذي تضربه مرة ، كن مستعدا لضربه مرات . ونوّع الضربات ، واستخدم الوسائل المكملة للاجهاز عليه ، او طرده من الغابة .

افعى البوا التي ضربناها جريحة . الوحش الذي اسلنا دماءه لندفع عنا عدوانه ونضطره الى الانسحاب من غابتنا ، لا يزال يلعق جراحه ليداويها ، وهو الآن أشد شراسة ومكرا ، لانه بعقل الانسان يفكر ، وبالنزعة العدوانية للوحش سيعاود الانقضاض والنهش ، وبمكر الافعى التسلل واللدغ ، ولن يتوقف طويلا اذا هو اضطر الى التوقف قليلا ، والمعركة معه ستظل دائرة ، تنتقل من صعيد الى آخر ، وتاخذ أساليب متنوعة ، ينبغي لنا ان نعد لها عدتها ، ونستخدمها باكبر طاقة ، واعلى يقظة واستعداد .

سبع سنوات ظل الفيتناميون ، كصيادي افريقيا ، كالصيادين من اجدادنا ، يلاحقون وحش العدوان الاميركي الجريح حتى أخرجوه من أراضيهم . لاحقوا افعى البوا المحمولة في عنابر السفن الحربية من واشنطن الى هانوي ، وضربوها بكل الاسلحة التي في أيديهم ، من الصاروخ الى المنجل ، من المدفع الى الخنجر ، من الانفاق الى الفخاخ المغطاة بالعشب كالحفائر العربية الشهيرة ، من مظلات الاشجار المتحركة على الرؤوس ، الى اوكار النمل الموجهة باتجاه معسكرات العدو .

الفيتناميون عندهم غابات ؟

ولكن الغابات ليست أدغالا من شجر فقط . الغابات احراج من حجر ايضا ، ومستنقعات من مياه ، وآبار من بترول ، وصناديق من أرصدة ، وبيارات للبرتقال ، وحقول للزيتون .

والارض تصير انفاقا هنا كما صارت هناك ، والفخاخ والكمائن عندنا كما عندهم .

وكما على الجبهة الحربية تتعدد الاسلحة ، وتضرب من مواقع واتجاهات مختلفة ، تتعدد على الجبهة السياسية ، ويتنسق العمل على الجبهتين ، وكل حركة للعدو تقابل بمثلها ، واضخم منها .

الفيتناميون كان عندهم غابات ؟ وعندنا ؟ وهذا العمق الغابي لنا ؟ وهذه المصالح الغابية لاعدائنا في ارضنا ، تحتاج – وهي القابلة للاحتراق – الى اكثر من شرارة تشعل السهل كما يقول المثل ؟

– هل تعرفون كيف يصطاد الافريقيون افعى البوا ؟
– وهل تعرفون كيف كان الصيادون من اجدادنا يتعقبون الوحش الذي جرحوه بالنبال ؟

كل الغابات صالحة للصيد ..
ما تبقى شغلة الصياد ..

ونحن ، عشرين يوما واكثر ، اثبتنا اننا في الصائدين ..

اصطدنا على جبهة القتال ، وسنصطاد على جبهة السياسة ، وعليهما معا ، كما الفيتناميون ، نعمل عند الضرورة ، ومثلهم نعود للصيد على جبهة الحرب اذا عاد الوحش ، ولم يخرج من غابتنا ، من ارضنا .

المهم ان تظل العين على عدسة الرصد ، والبندقية في اليد ، والجندي في المتراس ، والمواطن في مرفق الانتاج ، والارادة على القتال والتضحية في صلابة الصخر وشحنة التوتر ، طلابا للحق وغلابا لاجله في أعلى درجاتها ، والتعبئة الشاملة ناشطة على أعلى مستوياتها ، وان نقابل كل ضربة للعدو بضربة اقسى منها ، وان نعمل ما يعمله صيادو الافاعي والوحوش ، يضربونها عندما تفح ، ويتربصون بها عندما تلطي ، ويلاحقونها عندما تنساب بكل الاسلحة ، الى أن يقضوا عليها او تنسحب الى وكرها .

البعث
٢٧ تشرين الاول

التي انبثقت من أعماق شعبنا ونزيدها تدفقا واكتمالا .

فالعدو الذي فقد مجده الامبراطوري واساطيره الخادعة في ساحات القتال ، يحاول ان يستردها او يستعيض عنها بحربه النفسية والاعلامية . واذا كانت نكسة حزيران قد أضعفت مقاومتنا لحملات الدعاية والتشكيك والتضليل ، فان حرب رمضان قد شحنتنا بمناعة قوية مدعمة بالبطولات والتضحيات المعلقة وساما متوهجا فوق كل بيت وعلى كل جبين .

ولكي نظل جديرين بالانتماء الى مجد هذه الامة وعظمتها ، فعلينا ان نحافظ على هذه الاشياء الجديدة الرائعة التي ظهرت في حياتنا من جديد .. مع ظهور المقاتل العربي الذي فرض محبته واحترامه على العالم .

الثورة ٢٥ تشرين الاول

ويمتزج الدم العربي فيصنع المعجزات

أغلى ما توارثنا عن الجدود : ارض هذا الوطن .. وقطرة الدم المتسلسلة من جيل الى جيل في مواسم المحبة والفرح والكفاح .

وعلى امتداد التاريخ ، ما تعانق الدم العربي وامتزج بتراب الوطن الا ليصنع تحولا عظيما ويبني بالعجينة السحرية الجديدة ، وعلى أساسها ، صرحه المستقبلي الواعد . وفي أرض تشرين ، والقتال المبارك على أشده ، تعانق الدم العربي وامتزج بشوق واعتزاز ومحبة راسما الطريق الى الوحدة والتحرير ، جارفا كل الصعاب والامراض والمعوقات التي حدت من طموح هذه الامة وحالت دون وصول المسيرة الدائبة الى أهدافها القومية الكبرى .

لقد كان الدم نور الحضارة وصانع المعجزة التاريخية في حياة أمتنا .. وسيظل كذلك حتى المدى .

منذ وقعة الفيل وذي قار حتى يومنا هذا ، لم تنغلق أبواب الحياة في وجه العربي وتسد الدروب الا وكان الدم ، الدم القومي المتحد ، هو المفتاح السحري الذي يبدع الخوارق ويصنع الاعاجيب فتعود الحياة أبهى ما تكون ويعم الامن والبهجة كل النفوس ..

والمقاتلون العرب ، بجراحهم وتضحياتهم وبطولاتهم استطاعوا أن يرجوا العالم الراكد المطمئن فينتبه بحدة وتركيز الى هذه المشكلة الدموية التي كادت تتحول الى مستنقع عدواني موبوء ويتسع ويطغى على مر الايام ، كما استطاعوا بكفاحهم الدامي ان يحدوا من خطر هذا المستنقع الصهيوني ، وان يمدوا جماهير شعبنا العربي بمناعة قوية ضد سمومه وأخطاره .

وملاحم البطولة التي صرنا نسمعها عبر لقاءاتنا القصيرة مع بعض المقاتلين ، او من خلال زيارات خاطفة للجرحى ، هذه الملاحم كلها .. كان الدم العربي الغاضب يقف وراءها ، وما يزال .

وهذا الدم الغالي ، حين استرخصه الابطال فداء لحرية أمتهم واستردادا لعزتها وانتصارها ، هذا الدم الغالي .. هو صانع هذه التحولات الكبرى في حياتنا وسلوكنا وتفكيرنا ، ومنه انبثقت الينابيع الكامنة في أعماق النفوس ، ينابيع الخير والحب والشجاعة والعمل الدؤوب .

وأمام هذه الينابيع والتحولات ، علينا مسؤوليات جسام ... ليتابع النبع مجراه في نهر متدفق غزير ، ولتاخذ التحولات مسارها المتقدم في شتى المجالات . وبقدر ما نخلص ونعمل ونتعب لتشق الينابيع طريقها وتتعمق التحولات في واقع الحياة وداخل النفوس ، نكون أهلا للجراح التي أضاءت دنيانا من جديد ونكون أهلا للانتماء الى تلك الدماء المباركة التي غيرت كل شيء في حياتنا وغسلت نفوسنا وبيوتنا وأحاديثنا من رواسب الخيبة والكآبة والهوان .

لقد تغنى الشعر العربي طويلا باليوم الذي يجمع العرب أمة واحدة تبطل أسطورة المستحيل وتجترح المعجزات العظام . وجاء هذا اليوم في تشرين ، جاء به الدم العربي الذي عانق الارض وامتزج بالتراب ، مؤكدا ان الطريق الى الوحدة هو طريق التحرير .. وان

حسيب الكيالي

رسالة الى المقاتل العربي

ولدنا الحبيب ،

نكتب اليك ونحن راضون مطمئنون . أنت الذي أدخلت الرضا والاطمئنان الى قلوبنا بوقفتك الجسور المشرفة . اننا نتتبع أخبار انتصارك . وقد جاء أمس أحد اخوانك من الجبهة فالتم عليه أهل الحارة . حكى لنا اشياء جعلت الحي كله في عيد . حدثنا عن طائرات العدو كيف تتساقط ، عن حذقكم في استخدام سلاحكم ، عن رجولتكم وتصميمكم على النصر . وحكينا له نحن عن اعتزازنا بكم وزهونا بما تهبونه لامتنا من رد للكرامة وفتح لابواب المستقبل . وقد سر لما سمع أولاد جيراننا يحدثونه عن الطيارين الاعداء الذين أسقطت طائراتهم حوالي دمشق . وقد قال له سمير ، سمير أنت تعرفه ابن جارنا في الطابق الثالث ، كيف رأى بعينه صاروخا من صواريخنا يصيب طائرة عدوة وكيف قذف الطيار نفسه وهبط بالمظلة ، وكيف رحلت الحارة كلها الى المنطقة التي فكرنا انه سيهبط بها . أم أحمد قالت ان حبال المظلة طويلة تبلغ اكثر من خمسين ذراعا ، ولكن جارنا عبد السميع قال لها انها أقصر .

نحن نحس أيها الغالي اننا نعيش أجمل أيامنا . لقد كان رأينا فيك دائما انك قادر على رفع رأسنا في الميدان . فلما كان يوم السادس من تشرين الاول هذا ، رأينا رأي العين مدى شجاعتك ونبالتك وشهامتك .

نبلغك تحيات أهل الحارة ودعواتهم بل تحيات وطنك . لا تهتم الا بشيء واحد هو ان تتابع انتصارك . أنت حتما عائد الينا ومعك النصر . فتعال سريعا حتى نفرح بك . اننا لا نفكر الا بك . قلوبنا كلها معك . أتعلم ان أولادك واخوتك وأهلك كلهم صاروا موضع حب الحي أكثر مما كانوا ؟ تصور ان ابنك فريد قال امس لرفيق له في الرابعة من عمره مثله ، في خيلاء حارة : « أنا أبي في الزبهة » ؛ ان فريدك على حق بادلاله . اننا كلنا ندل بك . ابو الياس الشاعر بدأ ينظم لكم قصيدة . وقد أسمعني بدايتها . انه يقول :

قل لابننا الجندي في ساح الوغى
مستقبل أنت ونور وسنى
من وجهك الذي يضيئه الوهج
من روحك الذي تفديه المهج
من وثبة كأنها الاعصار
أعادت الزهور الى الديار
نستلهم الصمود والثبات
ونعشق الحياة .

فيا ولدنا الحبيب ، عد الينا منتصرا .

البعث ٢٣ تشرين الاول

الطريق الى التحرير ، تحرير الارض والثروات والنفوس ، هو طريق وحدتنا القومية .

ولمجد هذا الدم الزكي الغالي .. علينا ان نغني ونعمل ونتابع المسيرة . وللاشراقات التي سطعت من هذا السرج النوراني الخالد.. علينا ان نظل متحفزين ساهرين : العيون مفتحة على اتساع الافق ، والايدي على المعاول والاسلحة ، والنفوس ممتلئة بالعزم والبهجة والاستعداد لمجابهة كل طارىء .. فتاريخ العدو كله غدر وعدوان ، والاشياء الجديدة الرائعة في حياتنا دفع الابطال ثمنها غاليا ... وعلينا ان نصونها ونزيدها محبة واشراقا ونغذيها بضوء العين ومداد القلب .

الثورة ٢٩ تشرين الاول

محمد عمران

أيام تمحو أسطورتين معا

من يعرف كيف تولد الريح ؟

انا ادعي اننا نشهد ولادتها اليوم ! وانا أرى ، بعيني أرى ، وبقلبي ، وبجسدي ، وبكل دمي ، ارى قامتها العملاقة تطلع من صدر وطني . وانا اشهد الارض كيف تباركها ، وهي تنتصب في الشمس .

لا أبالغ . انا أرى واسمع : وما اظن احدا في وطني لا يرى ما ارى ، ولا يسمع ما أسمع . نسمع هدير الريح ، ونراها . نكتشف فيها صوتنا ، ووجهنا ، وملامحنا الضائعة . ونعرف اننا نلامس فيها زمن ولادتنا . اين كنا قبلها ؟ كيف كنا ؟ ومن الغشاوة التي كانت مضروبة على اسماعنا وابصارنا ؟ ولم كنا في غياب ؟ تلك اسئلة نبحث عن اجوبتها فيما بعد . وقتنا الآن لا يتسع للحديث عما قبل زمن الولادة . وانا أؤكد ان الريح في وطني تولد .

ساسميها لكم هذه الريح . ليست معجزة هي ، ولا اسطورة . غير انها تملك كل صفات الاساطير والمعجزات . تملك الخارق والمدهش والرائع ، تملك كل ما في الولادة العظيمة من ابداع . أوليست ولادة الشعب ، حين يمسك بزمنه ، ولادة نبوية ؟! انا لا ادعي ، ولا ابالغ . انني اضع اصبعي على جوهر البطولة في شعبي ، على معدن النبوة والانهاش فيه . ولعل هذا المعدن ما اكتشف ، عبر حقب من تاريخنا بعد زمن المجد الاول ، كما يكتشف الآن ، وهذه الايام بالذات ، من منا ، على امتداد هذا الوطن المترامي من الماء الى الماء ، لا تفاجئه الدهشة وهو يشهد ، بعينيه واذنيه ، ودمه ، زحفا من البطولات ما كان يحلم به ، وعنادا على استباق قبض الراية ما كان يظنه في مقاتلينا ؟! لا ابالغ ، ولا ادعي ، انني احكي حقائق متواضعة ، لم يكتبها قائد فذ ، او جندي عبقري . بل كتبها كل قادتنا ، وكل افراد جيشنا ، كل مقاتلينا ، هنا ، وفي الجبهة المتقدمة في سيناء . حقائق بسيطة ومتواضعة ، نكتشفها ، يوما بعد يوم ، وساعة بعد ساعة من زمن المعركة .

انا اقول ان الريح تولد ، الآن ، في وطني . نحن جميعا نشهد كيف قامتها العملاقة تنتصب في الفراغ الذي كان يشكل هيكل وجودنا ، ليست معجزة هي ولا اسطورة . هي حقيقة شعب يكتشف جوهر الحقيقة فيه . واولى اكتشافاته انه ليس ، كما أوهموه ، جبانا . شعبنا هذه الايام ، ينتصر ، اولا ، على نفسه ، على وهم الخوف والجبن الذي زرعوه فيه . ذلك هو انتصاره الاعظم .

ترى ، حين يكتب التاريخ ايامنا المضيئة هذه ، هل تسعفه اللغة ؟! في ظني ان كتبة التاريخ سوف يختصرون ، سيقولون شيئا واحدا :

« تلك أيام محت اسطورتين في آن واحد معا » .

الثورة

١٤ تشرين الاول

الحرب .. وبعدها يولد الربيع

على مائدة الجنرالات كان يسكر . غسلوه بالخمر الاحمر حتى انتشى . انتشى فرقص . على الموائد رقص ، على الوجوه ، ثم رقص في شرايين الدم . أسكروه ، اله الحرب « مارس » وتركوه يجن . أسكروه ، وارسلوا جنونه الراقص الينا . وتابع الجنرالات عبّ الخمر . في انتشاء الخمر تمطت احلامهم عريضة ، مدت بساط الريح ، وركبته ، اتجه بها صوب بوابات دمشق ، أنزلها وعاد . اتجه بها صوب قناطر القاهرة ، عبرتها ودخلت . تمطت الاحلام اكثر : أركبها اله الحرب خلفه ، على صهوة جواده الناري ، وفرش بين يديها سهول الفرات ، وسهول النيل . وفي غيبوبة الخمر صلت لمجد مارس ، ركعت على حوافر حصانه . وبغبارها عمدت وجهها . في سريرته كان اله الحرب ، مارس ، يضحك . اكثر من اللازم يحتفى به ، يمجد ، يضع الجنرالات اكليل المجد على رأسه ، ويلعنونه آلها مطلقا على اسرائيل . يحشدون له الجند والطائرات والاسلحة . يحشدون الثكنات والبيوت وحدائق الاطفال . يحشدون الشمس والاشجار ، ومصانع آلات الموت ، في سريرته كان اله الحرب يضحك : لم كل هذا الاحتفاء ؟!

ما الذي يجري الآن ؟

مارس اله الحرب المجنون يرقص . سكران يرقص ، وجذلان . على الموائد يرقص ، على الوجوه يرقص ، ويرقص في أوردة الدم .

ما الذي يحدث الآن ؟

بساط الريح يتمزق ، وتسقط الاحلام العريضة . تسقط وتتمزق . الاحلام الطائرة صوب دمشق ، والاحلام المحمومة فوق القاهرة .

ما الذي يحدث الآن ؟

اله الحرب يلوي عنان جواده ، عائدا الى موائد الجنرالات . بخاصرته يلطم الريح ، ويرسلها شواظا من نار عليهم . بحوافره يكسر البرق ، ويقذفه في وجوههم قنابل . ومن حنجرته التي تصهل يطلق على دمهم رسل الموت .

ما الذي ، الآن ، يحدث ؟!

يغدر بشعبه اله الحرب . لا القرابين تجدي ، ولا الصلوات ، ولا التضرع . يحترق بالنار اللاعب بها ، والى جسده ترتد أنياب الوحش .

وتصرخ اذاعة الجنرالات ، اذاعة بنك الحرب في اسرائيل : « توقف يا مارس ، يا اله الحرب المتوحش ، توقف عن رقصك الجنوني .. » .

وفي ذروة هلعها تعترف اذاعة الجنرالات : « ان مصانع الحرب في اميركا تتعطل آلاتها ، وتصدأ أسلحتها في المستودعات ، اذا ما توقف عن رقصه اله الحرب ! »

ماذا ؟ اذاعة بنك الحرب تشتم مصانع آلات الحرب ؟!

ماذا ؟ يلعن الوحش من زرع في فكيه الانياب ؟
أم هي توبة الذئب آن يصرع ؟!

في سريرته يضحك اله الحرب من اذاعة الجنرالات . يضحك ، ويتابع الرقص . يضحك ، ويجن جنون الرقص فيه . يضحك ، ويموت من الضحك ، ثم يسقط عليهم ، ثم ، معا ، يموتون ، ثم تحدث النهاية .
بعدها يولد الربيع .

الثورة
٢٠ تشرين الاول

عن السنبلة التي تولد

رأيت سنبلة تولد .
أحضروا قلما ودواة ، لنكتب اسمها في دفتر الزرع الجديد ، أحضروا الشجر الطفل ، والمدن البكر ، لتشهد على ولادتها . أحضروا التاريخ .
في وطني سنبلة تولد .
سجل عندك يا ضابط الاحوال التاريخية . سجل عندك ، في رأس الصفحة الاولى من كتاب مواليد الحرب :
الاسم : سنبلة عربية .
تاريخ الولادة : ٦ تشرين الاول ، عام ١٩٧٣ .
مكان الولادة : الضفة الشرقية من قناة السويس ــ الجسر الصاعد على جبل الشيخ .
اسم الاب : جولان .
اسم الام : سيناء .
الوجه ، العينان ، الانف ، الشعر : قطعة برق متوهجة ، فوهتا مدفع ، صاروخ سام ٦ ، وحقل نار .
اللون : بنفسجي معجون بحمرة قانية .
علامات فارقة : بئر نفط في الخد الايمن ، دبابة تي ٦٢ في الخد الايسر .
توقيع القابلة : الحرب .

في وطني تولد سنبلة ، تحمل في جيبها شهادة ميلادها ، وتمشي ، متأبطة ذراع بندقية . وعلى خصرها زنار أحمر ، ومنديل أرجواني معقود حول عنقها ، وفي شعرها مشط من لهب قرمزي .

كغمامة مكسوة بالشمس تمشي . تحت خفها الاخضر يولد الجمر، ومهرجان الغضب .. وراءها تنتصب قامات القصب المنحني ، وتتحرك مخترقة جدار الريح .
وراءها الارض تولد ، والمدن العذراء .
وأمامها تنفتح مملكة النبوة .
أقول لكم : ألقوا بأحزانكم واتبعوها .
أقول لكم : اخلعوا نعالكم فانتم في واديها المقدس .
أقول لكم : أخرجوا من موتكم ، وادخلوا ملكوتها في جبل الصمود الاخضر .
في وطني سنبلة تولد .
الذين لم يشهدوها ينبغي ان يزيحوا عن أبصارهم غشاوة العمى .
هي كالبرق تجيء .
وبعدها الصاعقة .

الثورة
٢٧ تشرين الاول

عن لغة الكتابة القادمة

اتصل بي احد الاصدقاء الشعراء ، والحرب في توهجها المتصاعد ، وفي حوار على الهاتف قصير ، قال : ماذا نفعل بقصائدنا التي كتبناها قبل الحرب ؟.. قلت على الفور : يقينا سوف نحرقها !..
شاعر آخر من اصدقائنا رفض ان يتحدث في الشعر ، قال لمندوبة احدى الصحف : ثمة لغة واحدة اؤمن بها ، هي اللغة التي تخرج ، الآن ، من حنجرة النار . وفي بيروت تناقلت الصحف اخبار مخرجين مزقوا ما بين أيديهم من نصوص كانوا يعدونها لموسم المسرح القادم ، ووقفوا ينتظرون ولادة مسرح ما بعد الحرب . في القاهرة تقدم توفيق الحكيم بطلب الى وزارة الثقافة ، لتهيىء له عملا يدويا يناسب سنه ، اسهاما منه في الحرب ، بحجة ان الكلمة في زمن الحرب ليست ذات جدوى . في أقطار عربية اخرى حدث شيء من هذا ، أكثر او أقل ، لا يهم ، ولكنه شيء يحمل دلالتين معا :
اولا ، ان الفعل الذي يحدث اكبر من حجم الكلمة ، كائنا ما كان هذا الحجم . وثانيا ، ان لغة ما بعد حزيران ليست هي اللغة التي تصلح لادب ما بعد تشرين .
دلالتان طرحتهما الحرب ، بحدة ، على المثقفين العرب . واذا كانت الدلالة الاولى بحاجة الى مراجعة ، بعد خفة التوتر الناري ، نسبيا ، فان الدلالة الثانية فرضت نفسها على لغة الكتابة القادمة .
واقول « الكتابة القادمة » لان ما كتب ايام الحرب ، وما يكتب الآن ، لا يختلف في لغته المتوترة عن لغة حزيران ، على الرغم من المساحة النفسية التي تفصل بين اللغتين . كلتاهما عاجزة عن استيعاب البعد الشمولي لحركة الانسان العربي خارج زمنه الضيق، وكلتاهما تتحرك من موقع الانفعال .
لغة ما بعد حزيران صارت أهدأ ، اكثر عمقا وتأملا ، واكثر قدرة على الكشف ، وحين امتلكت طاقة الرؤيا تحولت الى لغة محرضة كان لا بد منها ، في أعوامها الاخيرة خرجت من طقس الندب واللطم وتمزيق الثياب ، الى الطقس الآخر : البحث عن زمن للخروج ، واستقراء ملامح الفارس العربي الذي يمسك بهذا الزمن . كانت ضرورية لغة ما بعد حزيران . غير ان ضرورتها انتهت بعد الحرب الجديدة .
لقد جاء زمن الخروج ، والفارس الذي كانت تتعرى ملامحه ولد الآن ، ولدته الحرب . هو ، الآن ، ينمو وجها ويدا وقامة . ولد في المكان ذاته ، المكان الذي كانت الكلمة الناضجة تنتظر ولادته منه : القتال !
ولد ، وعلى اللغة القادمة ، لغة ما بعد تشرين ، ان تكون حاضنة له . حاضنة ، وأما ، ومربية . على لغة ما بعد تشرين ان تتقدم الى موقع جديد ، فان أمام وظيفتها مهمة أصعب : الحفاظ على زمن الولادة .
ثمة أيد لا مرئية ، أيد بأظافر وقفازات ، أيد بمخالب عارية ، ومخالب ذات أقنعة ، أيد من غير جهة تمتد ، ثمة أيد بأسماء ، وأيد لا اسماء لها ، تولد الآن ، وتولد بعد الآن ، وستظل تولد لتصنع حصارا يائسا ، حصارا عدائيا وحاقدا ، على الوجه ـ الفارس الذي ولدته الحرب ، وعلى لغة الكتابة القادمة بتر تلك الايدي ، بترها ، وفك الحصار ، بترها ، وانقاذ الولادة .
الم أقل : هي مهمة صعبة ؟!
انما ، ها هنا فقط ، مفترق الطرق بين الكلمة التي تملأ حجم الفعل ، والكلمة التي لا لزوم لها .

الثورة ٣٠ تشرين الاول

عبد الكريم الناعم

مرثية للفارس الفراتي خالـــد بشــــار

أيها الحامل عطر البيد ، والزهر الفراتي ،
وألوان العتابا ،
أيها الآتي من الريف الشمالي كما رفة
جنح عبرت كل البوادي ،
أيها الحامل في زوادة الايام من خبز
التنانير رغيفا ،
وعلى هدبيك ازهار حكايا تتفتق
أيها الطلق كما السهل الذي يرتعش
الفرّاف فيه كلما غنت ربابه
أيها الحامل وجه البدوي الفذ من « حمص » ،
الى « الشام » الى « الجولان » ، في مد
لهيب الصخب العاتي كما البرق :
شهابا ،
وذؤابه
وجهك الوجه الفروسي ،
على صفحته يرتسم الآتي ،
ووجه الوطن الآتي ،
واغصان بروق الشجر الدامي ،
دخول الناس أبواب المنايا ،
عالم تزدهر الجدران فيه ،
كل تذكار عليه خلجة من دمك المغسول ــ
بالضوء ، وبالارض الجريحه
كل تذكار عليه جسد يفترش الحلم ضريحه
كل حلم ومضة في عينك النشوى :
« بأناقادرون » .
أيها الغائب في بحر المنايا ،
أيها الطالع من عمق المنايا ،
ما الذي تعطيه كف الحرف في العرس المدمى ؟!
ما الذي يعطيه نبض الحرف ،
والنبض على قارعة الارض دماء
نسفت كل الجسور .
معبر الشوق ،..

رؤى الآتي ،..
رفيق الحزن في ليل من الفقر ،
واحلام الرجال الفقراء ...
فرحة الكأس على قارعة الريح ،..
واشواق البداة السمر للخضرة ، والماء ،..
وحزن يفتح البسمة بابا :
هذه كل الجسور
ليس غير الموت جسرا ،
وحده الموت الذي يوصلنا للضفة الاخرى ،
وها أنت وصلت
وحده الموت الذي يكتب احلى الشعر بالجرح ،
وها أنت كتبت
وحده النجم الذي يسطع في الظلمة ، في التيه ،
وها أنت سطعت
ملء كفيك الشرارات ،
ووجه النار ،
في عينيك غابات من الشعر ،
وها .. فارسا صرت ،
بماذا ينبض الحلم ؟!
بماذا يحلم الاحياء ؟!
يا وجه السنى الآتي من الريف الشمالي
على مد مناك الخضر ،
هذا جسد « الجولان » ،
هذي لغة « الجولان » ،
أنت الليلة الفارس بين الشعراء
أروع الشعر بما في الجرح من دم كتبت
وكتبناه بماء
وغدا سوف يراك الشجر الطالع في الوادي
على صفحة ماء النهر ،
والنهر يراك
في البراعم .

حمص — عبدالكريم الناعم

عفيف بهنسي

معركة واحدة وعشرة انتصارات

يجب ان أبتدىء الحديث بالانتصار الاول الذي أحرزناه في حربنا الحاسمة لكي أبني عليه ما أكتبه اليوم ، ولتكون الكلمة التي ساكتبها منسجمة مع طبيعة هذا الانتصار .

١ ـ لقد انتصرنا على الكلمة المنفوخة بالوهم والغرور والخيال ، وأصبحنا نعتمد الكلمة المتمثلة باليقين والواقعية والمنطق . وهكذا كانت خطابات رؤسائنا واضحة موضوعية بعيدة عن المبالغات ، وكانت اذاعاتنا وبلاغاتنا وصحفنا مقتصرة على التعريف بالواقع والحقيقة في حربنا الدائرة مع عدو واسع الفروع والجذور . ولقد انتصرنا على الزيف في سلوكنا فكان اول ما كسبناه اننا أصبحنا نصدق ما نقول ، واصبح العالم يحترم تصريحاتنا ، وصار عدونا يتتبع اذاعاتنا على انها المصدر الصادق والمفزع بصدقه ، مما فضح كذب ما يقوله العدو ويصرح به ، فكان الكسب مزدوجا ، ثقة عالية بما نقول وشك شامل بما يقولون .

٢ ـ الانتصار الثاني هو التحول الى العقلانية والعلم والتخطيط بعد الطوبائية والارتجال . لقد أعطت الحرب الاخيرة اكثر من برهان على دقة التخطيط والتنظيم على المستويات العسكرية والسياسية والشعبية وعلى التنسيق بين جميع القوى والفاعليات والقطاعات . ولاول مرة كان لكل مواطن دوره في المعركة ، لم يكن ذلك مجرد اندفاع تلقائي بل كان تنفيذا لخطة دقيقة استهدفت حماية معركة التحرير من الفشل والذل والخور .

٣ ـ الانتصار الثالث متعلق باسترداد الكرامة ، ومحو ذل النكسة والقضاء على أسطورة التفوق الاسرائيلي في الشرق الاوسط ، ليس من حيث التسليح والعتاد فقط ، بل من حيث الكفاءة القتالية والبسالة العسكرية .

لقد أحرز العرب انتصارهم بقوة صنوف أسلحتهم ، وبمهارة مقاتليهم وقاذفيهم وطياريهم ، وبسرعة تحركهم ودقة تخطيطهم التعبوي ، وبقتالهم الجريء وبسالتهم الصامدة ، ولم يكن هذا الانتصار عطاء ومنة ، كما لم تساهم فيه اية دولة غريبة ، بل على العكس لقد كان حرصنا على عدم توسيع نطاق الحرب سببا في دعم الانفتاح والتقارب بين الدول الاعظم .

٤ ـ انتصار رائع احرزناه من خلال الحرب هو الموقف القومي الشامل الذي وقفته الدول العربية من المحيط الى الخليج ، والذي اعتبرت فيه هذه الحرب حربها ، وان القضية هي قضية العرب كلهم ، فشاركت في المعركة بجنودها وسلاحها ونفطها ومالها وحربها الاقتصادية وحملاتها الاعلامية ، بروح واحدة وعزم واحد وهدف واحد ، فكانت قومية المعركة بداية راسخة لقيام الوجود العربي الموحد .

٥ ـ الانتصار الصارخ تحقق بتحرير الطاقة النفطية من نفوذ الشركات والتروستات ومن التحكم والاستغلال .

لقد كسرنا الطوق المضروب حول أعناقنا وأصبحت مقادير نفطنا بايدينا ، نحن نضخه ونحدد كمياته ونسعره ونحدد المتنفعين منه ، نمنحه للصديق ونحجبه عن العدو وعن صديق العدو ، ان هذا يعني أشياء كثيرة ، منها ان مادة الحضارة الغربية التي نملكها نحن ، أصبحت مرتبطة بادارتنا ومشيئتنا ، وان الامتيازات الممنوحة للشركات البترولية لم تعد تعني استعبادا لطاقاتنا بل مشاركة قابلة للفسخ في أول محاولة للخداع والعداء . وان شعار بترول العرب للعرب اصبح منذ هذه المعركة أساسا لسياستنا واقتصادنا واصلاحنا الاجتماعي كحقيقة منفذة وليس املا مرتقبا ، وان هذه الطاقة يجب ان تصنع وتستغل على أرضنا وبفعلنا . اننا أولى بهذا الامر طالما نحن الذين ننتج المادة الاساسية ونحن الذين نستهلك المادة المصنعة ، ومن التخلف المشين ان نسمح باستغلالنا في عهد الانتصارات الذي بدأنا نعيشه .

٦ ـ ان قومية المعركة وزج جميع الامكانيات العربية في المعركة أوضح ان مقاليد الاقتصاد الغربي منوطة بآبار بترولنا ، ان هذا الاقتصاد الذي بات يعتمد بنسبة عالية على الصناعات البتروكيماوية المتزايدة ، عدا اعتماده على البترول كوقود لمحركاته وطائراته وسياراته وجراراته ، سيكون طوع السياسة النفطية التي نضعها نحن والمتمشية مع مصالحنا وسيادتنا . ولن يكون دورنا تعسفيا كما كان دور الدول المستوردة لبترولنا ولكنه دور السيد المتحكم في ملكه وثرواته وطاقاته .

ان معركتنا التي خضناها بانتصار شامل علمتنا ان النفط وحده هو التغطية الحقيقية للعملات العالمية ، وانه وحده سيبقى المعادل الاساسي لجميع العملات ، وان التوازنات النقدية والازمات يصنعها النفط وحده حسب منحنيات ازدياده ونقصانه ، تسويقه او حجبه . والشواهد في ذلك اصبحت جلية واضحة .

٧ ـ ان انتصارنا الذي حققناه في معركة التحرير الشاملة ، لم يكن انتصارا على اسرائيل والصهيونية فقط ، بل على اميركا والامبريالية في جميع انحاء العالم ، لقد ارادت المصالح الامبريالية في اوروبا واميركا ان تقف كمادتها الى جانب اسرائيل التي يمثلها اكبر يهود العالم المتنفذين اقتصاديا وسياسيا واعلاميا . ولكن حربنا الصارمة القومية والشاملة ، وضعت هذه المصالح امام تهديد قاطع ، ينسفها من جذورها ، فتسابقت طوعا او كرها الى تأييدنا ، او الى الوقوف موقف المحايد من حربنا . وتسارعت الى حسم هذه الحرب التي كادت تتطور وتتسع لتكون حربا عالمية . على اننا اذا سعينا دائما الى تضييق ساحة الحرب لنجعلها معركة عربية صرفة ، فانا اردناها ثورة يقوم بها العالم الثالث ضد العالم الامبريالي المستغل للطاقات البشرية والمادية التي تملكها الشعوب المتطورة .

٨ ـ ان انتصارنا الذي تجلى بقطع اكثر الدول الافريقية علاقاتها مع اسرائيل لا نفهمه من خلال صراعنا العسكري مع هذه الدولة العنصرية وحسب ، بل انما نرى فيه حركة افريقية تحررية واسعة من النفوذ الاسرائيلي السياسي والاقتصادي الذي استحكم خلال السنوات الاخيرة ، وجعل هذه الدولة الامبريالية تتقوى ضدنا بفعل استغلالاتها المنوعة في هذه القارة الفنية البكر . ولقد فتح هذا الموقف امامنا ابواب صداقات نزيهة تساعدنا دائما في معركة التقدم والتطور التي نسير فيها ازاء الدول المتقدمة تقنيا والمستغلة لامكانياتنا اقتصاديا .

٩ ـ ان اساس هذه الانتصارات كلها ، هو الانتصار العسكري ، ولسوف يصبح اسلوب حرب سيناء والجولان واجتياز القناة واختراق الخطوط الاسرائيلية واصطياد الطائرات وسحق الآليات دروسا وأمثلة راسخة في التاريخ العسكري . ان سحق جهود ست سنوات من التحصين والتعبئة والتسليح الاسرائيلي ، واتلاف مليارات الدولارات المنفقة استعدادا لعدوان غادر ، ان تحقيق هذا العمل بيوم واحد ، يضع حقيقة جديدة امام العالم . ان العرب هم الشرق الاوسط ، هم سادته وهم اصحاب مقاديره وليس لدولة طارئة ان تتسلط عليه وتتحكم في مصيره .

١٠ ـ الانتصار الاكبر الذي أحرزناه هو تحقيق الوجود العربي المصري . لقد ارتبط الوجود العربي منذ مباشرتنا معركة التحرير بهذا العصر وبهذا القرن العشرين . لقد اصبحنا ننتسب لحضارة حديثة ، وليس لحضارة تليدة فقط . لقد اتكانا كثيرا على الماضي

فسهونا عن الحاضر والمستقبل ، اما معركة اليوم ، فلقد اوضحت لنا وللتاريخ ان العملاق العربي الذي استيقظ منذ نصف قرن ، يسير اليوم الى الامام باتجاه الشمس .

عشرة انتصارات في معركة واحدة . رصيد ضخم لنضال جيل، ومسؤولية كبيرة سيتحملها جيل جديد هو جيل الانتصارات .

الثورة ٢٥ تشرين الاول

أخبار عن المقاتلين الى القلقين عليهم

في اجازة قصيرة جدا ، عدت الى المدينة الكبيرة من موقعي في مكان ما ، حيث أنا مكلف بمهمة مثل غيري من المواطنين المجندين للمعركة ، وخلال هذه الزيارة العابرة جاءتني أم لا أعرفها تسألني بقلق عن ابنها وأخيها المقاتلين ، وألحت عليّ ان اجيبها على سؤالها وكأنني أعرف المقاتلين واحدا واحدا وأعرف ظروفهم جميعا . ولقد استجمعت كل ما أقدر عليه من عبارات التشجيع والتطمين وأنا أخاطب هذه الام ، ولست متيقنا ان ما قلته قمين بطمأنتها ، فقد كان عليّ ان اقول أشياء اخرى كثيرة . ولهذا اردت ان اوجه هذه الرسالة الى كل أم لم تردها بعد اخبار الغائبين في الجبهة ، بل لعلي اردت ان اخاطب كل انسان بعيد عن معركة القتال واخبارها الحقيقية ، لا يربطه بها الا بعض المقاتلين من الاهل والاقرباء ، لكي أقول له ان الهم والشقاء هو من نصيب الذين يرون الاشياء من خلال الخوف والغموض ، وان من تقلقون عليهم هم احسن حالا بكثير منكم ، ذلك لانهم يعرفون الحقيقة فلا يخافون .

انا لا اقول ان المقاتلين يتمتعون بلذة القتال في الجبهة ، فالقتل والموت ليسا لعبا او لهوا ، وانما يكمن حول كل مقاتل دمار محقق وموت رهيب ، هكذا الحرب التي لم تكن في يوم من الايام باقل وطأة وبطشا . ولكن الفرق كبير بين من يدخل غمار الحرب ومن يسمع اخبارها . ذلك ان المحارب اذ يسترخص روحه يكسب الحياة هو ويعيش حالة الفوز والسيطرة على عدوه بقدر استعداده للفداء والتضحية ، اما البعيد عن ساحة الحرب المترقب لاخبارها ، فانه يعيش في فراغ وسلبية لا يسعفه منها الا برهان مادي ، كأن يحصل على رأس العدو وينظر اليه مستسلما ، او ان يقف على أرض مكتسبة او مستردة ويتلمس ترابها .

ان من يقف بعيدا عن جو القتال يكون اكثر تعرضا للوهم ولقبول الافكار اليائسة والاخبار المؤسفة . ذلك لانه لا يرى ما فيها .. صحيح انها اتون يلهب المتحاربين ، ولكن هذا الاتون يوقده المتحاربون انفسهم ، ولكل وسيلته في تفادي النار وتصويبها نحو خصمه .

ان من يحمل البندقية ومن يقذف القنبلة او الصاروخ ويعرف الهدف جيدا ، هو الذي يرى بوضوح ، وهو الذي يحدد معاني النصر ، ففي كل خطوة او مرحلة من مراحل القتال نصر لا يراه الا صانعوه ، ونادرا ما ينقل النصر صحيحا الى القابعين قبل الخطوط .

والمقاتل لا يحمل ميزانا لقياس الربح والخسارة ، فليس عدد القتلى والاسرى وليست مساحات الارض هي الميزان ، ولكن الميزان وحده هو في قوة الاندفاع للقتال والصمود ، وفي البسالة والتشبث بالمواقع المتقدمة . ان الانتصار على النفس أهم اشكال الانتصارات . ومن حق المقاتل في الميدان ان يحرز هذا الانتصار ، لانه يعيش في ظروف افضل بكثير من ظروف الذين يحتضنون الترانزيستور يتنقلون من خلاله وراء الاخبار . والفرق كبير بين من يصنع الاخبار الحقيقية وبين من يستمع اليها من خلال الاذاعات المدسوسة او المقتضبة .

المقاتل في الجبهة يتمتع بثقة هي غريبة عن غيره ، ولو اتيح للقلقين عليه ان يمتطوا معه السوخوي او الميغ ، وينظروا كيف يهلع العدو امام اصواتها المدوية المرعبة ، قبل ان ينظروا الى آثار قنابلها المدمرة ، لادركهم بعض الثبات والجنان .

ولو كان بمقدورهم ان ينظروا من خلال مناظير المدافع المنتشرة في كل مكان ، لرأوا كيف تتلاشى قوات العدو وحصونه وراء الضربات السديدة التي يطلقها جندي الميدان .

لقد رأى الناس في المدينة كيف تتهاوى الطائرات العدوة بالمئات أمام ضربات طائراتنا ووسائل دفاعنا الجوي . عندها فقط كانت الطمأنينة تشملهم جميعا ، فكانوا أشبه بالجندي في الميدان . وعندما نفذت الطائرات العدوة ، وفقد من تبقى منها الجرأة على اختراق أجوائنا ، عاد القلق الى الظهور ، لماذا توقف دفاعنا عن اسقاط الطائرات ؟ لماذا لا تتحدث الاذاعة عن الانتصارات ؟

ومن المؤسف ان يصير الناس بهذا اكثر عرضة للحملة النفسية التي تبثها سموم الاذاعات المعادية ، ومن المؤسف ان تصبح غارات العدو على البيوت الآمنة في شوارع السفارات وفي ضاحية دمشق الجديدة ، وعلى الساحل ، عاملا من عوامل الضجر من الحرب .

ان قصف المدن الآمنة امر لا يحتاج الى بطولة وشجاعة وقوة ، وانما هو يقوم على الخسة والغدر والوحشية ، واذا شهدت مستشفياتنا مئات المصابين من هذه الغارات ، فان هؤلاء المصابين كانوا اطفالا ونساء ورجالا آمنين وبعضهم من الاجانب المقيمين في بلادنا . ان الجندي في المعركة شديد الحزن لهؤلاء الضحايا ، ولكن حزنه يدفعه الى الضراوة في القتال والاستبسال في الدفاع ، متجها نحو القوة العسكرية المعتدية وحدها ، بعيدا عن ارتكاب جريمة ضرب الآمنين المجردين من الدفاع . الجندي في الميدان لا يضجر من القتال ، بل على العكس ان امله الوحيد ان ينفسح امامه الزمن الكافي لمتابعة مهمته القتالية الواسعة النطاق . وعندما يوقف اطلاق النار يشعر بالاسى لعدم تمكنه من تحقيق هدفه كاملا ، وهو اذ يقف امام قرارات مجلس الامن ، فانه يكتب بذلك انتصارا جديدا في ضبط النفس وكبح جماح استبساله وقتاله . وعلى الذين يقفون بقلوبهم وراءه ان يفهموا جيدا موقفه ودوره وان يحفظوا ويحافظوا جيدا على انتصاراته الكثيرة التي حجبتها المسافة والحرب النفسية ووقف القتال ، ولكنهم سيسمعون عنها كثيرا وسيقرأون عنها كثيرا ، فهي المؤشر الجديد لتاريخنا الجديد المقبل .

ان بريق الانتصار شعلة يجب ان تستمر مضيئة دائما ، ومن الخيانة ان نحجب ابصارنا عن نورها الساطع .

ان عيوننا التي اعتادت الظلام خلال فترة قاتمة من تاريخ صراعنا مع عدونا الصهيوني ، يجب ان تعتاد على بريق الانتصارات الكثيرة التي أحرزناها من خلال معركة اكتوبر في سيناء والجولان ، والتي توسعت فشملت ابعادها انتصارات على المستويات السياسية والقومية والاقتصادية ، وبهذا المعنى فان هذه المعركة كانت ثورة حقيقية ، ثورة الضمير العربي على جميع اشكال العدوان والاستغلال والامتهان والتشرد . وانتصارنا ناجز في جميع هذه الجبهات المستعصية . ولقد حقق هذه الانتصارات الجندي في المعركة ، وله المجد الاكبر في ذلك شهيدا صار او مقاتلا ما زال . واذا لم يكتب للآمنين حظ في القتال،وشرف في الاستشهاد، فذلك انه لم يجيء دورهم بعد . أنا نفسي مجند قابع في الصف الثاني لم يكتب لي بعد أن ارمي طلقة واحدة ، لم يكتب لي شرف ان اخوض غمار المعركة التي خاضها الصف الاول ، لم أحظ بعد بشرف استشهاد . أعترف انني أشعر بالاسى لان دوري لم يحن بعد . وأنتم القلقون في المدينة الكبيرة سيزول قلقكم ابدا لو ان دوركم قد حان كما حان دور الرجال والنساء والاطفال في السويس وبور سعيد والاسماعيلية . لقد زال قلقهم الى الابد ، لانهم رأوا بأعينهم كيف ينهزم المتسللون الغاشمون امام ارادتهم ، ارادة الانتصار والتحرر .

لقد زال قلقهم لانهم صنعوا النصر بأيديهم وعرفوا كيف يصير ويتحقق ، ودفعوا ثمنه بكل استرخاص .

الثورة ٢٨ تشرين الاول

أحمد يوسف داود

الاشجار

لا دمع !!
ينتظر الاحبة موعد الوطن الجميل ..
ويهدأون

في الليل ينتصبون أشجارا ،
فترتد العواصف والرياح ..

ويبسمون .
في الليل ظل غنائهم يأتي الى الاطفال
ـ والاطفال ناموا ـ
وهم على الميدان قد قالوا وصيتهم ..
وحلت في التراب دماؤهم
فتمددوا حبا .. وناموا !!

« أطفالنا ...!
غنوا عن الوطن الجميل غدا ..
وغنوا عن جذوع السنديان ..
وموعد القمر المسافر والسهر .
من أجلنا نحن الذين قلوبنا احترقت بأشواق الحياة ..
ولم نذق طعم الحياة
من أجلنا نحن الذين نعانق الموت الجديد ليكبر الحب الجديد
غنوا عن الوطن الجميل ..
عن الهوى ..
وعن السنابل ، والحصيد ! »

« أطفالنا ...!
قبل معطلة قطفناها .. وما كانت سوى ظل اشتياق
كانت مخالب في شفاه العاشقين
وفي قلوب العاشقين
واليوم ترتعش المخالب ثم تسقط ...
ثم نحن نمد آلاف السواعد للحياة
واليوم ، وجه دمشق يومض في حصار الهم ...
وجه دمشق ترسمه الجذوع ...
يضيء .. ثم يضيء ..
نحن نمد آلاف السواعد للضياء
هي ذي محبتنا :
تغل دماؤنا في الارض نابضة ..
فترتفع الرؤوس الى السماء !! »

« أطفالنا ...!
فلتذكرونا حين تتسع المدائن بعد ، اكثر
ولتذكرونا حين تكتمل المدائن او تعمر
وثقوا بأن الحب والانسان أقوى من دمار مخالب
الدنيا .. وأكبر !!
ولتذكرونا ...
حين نعجن بالدماء ترابنا ، تترسخ المدن الجميلة
وتقوم في الارض الجذوع ...
ويكبر الشجر الصغير !..
ويصبح الانسان اكبر ! »

« أطفالنا ...!
هي ذي محبتنا ، نعلقها على ثغر البنادق راية
الحرية العذراء نعرفها .. فنحترق اشتياقا
هي ذي محبتنا ، نعلقها على كتف الفصول ..
وراية للسلم نرفعها ...
ونشبعها عناقا
ويضيء وجه دمشق في شعل السواعد والدماء
و « هم » على ابوابها يتساقطون بلا مخالب ..
كالذئاب العاجزة !!
ونظل نقتل كي يكون لنومكم حلم جميل
و « هم » على ابوابها يتساقطون ..
ونحن نقتل .. ثم نقتل ..
كي يكون لها السلام المستحيل ! »

« أطفالنا ...!
لا تقطفوا قبلا معطلة .. ولا ظل اشتياق !
هي كي تكون هوى ، عليها أن تحيل القلب خلاقا ..
وزند العشق خلاقا ..
كميلاد جديد !
ليكن عناق الارض وجدا ، واندفاعا ، واتقادا
لا شيء يولد يا أحبة من عدم !!
وتذكروا درس الحياة .. تذكروا درس الحياة
لا شيء غير الشمس والنيران يمسح في الشتاءات الجليد ! »

في موعد الوطن الجميل تدفق اليوم الاحبة
غنوا وصاياهم ...
وحلت في التراب دماؤهم ..
فتمددوا حبا .. وناموا هادئين
في موعد الوطن الجميل تذوقوا قبلا
فصاروا أغنية
واذا أطل الليل ينتفضون أشجارا
فترتد العواصف والرياح .
وهم على طرف المعابر يهمسون عن الصغار ..
ويبسمون !

الثورة ٣٠ تشرين الاول

عزيز السيد جاسم

حرب محدودة ام قومية شاملة ؟

اذا كانت الازمات والمناوشات العسكرية المحدودة قادرة على كشف بعض الامكانيات القومية سلبا او ايجابا ، فان الحرب هي الكشف الواسع بنوع الطاقات القومية .

بيد ان بعض اشكال الحرب قد تغفل جوانب اساسية في الطاقات القومية ، وبخاصة الحرب الاستعمارية التي تشترك فيها القوى الامبريالية والقوى العميلة لها سواء بسواء . وهذا يعني اناطة مسؤولية الكشف الجذري بامكانات اية أمة ، بالحرب الثورية ، القادرة على ايقاظ واحياء وانضاج وتطوير مصادر القوة الحيوية للجماهير القومية المناضلة ، ولقواها السياسية والعسكرية الوطنية .

ومن المهم جدا ايجاد فرز موضوعي بين الحروب المحدودة التي تدور بين بلدان متجاورة بسبب الخلافات حول مسألة (الحدود) ، او بين بلدان من طبيعة قومية واحدة ، او بين بلدان ذات انظمة متقاربة ... الخ . والحروب الثورية التي تكتسب منذ البدء مغزاها الثوري ، ويتكامل هذا المغزى باستمرار وبمقدار التصدي للامبريالية ، والصهيونية ، والفاشية الجديدة . والحرب القائمة بين الامة العربية و « اسرائيل » هي من طراز الحروب الثورية التي تاخذ بعدا اساسيا في المرحلة الراهنة من الحرب الثورية العالمية ، وفي مهام توسيع رقعة الاشتراكية في العالم ، وتقويض التركيب العالمي للرأسمالية .

وان قوة الوقائع الثورية في الحرب التي تدور رحاها بين جماهير الامة العربية ، وبخاصة جماهير فلسطين ، والعدو الصهيوني ، منذ اعلان تأسيس الكيان الاستيطاني ، تؤكد الفشل المتتابع للمفاهيم ووجهات النظر التي تعمد الى تصوير الحرب ، وكأنها ليست ثورية . وكذلك تثبت فشل أساليب العمل السياسي والمناورات التي حاولت وتحاول ابعاد شكل الحرب عن الطبيعة الثورية لها ، وتجريدها من متضمناتها القومية الثورية العميقة .

والآن ، وحيث بدأت في تشرين الاول من العام ١٩٧٣ ، حرب حقيقية ، بدأت في الجبهتين الغربية والشمالية ، وجها لوجه مع العدو الصهيوني ، فان الاصرار على مفهوم : كل حرب ضد «اسرائيل» هي حرب ثورية ، يجب ان يتحول وفي الحال الى شعارات وتطبيقات ثورية واسعة تعم الوطن العربي ، بجماهيره وقواه الثورية المنظمة ، وبمنظماته وجمعياته ، وانظمته الوطنية ، للمشاركة الواسعة في المجهود الثوري العظيم الذي تخوضه القوات العسكرية العربية ، وقوات الثورة الفلسطينية .

وبالنسبة للعدو الصهيوني ، حيث يشن حربا استعمارية كثيفة وواسعة النطاق ، ضد الامة العربية ، ان الحرب الراهنة لا تشكل اختبارا لقدرات « اسرائيل » بمفردها ، بل ان قدرات الامبريالية العالمية وبخاصة الاميركية ، والقوى الصهيونية الدولية ، هي التي تتوحد في الكفة الاسرائيلية ، باستقطاب امبريالي ـ صهيوني ـ فاشي ، مكشوف .

وفي الحالات الحربية التي كانت « اسرائيل » فيها محرزة لانتصارات محسوسة ضد العرب ، لم تكن ثمة ضرورة « اسرائيلية » للاعلان عن مؤسسات الطاقم الامبريالي ـ الصهيوني ـ الفاشي العالمي بأكمله ، فهي ليست محتاجة لذلك .

اما الآن ، وبعد ان طرحت الحرب الراهنة صورة جديدة لموازين القوى ، واندحرت في اللحظة الاولى توقعات العنجهية الاسرائيلية ، وأوهامها عن الامكانيات العربية ، فان جميع مؤسسات الطاقم الامبريالي ـ الصهيوني ـ الفاشي ، تتحرك بسرعة ـ وان باساليب مختلفة ـ لتؤدي دورها في حماية « اسرائيل » ومقاومة اليقظة العربية الجديدة ، يقظة الحرب الثورية المحتدمة الاصرار .

وعموما فان المصالح الامبريالية المنتشرة ، في أماكن عديدة من العالم ، وفي الوطن العربي والمناطق المتاخمة له ، تنتظم بآلية واحدة ، آلية غرز أسلحتها في جسد الامة العربية المناضلة .

وفي اقل التقديرات الواقعية ، ان الامة العربية بالذات ، والتي لم تسمح اوضاعها الذاتية لفترة زمنية طويلة بتجريب وامتحان قواها الحقيقية ، حانت لها فرصة ضرورية لاكتشاف قواها وطاقاتها الذاتية وفقا للحسابات الثورية التي عاشتها شعوب وأمم مختلفة من العالم .

واستنادا الى المعطيات الاولية الراهنة فان التفوق العربي في الجبهتين الغربية والشمالية يشير الى ان هذا التفوق هو محصلة اختبار البعض « الاقل » من القدرات القومية في الحرب ، وليس محصلة اختبار جميع هذه القدرات .

ولا زالت توجد خارج نطاق الحرب العربية الثورية ، النسبة الواسعة من الامكانات البشرية والمادية ، للامة العربية ، والتي لم تحقق استقطابها الثوري المنشود في هذه الحرب العادلة ، الا بشكل أولي .

وقد اجمعت القوى العربية الثورية عموما على ان الحرب ضد « اسرائيل » هي حرب ضد المصالح الامبريالية الاميركية . وكما ان طاقات الامة العربية تخضع لاختبار الحرب ، فان الحرب تفتح السبل الواسعة للتحرر القومي ، وتعجل بعملية التحرير في الاقطار العربية اكثر مما تستطيعه اشكال النضال الاخرى .

واذا لم تفهم الامبريالية الاميركية ان الاندفاعات العدوانية الصهيونية تزيد من اشتداد الردود العربية الثورية التي تقصر من عمر بقاء مصالحها في الوطن العربي ، فان قوى الثورة العربية تركز على استراتيجيتها النضالية المتمثلة بتثوير الحرب من اوجهها وجوانبها المختلفة . ويستند هذا التركيز الى مقولة رئيسية هي :

عدم فتح جبهات ثانوية تؤثر على مركزية الحرب بين جبهة الامة العربية المناضلة ، والجبهة الامبريالية ـ الصهيونية . مما يعني الافادة الواسعة من الاساليب المرنة في توحيد الطاقات العربية والزج بها في ميدان الحرب .

حيث ان ليس من الحتمي قصر دخول الحرب الثورية على القوى الثورية والتقدمية فقط ، بل بالامكان اشراك اوساط غير ثورية في حرب ثورية ، بفعل قوة الدافع القومي الشاخص في اعمق أعماق الانسان العربي .

وتبرز على الفور قيمة المرونة في جر امكانات بشرية ومادية في بعض ارجاء الوطن العربي ، غير المتحررة من الهيمنة الامبريالية ، على النحو الذي يحقق تعرية وعزلة كاملتين للاوساط المسؤولة عن عدم الاستجابة لضرورات وشروط الحرب القومية .

ان الحرب العربية الراهنة في الوجه التاريخي والمعاصر لها ، هي حرب قومية ثورية . وفي وجه داخلي محدود لها ، يمكن الوصول الى نتائج ايجابية مع جميع اولئك المستعدين للموافقة عليها بصفتها حرب قومية فقط .

وضمن هذا التحديد المركب للحرب العربية الراهنة باعتبار انها حرب قومية ثورية في سياقها الاساسي ، وحرب قومية في وجه

ثان لها ، يمكن الوصول الى الصياغات العاجلة في تحريك قوى وامكانات الامة العربية على الاصعدة الرسمية ، والعسكرية والشعبية .. الخ . وعلى صعيد العلاقات العربية مع بلدان العالم المختلفة .. وبالاصل فان القوى العربية الثورية قادرة على تعميق المحتوى الثوري للحرب القومية ، عبر التحالف الثوري الواسع والمنظم لها . وفي مجرى الاندماج القوي الملموس ، بالمجهود الثوري للقوات العسكرية وقوات الثورة الفلسطينية ، وبالصورة المؤثرة في اتجاه الحرب نحو التحرير الكامل للارض العربية المحتلة .

وان علاقات التضامن مع البلدان الاشتراكية التي تميزت بموقفها المساند للامة العربية ، وبخاصة الاتحاد السوفياتي الصديق، تشترك بدورها في امتحان الحرب . ولقد شخصت جماهير الامة العربية الفقيرة وبجلاء الموقف التضامني العميق لشعوب وبلدان الاسرة الاشتراكية وبالاخص الدور القائم للاتحاد السوفياتي في دعم الامة العربية ، وحربها القومية الثورية ، وبالصورة التي لا تستطيع حتى الاوساط اللاثورية انكارها .

وحيث تحددت ابعاد مسؤولية القوى العربية الثورية : في مواصلة الحرب العربية الثورية والمشاركة المطلقة في جبهات القتال في الحرب العادلة ، وفي التصدي للمصالح والمرتكزات الامبريالية في الوطن العربي ، وفي خلق تعبئة شعبية ثورية منظمة ومسلحة ، وفي الافادة الحقيقية من مواقع الدعم والتضامن للبلدان الاشتراكية. فان شرطا مهما في شروط المسؤولية الثورية ينضمن العمل من اجل تحييد القوى الاجنبية التي تحتفظ بتصورات سلبية عن القضية العربية ، حيثما أمكن ذلك ما دامت الحرب الراهنة قد قدمت الدليل لهم على ان من اسباب الانتصار الاولي للعرب في هذه الحرب ، الطبيعة التحريرية للحرب .

اما في نطاق العمل الداخلي ، فان الشرط يتضمن عدم القبول بأية حيادية لاي نظام عربي او قوة عربية او مسؤول عربي ، ازاء الحرب القائمة بين العرب واسرائيل .

وبوعي وبثورية ، تزيد من ارتفاع مستواهما طبيعة الحرب ، وقدرتها على ايقاظ وتصعيد عناصر القوة في الامة ، تستطيع الجماهير العربية فضح الحيادية الزائفة والمقنعة باشكال غامضة من التاييد او الدعم الهزيل في حرب مصيرية لا تقبل بمنطق غير منطق المشاركة الحقيقية المباشرة فيها من قبل ملايين العرب في الوطن العربي وفي كل مكان من هذا العالم .

ان جميع الانظمة العربية مطالبة قوميا بان تسهم بدورها في دعم نضال جبهات القتال العربية والقوات الفلسطينية في هذه الحرب الضارية ، تطابقا مع الارادة العارمة للجماهير العربية ، التي وجدت في الموقف الثوري الحاسم والتاريخي للعراق مثالا يقتدى .

ولم يعد ، في عرف الجماهير ، هناك مبرر لانتظارية اي نظام عربي بخصوص مسالة المشاركة الملحة في الحرب العربية ، وتوفير الفرص امام القوى العسكرية الوطنية المتلهفة لخوض حرب التحرير القومية ، وبخصوص استخدام الامكانات المادية والطاقية في التاديب السياسي والاقتصادي للامبريالية .

كما لم يعد هناك مبرر لبقاء المئات والالوف من المناضلين الثوريين ، مدنيين وعسكريين ، في اقبية السجون والمعتقلات .

ان الحرب الراهنة ليست محدودة ، بل هي حرب قومية شاملة ، وبانتظام يجب زج الطاقات البشرية والمادية للامة العربية في هذه الحرب ، ويتناسب مع الجدول الزمني لانهاك « اسرائيل » والذي احسنت تقديره قيادة القوات العربية المقاتلة .

وبالتأكيد فان الشكل المعنوي لطاقات الامة العربية (الشجاعة، الثقة ، الصبر ، المناعة ضد تضليل العدو الصهيوني والاعلام المعادي .. الخ) يأخذ موضعه الحقيقي في مهمة اشاعة روح (القتال) لدى الجماهير في الخطوط الخلفية .

« وعي العمال » ١٣ تشرين الاول

علي الحلبي

القرار الثوري

ان القرار الثوري الذي صدر عن مجلس قيادة الثورة صبيحة اليوم السابع من تشرين الاول ١٩٧٣ ، القاضي بتأميم الحصة الشائعة لشركتين اميركيتين احتكاريتين ... جاء صفحة جديدة محكمة وجهها عراق الثورة والبعث والجبهة الوطنية على جبين الاستعمار الاميركي الوقح الملطخ دوما بنجيع الشعوب المناضلة .

لقد برهنت مواقف العراق التحررية بعد ثورة السابع عشر من تموز التقدمية الرائدة .. اصالة الثورة ذاتها وقدرتها الفائقة على المجابهة والتحدي ، وحنكتها ومراسها في دقة توقيت الضربات القوية ضد قوى الثورة المضادة في العالم ، وكل أعداء امتنا وجماهيرها الواسعة .

ان المصلحة العربية القومية العليا وشرف تحرير التراب العربي المقدس تفرض على الاقطار العربية التي تعشعش فيها المصالح الاميركية البترولية ضرورة الانقضاض الشجاع عليها وتحطيم قلاعها وكنس كل اثر لها على أرضنا العربية الطاهرة ، وبذلك وحده نستطيع تسديد السهام القاتلة الى نحور المعتدين والغاصبين والغزاة الصهاينة وحلفائهم الاميركان .

لقد جعل عراق تموز البعث من شعار « نفط العرب للعرب » حقيقة راهنة بل ومذهلة ووضعه موضع التنفيذ العملي الجريء .

الجمهورية
١٠ تشرين الاول

وداعا .. للحزن !

بين الخامس من حزيران والسادس من تشرين مسافات زمنية سحيقة وفواصل ذهنية مكثفة بالضباب ، وانشطارات حضارية مذهلة اكبر بكثير من الحجم الطبيعي واعوامه الستة المكفهرة !

كان اكثر العرب يسيرون – رغم كبريائهم التراثي – خلف ظلالهم الهاربة باتجاه هندسي معاكس .

وكانت أسياف الشمس المثقلة بقطرات الضوء والدم لا تتوانى على جباه النفوس المترعة بصديد العار الحزيراني ..

وفي اكثر اللحظات التي يتقهقر في مطاويها خيال الخيلاء .. كان لصمت العاري يبسط خيمات الحزن وسحب الالم ... وفي أعمق أعماق العروق المتمردة ينداح صهيل الجراح من الداخل بقسوة ومرارة ..

وفي السابع من تشرين العظيم ... تطايرت خيام الشجن وتمزقت غمامات الاحساس بالبؤس ، وتدفقت ينابيع الفرح الطفولي الغامر ترش النسمات التي غضنها اعتصار الالم المرتشف بشائر الفارس العربي العائد مع طلائع فجر البعث والثورة .

فيا حيهلا بفرسان الزحف المقدس .. ومرحبا ببطولات تشرين وهنيئا للزنود السمر التي تشد اصابعها الفتية على السلاح والنار ودحرا اكيدا للتنين الهارب على رمال سيناء وتلال الجولان.. وسحقا ابديا لكل اعداء الشمس العربية .

الجمهورية
١٤ تشرين الاول

عبد الامير معله

الجندي العربي وتقاليد القتال

كيف يقاتل الجندي العربي ؟

يتراءى للمرء وهو يتامل هذا السؤال انه ازاء انسان يشكل ظاهرة في ساحة القتال .. ذلك ان الانسان العربي تكون سيكولوجيا في جو اجتماعي مفعم بتقاليد القتال التاريخية . انه انسان يتعود ــ منذ ان يبدأ وعيه ــ على سماع احاديث الناس عن الماضي العربي المليء بالشموخ والعز ، والمليء بتقاليد القتال الجسور في كلا وجهيه الهجوم او الدفاع .

وهذا الانسان حين يكبر ، وحين يزداد وعيا ، يجد نفسه وسط جو اجتماعي يغلي ابدا في وجه واقع متردٍ ، موسوم بالتخلف ازاء واقع العصر الحضاري ... والعلاقة جدلية بين الحالة الاولى والاخيرة تماما . فالانسان العربي الذي تربى على معرفة عزه ومجده ، وبسالته ، لا يمكن ان يصاب بحالة من الرضى حين يجد نفسه وسط حالة اللاعز واللامجد .. وهكذا يطفح المكنون من البسالة الكامنة في « لا وعيه » لينعكس على حياته في هذا العصر . وهكذا يبدأ عملية نضال باسلة ، تخلق لديه تقاليد جديدة في قدرته على القتال. وهكذا تتراكم تقاليد القتال والبسالة لدى الانسان العربي من منبعين : منبع التاريخ ، ومنبع الحاضر الذي يدفعه دفعا في كل لحظة الى ان يكون مقاتلا ابدا .

* * *

حين يدخل الانسان العربي ــ ذلك الذي تحدثنا عنه ــ ساحة الحرب ، بصيغة جندي ، او فدائي ، فان تلك التقاليد تكون قد تحولت لديه الى عادة . وهكذا فهو يكون مقاتلا على طريقته الخاصة جدا .. مقاتلا من نمط خاص لا يمكن ان يعادل أبدا ذلك الجندي الصهيوني الذي تراكم لديه الشعور بالذل دهورا لا تحصى ، والذي تربى على تقاليد من الخنوع .

لا اريد ان اغالي ابدا .. فالجندي الصهيوني قاتل هو الآخر مستميتا اكثر من مرة ، وتقدم في الارض العربية مسافات تعدو الامتار بكثير .. لقد كان هذا الاخير يفور منتفضا على ذل القرون الماضية واستهانتها .. غير انه ــ في الواقع ــ حين « انتصر » فهو لم ينتصر على الجندي العربي ، الذي كان معزولا تماما عن ساحة القتال ، رغم انه كان في وسطها .. ذلك ان ساحة القتال هذه كان يقاتل فيها اثنان ابدا : الجندي الصهيوني وكيانات كانت تعد نفسها للهزيمة حين تدخل ساحة الحرب .

متى قاتل الجندي العربي ؟ لقد قاتل في الجزائر وانتصر .. وقاتل في المغرب وانتصر .. وقاتل الانكليز في مصر والعراق وانتصر .. وقاتل الفرنسيين في سورية وانتصر .. وأينما كان يقاتل حقا هو بنفسه كان ينتصر .

غير انه كان يسحب من ارض المعركة سحبا ، وحينئذ لا ينتصر بالطبع لانه لا يكون موجودا في الساحة ! وكان جندينا يعرف ذلك بدقة . وهو اليوم ينتصر لانه يقاتل فعلا .. ولان عنانه اطلق في ساحة الحرب .

لا اغالي أيضا فاقول ان هذه الميزة يتفرد بها الجندي العربي . فهناك كثير من الشعوب تكونت لديها تقاليد من القتال على مر التاريخ فكانت تستبسل حين تدخل ساحات القتال . بل ان كل الشعوب حين تجد نفسها محاصرة فانها تجد نفسها مجبرة على ان تستبسل في وجه اعدائها ، حتى النصر او الفناء بين برك الدم .

* * *

حين نتحدث عن الجندي العربي فانما نتحدث عن ذلك الانسان العربي الذي يحمل البندقية ويقف في مواجهة العدو ..

ولا مكابرة ، ولا غلواء .. انه الانسان الذي تكون عبر تقاليد القتال والبسالة عبر كل تاريخه الطويل ..

الثورة
١٢ تشرين الاول

سامي مهدي

فـي مستوى المسؤولية التاريخية

رغم عنصر المفاجاة في نشوب القتال ، ورغم الظروف الجغرافية التي تبعد بنا عـن ساحته الفعلية ، فان العراق لـم يفقـد قدرته على المبادرة الناجحة والمجابهة الفعالة والسريعة .

فمنذ الساعات الاولى لبدء القتال ، تحرك العراق على كافـة الاصعدة ، واتخذت قيادته السياسية جملة اجراءات اتسمت بالتكامل والحسم والسرعة .. فالى جانب ما اتخذ على الصعيد العسكـري البحت ، وفضلا عن تعبئة طاقات القطر تعبئة شاملة ، وجهت ضربة قاصمة لبقايا المصالح الاميركية في العراق ، وذلك بتاميم الحصـة الاميركية في شركة نفط البصرة .

وليس ثمة شك في ان تحركا على هذا المستوى من الفاعليـة والتمكن ما كان ليكون ، لولا ما تميزت به قيادتنا السياسية من فهم شامل وعميق لطبيعة معركتنا مع العدو وآفاقها ، ولولا ما تميزت بـه ايضا من حسابات دقيقة وجراة وقدرة عالية على التحليل واتخـاذ القرارات الصائبة .

ان كل النجاحات التي حققتها ثورة ١٧ تموز منذ قيامها حتى الآن تؤكد هذه المسالة بوضوح ، وتؤكدها ايضا هذه القـرارات المتكاملة التي اتخذتها القيادة لمواجهة الظروف المستجدة فيمعركتنـا مع العدو الصهيوني .. ذلك ان القيادة لم تنظر الى هذه الظروف نظرة تجزيئية ولم تتصرف تجاه العدو بمعزل عن حليفته الاولى ، الامبريالية الاميركية ، بل نظرت الى المسالة نظرة شاملة ، وتصرفت من خلال فهمها للحلف الطبيعي القائم بين الصهيونيـة والامبرياليـة ، ووجهت الضربة اليهما معا ، وبامضى الاسلحة القادرة علىاستخدامها وعلى راسها سلاح النفط .

ان ما يربط الامبريالية الاميركية والصهيونية اقوى من انيفصمه لوم او تانيب او ضغط من اي نوع .. ولذا فان كيل الضربات اليهما معا ، هو الطريق الصحيح والجاد نحو التحرير . فليس ثمة شك في ان اقوى الضربات التي يمكن ان تكال اليهما اليوم ، هي تلك التي تاتي باستخدام سلاح النفط في المعركة .. ذلك ان النفط شريـان يغذيهما معا ويجعل كلا منهما بحاجة الى الآخر وملزما بحمايتـه والدفاع عـن مصالحه .. ومن ثم فـان استخدامه سلاحـا في معركتنا الشاملة معهما ، يشل قدرات كل منهما ويضمن لنا منذ الآن اهـم مستلزمات النصر . وهذا ما ادركته قيادتنا السياسية وما قامت به فعلا ، وهذا ايضا ما دعت اليه الاقطار العربية وما طالبتها به .

وعليه فان الاقطار العربية المنتجة للنفط ، موضوعة اليوم امام مسؤولياتها التاريخية ، وهي مطالبة بان تثبت بالبراهيـن العمليـة ايمانها بالحق العربي وحرصها على هذا الحق ، والا فان حسـاب التاريخ ، وحساب الجماهير قبل ذلك ، سيكـون شديدا .. لان الجماهير لا يمكن ان تكبل الى الابد ، وتسكت على من يرضى بتحويل ثرواتها الوطنية الى رصاص في بنادق الاعداء .

ان الحرص على الدم العربي الذي يسفك اليوم في سينـاء والجولان لا يمكن ان يكون جادا الا اذا وجد من يؤكده بقـرارات فعلية .. وقرارات البعض لا يمكن ان تكون صادقة الا اذا اقترنت باستخدام كل سلاح يملكونه وفي مقدمتها سلاح النفط . اما ان يقول البعض شيئا ويفعلون شيئا آخر ، واما ان يرفعوا بندقية بيـد ويحشون بالاخرى بندقية العدو ، فـذلك ما لا يسامحون به ولا يعذرون ..

ألف باء

١٠ تشرين الاول

استعدادا لحرب طويلة وشاملة

الحرب ليست نزهة ، وحربنا هذه بالذات لن تكون كذلك .

اننا الآن نحقق انتصارا تلو آخر ونمني العدو بافدح الخسائر ، ولكن هذا ليس كل شيء . فحربنا هذه قد تطول . والحق انـه ينبغي لها لشروط تكتيكية وستراتيجية ان تطول . ولذا يتوجب عـلى كل فرد فينا ان يوطن نفسه لحرب طويلة وشاملة وشاقة .

واذا كان من الشروط الاولية لذلك ان يلعب كل منا دوره في هذه الحرب ويكون جنديا آخر في موقعه الخاص والعام ، فان على كل منا ايضا ان يفهم طبيعة حربنا المقدسة ويستعد لها نفسيـا ويتحصن ضد اساليب الحرب النفسية التي تشن علينا خلالها .

ان اجهزة اعلام العدو وأجهزة حلفائه ما زالت تمارس ضـد جماهيرنا أساليب التشويش والتضليل والخداع . فهي في سبيـل تثبيط عزائمنا وزعزعة ثقتنا بانفسنا ، لا تتورع عن تشويه الحقائق وقلبها رأسا على عقب . وهي في سبيل رفع معنويات العدو والمحافظة

صلاح خالص

أيام لها ما بعدها

لقد سجل التاريخ الحديث للشرق الاوسط انعطافا حادا منذ السادس من تشرين الاول المنصرم ، فقد اتجه سير الاحداث دون شك اتجاها جديدا لم يكن على الاقل واضحا من قبل ، وتبدلت كثير من القيم والمقاييس التي تقيم وتقاس بها ظواهر الحياة السياسية المختلفة .. بل وقد تغيرت جذريا كثير من النتائج التي توصل اليها العالم ، نتيجة تبدل الفرضيات التي قامت على اساسها هذه النتائج ..

واذا كان هذا الانعطاف طبيعيا تماما بالنسبة لمن ينظر لتطور الاحداث التاريخية نظرة علمية ، ويثق بالجماهير ، ويؤمن بطاقاتها الخلاقة التي لا تقف عند حدود ، فانه بدا مفاجأة لذوي النظرة القصيرة المحدودة الذين فقدوا الثقة بالشعب واستنتجوا من الانتصارات الاولية التي أحرزتها الامبريالية وعميلتها الصهيونية في المنطقة ، انها العامل الحاسم في تطور الاحداث وتقرير مصير المنطقة . لقد أثبتت هذه الايام ان أي تقدير صائب لمستقبل المنطقة يجب ان يضع في حسابه أولا وقبل كل شيء موقف الجماهير ومطامحها وآمالها وأمانيها ، وطاقاتها الظاهرة والكامنة التي يمكن ان تتفجر في أية لحظة تتهيأ فيها الظروف الملائمة .. وان أية محاولة لتقرير مصير الوطن العربي أو أي جزء منه بمعزل عن موقف الجماهير العربية وتجاهل دورها ، مصيره الاخفاق المحتم والفشل الذريع ..

ان انهيار الاوهام التي خلقتها الامبريالية وعميلتها الصهيونية منذ الايام الاولى للقتال في سيناء والجولان ، والنهوض المعنوي الرائع للجماهير العربية من المحيط الى الخليج ، وبروز ارادة القتال والكفاح العربية بأجلى صورها وأروع مظاهرها بمختلف الاشكال وعلى مختلف الميادين ، قد بدد أوهام القوى الامبريالية وعملائها ومزق خططهم وأجبرهم على اعادة النظر فيها في ضوء المعطيات الجديدة التي فرضها تطور الاحداث . واذا كان من السابق لاوانه الحديث باسهاب عن الخطط الجديدة للامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية ، فان الامر الذي لا شك فيه انها بدل ان تقصر جهودها على اللعب بورقة واحدة ثبت خسرانها وهي الصهيونية ، فانها ستبذل جهدها في حشد القوى الرجعية المحلية في الوطن العربي ، بشكل اكثر فعالية وحذقا ، وزجها في المعركة لكبح ارادة الكفاح لدى الجماهير العربية الشعبية وتمزيق صفوفها ، وابعادها عن الاساليب الصحيحة في النضال لتحقيق اهدافها ومطامحها .

ولكن اذا كانت الامبريالية ستأخذ الدروس من هذه الايام الحاسمة لتبديل خططها وتكتيكاتها وأساليبها ، فان الدروس التي ستتعلمها الجماهير والعبر التي تستخلصها ستكون دون شك ذات اثر خطير في مستقبل المعركة ضد الامبريالية وعميلتها الرجعية ، وفي مصير الحركة الوطنية وأساليب كفاحها في جميع اجزاء الوطن العربي الكبير ..

انه لامتحان عسير ذلك الذي مرت وتمر به أنظمة الحكم العربية منذ السادس من تشرين الاول ، امتحان سيكون له ما بعده.. لقد كشفت هذه الايام الحقائق عارية دون تمويه ، ومزقت البراقع المزوقة ، وكشفت الشعارات الزائفة ، وأظهرت أعداء العرب بشكلهم الحقيقي ، ورسمت للجماهير العربية طريق النضال الصحيح ضد الامبريالية وذلك باجتثاث عملائها في الوطن العربي من الجذور والقائهم في مزبلة التاريخ .

لقد أظهرت هذه الايام الحاسمة في تاريخ العرب الحديث ، من هم اصدقاء العرب ومن هم أعداؤهم ؟ وما معنى السياسة الصائبة والسياسة الخاطئة ؟ وما هو المضمون الحقيقي لتضامن قوى الخير والحرية والسلام ضد قوى الاستغلال والاستعباد والشر ؟!

ان تشخيصا جديدا لمركز جميع القوى التي تتحرك على الساحة العربية سيكون ضرورة لا بد منها ، وستصدر الجماهير تبعا لذلك احكامها القاطعة على عناصر الهزيمة والتراجع والخيبة والانتهازية ، وستعلمها دماء الضحايا وهدير المدافع وأزيز الطائرات أساليب الكفاح الفعالة ، وترسم لها طريق المستقبل الوضاء ، وتضعها في السبيل الصحيح لبناء مجتمع الغد المزدهر المتقدم .

ان تيجانا ستهتز ، وعروشا ستتصدع ، وقواعد للظلم والاستغلال ظن اصحابها انهم بمنجى عن العواصف والاعاصير ، ستنهار وتتبدد تحت ضربات الجماهير ، ومراكز قوة أعدها أعداء الشعب لاستنزاف طاقته وتجميد نشاطه ، ستتحطم وتتداعى وتغدو هباء منثورا .. وبكلمة اخرى ان مجمل جهاز القهر والتسلط والارهاب الذي أقامته الامبريالية العالمية في الشرق الاوسط مستعينة بعميلتها الرجعية المحلية وربيبتها المدللة اسرائيل ، قد تصدع وتداعت اركانه وسقط طلاؤه وظهر ضعفه ، واصبح عاجزا تماما عن ان يخيف الشعب ويقف في وجهه . فقلعة الامبريالية الحصينة التي أقامها في قلب الوطن العربي ونسج حولها الاساطير والاوهام لشل ارادة القتال والكفاح لدى الجماهير العربية ، قد ظهرت على حقيقتها قلعة من الورق ، لا يمكن ان تصمد امام الحزم والتصميم والارادة الواعية .. والاغلال الخانقة التي أثقلت بها الشركات الاحتكارية أعناق شعوبنا في المشرق والمغرب ، تبين انها أوهى من خيوط العنكبوت امام عزم الشعب العربي ، واستعداده للتضحية والبذل وطاقته على الثبات والصمود .. اما عملاء الامبريالية وصنائع الاستعمار الذين كانوا يتمتعون بالحول والطول ، فلم يبق أمامهم سوى تملق الجماهير واستدرار عطفها بما يمكن ان يتظاهروا بتقديمه من اسهامات في المعركة .

نعم اننا في بداية انعطاف تاريخي مهم ، وعلى اعتاب تحولات تاريخية خطيرة ، لان كثيرا من الفرضيات التي وضعت في السنين السابقة قد الغتها هذه الايام تماما ، وثبتت مكانها حقائق جديدة لم يعد يتطرق اليها الشك .. كما ان ضراوة المعركة واتساع مداها القومي قد اعطاها شكلها الحقيقي ، معركة بين الامبريالية العالمية من جهة والامة العربية بكاملها والى جانبها قوى التحرر في العالم كله من الجهة الاخرى .

على ان وجود هذا الانعطاف التاريخي الجديد لا يعني انه كان مفاجأة للحركة الوطنية الثورية في الوطن العربي .. بل ان الامر على العكس من ذلك تماما ، فقد جاءت الايام الاخيرة لتبرهن على صحة الخط الذي كانت تسير فيه الحركة الوطنية التقدمية في العالم العربي وفي مقدمتها السلطة الثورية في العراق التي رفعت شعارات الوحدة الوطنية ونفط العرب للعرب ، والتحالف المتين مع قوى التحرر والتقدم في العالم ، وعدم مهادنة الاستعمار بأي

شكل كان ، واعتماد أسلوب الكفاح المسلح أسلوبا اساسيا في المعركة ، ونقلت هذه الشعارات الى الواقع باقامة الجبهة الوطنية واعلان بيان آذار وتأميم شركة نفط العراق وحصة الشركات الاميركية والهولندية في نفط البصرة وعقد معاهدة التعاون والصداقة مع الاتحاد السوفياتي والقاء كل ثقلها وامكاناتها العسكرية في المعركة ..وجاءت هذه التجربة العسيرة الحاسمة لتثبت للجماهير العربية في كل مكان صحة هذه السياسة وسلامة هذه الشعارات ، ولتؤكد ان أي طريق آخر لن يؤدي الا الى التفريط بالمصالح الوطنية والقومية ويفتح الثغرات لتسرب النفوذ الامبريالي الرجعي الى وطننا العزيز . ان التاريخ سيسجل بحروف من نور للحكم الوطني في العراق موقفه هذا ، كما سيسجل مواقف من يسيرون في عكس هذا الطريق .

لا شك ان التاريخ سيكون قاسيا في حكمه ، وان الجماهير العربية لن تغتفر لاولئك الذين يفرطون بمصالحها ، ويتوانون عن نصرتها ويمدون أيديهم الى أعدائها ، بل سيكون حسابهم عسيرا عندما تهدأ المعركة وتصفى حساباتها ويفرز حشفها من تمرها .. عندئذ ستبيض وجوه وستسود وجوه ، ويكون الحكم للشعب . ولن يقتصر هذا الحكم على السياسيين فحسب ، بل سيتناول الفنانين والادباء ورجال الفكر ايضا .

واذا كانت نكسة ١٩٦٧ قد زرعت بين الجماهير العربية بذور اليأس والشعور بالعجز والضياع ، فان الحرب النفسية التي شنتها القوى الامبريالية وعميلتها الصهيونية العالمية والرجعية العربية قد حاولت تغذية هذه البذور وتنميتها وانعاشها مستخدمة معطيات تلك الايام الستة المظلمة أسوأ استعمال .. ومع ان روح الصمود التي تمثلت على وجه الخصوص في المقاومة الفلسطينية الباسلة والحركات الوطنية الثورية في الوطن العربي لم تنطفىء ، رغم الظروف العسيرة التي مرت بها ، فان غيوم النكسة كانت تثقل بكلكلها على النفوس وتملأ بهمومها القلوب ، ولا سيما نفوس وقلوب المثقفين ، الذين وضعتهم اكثر أنظمة الحكم العربية على هامش الحياة .. وحجب الحقيقة عن انظارهم ضباب الاحداث .

لقد انعكس هذا الوضع النفسي بأجلى صوره في أدب ما بعد النكسة ولا سيما في الشعر .. واذا أخذنا المهرجانات الادبية والشعرية التي انعقدت بعد النكسة ، مثل المهرجانات الشعرية التي صاحبت مؤتمرات الادباء العرب ومهرجانات المربد وأبي تمام في العراق وغير ذلك من المناسبات ، نماذج واضحة لادب هذه الفترة.. فانها تعبر ـ عدا استثناءات قليلة ـ عن انتكاسات نفسية وفكرية وفنية ، كان أهم آثارها ونتائجها انفصام واضح بين الادب والجماهير، وعجز بيّن عن اسهام الادب اسهاما فعالا في المعركة .. وكان سبب ذلك دون شك بعض الافتراضات الخاطئة التي فرضتها النكسة وغذتها الدعاية الاستعمارية والصهيونية ، والتي تعطي الدور الاساسي الحاسم في حل مشاكل الوطن العربي وفي مقدمتها القضية الفلسطينية للولايات المتحدة الاميركية وعميلتها اسرائيل باعتبارهما القوة التي لا تقهر ، وتقلل من اهمية وفعالية الطاقات التي تملكها الجماهير العربية وقوى التحرر في العالم ... وما دام الامر كذلك فليس امامنا سوى الشكوى والبكاء والقاء اللوم على الاقدار ، وانتظار الرحمة من اعدائنا الذين عسى ان يهديهم الله سواء السبيل ، فيعيدوا الينا حقنا او جزءا منه على الاقل ... ان من الطبيعي ان مستقبلا أسود وغدا ملفعا بالضباب وخيبة مريرة ويأسا غامرا لا يمكن ان توحي بأدب مشرق وشعر نابض بالامل والحياة .

ولكن أحداث الشهر المنصرم (شهر تشرين الاول) بعنفها وقسوتها ، بدمائها وشهدائها ، بما أحدثته من هزة في العالم من أقصاه الى أقصاه ، أزالت الضباب عن الحاضر والمستقبل ، وفندت الفرضيات السابقة وثبتت مكانها حقائق لا تدحض .. اولها اننا نمتلك أثمن ما في العالم اليوم ، نمتلك دمه وطاقته على البقاء وهو النفط ، وأنه يكفي ان نلوح باستعمال هذا السلاح لكي تهتز اكبر الدول الصناعية واكثرها بطشا وجبروتا وتلتمس رضى العرب وصداقتهم . وان اليوم الذي كانت تستطيع فيه الدول الاستعمارية الكبرى فرض ارادتها بالعنف والقوة قد ولى دون رجعة ... وثانيها ان البشرية التقدمية كلها معنا وهي قوة هائلة لا يمكن ان يستهان بها ... وثالثها ان طاقات شعبنا على القتال والصمود هائلة جبارة لا يمكن ان تقف عند حد ، وان بامكانها ان تحقق النصر الكامل ان لم يكن اليوم فغدا اذا توفرت لها القيادة الصالحة والامكانات اللازمة ... ورابعها ان قوة عدونا خرافة حاولت الدعاية الاستعمارية الصهيونية اقناعنا بها .. وان عشرة ايام من القتال كانت كافية لان يتهاوى على ركبتيه من الاعياء ويتهالك في طلب ايقاف النار ليلتقط أنفاسه ويستعيد قواه المتصدعة .

ان الحقائق الجديدة التي كشفت عنها أحداث الشهر المنصرم قد غيرت خريطة المستقبل في انظار العالم كله ، ولا سيما في انظار الجماهير العربية ، بل لا نبالغ اذا قلنا ان مصير اسرائيل ، الدويلة المصطنعة ، العديمة الموارد ، القائمة أصلا على الغصب والعدوان والعون الاستعماري ، قد تقرر منذ الآن بشكل واضح لا مجال للشك فيه .. ومهما يبدو في قولنا هذا من تفاؤل فان دراسة معمقة لمعطيات شهر تشرين الاول ذات الدلالات الكبيرة والظروف التي تلتها لا يمكن الا ان توصلنا الى هذه النتيجة ..

ومع انجلاء ضباب الاوهام والخرافات الذي سيطر على الجو النفسي والفكري الذي ساد بعد نكسة حزيران ، وانكشاف المستقبل على حقيقته امام الافكار والانظار .. فان انطلاقة فكرية وفنية وادبية لا بد ان تكون على الابواب في العالم العربي .

وكما اننا امام منعطف تاريخي في حياتنا السياسية ، فان هذا الانعطاف لن يكون أقل أهمية في حياتنا الفكرية والفنية والادبية . واذا كان الجيل القديم سيجد صعوبة في التكيف لمعطيات الظروف السياسية والنفسية الجديدة ، فان الجيل الجديد سيحمل دون شك راية الفن الجماهيري الجديد ، فن الثقة بالنفس ، الثقة بالشعب ، الثقة بالمستقبل .. فن القوة والعزم والتفاؤل .. فن المنتصرين لا فن الخائبين المندحرين ..

بغداد **صلاح خالص**

محمد الجزائري

الجبهة ساخنة أيها المثقفون

ساخنة هذه الايام .. وساخنة هي جبهات القتال ، فعلا ..
لكن فرح القتال يورق في قلوب ابناء الشعب ويزهر فيضا من الاصرار والحماس والوعي .
صحيح ان الايام التشرينية كان لا بد لها ان تكون بداية البرد ، في المواسم التقليدية ، لكن هذا الموسم لم يعد تقليديا ، وظلت أيامه حارة على الطبيعة ، وزادت حرارتها بفعل المعركة الضارية علىجبهات القتال .. في سيناء والجولان والعرقوب ، وكل الارض العربية .
ان حرارة هذه الايام أوشكت ان ترتدي نفسها بشكل مضاعف : القتال له حرارة الدم ، والاخبار ساخنة هي الاخرى .

فماذا نعمل ـ نحن المثقفين ـ ازاء اروع مشهد من تاريخالحرب العادلة الذي تصنعه بطولات جنودنا وضباطنا البواسل ، والـــذي تعمق واكتسب أهمية استثنائية بفضل ســـلاح النفط الذي شهره عراق الثورة بتأميم حصة اميركا في شركة نفط البصرة ؟
أيها المثقفون : هل نرتدي الكلمات ؟ ونتبادل « التصريحات » العاطفية ازاء سير المعركة ؟

ان سخونة الانباء تطغي على كل القصائد والتصريحات وتـوشك البنادق والدروع ، والعبور الفخر للقناة ، والطائرات ان تغنـي ، بل هي تغني بالفعل ، أروع من كل كلماتنا .. حتى شجرة الليمون التي ذبلت جذورها منذ أمد في حيفا ويافا .. عادت لتورق مـــن جديد ، وظل الزيتون في كل البيارات ينادي الاهل ان تعالوا .
اذن أية ذكرى نسقطها من التاريخ على الحاضر ، لنفيد منها وماذا ندرس في خط وجند ودفاع ومعركة البسالة هذه الايام..؟
فازاء أول « فرصة » حقيقية للقتال ، برهن الجندي العربي على شجاعته التقليدية الخارقة ، وعاد قادتنا المنتصرون عبر تواريخهـم الماضية ، يتنفسون ، تحت تراب قبورهم ، هواء الحرية والفخـر من جديـــد .
وعاد شرف القتال الىالمواقع التي كاد المدفع فيها ان يصدأ ..
مرة اخرى،جرى ماء القتالنقيا مطهرا مـــن رجس الصهاينـة ، بعد أن تعطرت فيه وعطرته الاجساد السمر العربية وهي تحمـــل صواريخها بثقة ..
اذن نحن امـام سخونة الاشياء نتساءل :
ماذا نعمل كمثقفين ؟
ـ التجنيد الفوري ، التطوع العسكري ، في صفوف المقاومة ، في خطوط الجبهات الداخلية ، التخندق في الخطوط الامامية ..
... أم ماذا ؟
كل ذلك مشروع ومشرف .
فاذا كانت جبهات خطوط النار تحتاج الى مقاتلين مدربين ، فحري بنا ان نتجاوز صمت مكاتبنا ، وأزيز أقلامنا غير المسمـوع حتى على الورق ذاته !
النفط برهن على قدرته في التحرك ..
البنادق برهنت على قدرتها في التحرك ..
الاعلام لا بد ان يكون جديدا ، كذلك ما نكتب ..
اذن .. امامنا شوط ليس باليسير قطعه . انه ترصينالجبهة الداخلية ، متابعة تحركات الرتل الخامس ، امامنا الاشـــاعات ، حرب العدوان النفسية ، امامنا نظريات العدو وقدراته الاخرى .. امامنا ، باختصار ، جبهة الاستعمار والصهيونية والرجعية والرتل الخامس ، وضعفاء النفوس ، والانتهازيون و ... اذن ، كثيـــرة هي مهامنا .
وبما ان الطريق الى فلسطين الذي يبرهن انه يمر من فوهـة بندقية ، فان الطريق الى العمل الحقيقي في جبهات القتال العسكرية والفكرية والسياسية والاقتصادية والنفسية لا بد ، بل وبالتحتيم والضرورة ، ان يكون عبر التنظيم السياسي الاوسع والاكثر تأهيلا لضم كل قوى الشعب الخيرة ، وكل فصائل الحب والخير والجمال، وكل الناس الشرفاء في وطن التأميم والجبهة ..
ان هذا التنظيم هو : الجبهة الوطنية والقومية التقدمية .. الضرورة التاريخية التي نبعت من حاجة موضوعية وماسة في ظرفنا الراهـن .
انني أدعو لمواجهة العدوان والاسهام الفعال في المعركة ان يتم اعداد فصائل الشعب كلها ، ليكون الشعب مقاتلا بالبندقية والكلمة واليقظة والوعي الثوري والنفط والتضحية وبذل الدم ..
فان الجبهة ساخنة فعلا ايها المثقفون .

الجمهورية
١٦ تشرين الاول

عبد الرحمن الربيعي

أيها الوطن الكبير .. صغ المآثر

ذلك العبء الثقيل الذي رزحنا تحتـــه زمنا ، ذلك التعب المستديم لم يدع عيوننا تغمض بايمان .. ها نحن ندينه ونذله ليعلو الصوت المخبوء في أروقة السجون وقيود المشاريع الاستعماريـــة ومؤامرات الاعداء ، ها هو الصوت المخبوء يردد كل ما ادخره من كلمات الحماس والثورة ، وها هو يحيل هذه الكلمات الى افعـــال وانجـــاز .

لا أدري في أي وضع انا الآن .. لا ادري أية مشاعر أطيـــق سكبها .. ولكنني أعرف تماما بانني في وضع آخر .. يد عـــلى القلب ، وفرحة يخاف القلب ان يطلقها كلها .. ولذلك ظلت تـدور في أقبيته ، تهدر مع انطلاقة الدم في عروقه ..

لكل شيء اليوم طعمه الجديد ..

لقد كثر الحديث عن أمة المئة مليون ، عن صمت هذه الامة ، عن حزنها ، ولكن الذين تحدثوا عن ذلك نسوا ان هذه الامـــة ، ما صمتت يوما الا بحثا عن الكلمة المناسبة . وما حزنت يوما الا وكان حزنها وعدا بفرح كبير ..

نسوا كل ذلك ، وكان على رجال هذه الامة ان يذكروا ، وان يفعلوا ، وان يتحركوا .. وها هم يفعلون ذلك ، ها هم ..

أيها الوطن الكبير .. الواسع والعظـــيم .. ها أنت ترفـع جسدك العملاق وتبدأ مسيرة الفعل والانجاز ، والورم الطفيف الذي يلتصق في بقعـة نقية منك لم يستطع غلب جسدك العمـــلاق وانـه قاض عليه لا محالة .

أيها الوطن الكبير .. بدأنا نسمع نشيدك .. بدأنا نصغي الى وقع كلماته العظيمة المفعمة بالنضال والامجاد .. فيه امتزج صـوت خالد بن الوليد .. بطارق بن زياد .. بشهداء الجزائر .. بثوار العشرين بأطفال كفر قاسم .. انه الصوت العربي الواحد المحمـل بالثار والنضال .. بالامل والغد .

أيها الوطن العظيم ، ها نحن نسمع المزيد من ردودك .. المزيد من انتصاراتك ، من ضوئك .

وهنا .. معا نحن نسمعك جوابنا .. معا نحن نعلن تأميمـــا آخر ، ونقطع شريانا جديدا في جسد أعدائك .. نقطع عنهم موارد الحياة والبقاء ، ليستهلكوا ما بقي فيهم من دم فتخر أجسادهـــم المتفطرسة تحت زحف أبنائك .

أيها الوطن الكبير .. صغ المآثر .. واصنع لاعناق الاجيـــال أوسمة وقلائد اخرى ، رائعة وثمينة ، روعة الشهادة في محرابك .

الجمهورية
١٢ تشرين الاول

لحظة الاختبار

في يوم مضى قرأت قولا لاحد الادباء التقدميين يقول فيه : ((لقد كتبنا كثيرا عن الحرية ولقد آن لنـا ان نختبر ايماننا بها)) . هـــذا القول بقي عالقا في ذاكرتي وهو الذي يضع دوما موافقي على طاولة الحساب في اللحظات الحاسمة . وأضيف هنا وأقول : ان الكلمة تصبح مهمتها ثانوية في ساعات الحسم ، وكلنا نتذكر كيف ترك الادباء التقدميون في العالم اوراقهم ومحابرهم ليحملوا البنادق بدل الاقلام. في باريس وموسكو وفيتنام وفلسطين وافريقيا ، نتذكر ســارتر وألبير كامو وأندريه مالرو وغيرهم . واليوم تبدو الكلمات هزيـــلة وشاحبة ، ومهما ملأناها بكلمات الثورة والحماس تظل باهتة لا معنى لها . في المعركة يجب ان نكون في الساحة ، وان نكف عن الثرثرة وتسطير التحليلات ونحن وراء مناضدنا . نشرب الماء المثلج ونقـرأ الصحف بلا مبالاة .

اننا أناس عاطلون لا نعرف كيف نضغط على زناد بندقية ، وبدلا من ثرثرتنا العريضة لنطالب بتدريبنا على السلاح والذهاب الـــى الساحة . انها مرحلة الاختبار التي حددها الكاتب التقدمي الـذي ذكرت رأيه في المقدمة . يجب ان نكون في الساحة ، وعندما تمتلىء آذاننا بدوي الرصاص ، وتضغط أصابعنا على أزندة البنادق برجولة وايثار ، آنذاك ستكون الكلمات التي نسطرها كبيرة وعظيمـــة ، والا فهي لغو وهراء .

الف باء
٢٤ تشرين الاول

علي جعفر العلاق

زمن الرصاص الدمشقي

انها وردة
لدمشق ، وثانية
للعصافير تنزف بين المدافع ،
.. يحضرني ،
من دمشق ، العشية ، اعشابها
نبضها ، قاسيون المحاصر بالريح،
والمطر العربي ،
.. دمشق ، العشية ، تفتح بابين :
واحدة لليتامى ،
واسرى الحروب المباغتة ،
ابتسمي ، يا دمشق الرشيقة
ها ان هانوي ،
تحمل ما بين قمصانها وردة ،
من شظاياك ، مبتلة ،
بدماء العصافير ، والنيل الآسيوي،
وها ان ..
سيدتي ،
اطمع ، الآن ، أن تفتحي خندقا
ليس يدخله ،
غير عشاقك ، الفقراء ، المهانين ،
ان مجانينك الفقراء
سادة ،
ينتمون لاسمائهم ،
ومجاعاتهم ،
وهوى أمة في العراء ،
سادة ..
للمساكين ما بين كفيك منشفة
تسترين بها عري هذا الزمان الذي،
هدّه النزف ،
هذا الزمان الذي ،
يجلس ، الآن ، في الهضبات الجريحة
يملأ أكمامه
بالرصاص الدمشقي ،
.. قولي
لهذا الزمان الجديد : اقترب
ان أبنائي ، الآن ، يشتعلون
على طرف الارض ،

يبنون خارطة الفقراء الجديدة ،
خارطة ،
للرصاص الدمشقي ،
.. قولي
لهذا الغبار الجديد : اقترب
للرصاص الكئيب : اقترب
ان ابناءك ، الآن ، يفتتحون على
الارض بابين :
واحدة لليتامى ،
واخرى ..
دمشق ، الزمان الجديد ،
الغبار الجديد ،
دمشق ، العشية ، نافذة
يعبر ، الآن ، منها المساكين ،
تعبر منها الطيور ،
الرصاص ،
المياه ،
ودمشق ، العشية ، متكأ
للحياة ..

وردة
لدمشق ، وأخرى لاوجاعها ،
عشبها ، قاسيون المحاصر
بالريح ،
سيدتي ،
يا دمشق الوحيدة كالبدر
كوني التي توقظ الماء ،
في الشجر العربي
الذي اصفر مذ لحظة الغزو ،
.. سيدتي ،
يا دمشق الوحيدة ،
هذا زمان المباغتة ،
النكبات ،
الفضائح ،
هذا الذي يملأ ، الآن ، أكمامه
بالرصاص الدمشقي ،
.. انت الطريق الذي

يربط الحلم بالحلم ،
أنت ، العشية ، أشهى
من الماء في الثكنات ،
واشهى
من النوم فيها ، العشية ، أنت الوحيدة
سيدتي ،
يا دمشق ،
.. سيذكر هذا الزمان
بأنك أول من خط بالنار اسماء
أشجاره ،
وموانئه العربية ،
أول من يبدأ الحرب
من جبهة الفقراء ،
.. ويذكر هذا الزمان ،
مسائل اخرى :
بكثرة ما تترك الحرب من خوذ ،
وأغان ،
وأحذية ،

ومساكين ،
.. ان دمشق ،
آخر العائدين من الجبهات
آخر المتعبين من الحرب ،
ان دمشق الوحيدة ،
آخر من يترك الجثث ، الفوهات
العريضة ، والعربات
مخبأ للعصافير ،
والمطر المر ،
.. ان لها ،
لدمشق الكبيره
خلف كل البيوت دمشق ،
وفي ظلمات الموانئ الصغيره ،
عاشقا ،
ودمشقا مثيره ..

بغداد

ماجد السامرائي

صوت المعركة وصوت الرجعية

في الساعات الراهنة التي تشتد فيها نيران المعركة القومية.. معركة الجماهير العربية ضد العدوان الصهيوني .. في هذه الساعات التي ضغط فيها المقاتل العربي على زناد مدفعه ، ووجه قذائف طائراته نحو العدو الذي اغتصب أرضه منذ خمسة وعشرين عاما وأضاف اليها أرضا جديدة منذ ست سنوات ..

في هذه الساعات التي مزق فيها الانسان العربي أكفان اليأس والخيبه التي غلفته بها نكبة ١٩٤٨ ونكسة حزيران عام ١٩٦٧ .. وقف هذا الانسان اليوم رافضا الاستمرار في تجرع مرارة النكسة.. وقد عرف ان طريق الرفض لا يمكن الاستمرار فيه الا بالدم .. فتشوق الى تقديمه سخيا من اجل مواصلة هذا الطريق .

وهكذا كانت البداية يوم السادس من تشرين .. حين انطلقت رصاصة الرفض للاحتلال ولكل مخلفاته .. وتوسعت دائرة الرفض هذه لتشمل ارضنا العربية كلها .

لقد ازاحت معركة العرب الراهنة من سماء وطننا الكبير كل سحب الكآبة والخيبة والانهزام .. واعتلى هذه الارض دخان المدافع العربية ممزوجا بغبار التراب العربي الذي يتمخض الآن عن ولادة مشرقة جديدة .

والمقاتل العربي الذي يغسل اليوم بدمه في كل ساعة بقعة جديدة ، من ارضه التي دنستها أقدام المحتلين .. يعلم ان الرصاص الذي يتلقاه في أفران المصانع الاميركية من جراء تدفق نفطنا وثرواتنا الى تلك الدولة الامبريالية .

ومن اجل ذلك وفي سبيل تعزيز أقدام المقاتل في المعركة أممت ثورة السابع عشر من تموز النفط في الاول من حزيران وفي السابع من تشرين .

واليوم ترتفع أصوات هنا وهناك تستفهم وتستفسر عن كيفية استخدام سلاح النفط في المعركة . وهذه الاصوات مصدرها بالطبع بعض الانظمة العربية الرجعية التي آثرت الصمت ، ووضعت اصابعها في آذانها لكي لا تسمع دوي القنابل وهدير الطائرات وزحف الرجال نحو العدو الغاصب .. راحت هذه الاصوات تطلب المشورات والمعلومات والكيفيات التي من خلالها يمكنها استخدام النفط كسلاح في المعركة .. وكانها معزولة عما حدث وما يحدث الآن على الساحة العربية ..!!

لنقف قليلا عند هذه اللعبة الجديدة التي نسجت الرجعية خيوطها بذكاء مواكب لطبيعة الاجواء القتالية التي تعيشها الجماهير العربية الآن . ولنطرح السؤال التالي على تلك الدعوة وتلك الإستفسارات المشبوهة :

الم يكن تاميم النفط في العراق كافيا في اعطاء الجواب العملي الواضح لمن يريد السير في طريق استخدام النفط في المعركة ؟ لا يمكن ان يختلف اثنان في ان تجربة العراق في التأميم هي نموذج ثوري متقدم وناجح في الانتصار على الامبريالية واحتكاراتها .

ان المشاورات والتساؤلات التي تديها الرجعية العربية لا يمكن ان تكون من قبيل محاولات التشبث في الطريق السوي .. بل هي محاولة لاستنزاف التفجر الجماهيري الذي تعيشه الساحة العربية الآن . هناك حقيقة واضحة تعلمها الصهيونية والامبريالية.. وتعلمها الرجعية العربية ايضا ، هي ان المعركة القومية اذا ما استمرت وتوسعت جبهاتها ودخلتها كل الجماهير العربية بشكل فعلي ، فانها ستلحق الاضرار الكبيرة بالاستعمار وبالكيان الصهيوني وتنهي وجوده من الارض العربية .

الثورة
١٩ تشرين الاول

مواقع أقدام على أرض مأهولة بالسكان

— ١ —

عرف العالم ، منذ بدء التاريخ حتى اليوم ، قوانين كثيرة .. ما يتردد منها على ألسنتنا ، نحن الشغيلة في ورشة الكتابة ، هي : قوانين الحجر الفكري ، وقوانين مصادرة الحرية ، وقوانين حظر الكتابة وتجفيف الاقلام .. أضيف الى قاموس القوانين هذا قانون جديد ، دولي المعنى والصفة ، هو : « قانون تقييد أيدي الثوار » ، أو « قانون قمع مجابهة العدو » .

وقد وجد هذا القانون « مكانته اللائقة » في الصفحات « الشاغرة » من قواميس هواة تعقب المصطلحات ، الذين راحوا ، وعلى التو ، يكتبونه بالحروف الكبيرة على صفحات كانت أرضيتها الفعلية خارطة الوطن .

لهذا القانون الجديد بنود كثيرة ، تحمل تميزها الخاص بها بين جميع القوانين المعروفة في هذا العالم الضيق .. ولعل أبرز هذه البنود :

— تعليق يد المقاتل بحيث لا تستطيع الاقتراب من زناد السلاح ..

— كبت النار في أحشاء المدفع ، على الرغم من توهجها في صدور من يقفون وراء هذا المدفع ، توهجا يكاد يحرق صاحبه .

ـ توجيه فوهات الاسلحة اما الى السماء ، حيث الفراغ المطلق، واما الى صدر الارض حيث العمق الذي لا ينتهي الى قرار ..

ـ تحويل المواضع الى قبور او مساكن ـ لا فرق ! ـ يقبع فيها اناس يريدون الحياة ولا تتاح لهم بالصيغة التي يريدون .

ملاحظة على الهامش :

.. وفي هذه الحالة تتساوى اشياء كثيرة : البارود والرمل . النار والماء . الانسان والحجر . السلاح واخشاب سقف المنزل او قطع الاثاث . الدبابات الضخمة وأية منحوتة في متاحف الآثار .

استنتاج :

لقد اثبت العلم ، منذ زمن ليس بالقريب ، انه « يمكن الاستعاضة عن كل كمية بما يساويها » .

ـ ٢

رغم انهم اذاعوا في البلاغات ان « قانون قمع مجابهة العدو قد وضع موضع التنفيذ » ، فانني ، وبهاجس طفولي ، ربما ، او جنوني ـ من يدري ! ـ أيقنت ان هناك أيديا لم تقف .. وحين سحب منها السلاح راحت تبحث عن شيء آخر تستخدمه : حجارة متطايرة من أحد المنازل المنسوفة .. عظم من جثة شهيد عربي ترك مكشوفا في العراء منذ عام ١٩٦٧ .. حفنة رمل تشبعت بدم الشهداء . اي شيء يقع امامها لتقذف به في اتجاه العدو .

وتساورني موجات الجنون : أتوقع كل هذا .. كل جنون الرغبة في القتال .. كل الهيام بالارض وبأسلوب استعادتها .. وما يزيد في جنوني اكثر هذه الصورة التي تلقيها الصحف امامي ، فتمزقني : هذا الجندي العربي الذي ما ان حرر أول متر من ارضه حتى انكفأ عليه يقبله .. لعله كان يعلمنا شيئا عن قيمة التراب ـ الارض .. وكأني به اليوم يطرح السؤال امام هذا الحشد المعطل ـ بكسر الطاء ـ أتعرفون ما قيمة التراب ؟؟

ـ ٣

يبدو لي اليوم ان المعادلة في أيدينا قد تغيرت .. فما عادت الاشياء محاطة بما يحجب الرؤية الكاملة عنها .

بعد حزيران هبّ « الفرسان » من كل حدب وصوب .. أقاموا في سرادقات الشعر أشنع المآتم .. وطاحوا بالامة وبالشعب ضربا أعمى بكل ما تهيأ لهم وما لم يتهيأ من هراوات الخطابة ، وسياط البلاغة .. ودقوا أسافين الكلمات الفضفاضة في كل موضع من الجسم والضمير .

هذا طرف في المعادلة كان .

وظلت المعادلة بعيدة عن كل موجبات « الفرض » او «المنطوق» . واليوم قد وجدنا ما كان ضائعا من هذه « المعادلة الصعبة » ، رغم اننا كنا ، منذ البداية ، قد شخصناه . الا ان « تهريج المنابر » وأبواق الاذاعات المزهوة بالهزيمة قد طمست كل ما يمكن ان يخالف بشيء « الحقيقة » التي بها كانت تقول .

شعب ملغوم بفعل القتال .. وأمة باحثة عن طريقها .. وقد تفجر اللغم ، وبدأ الطريق .. فلماذا تعطلت المسيرة ؟

سؤال صعب .. أليس كذلك ؟
.. ولكنه قلب أمامنا شكل الهرم .
فماذا ستقول المنابر ؟
وبماذا ستزعق ابواق الاذاعات ؟
انه لسؤال أصعب بكثير من سابقه !

ـ ٤

ستظل الشمس تشرق ، والارض تدور ، والنساء تنجب .. وتبقى الحقيقة مؤسسة مجدها في كل ضمير .

ويبقى شريط من ذكريات وصور مرة ينمو ويكبر في اذهان ونفوس اطفال العرب : (نسف المنازل .. التهجير والتشريد .. حروق النابالم المطبوعة على الاجساد .. زملاء مدرسة بحر البقر) .

وفي الجانب الآخر تكون « الحروف المربعة » (الحروف العبرية) مماثلة للصليب المعقوف ، علامة « النازية الجديدة » التي تستوطن الارض ، وهيهات ان تستوطن النفس .

ـ ٥

أمني النفس ان اسمع يوما ما عن« نفق سري » تحفره أيدي المقاتلين المحظورين عن القتال ، بدءا من مواقعهم حتى مواقع العدو ، فيشنون عبره حربهم السرية التي تتجاوز عيون مراقبي خطوط « الهدنة الجديدة » .

مجرد حلم .. ربما سيدور في أذهان الكثيرين ..
فهل عجز منا ان نحلم ؟
انها القدرة الوحيدة الآن .

ملحق الجمهورية
٣ تشرين الثاني

غازي العبادي

وجه الحقيقة العربية

بين الخامس من حزيران عام ٦٧ والسادس من تشرين عام ٧٣ مسافة طويلة من الحزن القائم قطعناها بمرارة امام واقع النكسة الرهيبة التي منينا بها .

لقد أريد لنا ان نسقط في دوامة اليأس والدهشة ! أهكذا حقا ، غدا العرب في هذا العصر ؟ وبهذه الهشاشة ؟ كيف اذن نجابه العالم بعد اليوم ؟ كيف اذن نجتاز السد العظيم ، الغطرسة الاسرائيلية المدعومة من قبل الامبريالية العالمية ؟ فخلال ربع قرن من الزمن عملت الدعاية الصهيونية على تصوير العسكرية الاسرائيلية بالقوة التي لا تقهر !

وعندما جاء الخامس من حزيران بوجهه الكالح المشؤوم كانت نفوسنا قد امتلأت حتى الاختناق بهذا التصور الخاطىء !

وكان البعض قد حدد موقفه مسبقا من المعركة ! الوقوف بوجه اية دعوة للتفاؤل ، وحاول قدر الامكان ان يصور للشعب العربي بأن للعالم بابا واحدا فقط هو الباب الذي يمكن ان نطل منه على اميركا لاكتساب رضاها وصداقتها ، وبذلك فقط نحرز الارض السليبة !

وكان لا بد من دعوة رائدة تجابه هذا المنطق المتهافت ، فكان صوت عراق الثورة الذي ارتفع بوجه كل الدعاوى الانهزامية يقول : لا للاستسلام ! وهكذا تغير الموقف وتريث الداعون للاستسلام ! والصوت الذي كان يدعو للهزيمة غطى عليه صوت اقوى يدعو للقتال ، للحرب الشعبية الطويلة الامد ، ولضرب المصالح الاميركية والامبريالية التي تساند العدو الصهيوني فوق الارض العربية . وقد تطلبت هذه المعركة من الثورة في العراق حوالي خمس سنوات كاملة لكي يقتنع الآخرون بمنطق الثورة المقاتلة .

واليوم وبعد ان ابتدأت حرب التحرير العربية وقد عادت الثقة المطلقة تملأ نفس المقاتل العربي وسقطت دعاوى الصهيونية العنصرية حول تخاذل الفرد العربي وتخلفه عن روح العصر ، نرى هذا العدو نفسه يفتتح مكاتب خاصة للاستشارات النفسية تعمل لاربع وعشرين ساعة في اليوم الواحد لتقديم النصائح للصهاينة المنهارين نفسيا بعد ان تطورت الاحداث وانكشفت الحقيقة وظهر وجه الفرد العربي على حقيقته كمقاتل جيد والذي عرف به منذ ان كان جواده الريح حتى امتطائه متن التكنولوجيا العسكرية الحديثة !

وهكذا وبضربة قوية سقطت كل الدعاية الصهيونية ، وانهارت تماما وسقط فوقها أقدام الجنود العرب الذين يقتحمون رمال سيناء التي حاول الصهاينة تحصينها ضدهم وتحويلها الى متنزهات وأماكن سياحية تتمتع بها عجائز الاميركان الثريات المسنات المصابات بالروماتزم !

لقد انهارت كل النوايا الشريرة التي أعدتها الصهيونية للامة العربية واختفت الى الابد أغاني الحزن والاسف والبكاء .

فالجندي العربي حين يمشط رمال سيناء شبرا شبرا من آثار الاقدام الهمجية من لصوص العصر وبرابرته ويستبسل في ذرى المرتفعات مستميتا في الدفاع عن كل صخرة انما يعطي الدليل القاطع على بطلان الدعاية الاستعمارية والعنصرية ـ الصهيونية .

والدليل ما يجري اليوم في ساحات القتال : ساحة فيتنام وجنوب شرقي اسيا ، ساحة افريقيا ، والساحة العربية .

وهكذا ، فان الفرد العربي الذي يمتلك سلاحا متطورا وقيادة مخلصة لارادة القتال وخططا موضوعية لن تعوزه ابدا الشجاعة والجهد المطلوبان لتحقيق النصر !

واليوم عندما يعمل الفرد العربي بسلاحه المتفوق على ردم هوة اليأس والتشاؤم والتخاذل في نفوسنا فانه يمسح عن شفاهنا مرارة الهزيمة التي حاول الاعداء ، ومن كل الهويات ، ان يجعلوها قدرنا الملازم طوال سنوات النكسة .

معد الجبوري

للصورة لون اخر

أعترف ـ الساعة ـ
اني كنت بكيتك يا وطني ،
حتى ابيضت عيناي ،
فألغيت قراءة كل مواعيد البرق بعينيك ،
وحين طلعت معي من حلقات الندب ،
وقفت ،
وأحصيت امامك سقطاتي
ولذا ، أعرف ان الصورة ،
بين حزيران وتشرين
أعمق مما بين الجرح وبين السكين

* * *

تشرين :
فوهات مدافعنا ليست أعشاشا للطير .
ومواقعنا ليست حائط مبكى لحزيران

* * *

تشرين :
المدن العربية ليست أرصفة ،
لوجوه المنتظرين

* * *

قلتم :
« كان الدم محتقنا في الاعراق ،
الدم في رحم الجرح المقفل محتقن »
لكني أنبئكم ،
اني في تشرين رأيت الدم يورق ،
بين رمال الصحراء
قلتم :
« كان العطش المتداخل في العظم ،
يسد طريق الرؤيا »
لكني أنبئكم ،
اني في تشرين رأيت الماء
يتدفق بين أكف الجند الممتدين .
من الجولان الى سيناء

* * *

تشرين :
آخر ما يسقط من تقويم الاحزان

رشيد ياسين

سلاح النفط وقومية المعركة

« لا ينبغي ان يعتبر النفط اثمن من الدماء العربية » .

هذه العبارة التي قالها الرئيس العراقي احمد حسن البكر منذ يومين اوجزت ، بمنتهى البلاغة ، الخيار الذي تواجهه دول النفط في العالم العربي : ان تبادر فورا الى قطع شحنات النفط عن حلفاء اسرائيل ، وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الاميركية بالطبع ، او ان تشارك بصورة غير مباشرة في اراقة المزيد من الدماء العربية ! .

وامام خيار كهذا هل يحق للمترددين ان يدعوا انهم يقومون بدورهم في المعركة ، وهل تغني عن قطع النفط مساعدات مالية وطبية تقدم الى هذه الجبهة او تلك ، او قوات رمزية تشترك في القتال ؟!

ان العلاقة بين تدفق النفط العربي الى مستودعات الاعداء وبين تدفق الدم العربي على خطوط القتال وفيما ورائها علاقة ظاهرة ، متعددة الجوانب . ولعل أقرب هذه الجوانب الينا في هذه اللحظة واشدها ايلاما ان الطائرات الاميركية التي خفت لنجدة الطيران الاسرائيلي المهيض الجناح انما تستمد وقودها من آبار النفط العربية ، فليس معقولا ان يستورد الاسطول الاميركي السادس، الذي يحل ـ بصفة دائمة ـ ضيفا ثقيلا على البحر المتوسط ، وقوده من آبار تكساس ! واذا وضعنا جانبا كل تلك الارباح الاسطورية التي امتصها تنين الاحتكارات الاميركية من باطن الجزيرة العربية ، والتي تحول قسم منها الى طائرات فانتوم وقنابل نابالم في ايدي القتلة الاسرائيليين ، فان قطع النفط عن الولايات المتحدة والمانيا الغربية في هذه اللحظة بالذات سيوقع الهلع والارتباك في الاوساط الحاكمة في واشنطن ، وسيجعل حكام بون ، الذين يرقصون على اكثر من حبل واحد ، يفكرون طويلا قبل ان يسمحوا بشحن طائرات الفانتوم الموجودة في المانيا الغربية الى اسرائيل التي بات سلاحها الجوي « خردوات » مبعثرة في أصقاع مختلفة من الارض العربية .

ويكذب كيسنجر حين يتظاهر في مؤتمره الصحفي بان قطع النفط العربي عن اميركا لن يغير من موقفها ازاء اسرائيل . فاميركا ـ كما يعترف خبراؤها بالذات ـ لن تستطيع الاستغناء عن النفط العربي قبل مضي عشر سنوات على الاقل . واذا ما بادرت الدول العربية المعنية الى قطع النفط عنها فورا فان هذا لن يحد من تحركها العسكري ضدنا وحسب ، بل سيحرم الفرد الاميركي من وسائل التدفئة الكافية ويضطره الى ارتداء معطفه داخل المنزل ، وما اظنه مستعدا لتحمل هذا الغرم الفادح مقابل ان يتاح لاسرائيل ان تواصل السطو والاغتصاب والعربدة في الشرق الاوسط !

هذه حقائق لم تعد خافية على احد ، ولا سيما بعد الجزع الذي استحوذ على العالم الرأسمالي برمته في أعقاب تأميم شركات النفط الاميركية في ليبيا . من هنا برز الى المقدمة شعار « النفط في المعركة » . واكتسب هذا الشعار صفة ملحة بعد ان اشتعلت النار ، التي انتظرناها طويلا ، في سيناء والجولان . فماذا تنتظر دول النفط لتضع في أيدي مقاتلينا البواسل هذا السلاح المرهف ؟!

لقد اعلنت بعض هذه الدول انها ستقطع النفط عن الولايات المتحدة اذا واصلت هذه تزويد اسرائيل بالسلاح . وها هي وكالات الانباء تذيع ان واشنطن ستعوض الاسرائيليين ، في غضون يومين او ثلاثة ، عن كل ما خسروه من سلاح ، وان اعدادا كبيرة من المتطوعين الاميركيين في طريقهم الى الشرق الاوسط ليشتركوا في القتال ضد العرب . وفوق هذا كله فقد توافرت القرائن على ان سلاح الجو الاميركي يشارك ـ وربما على نطاق اوسع مما نظن ـ في الغارات الهمجية على اراضينا ... فهل بعد هذا كله من مبرر للانتظار ؟ وهل ثمة قيمة تعلو على المصير القومي وعلى الدماء العربية التي خالطت التراب تحت انقاض المنازل الآمنة في دمشق وحمص واللاذقية وبور سعيد وغيرها من المدن التي امطرها عدونا المستكلب بنيرانه ؟!..

مرة اخرى نعود الى موقف العراق الذي كان امثولة رائعة للالتزام القومي الحق والانسجام الكلي بين الشعارات المعلنة والممارسة الفعلية . فقد اعلن العراق انه يضع جميع امكانياته في خدمة المعركة ، ويشهد الدور الذي لعبته القوات العراقية وما تزال تلعبه في جبهة الجولان وفي سماء سيناء وبقية الارض المحتلة بان العراق رمى في المعركة فعلا بكل ثقله العسكري .. وكان العراق سباقا الى استخدام سلاح النفط عندما بادر الى تأميم حصص الشركات الاميركية في شركة نفط البصرة .

بقي ان يفعل الآخرون بعض ما فعله العراق فيبادروا ـ على الاقل ـ الى قطع النفط عن الاعداء ، اذا لم تواتهم الجرأة على تأميمه نهائيا . وعند ذلك فقط سيدفعون الظنون عن صدق عروبتهم ، وسيكون لهم شرف الاسهام في تحقيق النصر .

المحرر
١٦ تشرين الاول

بداية النظر الستراتيجي

الا ، وقد اجترح جنودنا ما يشبه المعجزة حين عبروا القناة ودكوا خط بارليف الحصين ، وخاض مقاتلونا في سيناء والجولان ملاحم قال عنها الخبراء العسكريون الغربيون بالذات انها من اعظم معارك المدرعات في التاريخ ، نقف نحن ، الذين اصطلح على تسميتنا بالادباء والكتاب ، ذاهلين وقد باغتتنا الاحداث ، تماما كما باغتت المراقبين الاجانب الذين لا يعرفون من واقعنا الا قشرته الخارجية !

لقد طرق دوي المدافع أسماعنا ونحن عاكفون على كتابة « بكائيات حزيران » فانتفضنا وفركنا عيوننا دهشة ، وتطلعنا الى الافق الذي جرفت غيومه فجأة موجة كاسحة من النار ، وتساءلنا بقلوب لم تخل رغم الفرح الطفولي من بقية شك وخوف : أهذه حقا هي أمتنا ؟ أهذا الجندي الذي يلف جسمه بالمتفجرات ويرتمي تحت الدبابة الاسرائيلية في سيناء هو نفسه الجندي العربي الذي زعموا انه ترك حذاءه وجرى حافيا لينجو بنفسه من نيران العدو قبل ست سنوات ؟.. أهذا الضابط الجريح الذي يتسلل من المستشفى في دمشق ، في غفلة من الاطباء ، ليزج بنفسه في جحيم المعركة من جديد ، هو نفسه الضابط العربي الذي أوهمنا أعداؤنا ــ وأوهمنا أنفسنا ــ انه زاهد في القتال ؟!

أجل ، هذه أمتنا وهؤلاء جنودنا ، ولكننا ــ نحن الذين يفترض فينا ان نكون مرآة لضمير الامة وان نستشف ما يختمر في اعماقها ــ أثبتنا اننا لم نكن غير مراقبين أجانب نرى قشرة الواقع ولا نرى الروافد التي تتجمع في أعماقه ! وانها لشهادة اخفاق محزن لادب أمة ما ان يعجز عن تشخيص هويتها واستشراف منظورها التاريخي من خلال طاقاتها المادية والروحية الكامنة .

في النصف الاول من القرن الماضي يوم كانت روسيا غارقة في التخلف ونظام القنانة ، استطاع غوغول الذي نفذ بعبقريته الى روح امته ان يستشف الدور الذي كانت ستلعبه هذه الامة في تاريخ الانسانية . ويوم كان المحتلون الهتلريون يعربدون في باريس كتب فيركور « صمت البحر » ليؤكد ان روح شعبه لن تهزم . اما نحن فقد كان ادبنا بعد حزيران (معظمه على الاقل) نعيبا موحشا يغذي روح الهزيمة ويشكك الفرد العربي في طاقاته وتراثه وقدرته على مواجهة العصر . وفات ادباءنا ان جوهرنا كأمة اضاءت غياهب العالم قرونا عديدة كان لا بد ان يتألق من جديد حين تزاح عنه اوضار التخلف والفساد والعمالة التي طمسته حينا من الدهر .

فهل ستكون حرب تشرين بالنسبة لادبنا بداية النظر « الستراتيجي » الذي يتخطى النكسات والهزائم العابرة ليستشرف الخطوط العريضة لحركة التاريخ ؟ وهل سيكون ميلادنا الجديد في ضرام المعارك ايذانا بميلاد أدب عربي جديد يستوعب واقعنا بكل أبعاده ويسبق الاحداث بدلا من ان يجري في غبارها ؟!

تلك هي المهمة التي تطرحها الاحداث الراهنة امام رجال الادب والثقافة .

المحرر

٢٢ تشرين الاول

بعد حرب ٦ تشرين

ما من شك في ان حرب تشرين الاول قد وضعت أدبنا على أعتاب مرحلة جديدة ، فما هي المتطلبات التي تطرحها هذه المرحلة امام الادب ، وهل يتوجب عليه منذ الآن ان يتبنى ــ ولو بأعم الخطوط ــ برنامجا واضحا يحدد غاياته ويعصمه من الضياع ؟

في رأيي ان برنامجا كهذا بات ضرورة حيوية . ومن الطبيعي ان مهمة صياغة هذا البرنامج منوطة بمؤتمر يعقده الادباء العرب ، ولكن هذا لا يمنع من ابداء بعض الآراء المستخلصة من احداث الحرب الاخيرة .

وليس الذي يعنينا هنا ما أسفرت عنه الحرب بصورة مباشرة او ما قد تسفر عنه في الغد القريب ، فهذا متروك للمعلقين السياسيين ، بل يعنينا ما هو أعمق دلالة وأبعد اثرا من نتائج الحرب المباشرة ، ونعني صورة الانسان العربي كما أبرزتها ظروف الحرب في خطوط القتال الاماميه وفي المؤخرة على السواء ، وهي صورة تختلف جوهريا عن صورته في الادب الذي درجنا على تسميته بأدب حزيران .

لم يكن أدب حزيران رديئا في جملته ، بل يمكن القول بأنه نجح الى حد كبير في التعبير عن المرارة التي طفحت بها النفوس بعد هزيمة حزيران المأساوية . ولكنه كان أدبا قصير النظر ، مفرطا في التشاؤم ، متحاملا على الانسان العربي . ويصح في هذا الصدد ان نتذكر قصيدة نزار قباني المعروفة « هوامش على دفتر النكسة » التي كانت حجر الاساس في بناء أدب حزيران الموحش . فقد وفق قباني في قصيدته تلك الى تشخيص عوامل الهزيمة واحتج باسمنا جميعا على المهانة التي لحقتنا ، ولكنه نفض يديه من ابناء جيله ووضع آماله في الاطفال العرب الذين توسم فيهم انهم سيغسلون عار آبائهم . ولكن ها هو جيل الآباء الذي كفر به نزار قباني يثبت له انه غالى في كفره وتشاؤمه وان الانسان العربي في أيامنا هذه ما زال قادرا على ان يقاتل وينتصر اذا توافر له السلاح الحديث والقيادة الحكيمة النزيهة .

ما نحتاجه في مرحلتنا الجديدة هو أدب يؤكد القيم الحيوية الاساسية التي يجب ان يتجه النضال العربي منذ اليوم الى توكيدها ، وهي قيم يمكن تلخيصها في بناء مجتمع عربي علماني ، حر ، موحد .

ان ما كان حتى الامس القريب أفكارا مجردة وشعارات قد أعطته الحرب وجودا حسيا يدنيه من اللمس والادراك . فاذا كنا في الماضي نحلم بالوحدة العربية كما يحلم الفقير المعدم بثروة قد تهبط عليه يوما من السماء ، فان اشكال التضامن القومي التي تجلت في حرب تشرين الاول قد كشفت ، بصورة ملموسة ، عن جسامة الطاقات التي تنطوي عليها الوحدة العربية ، وجعلت منها مطلبا آنيا لا سبيل الى ارجائه ، ولا سيما بين تلك البلدان العربية التي لا تشكو تفاوتا ملحوظا في مستوى التطور الاقتصادي او تباينا جوهريا في العقائد .

واذا كانت الدعوة الى « علمنة » الحياة العربية قد ارتبطت حتى الآن بتوق الفئات المستنيرة في العالم العربي الى بناء مجتمع عربي مزدهر متحضر ، فان الحرب قد علمتنا ان تطورنا العلمي ليس ضمانة لمستوى معين من الرفاه المادي والروحي وحسب ، بل هو ضمانة لوجودنا ذاته كأمة ذات سيادة ، قادرة على حماية حريتها وتقرير مصيرها . وبعبارة اخرى فان علينا ان نسعى الى امتلاك التكنولوجيا التي تمكننا ، لا من صنع البراد والترانزستور وحسب ، بل الكومبيوتر والطائرة والصاروخ كذلك . ولا يخطر في بالي سبب يجعلنا نتهيب التطلع الى مثل هذه الآفاق . لقد أخذنا حضارة العالم القديم فطورناها واغنيناها ، فلم لا يكون اسلافنا لنا قدوة ؟!

واخيرا فان المواطن العربي الذي كابد في كل تاريخه الحديث وطأة التسلط والكبح والامتهان ، مهما تفاوتت الدرجات بين عهد واخر وبين قطر واخر ، آن له اخيرا ان يسترد كرامة المواطن وحريته ، وان يتخلص من كل المعوقات التي تلجم مبادرته وقدرته على الابداع .

ان الدفاع عن الوطن مهمة لا يجيدها الا الاحرار وحدهم ، لانك اذ تسلب المرء حريته انما تسلبه وطنه الحقيقي ولا تبقي له شيئا يستهين من اجله بالموت .

هذا ، بكل اختصار ، ما يبدو لي انه مهمة الادب العربي في مرحلته الجديدة ــ النضال في سبيل الوحدة والعلم والحرية .

المحرر

٥ تشرين الثاني

فلسطين

محمود درويش

الخروج الثاني من سيناء

اذهب الى الحرب .. تصل الى الولادة .
والآن نولد ، نتجدد ، ونبلغ عمر الجدارة .
الآن نذهب الى الموت الذي نختاره لنتغلب على الحياة الموروثة .
نقف اليوم لالغاء الهدنة التي عقدناها مع ريح الصدفة .

ننتمي الى العالم حين نخالفه . ننتمي الى حياتنا حين نهددها .
ننتمي الى الوطن حين نستبدل صلواتنا بالقذائف ..
ننفجر ، وننفجر .. هكذا تكون الاعياد .
ونحن الآن في اليوم السابع ، اليوم « فرغ الرب من عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع واستراح » .

بارك الله اليوم السابع . ودمنا يبارك هذا اليوم السابع .
فالآن نرقص الموت ، ونمد يدنا حبلا الى الوطن ، والله يتنازل عن اسمه القديم اليوم ، ويأخذ اسما جديدا هو الوطن . الله هو الوطن ..

نحن الآن في اليوم السابع ، لا نرتاح من العمل ، ولكننا نرتاح من الهزيمة . اليوم عطلة الهزيمة .

نحن اليوم نقشر خرافة العدو ، ونعيد تكوينها كما يريد دمنا .
في البدء ، بدئنا لم يكن القول ولا الفعل — في البدء كانت الهزيمة .

وفي اليوم الاول من هذا التاريخ الذي يكتبه دمنا ، في سفر تكويننا الجديد ، كان عيد الغفران عند اعدائنا الذين لم يكفروا عن خطاياهم ، فقمنا بدلا منهم بالتكفير عن خطايانا بحق الوطن الذي لم يتحرر ، وبحق الطفل الذي لم يولد ، وبحق المستقبل الذي لم يصل . انه يوم غفراننا ويوم جنونهم .

واليوم ، تبدأ الخرافة مرة اخرى في اسبوع واحد تنازلها عن مواقعها . الخرافة تستسلم . ففي هذا اليوم ، اليوم اليوم ، يحتفل الاعداء بعيد ثان في اسبوع واحد هو عيد المظلة : وهو يوم خروجهم من سيناء الاولى .
اليوم خرجوا من سيناء في الاسطورة .
واليوم يبدأ خروجهم من سيناء بقوة الجندي المصري .

التاريخ لا يعود الى الوراء ، ولا يكرر نفسه .
ولكن الذين يربطون مستقبلهم بالخرافة ، ويقلدون الخرافة ، وينتمون الى الخرافة ، ويراهنون بالخرافة — يعيدهم التاريخ الى الوراء ، الى الوراء ، ويجد نفسه مضطرا لتكرار نفسه .
حتى الخرافة تنقلب عليهم .
ونحن نذهب الى الحرب فنصل الى الولادة .

المحرر
١٢ تشرين الاول

نحن نقاتل .. وهم يقامرون

ان تطول الحرب ... ان تطول — معناه اننا قادرون على هزيمة العدو ، بعدما هزمنا الهزيمة في نفوسنا منذ اللحظة التي احتكمنا فيها الى النار .

النار .. النار هي القرار الوحيد ، الوحيد الذي يؤدي تنفيذه الى استرجاع شرفنا الانساني من مهانة ربع القرن .

النار .. النار هي المحكمة الوحيدة ، الوحيدة الجديرة بأن تشرع العدالة بيننا وبين مثل هذا الطراز من الاعداء .

والنار ، هي التجربة الضرورية لاختبار معدن هذا الانسان العربي ، الذي لم يمارس اختباره منذ مدة طويلة ، فكاد يتوحد في الشك .

وان تطول الحرب .. ان تطول — معناه ان تكتمل عملية التحقق من أصالة هذا المعدن ، وان تنضج عملية صهر الانسان العربي في قيم مختلفة وقناعات جديدة .

نحن لا نخوض معركة من اجل انتصار سريع ورخيص ، فمثل هذا الانتصار — اذا كان ممكنا — سيكون ملامسا لممارسة الجماهير وليس معجونا ببخار دمها وتحرر ارادتها .

وان تطول الحرب .. ان تطول — معناه ان تتلاحم عمليتان تاريخيتان : انعتاق ارادة الجماهير العربية في خوض تجربتها الذاتية من ناحية ، واستنزاف العدو وتقليم اظافره من ناحية اخرى .

وان تطول الحرب .. ان تطول — معناه اننا نكسب حليفا قويا

استطاع العدو ـ فيما مضى ـ ان يجنده في قواته القاتلة . هذا الحليف الخطير هو الزمن ، الذي يدفعه طول الحرب وصمودنا من منطقة الحياد الى الانخراط في صفوف جنودنا وشعوبنا . وفي هذه العملية ـ وهي بمثابة نقطة تحول هائلة ـ يأخذ انحياز الزمن الى جانبنا كل الطاقات العربية المتفرجة والسلبية ، يأخذها من مقاعد المتفرجين الى منطقة البركان المشتعل ، فيثبت طول الحرب .. يثبت من جديد وحدة هذه الامة المترامية من طنجة الى عدن ، ويثبت اصالة التحام لغتها وتراثها وترابها واحلامها .

وان تطول الحرب .. ان تطول في المكان والزمان ـ معناه ان نعتاد مرافقة مجرى التاريخ ، وان نعرف ان لا شعب ... لا شعب عبر التاريخ قادر على الانتصار بلا تضحية وبلا ثمن ، وان المعارك لا يديرها افراد جيوشنا الشجعان وحدهم .. فلنستعد لاستقبال الحرب في بيوتنا ، وفي اسرّة اطفالنا ، وفي مصانعنا . فهذه هي الحرب .

وان تطول ـ معناه ان يأخذ الفارق التاريخي الواسع .. الواسع جدا بين طاقاتنا وبين طاقات العدو مداه الكامل . نحن قادرون على امتصاص الخسائر وتعويضها . نحن قادرون على التكاثر . وهم عاجزون عن ذلك اذا طالت الحرب . لقد بدأوا الآن يدركون ان انتصاراتهم كانت طارئة في القياس التاريخي ، وان قناعاتهم العنيدة ضرب من ضروب الجنون والاقتراب من الانتحار .

وان تطول الحرب ، اخيرا ـ معناه اننا سندرك اننا نقاتل .. نقاتل .

وسيدرك الاعداء انهم يقامرون بكل شيء حتى بالمستقبل .
وهذا هو الفارق بيننا : نحن نقاتل ، وهم يقامرون .

المحرر
١٣ تشرين الاول

هزيمة العدو في ذروة انتصاره

يمكن الظن .. ويمكن القول ان بذور هزيمة العدو قد نمت في ذروة انتصاره ، في معارك الخامس من حزيران . وهنالك رأي عسكري مجرب يقول ان ثمة نوعا من الانتصارات ينتهي بالمنتصر الى القبر .

كان انتصار اسرائيل عبئا ثقيلا لا تقوى اكتافها المحدودة على حمله . ولا يستطيع التطور الطبيعي لشعوب المنطقة على ابتلاعه . وكان بعض المفكرين والمؤرخين يتهم بالاسامية حينا وبالشاعرية حينا، عندما كان يحذر الاسرائيليين ـ الذين لم ينتصروا ولكنهم وجدوا انفسهم يحظون بنصر بلا جدارة ـ من مفعول النشوة التي تعطل عمل العقل ، وتدفع المصابين بها الى الثقة المطلقة بقدرة ذاتية طارئة بوسعها ان تبطل مفعول قوانين التطور .

وهذا ما اصابهم :

لقد تغلغل في الوعي الاسرائيلي ايمان غير قابل للمناقشة بأن الاقدار تدلهم بامتنان . وتجسدت هذه الاقدار ، في نهاية المطاف ، بأن طائرة « الفانتوم » مثلا ـ حين تحمل نجمة داود ـ تشكل ضمانا ابديا لامنهم المستحيل . لقد صار الارتكاز على اجنحة هذه الاسطورة العصرية من جهة ، وعلى حائط المبكى الذي يمثل حيوية الاسطورة القديمة من جهة اخرى ، صار بديلا للاحتكام الى وسائل اخرى اكثر منطقية للبحث عن مستقبل اقل تطاولا على تاريخ المنطقة واقل استفزازا لشعوبها .

استبدلوا الواقع بالخرافة ..
واستبدلوا التاريخ بالسحر ..

ولم يعد يهمهم ، ابدا ، تحقيق ما وعدوا به انفسهم من تشكيل ذات قومية جديدة ذات تقاليد ثقافية مختلفة ، تشكل تفردا في هذا الشرق المتخلف !! بدلا من ذلك ، كرسوا كل جهودهم « ذات الطابع الغربي » لبناء حضارة العنف والارهاب ، ولاعطاء التاريخ برهانا عصريا على بطلان مفعوله . فكثيرا ما قالوا ، علانية ، ان هزيمة الصليبيين في المنطقة لا ترجع الى حتمية تاريخية تفاعلت معها ارادة شعوب المنطقة ، فان الاسرائيليين اذ يتعلمون من دروس هذه التجربة، مطمئنون الى ان هزيمة زملائهم السابقين يمكن تلافيها بالتمسك بالاسباب التي عمقت اغتراب الصليبيين عن المنطقة وسببت هزيمتهم. ان الداء نفسه يمكن ان يصير دواء في صيدلية الفلسفة الصهيونية !

لقد ارتاح الاسرائيليون ، الذين قد يعتزون باعادة روح اسبارطة الى الحياة ، الى الثقة المطلقة بنصرهم في الخامس من حزيران ، دون ان تعنيهم معرفة ان هذا النصر السريع لم يحل مشكلة واحدة من مشاكلهم الاكثر حيوية وهو قبول شعوب المنطقة لهم ، ولكنها رسخت هذه المشاكل وكرستها ، ودفعت العرب الى التفكير بتوظيف المزيد من طاقاتهم في قضية العداء لاسرائيل . وان حصول اسرائيل على المزيد من الاراضي التي تحتاج الى المزيد من جهد حراستها والمحافظة عليها قد الغى « الطموح اليهودي البريء » الى التنمية وخلق طراز حياة اوروبي في آسيا ، لان المزيد من النصر يعني المزيد من استنزاف الطاقة الاقتصادية للمحافظة على هذا النصر .

ولقد اطمأن الاسرائيليون ، الذين سحرهم العثور على قبور شخصيات التوراة ، الى اليقين المطلق بأن نتائج هزيمة العرب ستكون ابدية ، وان مقدرة العرب على مجرد التفكير بمحاربة من استولوا على اوطانهم ستكون نوعا من الانتحار الذي لا يقوى عليه العرب . وحين سئل رئيس اركان الجيش الاسرائيلي دافيد اليعازر ـ الذي يدلعونه باسم داود ـ قبل شهرين : هل يستطيع اربعة ملايين يهودي المحافظة ، الى الابد ، على توازن القوى ضد مائة مليون عربي ، وفي ظروف متغيرة ؟ اجاب داود بغرور : ممكن لعدد كبير جدا من السنوات . بعد شهرين فقط وجد القائد الاسرائيلي نفسه في مواجهة لا يعرف نهايتها .

وصدق دايان ان طلعته الشهيرة ، في المجلات والصحف الغربية ، مجرد طلعته المحصنة ضد سوء الطالع ، كفيلة بتفتيت طاقات العرب ومواردهم ومكانتهم التاريخية وقدراتهم البشرية . ودعا ، قبل شهرين فقط ، فوجا جديدا من ضباطه الى تحويل خطوط وقف اطلاق النار الى حدود دائمة لاسرائيل . وأكد ان الاسرائيليين يستطيعون ، بقوتهم الذاتية ، الاستمرار على هذا الوضع لسنوات طويلة طويلة . وبعد شهرين فقط يجد دايان ان معجزة الردع الاسرائيلي معرضة للفتك .

لقد فقدوا حاسة الخوف التي كانت تشكل جوهر وجودهم ، واستبدلوها بحاسة الحظ الذي لا يخالفهم . فوجدوا انفسهم، هذه الايام ، يسددون حساب الصلافة والاستهتار بالآخرين والتطاول على التاريخ .

وعاد السؤال المحرم الى الوجود : هل تستطيع دولة ان تنام على الحراب ؟ هل تستطيع مثل هذه الدولة التي تجمع طوائف وجماعات لا توحدها الا الحرب مع العرب .. هل تستطيع البقاء ؟ كانت الحرب ـ وما زالت ـ هي المضمون الوحيد ، الوحيد لسعي المجتمع الاسرائيلي الى التبلور . وكان الانتصار الابدي المضمون في هذه الحرب يشكل محور التجمع الاستيطاني اليهودي في فلسطين . فماذا يحدث .. ماذا يحدث حين يقع خلل في هذه المعادلة ـ القاعدة ؟

هل تفقد اسرائيل ضرورة بقائها ، وهل يفقد التجمع الاسرائيلي مبرد وجوده ؟

لم يكن الغرور الاسرائيلي يتحاشى هذا السؤال وحسب . ولكن كان باحتكامه الى العنف المسلح والى الخرافة الدينية المسلحة يقمع محاولة التفكير لدى الاسرائيلي . ولعل التوقف عن التفكير بالمستقبل واعادة النظر في محالفة القدر وانحلال الحس التاريخي فيهم بعد انتصارهم في حرب حزيران هو ما نعنيه حين نقول ان بذور هزيمتهم قد نمت في ذروة انتصارهم ، الذي ادى بهم الى احتقار الفكر والمفكرين والاستهتار بالتاريخ والمؤرخين . سخروا كثيرا من مؤرخهم البروفسور تلمون الذي خاف انتصار ١٩٦٧ « لان القوة لا تخلق الحق » . وسخروا من توينبي الذي قال ببطلان قيام اسرائيل ـ في المنظور التاريخي ـ لانها قامت على الظلم ، ولانها عاجزة عن تقديم حل للمسألة اليهودية ، وانما تلحق الظلم باليهود انفسهم ليس داخل اسرائيل فحسب ، بل خارجها ايضا ، اذ تجعلهم مزدوجي الانتماء . وسخروا من اسحق دويتشر الذي قال ان « نصر اسرائيل العسكري سيتكشف في مستقبل قريب عن انه كان في الواقع كارثة، وبالدرجة الاولى لدولة اسرائيل نفسها . لقد شاهد دويتشر ـ وهو من اصل يهودي ـ « المشاهد التي تعرضها شاشة التلفزيون .. شاهد الفاتحين وهم يعرضون صور غطرستهم وتعجرفهم ووحشيتهم ومظاهر شوفينيتهم والاحتفالات الجنونية التي احيوها اعلانا عن نصر بلا مجد ، كان ذلك كله يتناقض تناقضا وحشيا مع الصور التي كانت تظهر آلام العرب واحزانهم وصفوف اللاجئين وصور الجنود المصريين الذين ماتوا عطشا في الصحراء . وتألمت كذلك ان ارى الحاخاميين بقاماتهم العائدة للقرون الوسطى يرقصون فرحا امام حائط المبكى . وكان يخيل الي اني ارى البلاد وقد اكتسحتها نزعة الظلاميين التلمودية . ها هم اليهود اليوم يمثلون في الشرق الاوسط دور عملاء المصالح الامبريالية ، انهم بذلك يخلقون حقد جيرانهم وكراهيتهم ، هؤلاء الجيران الذين هم ضحايا الامبريالية . وهذا بلا شك أسوأ مصير يواجهونه . اما العرب ، فسيعرفون كيف يستخرجون الدرس من هزيمتهم ... » .

ها هم العرب يعرفون .

وها هم الاسرائيليون يحققون شيئا واحدا : لقد حولوا الخوف المصطنع من العرب الى خوف حقيقي . وهم حين يسعون الى نصر جديد ، فانهم يسعون في آخر الامر الى هزيمة جديدة ، لان بذور هزيمتهم قد نمت في ذروة انتصارهم .

المحرر
١٤ تشرين الاول

العرب قادمون

☐ انتظرنا ايها العالم . انتظرنا قليلا . فاننا قادمون اليك .
مشغولون ، الآن ، ببناء الايدي التي تصل اليك .

منكبون ، الآن ، على تربية الاقدام التي تحملنا اليك .
غارقون ، الآن ، في عملية تركيب الجسور التي يعبر عليها صوتنا اليك .

☐ انتظرنا ايها العالم . انتظرنا قليلا . فنحن الآن نتعلم المشي على الارض . مرة اخرى ، نتعلم المشي . فلا تلعب كثيرا بالكرة الارضية التي تهتز . لا تلعب كثيرا . فعما قليل يصير بوسعنا ان نعيدها الى التوازن ـ اذا شئت . وعما قليل يصير بوسعنا اندفعها الى الانفجار اذا شئت .
نحن الآن نتعلم فن المشي .
☐ انتظرنا ايها العالم !..
ها هو وجهنا يخرج من قاع النيل كحمامة كانت تغرق .
وها هي يدنا تخرج من فرن الصحراء كتحية كانت تحترق .
وها هي روحنا تعود من السبي ، ترتدي جسدا من قمح وشمس .. وتعود .
ـ متى تذكرتم ، متى ؟ يسالنا العالم .
ـ حين نسيتنا تماما ـ نقول للعالم .
ونواصل المجيء .
ـ ألا تعتذرون ؟ يسالنا العالم .
ـ لن تعطينا المغفرة . ان موتنا ، وحده ، هو الذي ياخذ شكل المغفرة . ونحن نعتذر .. نعتذر لاننا تاخرنا في الرحم ، ولكن الولادة عسيرة في هذه الايام ، والجنود الغزاة يحاصرون مدخل الرحم . وأنت الشاهد المحايد ايها العالم .
ـ القابلة تاتي مع الجنين ، من الداخل تاتي القابلة .. من الداخل . وها أنتم تعرفون .
☐ انتظرنا ايها العالم ! انتظرنا قليلا ، فان الولادة العسيرة ، تملأ المدن ، ونحن قادمون اليك .
تاخرنا .. تاخرنا لاننا كنا نبحث عن طريق آخر ، ولم تخبرنا ان دهاليز الدم الخصبة هي الدرب الوحيد الذي يفضي اليك .
لم تخبرنا ان باب الرحم هو فوهة البركان .
.. في طريق آخر ، سقطت ايدينا في النيل .
وفي طريق آخر ، وقعت وجوهنا في ليل اغلقت عليه الباب .
وفي طريق آخر ، ضاعت دمشق المكان عن دمشق الزمان .
وشاع العقم .
☐ ايها العالم ! لا تصدق انها حرب .
ـ ما هي اذن ؟ يسأل العالم .
ـ انها اعلان الحضور . وانها طريق الوصول اليك . فللحرية صوت يشبه صوت الحرب ، لكنها تختلف تختلف . واذا كنت حرا ايها العالم ، او اذا كنت تحب الحرية ، ستدرك انها ليست الحرب، ولكنها ضجة الحرية .
انتظرنا ايها العالم ، انتظرنا قليلا ، فاننا نتعلم المشي على الكرة الارضية ، ونعيدها الى التوازن .
حدق في وجوهنا ..
هذا الدم : فرح .
وهذا الدخان : حمام .
ومن فوهة هذه البندقية : ينهمر السلام على الارض الحزينة .

المحرر
١٥ تشرين الاول

مسادة تسقط

انهم يحملون الوفاة منذ جاءوا الى هذه الولادة .
لقد توحدوا بالخرافة ، واقنعوا انفسهم بانهم يعيدون التاريخ الى سن الطيش .

مسادة .. مسادة .. تسري في شرايينهم وتسكرهم وهما وغطرسة « مسادة لن تسقط مرة اخرى . مسادة لن تسقط » ولم يتعلموا من الابادة الا التدرب على ابادة الآخرين . لانها الوسيلة الوحيدة لتشكيل ذاتهم الجديدة .

وفي عيد الغفران ، لم يحاولوا التكفير عن ذنوبهم كما اوصاهم الرب ، الذي لم يأخذوا من وصاياه الكثيرة الا ما قاله على أسوار أريحا . في عيد الغفران كانوا ، بدلا من ذلك ، يحتفلون بسقوط أعدائهم .

ولكننا نحن .. نحن الذين اندفعنا ، في يوم غفرانهم ، للتكفير عن ذنوبنا التي ارتكبناها في ثلاث حروب رخيصة ، فصار يوم غفراننا العظيم عن آثام ارتكبناها بحق تراب كدنا نشك باننا جديرون به ، وبحق اطفال كدنا نشك بأننا آباؤهم .

كان الحزن يتصبب من مسام جلودنا .
وكان الفرح يتصبب من أحذية جنودهم .
وفي يوم الغفران كفّرنا عن هذه الخطيئة .

لم يتعلموا شيئا . وكانوا يتفنون لغفات كثيرة أنساهم النصر الرخيص اياها ، وما عادوا يفهمون الا هذه اللغة التي نخاطبهم بها اليوم . نشكرهم ام نرثيهم ؟ فمهما تكن النتائج .. مهما تكن ، لن تكون الا اننا اتقنا الآن لغة الجدارة بالحياة والوطن والعالم ، وحرمناهم منها .

لقد انتصرنا ، انتصرنا في اللحظة الاولى التي أطلقنا فيها النار عليهم وعلينا في آن واحد . لقد قتلنا اوهامنا القديمة ولغاتنا البائدة . لقد انتصرنا على الغزو الداخلي المتغلغل فينا قبل تغلغل الاعداء في أراضينا . لقد حررنا ذواتنا من الاحتلال المعنوي والنفسي ، وحررنا شرفنا من التسكع على أرصفة الحياة ، وحررنا جلودنا من الغزاة الذين كانوا يرقصون تحت جلودنا .

هذا هو النصر الاول والاكبر – تحرير الذات والارادة ، ثم يكون تحرير الارض سهلا كهذا الموت الشائع في هذه الساعات التي نعيد فيها التاريخ الشرقي الى سن الرشد .

« مسّادة لن تسقط . لن تسقط ثانية . لم يتعلموا شيئا مرة اخرى . لم يتعلموا شيئاً يحميهم من خطيئتهم ومن غضبنا . لم يتعلموا الا التشبث بأسباب اغترابهم عنا وعن العالم . ومسّادة ليست ، بالنسبة لهم ، قصة تاريخية تتحدث عن حصن قديم دافع عنه مقاتلوهم القدامى حتى الموت . لقد حولوها ، منذ جاءوا الى فلسطين ، الى حالة نفسية والى عقدة . عقدة يحملونها وينتحرون .

يحاربون وينتحرون .
ينتصرون وينتحرون .
يتوسعون وينتحرون .

ان مسّادة التي آمنوا بأنها قوتهم لم تكن ، في واقع الامر ، الا مصرعهم . فان اختيار حالة الحصار حلا لحالة الاغتراب عن المنطقة لا يكون في آخر الامر الا ضربا من ضروب الانتحار . وعلى هذا الاساس ، فان كل انتصار اسرائيلي هو انتحار اسرائيلي في الوقت ذاته ، وعقدة مسّادة هي الانتحار التاريخي البطيء ، حتى لو أوهمتهم حروب رخيصة ، لم يقاتل فيها العرب ، بأن التاريخ قابل للتعديل الخاطيء .

لقد دكّت الخرافة . الخرافة دكت من اركانها في أعماق النفسية الاسرائيلية . والتجربة التاريخية على الطريقة الاسرائيلية أثبتت فداحة اخطائها . واذا كان هذا ما حدث للنفس والخرافة ، فما قيمة الحجارة القديمة التي حولوها الى حالة نفسية والى عقدة ؟ لم تسقط مسّادة ؟ صحيح ، ولكن الرمز والمعنى والاسطورة تهاوى . انكسر اليقين المطلق . وقع الشرخ بين الواقع والخرافة . تغلغل الشك بالقيم التي كانت مناقشتها محرمة . اقتنع الجسد الاسرائيلي بأنه قابل للجرح . التقى الموت بالضريبة فصارت مسّادة قابلة للكسر . ومهما تكن النتائج ، مهما تكن .. فقد وقع الخلاف بين الاسرائيلي وبين قناعاته . واهتزت مسّادة من اركانها .

ماذا يعني ذلك ؟

يعني ، بالنسبة اليهم ، ان التباهي بحالة الحصار هو مباهاة بالجنون . ويعني ان اسئلة كثيرة .. كثيرة جدا ستضمن شرعية الطرح : هل كانت التجربة صوابا ام خطأ ؟ وهل كان المؤرخون يكذبون حين قالوا ان فلسطين ليست وطن كل اليهود ، وان اقامة اسرائيل ليست حلا للمشكلة اليهودية ؟ سيكون بوسعنا ان نتساءل بعد مدة : أليس اصرار الصهيونية على انشاء دولة يهودية في فلسطين ردا على الكارثة التي حلت بهم – كما يقولون – هو مواجهة كارثة بكارثة أفدح ؟

هذا هو السؤال الذي كان ينبغي عليهم ان يطرحوه في يوم غفرانهم الذي صار يوم غفراننا . كان ينبغي عليهم ان يتركوا خلفهم جسرا للعودة ، ان يتعلموا شيئا من تاريخهم ومن تاريخ غيرهم . فوقعوا ضحية انفسهم ، ضحية غرورهم واستهتارهم بهذه الشعوب العربية التي أذلوها حتى القتل . لم يعرفوا انهم – في آخر الامر – غرباء عن المنطقة . غرباء بلا جذور . لم يحاولوا ان يقيموا جذرا حقيقيا واحدا لهم . استبدلوا الجذور بالنابالم ، والنابالم لا يستطيع كسب حق في نبتة صغيرة . ليسوا اكثر من سفينة في بحر . كيف تستطيع سفينة طائشة ان تستفز البحر الى هذا الحد ؟ لقد خدعهم هدوء البحر العربي الذي تحرك الآن لمعاقبة السفينة الطائشة .

مهما تكن النتائج – مهما تكن ، فان شيئا واحدا تاريخيا قد حدث ، هو ان البحر الهادىء قد نطق حركة وفعلا وغضبا ، وان السفينة الطائشة قد ادركت انها تطفو على سطح ماء متحرك ، وانها هي التي اختارت ان تقطع الصلة باليابسة .

يقول البعض – من فرط غياب الثقة بالنفس – انها مسرحية ، وانها حرب تسوية لا حرب تحرير ، وانها مقدمة للمفاوضات مع العدو . ومهما تكن الاقوال ومهما تكن النوايا – مهما تكن ، فان بطولات الجنود العرب واستردادهم ثقتهم بالنفس ، وبرهنتهم على عمق الوطنية تمزق النص – الافتراء هواء هواء على مرتفعات الجولان وعلى رمال سيناء .

لم نفاوضهم ولم نقبلهم يوم كنا ضعفاء ، فكيف نفعل ذلك ونحن أقوياء !

ان مرحلة بأكملها تسقط الآن ، على الجانب العربي وعلى الجانب الاسرائيلي . صارت نوافذنا اوسع وتطل على عالم جديد . فمنذ أطلّت فوهة المدفع العربي على العدو ، كانت في الوقت ذاته تفتح ثغرة واسعة .. واسعة جدا في الافق العربي المسدود ، وكانت اطلالة على عالم جديد .. عالم لنا .

الدستور
١٥ تشرين الاول

وطن آخر

أبعد من سيناء ، وأبعد من الجولان ، وأبعد من فلسطين – هذا الذي يحدث .

ضع نقطة ، وابدأ سطرا جديدا . بوسعك الآن ان تستعمل مفكرة :

هؤلاء الجنود لا يخوضون حربا . ولكنهم يشعلون ثورة .
وهم لا يحررون وطنا مرة واحدة . ولكنهم يحررونه مرتين .
وهم لا يكتفون بطرد الغريب عنه ، ولكنهم يطردون عنه الاغتراب.

هذا الاغتراب كان حصن طروادة . لقد اغتربنا عن الوطن كثيرا ، واغترب عنا الوطن كثيرا . وصلنا ذات يوم الى نقطة خطيرة : كأنه ليس لنا ، وكأننا لسنا له ، وكاد يتحول الى ميراث بلا مستقبل .

من الآن .. من هذا الزلزال يجب ان نعرف انه لنا حقا وحقيقة . وليس لاحد فضل على آخر الا بهذا الدم الذي يجرف جدار الاغتراب مع حصون الغزاة .

ـ لا تتورط في الفرح كثيرا ! هكذا يقول اصحاب العواطف الموضوعية الذين قد يخشون على صحة افكارهم اكثر من خشيتهم على وطن .

ولكن فقراء الوطن يموتون الآن من اجل تكوين هذا الفرح الذي قد لا يكون كله لهم . الفقراء يموتون ببهجة . وماذا كان الوطن يعطيهم غير الحق في الموت ايام الحرب ؟ الفقراء يموتون بدلا منا ومن أجلنا .

ـ العبيد يصنعون قيودهم !

والعبيد يكسرون قيودهم الآن ، ويصنعون المساواة غدا . لقد تدربوا على فن الحرية ، وسيكون الوطن لهم ، لانهم حرروه مرتين ، وبنوه مرتين .

ضع نقطة ، وابدأ سطرا جديدا . بوسعك الآن ان تستعمل مفكرة :

وطن آخر خلف المتاريس .. وطن اخر ، لا ينقسم الناس فيه الى فريقين : فريق يتورط في الفرح ، وفريق يتورط في الحزن .

ـ هذا كلام سابق لاوانه ! يقول اصحاب العواطف الموضوعية الذين يفقدون الثقة بالمعركة اذا لم يصدر بلاغ عسكري كل خمس دقائق .

من أجل هذا تعرضنا للغزو : لعرقلة سعينا الى تطبيق العدالة ، وللحيلولة دون تحولنا الى حياة جديدة ذات نظام اجتماعي جديد ..

ـ وماذا أيضا ؟

افتح النافذة غدا على ميدان الايام العادية . اذا رأيت جياعا وعراة فاعلم اننا انتصرنا في الحرب ، ولم ننتصر في الثورة . واعلم اننا لم نكرم اولئك الشهداء الذين جعلونا نفتح ابوابنا كل صباح ونقول :

صباح الخير ايها الفرح !

المحرر
١٦ تشرين الاول

الحقيبة والمفتاح

« ليتني سمعت نصيحة زوجتي ، وسافرنا الى السويد » .
هكذا قال طيار اسرائيلي أسير في دمشق .
« أين مفاتيح البيوت ؟ وأين الحقائب ؟ » .

هكذا تسأل ، الآن ، عائلات عربية كثيرة كان الموت الاسرائيلي قد اجلاها عن منازلها في سيناء وضفاف قناة السويس ومرتفعات الجولان .

ان « حرب حقائب ومفاتيح » تجري الآن ، بصمت ، على طرفي الصراع . تظهر نتائجها بجلاء على الجانب العربي ، وتتكون مقدماتها بحياء على الجانب الاسرائيلي .

المهاجرون العرب يعودون ، ويجلسون الآن على الحقائب .
والمهاجرون اليهود يفكرون ، الآن ايضا ، ويعيدون النظر بمصير مهتز وبوعد قابل للخيانة .

كانت الهجرة اليهودية الى فلسطين هي الشرط الاول لقدرة الفكرة الصهيونية على التجسد في كيان مادي . ثم صارت في الاعوام الاخيرة هي الشرط الاول لقدرة الكيان الاسرائيلي على تكريس الاحتلال والتوسع وهضم الارض .

ومن الصعب التسليم بالرأي القائل ان الحق الانساني في هجرة الانسان من مكان الى مكان ينطبق على الهجرة اليهودية الى فلسطين. ليس هذا القانون مطلقا ، لان هذه الهجرة الصهيونية جاءت وتجيء لاجتثاث حق الانسان الفلسطيني في مكان على سطح هذه الكرة الارضية ، ولدفعه الى الهجرة الدائمة ، من جهة ، ومن جهة اخرى، فان هذه الهجرة ـ في ظروف الصراع ـ نعتبر هجرة أمنية لتثبيت الظلم والاغتصاب . والمهاجر اليهودي الذي اختار القدوم الى ارض فلسطين قد اختار ، بمحض ارادته الحرة ، ان يكون جنديا في جيش الغزاة .

والآن ، تنكسر الارض المعدة لاستيعابه . يتبخر الامان الموعود . تسقط حماقة المقارنة الصهيونية بين النظام الاجتماعي الاشتراكي وبين النظام الرأسمالي . هنا ، تطرح جملة اعتراضية هذا السؤال القاسي : كيف يضحي بعض اليهود بالحياة في ظل الاشتراكية الآمنة ، من اجل الحياة في ظل الاستغلال الرأسمالي والحرب ؟ كيف .. كيف يحدث هذا ؟

« أما ان نتكتل نتيجة الخوف . واما ان نتفتت من الضعف » .

هكذا يقول الاسرائيليون . وها هو التكتل الذي لا مضمون له الا الحرب ـ الخوف من العرب قد تنازل الآن لمظاهر الضعف التي تظهر في القلعة الاسرائيلية . هل هي بداية التفتت ؟ من السابق لاوانه ان نجيب على هذا السؤال بيقين سهل . ولكن بوسعنا ان نلاحظ بوضوح ان سقوط التوسع سيؤدي الى سقوط الهجرة .

وان الحرب التي كانت مرادفة للحق وتكريس الحق ـ في نظر الاسرائيلي ـ لم تعد مضمونة النصر ، فوجد « الحق » الصهيوني نفسه في العراء ، وصارت الهجرة الى « ارض الميعاد » سفرا الى الجحيم .

لقد بدأت حرب الحقائب والمفاتيح .

فهل تتيقظ الآن حاسة السخرية لدى الاسرائيلي ؟ هل يقول الآن ما كان يقوله عشية الخامس من حزيران (نتيجة الازمة الاقتصادية والتوتر الامني) هل يقول انه يجب ان ننصب لافتة في مطار اللد .. تحمل الرجاء التالي :

« على المسافر الاخير ألا ينسى اطفاء النور في المطار » .

هل يقول ؟

المحرر
١٧ تشرين الاول

أزرق .. أزرق ..

□ رأيت مياها كثيرة في حياتي ، ولكني لم أر ماء في مثل هذه الزرقة الداكنة .

□ وشاهدت رمالا كثيرة فسيحة ، ولكنني لم اشاهد رملا ممتلئا بالوضوح والغموض معا مثل هذه الرمال الشرسة .

□ وعشت أماسي كثيرة تحاذي المجهول ، ولكني ما عشت مثل هذا المساء الذي يتناوب علاقة عجيبة مع المجهول .

□ ورأيت جنودا كثيرين في حياتي ، ولكني ما رأيت ، قبل الآن ، كيف تقف عيون التاريخ على اصابع هؤلاء الجنود .

□ وعرفت الصبر والقهر والغيظ ، ولكنني أقرأ الآن ، لاول مرة ، صدر البركان المتاهب للانفجار .

□ وتعرفت على أنواع كثيرة من الصمت ، ولكنني لم أر صمما اكثر حكمة وقسوة من هذا الصمت الرابض ، كالاعجوبة ، على قناة السويس .

□ نحن نثرثر في كل مكان ، ابتداء من غرفة النوم حتى المذياع ، ونكتشف في انفسنا مواهب مفاجئة في فن الحرب والعذاب والبسالة . ولكن الحقيقة الوحيدة تبقى هناك .. على ضفاف قناة السويس . وموقفنا من هذه الحقيقة الدامية هو ، وحده ، الذي يمنحنا حق الكلام عن الوطنية والقومية والاشتراكية وغيرها من القيم التي أوقفتها التطورات المفجعة على مفترق طرق خطير ، على ضفاف قناة السويس . ذلك لا يعني ، بالطبع ، ان فيمنا اصيبت بالشلل او يجب أن تصاب بالشلل الى حين الخروج من مفترق الطرق هناك ، ولكن يعني ان العلاقة بينهما صارت اعمق واخطر مما قد يتصور البعض ، وان التأثير المتبادل بينهما يترك آثارا قد تتشابه في العمق والمدى : لن نتمكن من التقدم بقيمنا نحو التنفيذ الجاد ما دمنا عاجزين عن التحرك هناك . ولن نتمكن من التحرك هناك ما دمنا عاجزين عن التقدم بقيمنا .

□ والحرب هناك لا تكتب بالحبر والمزاج . انها لغة الموت الحقيقية . وهي ليست قصفا اذاعيا يعقبه نشيد الختام السلبي . انها الصمت الفاعل الذي يعقبه انفجار البارود واللحم البشري . انها مهارة الموت الذي يرد الى التاريخ نكهته المجوجة التي اطلقها ذات يوم عندما كان مشغوفا بالمزاح .

ان زرقة السويس تشطرني شطرين » .

* * *

هذه السطور كتبتها قبل عامين ونصف (في مجلة المصور ٢٦ نيسان) عندما زرت مدن قناة السويس ، ووقفت ساعات طويلة على انقاض مدينة بور توفيق برفقة الجنود المصريين الذين كانوا ينتظرون اندلاع العاصفة النارية بصبر أسطوري . أسجلها الآن وأقبل الايدي التي صانتها فاعطتني مجدا لا أستحقه !

المحرر ١٨ تشرين الاول

نداء ورجاء

الى الرفيق لي دوك ثو عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفيتنامي .

وصل الينا ، كسهم من نار ، ذلك القرار البارد حتى الجليد الذي اتخذته الاكاديمية السويدية بمشاركة هنري كسينجر لكم جائزة نوبل للسلام .

ان الشعب الفيتنامي العظيم ، بكفاحه الاسطوري ، قد قدم احدى المساهمات الكبرى في التاريخ لانقاذ الشرف الانساني والكرامة البشرية ، وأعاد الى عصرنا كثيرا من الاحترام الذي تسعى الامبريالية الاميركية لتجريده منه . وان جميع الشعوب المحبة للسلام والحرية تشعر بأنها مدينة دينا عظيما للشعب الفيتنامي العظيم الذي كاد ان يكون مسيح العصر وثائره الباسل . ولا يستطيع احد في العالم ان يثمن نضالكم باية جائزة او مكافأة . ومع ذلك فبوسعنا ان نهنئكم من صميم القلب لانكم استطعتم ان تفرضوا على الاكاديمية السويدية المحايدة الاعتراف بالخدمة الجلى التي قدمتموها للسلام . ولكن ، ليس بوسعنا ان نتحمل هذه الاهانة الجارحة حتى العظم التي يسددها قرار الاكاديمية السويدية نحوكم ونحو قضية السلام باشراكه رسول الجريمة الاميركية العالمية فيها . ان هذا الاشراك بمثابة مكافأة لمندوب الجرائم الاميركية التي ارتكبها في بلادكم وفي بلاد اخرى من العالم . وليس بوسع احد في العالم ان يصدق ان مهارة ممثل الامبريالية الاميركية في المفاوضات هي التي ادت الى احلال السلام في جنوب شرق آسيا . كل الشعوب تدرك ان مهارة اقتحام الموت عند الشعب الفيتنامي وتصديه الباسل للتحدي الاميركي هو الذي انهى الحرب بانتصار الشعب الفيتنامي الشجاع وادى الى احلال السلام .

ولعل مثقفي العالم وأدباءه والمناضلين من اجل السلام سيفرحون كثيرا لو بادرتم الى رد هذه الاهانة ، ورفضتم نصف الجائزة التي أعطي نصفها الآخر لرسول العذاب في العالم .

المحرر ١٨ تشرين الاول

بطاقة الى دمشق

ساعي البريد ينتظر ،
والفراشة تحارب ،
ولا تنتهي رسالتي اليك يا دمشق .
كان الاغاني أصيبت بحنجرة لا تغني ، منذ انتصبت على اصابع الشهداء .
الى اين ، الى اين ؟
ليس في المدى مكان ، لان زمانك يرتدي ملابس الميدان ، فيتدلى المدى خيطا من ثيابك .
الى أين ؟ واسمك المتوتر لا يحمل المزيد ، فقد يصبح المجد عادة يومية ، او بوابا في الجامع الاموي ..
دمشق .. يا دمشق !
تدخلين الحرب كما تدخل الفتيات ليالي الزفاف ..
وتخرجين من الحرب كما يخرج الاطفال من البحيرات .
وحين تقفين ، يا دمشق ، تتحول الجداول الى قامات .
وحين تمشين ، يا دمشق ، يتجمد الغروب على حافة الافق .
والى اين يا دمشق ؟
كان الاغاني اصيبت بحنجرة لا تغني ،
والشعراء يتعلمون الابجدية من حجارتك الصغيرة .
كوني اي شيء يا دمشق ، فلن تكوني الا دمشق .
كوني سكينا وقشرينا ، يتدفق منا بردى الذي يبقى كما كان : مواطنا عاديا يدفع الضرائب ، ويقصف بالقنابل ، ولا يرحل عن البيت .
كوني اي شيء يا دمشق ،
فلن تكوني الا دمشق التي لا تنزل عن الاشجار ، ولا تنحني .
الى اين .. الى اين ؟
ليس في المدى مكان ، لان زمانك يرتدي ملابس الميدان ، فيتدلى المدى خيطا من ثيابك .
دمشق .. يا دمشق !
ساعي البريد ينتظر ،
والفراشة تحارب ،
ولا تنتهي رسالتي اليك يا دمشق ..

المحرر ١٩ تشرين الاول

الريح والشرارة

اصحاب الاناقة الوطنية يسالون :
ــ اين الفلسطيني في الحرب ؟
ولا يجدون من يرد على اناقة السؤال ، لان المقاوم الفلسطيني ملتحم بحوار الموت مع العدو ، بعيدا عن ابصارنا ومسامعنا

وآلات تصويرنا ..

انه هناك ينفجر ويفجر في اعماق العدو . ويستانف الثورة التي لم تتوقف يوما ، ومنعت غيرها من التوقف الطويل .

في المعركة ، لا يجوز الحديث الا عن المعركة . ولهذا ينبغي الحديث عن المقاوم الفلسطيني لانه المعركة الدائمة امس واليوم وغدا . لانه حاضر في كل ومضة نار ، في كل رصاصة ، وفي كل خطوة نحو الصراع . ولانه غائب دائما عن اية سكينة ، وعن اية هدنة ، وعن اية مهادنة مع مصارعة العدو . لم يكف المقاوم الفلسطيني عن مناشدة الآخرين لخوض المعركة ، ولم يكن خلافه مع أحد من العرب الا بسبب اندفاعه ومحاولة دفعه الآخرين الى فتح المعركة المنشودة .

بهذه الحرب المشتعلة الآن ، يحقق الفلسطيني ذاته المتجددة . ينمي حياته التي تعرضت للاغتيال . يجسد حلمه المتوتر . يوسع دائرة الصراع مع العدو الذي لم يبدأه الآن . ومن هنا يكون حضور الفلسطيني الآن ، أشد تألقا وتوهجا وكثافة .

في أيام الهدوء النسبي ، كان الفلسطيني المقاوم هو الذي يشكل خللا في معادلة الامن الاسرائيلي . كان المحرض ، والمقلق ، والنموذج الذي حول الهزيمة الى حافز للرفض والتصدي والتحدي بدلا من ان تصيرحالة. كان رمزا يحمي روح الامة من الخمول وكان واقعا يجعلها تضغط وتعد بالتضحية من اجل هذه المعركة .

كان صغيرا ومحاصرا ؟ صحيح . ولكنه كان معنى كبيرا يفتح الآفاق . وكان توترا فاعلا في جسد السكينة .

ان المقاوم الفلسطيني يجدد حياته في اندلاع هذه المعركة . يحظى بشروط عمل ثوري افضل . يصير حالة شعبية عامة . يصير قابلا للحصار لجيوش وطنية قادرة على خلق امكانية النصر . فلا يصير قابلا للحصار في أسوأ الحالات ، وقابلا للرثاء العاطفي في أحسن الحالات . من هنا يرحب .. يرحب بالمعركة ويخوضها بايمان أشد . ان شرايين العرب تصب في قلبه . وهو يصب في قلوب العرب . ولا يجد نفسه الآن « مخربا » و « مورطا » ومتطاولا على « ظروف غير ملائمة » . فالواحد يلتحم في الكل .

وجهه لا يملأ الصورة ؟ صحيح ، لان ذلك دليل على وحدة الوجه العربي للقضية . الفلسطيني المقاوم عربي . والعربي المقاتل فلسطيني . وجوهر المعركة مع العدو ـ بمعناها الشامل ـ هو الصورة الوحيدة : أبعد من قطعة أرض . اعمق من جواز سفر . ماذا؟ هل نسينا ؟

ان الفلسطيني المقاوم ، اذ يبدو انه ضاع في الصورة ، فذلك تعبير عن تعريب فلسطين وفلسطنة العروبة . والفلسطيني يسكن قبضة النار ايام الحرب وايام اللاحرب من اجل فلسطين ومن اجل العرب . انه منطلق كالريح الخصبة في كل بقعة ارض محتلة . منطلق كالريح في القضية .. في النفسية .. في الايام الراكدة .. وفي الايام العاصفة .

انه الشرارة التي لم تنطفىء . ويسعد الشرارة .. يسعدها كثيرا ان تكبر النار المولودة وتطغى على كل شيء . ليس باستطاعة عدسة آلات التصوير التقاط صورة الريح والشرارة . ولماذا ننسى؟ لقد مزق الفلسطيني صورته منذ فرر ان يمزق جسده من اجل ان تخصب الارض والقضية ..

وهذه الحرب عرس فلسطيني ، لانها خطوة كبيرة نحو فلسطين ، لانها تجعل فلسطين أقرب . فلماذا يطرح اصحاب الاناقة الفكرية أسئلة توحي بأن فلسطين صارت ابعد ؟ لقد كان الفلسطيني المقاوم قبل هذه الحرب ، ويبقى بعدها . والحروب العربية ضد العدو وضد ما يمثله هي حرب فلسطينية . والثورة الفلسطينية ضد العدو وضد ما يمثله هي ثورة عربية .

ماذا اصابنا ؟ الم نتفق على الا نتحدث في المعركة الا عن المعركة؟ دعوه ، اذن ، المقاوم الفلسطيني يستانف حوار النار مع العدو مع سائر المقاتلين العرب . دعوه يجدد شباب الامل والهدف . دعوه يكمل عناق الارض الفلسطينية والعربية ، فانه يقاتل من اجلنا جميعا . أمس واليوم وغدا .

المحرر
٢٠ تشرين الاول

لسنا أبناء العم توم

ـ هل عندكم نفط ؟
● كلا .
ـ كيف تعيشون اذن ؟

كان صعبا على الرجل النفطي ان يفهم كيف يمكن لشعب ان يعيش من مصادر ثروة اخرى غير النفط .

النفط هو انطونيو ، وانطونيو هو النفط !

لم تكن الحرب الاخيرة قد نشبت .

ولم يكن كل العرب قد اقتنعوا بان اميركا ليست مقاطعة صغيرة في اسرائيل ! لم يكونوا قد صدقوا ان بوسع اميركا ـ اذا ارادت ـ ان تخنق اسرائيل بمجرد اغلاقها انبوبة المعونات لمدة اسبوع واحد .

ولم يكن كل العرب قد ادركوا ان اميركا ليست حليفة للعدو ، ولكنها العدو ذاته . وكان الحب المجاني قد اعماهم .

ولم يكن العرب قد فهموا ان اميركا تحافظ على اسرائيل لكي تحتفظ الاخرى بدورها كحارس للمصالح الاميركية في القارة العربية ، وأهمها : النفط العربي ..

ولم يكونوا قد اقتنعوا ، ايضا ، بان سيل المال والسلاح المتدفق من اميركا الى اسطولها الثابت ـ اسرائيل لا يشكل نسبة كبيرة من ارباح النفط العربي .

الآن يدرك مزيد من العرب (او العربيين) النفطيين والعرب غير النفطيين (هكذا صرنا نصنف) ان وقود الطائرات والمدرعات الاسرائيلية يأتي من آبارهم . وان الشهداء العرب والاطفال العرب يسقطون بمصادر القوة العربية .. اننا نشهد شكلا من اشكال الانتحار او الطعن في الظهر ، فقوتنا هي التي تهددنا لانها مصدر تموين العدو ، حتى كدنا نقول اننا منتجو ومصدرو طاقة للعدو ..

متى يغضب المزيد من العرب .. في القاعدة .. في الشارع والمصنع والحقل والمكتب ؟ متى يرغمون حراس الآبار ـ وحفاري القبور ـ على اخراج اسلحتهم من صدورنا وتوجيهها الى صدور الاعداء ؟

متى يغضب العرب ، ويكفون عن ان يكونوا ضحايا ثروتهم التي تشكل قوتهم اذا شاءوا ومصرعهم اذا شاءوا ؟ ان النفط سلاح ذو حدين ، فمتى نستخدم الحد السياسي ؟ ومتى ندرك ان بئر نفط ، في هذه المرحلة ، قادر على اجراء تعديل في الخارطة السياسية العالمية ؟

ـ هل عندكم نفط ؟

● نعم .
كيف تتركوننا نموت اذن ؟

هكذا يجب ان نرد على السؤال السابق الذي وجهه العربي النفطي ، بعدما صار يعرف ان اميركا تنقل دماءنا الى شرايين اسرائيل ! بينما يعامل اندم كأنه سلعة تجارية محضة .

آن لنا ان ننقل السؤال الى الشارع .. ان نطرحه لاستفتاء الجماهير العربية الغاضبة ، لانها المؤهلة لكيفية التعبير عما تكنه من كراهية لاميركا . هي القادرة على الفعل . هي القادرة على التظاهر . هي القادرة على قلب الحسابات . وهي التي ستثبت للسيد الاميركي اننا لسنا ابناء انعم توم الفارق في حب اسياده المتعاقبين على استعباده . لسنا انعم توم ، فاميركا في قبضة ايدينا وبين اصابعنا : مصالح ومؤسسات ومعاهد .

آن لنا ان ننقل الغضب من القلب الى الشارع - فماذا ننتظر ؟!

المحرر
٢١ تشرين الاول

عالم لنا

في دخان المعارك العظيمة ، تصير الرؤية اوضح .

وها نحن نرى : ليس العالم معنا ، وليس العالم ضدنا . لان العالم ليس واحدا . فماذا نعني ، ماذا نعني بهذا المصطلح الغامض « الرأي العام العالمي » ؟

ان شعوب الاتحاد السوفياتي قد أعطتنا الدليل على ان قضية الحرية والنهوض الانساني واحدة . كان بوسع هذه الشعوب الاصيلة ان تعمل ساعات أقل ، وان تتمتع بحياة اكثر ترفا ، ولكنها تقاسمنا نتاج عرقها من اجل ان تصير الحرية اكبر .
هذا العالم لنا .

وان الولايات المتحدة الاميركية تعطي الدليل على ان قضية العدوان واحدة ، وان قربى الدم بين الغزاة لا تنفصم . كان بوسع الولايات المتحدة ان تجعل الشعوب أقل عذابا ، ولكنها تفعل كل شيء ، حتى التضحية بالاميركيين ، من أجل أن تصير الحرية أصغر .

هذا العالم ضدنا .
وفي دخان المعارك العظيمة ، تصير الرؤية اوضح .

ها هي قارة بأكملها تقريبا تنفض يدها الضخمة من صداقة قديمة قامت على سوء فهم . ان افريقيا التي لم تكشف عن كل خصوبتها وطهارتها حتى الآن تجعل عالمنا أوسع .
وهذا عالم لنا ايضا .

وهؤلاء الكتاب والمثقفون والفنانون في الغرب ليسوا لونا واحدا . ليسوا كلهم معنا ، وليسوا كلهم ضدنا . لقد اعلن شرفاؤهم هويتهم الانسانية ولم يكونوا محايدين تجاه معركة الحرية الساطعة التي نخوضها . واعلن آخرون انتماءهم الى « شرعية » الغزو الاسرائيلي ، وكشفوا مخزون العنصرية التي يكنونها ضد الشرق . بعضهم مرتزق . وبعضهم بلا ضمير . وبعضهم يعاني من فقر قضية فتزوج الصهيونية التي كانت موديلا ادبيا شائعا بين بعض كتاب الغرب .

والبعض الآخر يحب الشفقة . يريدنا ان نكون مادة حزن ملهمة . انه من هواة جمع بكائيات الشعوب الشرقية . وحين تلجأ هذه الشعوب الى استخدام العنف لترد على « حضارة العنف » تصبح خارجة عن معادلة الانسجام البشري !

هؤلاء لن يفهمونا ، لانهم لا يريدون ان يفهمونا .

وها هو العالم يعلن هويته : أصدقاء الحرية اصدقاؤنا . واصدقاء العنصرية اصدقاء اعدائنا . ولعل الصراع العربي - الصهيوني كان محكا لاختبار المعادن في الغرب . حين يتطوع الكاتب لخدمة الجريمة الصهيونية يكون قد اعطى ضميره لذئب مدلل ، وخان . خان اشرف ما يعنيه الانسان ، وخان الكتابة ايضا ..

فلماذا نقلق منهم ، ولماذا نلعنهم طالما انهم خرجوا من عالم الانسانية ، لانه عالمنا .

المحرر
٢٢ تشرين الاول

ثلاث بطاقات من حيفا

- ١ -

مقهى صغير على الشاطىء :

اخيرا ، أقول لامي : وجدت الفرح .

اعيد اليها مناديلها لانني لن أضيع .. لن أضيع كثيرا في هذه الايام . فالامهات كثيرات .

تعال يا خريف ! فقد كنت أقول دائما لاصدقائي اني احبك . وكنت لا أعترف أمام حبيبتي ولا أطيعها الا في الخريف . كانت كآبتي تصفر فيك وتذبل ، لان اوراق الشجر تخفيها عني وعن عيون الحراس الذين كانوا يأتون من الامواج .

والموج ، الآن ، أمامي عصافير . والغروب البرتقالي يقف على حافة الزبد ويشرب . وأنا في المقهى أنتقي ذكرياتي كما أشاء . انها تجلس امامي مثل عنقود العنب . أختارها حبة حبة ، والقي بالفاسد منها عبر النافذة المفتوحة .

كيف تتسع النافذة الصغيرة لكل هذا الافق الواسع ، ولعيون الشهداء الكثيرة ؟ أدخل أيها البحر .. ادخل صدري المثقوب بسهم الفرح القادم من أحذية الجنود المفاجئين . أدخل أيها البحر .. ادخل خيمة البدوي الذي يقف الآن على مئذنة النخيل ، ويدعو العالم الى غسل خطاياه في جراح الشهداء العرب .

تعالوا أيها الشهداء ، طوبى للتراب الذي تطاونه لانه يصير بحيرة . ويصير البحر بساطا حين تجيئون . تعالوا واستحموا في مياه فلسطين التي تتبعكم بجراحها وتقول : أغطيكم . ادخلوا أيها الشهداء نوافذ هذا الوطن حتى تطل على الجنة . مرروا اصابعكم على أشجاره لتصير الخضرة في لون النار الاسطورية .

وأخيرا ، أقول لامي : وجدت الفرح .

واتابع زيارتي لهذا المقهى الجالس على شاطىء يفصل الخريف عن سائر الفصول .

وبوسعي الآن .. بوسعي الآن ان اكتب على ورق الشجر المتناثر لان الريح لن تضيع رسائلي !..

— ٢ —

الزنزانة

يحدث هذا .. يحدث هذا احيانا . يحدث هذا الآن : ان تركب حصانا في زنزانة وتسافر .

يحدث أن تسقط جدران الزنزانة ، وتصير آفاقا لا حدود لها :

— ماذا فعلت بالحائط ؟

☐ اعدته الى الصخور .

— وماذا فعلت بالسقف ؟

☐ حولته الى سرج .

— وماذا فعلت بالقيد ؟

☐ حولته الى قلم .

غضب السجان . وضع حدا للمناقشة . قال انه لا يحب الشعر، ثم اغلق باب الزنزانة .

عاد اليّ في الصباح .. وصاح :

— من أين هذا الماء ؟

☐ من النيل .

— من أين هذا الشجر ؟

☐ من بساتين دمشق .

— ومن أين هذه الموسيقى ؟

☐ من قلبي .

غضب الحارس . وضع حدا للمناقشة . قال انه لا يحب الشعر، ثم اغلق باب الزنزانة .

وعاد في المساء :

— من أين هذا القمر ؟

☐ من ليالي بغداد .

— ومن أين هذه الكأس ؟

☐ من كروم الجزائر .

— ومن أين هذه الحرية ؟

☐ من القيد الذي وضعته امس .

صار السجان حزينا . ورجاني أن امنحه حريته .

— ٣ —

والشارع لي :

وغابات الصنوبر ايضا ، وحبيبتي لن تحزن .

ليست الحرب نزهة ولا احتفالا . ولكننا كنا نقتل بلا حرب ومن قلة الحرب .

لم تبتهج أم بولادة طفل ، كما تحتفل الارض الآن بميلاد الامة . عشرات السنين المكبوتة تستيقظ الآن من الحرمان ..

وهذا موسم الزيتون ، ولا نجمع الا شظايا القذائف وعيون الشهداء .

هذا مهر الارض التي تزف الى الرجال .

للصخرة شكل الكمثرى ومذاق الثدي .

الآن نحصي عدد الطائرات . وغدا نيأس من احصاء عدد البطولات ، وأمواج العصافير .

والآن نحصي عدد الخطوات الباقية . أن فلسطين تتشبث باقدام القاتلين . تعالوا .. تعالوا لان انتظاري طويل ، وما عاد في جسمي موضع لتلقي مزيد من سياط الشرطة .

الفتاة تنام معي في الليل ، وتحاربني في الصباح لانها تصير جندية .

والشاعرة الحسناء تبكي على قدميّ في الليل ، وتدل الشرطة على آثار قدميّ في الصباح .

لا تصدقوا اذاعة العدو .. لا تصدقوها ! ان الحراب تدور في شوارع قلبي وفي أوردتي منذ ربع قرن ، ولكن الشرطة تغطي الدخان المتصاعد من جلدي .

لا تصدقوا اذاعة العدو .. لا تصدقوها ! فالجنود يحرسون لساني ولكنهم لا يستطيعون حراسة قلبي . هل وصلتكم مشاعري ؟ هل وصلتكم ، أم ضلت الطريق ، واعتقلها حرس الحدود ؟

تعالوا .. تعالوا ! الارض تغلي من الشهوة ، والعاشق يرسف في الاغلال !

الدستور
٢٢ تشرين الاول

معين بسيسو

علقوا ذلك الحذاء في سلسلة حول أعناقكم..

اول قدم عربية مصرية هبطت فوق الضفة الشرقية لقناة السويس هي ، ولا شك ، ذلك التوقيع الرائع في « اوتوغراف » العصر العربي ، اذ كان على الحذاء المصري ان يضع توقيعه فوق رمال سيناء . والامر نفسه بالنسبة الى القدم العربية السورية التي هبطت خلف خط وقف اطلاق النار ، حيث كان على الحذاء السوري ان يضع توقيعه فوق صخور المرتفعات السورية المحتلة . وهكذا اصبح ، الى جانب توقيع القدم الفلسطينية ، توقيع القدم المصرية ، وتوقيع القدم السورية .

ان الاثر الذي طبعته اول قدم مصرية فوق رمال الضفة الشرقية من القناة يجب المحافظة عليه ، ويجب ان لا تطمسه الريح . يجب ان تؤخذ صورة ذلك الاثر ، لتلك القدم ، ونطبع منها ملايين الصور ، ونقوم بتوزيعها في مختلف بلدان العالم . يجب ان يتحول ذلك الاثر لتلك القدم ، فوق رمال الضفة الشرقية للقناة ، الى طابع بريد .. لكل رسائلنا الى العالم ، العالم الذي شطب من خارطته اسم المنطقة التي نعيش فيها ، واصبح يعرفنا بمنطقة « اللاحرب ـ اللاسلم » !

كم في ودي ان اقترح شيئا آخر ! كم في ودي ان اعرف اسم المقاتل الاول الذي وضع القدم الاولى فوق رمال الضفة الشرقية المحتلة من القناة ، عندئذ سوف اقترح عليه ان يقدم حذاءه لنا ، مقابل كل الاحذية العربية التي لم تشترك في القتال بعد ـ رغم انني اعرف تماما ان ذلك المقاتل سيرفض كل تلك الاحذية التي لم تقاتل ، ويفضل القتال بلا حذاء !

لو اصبح حذاء ذلك المقاتل في يدي لطالبت كل النحاتين ، في وطننا العربي ، بان يقوموا بنحت نموذج طبق الاصل لتلك القدم .. وساقترح على كل دور التوزيع في بلادنا ، دور التوزيع التي كانت توزع صورة حذاء « اللاحرب ـ اللاسلم » على غلاف كل الكتب التي كانت تصدرها ، ان تقوم بتوزيع ذلك النموذج . يجب ان يعرض ذلك الحذاء في الواجهات الزجاجية للمكتبات العربية ، لا كافضل كتاب لعام ١٩٧٣ ، بل كافضل كتاب منذ عام ١٩٤٨ . ويجب ان لا يقتصر الامر على المكتبات ، فلا بد من تعميم هذا النموذج ، الكبير او الصغير ، لقدم المقاتل العربي ، على كل مكاتب جامعة الدول العربية ، وعلى الملحقين الصحافيين للدول العربية ، فها هم ، اخيرا ، في استطاعتهم ان يقدموا للراي العالمي شيئا حقيقيا .

أنا بالطبع لا أطالب هواة تعليق السلاسل الفضية أو الذهبية حول أعناقهم ، بأن يعلقوا نموذجا صغيرا من ذلك الحذاء لذلك المقاتل العربي في سلسلة حول رقابهم ... ولا أطالب أيضا اصحاب السيارات الخاصة او العامة ، بتعليق نموذج من ذلك الحذاء خلف الواجهات الزجاجية لسياراتهم ... كما لا أطالب ، للمرة الثالثة ، هواة جمع الاحذية كديكورات لبيوتهم ان يجعلوا ذلك الحذاء جزءا من ديكور البيت ، ولكنني اطالب بشيء واحد ، ان لم يوافقوا على تعليق ذلك الحذاء في سلسلة حول رقابهم ، او تعليقه خلف الواجهات الزجاجية لسياراتهم ، وان لم يرتضوا به كجزء من ديكور بيوتهم .. فلا بد ان يتحول ذلك الحذاء الى آنية زهور ، يزين منازلهم .

أكتب هذا عن الحذاء العربي ، المصري والسوري والفلسطيني ، وأنا أعلم تماما ان الارض العربية المحتلة ، ان سيناء والمرتفعات السورية وفلسطين المحتلة كلها ، ليست أبدا هي تلك الكعكة التي يمكن ان تغوص فيها السكين العربية بسهولة ... ان الارض المحتلة ليست كعكة ، ولكن اذا لم تكن كعكة بالنسبة الينا فيجب ان لا تكون كعكة ابدا بالنسبة الى العدو ، يغرس فيها ست شمعات ، ويشعلها ، ثم يطفئها بمناسبة العيد السادس لميلاد الاحتلال للارض العربية ، ويواصل الاحتفال بعيد ميلاد الاحتلال على مر السنوات .

* * *

أنا أكتب هذا عن الحذاء العربي ، وخارطة جبهة القتال ليست امامي ـ وأنا لا أقوم بمسؤولية غرس الدبابيس فوق الخارطة ـ فعلى المائدة التي أكتب عليها لا توجد خارطة ، بل كومة من الجرائد العربية والاجنبية ، وراديو ترانزستور ، والملحق الاول لمجلة « فلسطين الثورة » ، وذلك التليفون ، ذو الرقم الخاص ، والمكرس للاتصالات التليفونية الخاصة للاخ أبو عمار ـ وهو في احد المواقع المتقدمة من خطوط المواجهة الامامية مع العدو ـ وفوق رأسي صورة علي أبو اياد ..

أكتب هذا في الوقت الذي قرأنا فيه ، في الاعلام الفلسطيني الموحد ، تأجيل الاحتفال بذكرى مصرع الشاعر بابلو نيرودا . واعتقد بأن بابلو نيرودا سيعطي صوته لقرار التأجيل ، فالرصاص الذي يثقب الآن الخوذة الفولاذية للفاشية العسكرية الاسرائيلية المحتلة ، ينطلق من تلك الخوذة ليضرب الخوذة الفاشية العسكرية الاخرى لقتلة سلفادور الليندي ، وبابلو نيرودا ، وألوف عمال المناجم في التشيلي .

* * *

بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، انطلقت بعض مكبرات الصوت تطالبنا بوضع أقدامنا العربية في لفائف القطن ، وانطلقت بعض مكبرات الصوت الاخرى تطالبنا بوضع أقدامنا في الجبس ، وتعليقها

الى أهلي ، ونحن نتمدد فوق سرير وقف اطلاق النار في مستشفى « اللاحرب ـ اللاسلم » . اما مكبرات الصوت الثالثة ، فلقد راحت تطالب ، على الدوام ، اما بدق المسامير في القدم الفلسطينية ومنعها من الحركة أو في حالة رفض القدم الفلسطينية لاستقبال المسامير في لحمها ، ان تكون هناك عملية قطع للساق الفلسطينية . ولقد واجهت القدم الفلسطينية ، عبر السنوات الثلاث الماضية ، كل مؤامرات وحملات الهجوم بالسكاكين مرة وبالمسامير مرة اخرى على الساق الفلسطينية ، وكانت المهمة الدموية اما دق المسامير في القدم الفلسطينية ، أو قطعها ..

* * *

كل هذا أمامي وأنا أكتب عن الحذاء العربي . ومن خط التليفون الساخن مع الاخ ابو عمار يأتي صوته خاطفا كومض البرق ، او كومض ضربات السكين وهي تغوص في اللحم :

ـ انهم يضعون صلبان الورق المصمغ فوق نوافذهم في الارض المحتلة ، ويضعون الصلبان ايضا على اخبار المعارك التي يخوضها مقاتلونا خلف خطوطهم ..

أجل ... فمع مرحلة التعتيم في الارض المحتلة ، يقومون بالتعتيم أيضا على أخبار المقاتلين الفلسطينيين ، في الوقت الذي تتساقط فيه صواريخ الثورة على مستوطنات الاحتلال في الجليل الاعلى والجولان وبيسان ، وفي الوقت الذي تتساقط فيه قنابل الثورة الفلسطينية فوق القاعدة البحرية في عتليت ، وتقوم بنسف خزانات الوقود في مطار تل ابيب .

اجل ، للمرة الثانية ، يقوم العدو بالتعتيم على المعارك الدموية التي تخوضها الثورة الفلسطينية خلف خطوطه الخلفية وفي خطوط المواجهة الامامية معه . فالعدو يعامل الثورة الفلسطينية كما يعامل مصابيح السيارة التي يفرض عليها ان تقوم بعملية التعتيم على أضوائها ، فتقوم بطلاء مصابيحها الامامية باللون الازرق .

غير أن عمليات التعتيم على اخبار الثورة الفلسطينية ليست بالامر المفاجىء ، وليست هي المفاجأة بالنسبة الى الثورة الفلسطينية . فلقد كانت المفاجأة الكبرى من جانب الدكتور كيسنجر ، وزير خارجية الولايات المتحدة الاميركية ... فلقد فوجىء الدكتور كيسنجر ـ على حد قوله ـ بالمعارك التي تدور في صحراء سيناء وفي المرتفعات السورية ، وفي قلب الارض المحتلة !

والسؤال الكبير الذي يطرح نفسه الآن ، هو لماذا فوجىء بالاحذية العربية وهي توقع في « اوتوغراف » أرضها المحتلة ؟!

هل كان الدكتور كسينجر يتوقع استمرار اغلاق أفواه المدافع ، وتحويل منطقة « اللاحرب ـ اللاسلم » ، أي تحويل الارض العربية المحتلة كلها ، الى حديقة خاصة او عامة ، الى حديقة اميركية ـ اسرائيلية .. او تحويل سيناء والمرتفعات السورية الى « كيبوتس » اسرائيلي ؟

غير ان الدكتور كيسنجر لم يفاجأ وحده باشتعال النيران ، بل فوجىء رئيسه نيكسون ايضا ، الذي أيقظه وزير خارجيته من نومه ، وأبلغه خبر استئناف الحرب في الجبهتين المصرية والسورية.

ان سرير « اللاحرب ـ اللاسلم » ، لم يعد هو السرير النموذجي أبدا لا للدكتور كيسنجر ، ولا للرئيس نيكسون ، ولا لكل الذين قاموا باستغلال مناجم الذهب والفضة والماس في حقول منطقة « اللاحرب ـ اللاسلم » .

* * *

ان مواسير المدافع لم تنتظر ان تخرج من قبعة الدكتور كيسنجر تلك المناديل الملونة لحلول التصفية ، فلقد خرجت من خوذة المحارب العربي ، بدل المناديل ، رايات عربية طمرتها ، لسنوات مضت ، الرمال التي كانت تتحرك من منطقة « اللاحرب ـ اللاسلم » .

في أعقاب كارثة الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، أي في أعقاب الحرب الاسرائيلية الخاطفة ، أصبح الرباط الاسود فوق العين اليسرى هو صرعة أوروبية واميركية ... اصبح الرباط الاسود فوق العين اليسرى لموشى دايان ، هو رباط العيون الاوروبية والاميركية التي تريد ان ترى بعين واحدة فقط ... وترفض عينها الاخرى !

وعبثا حاولت كل أجهزة الاعلام العربية ، رغم كل الخبرات والتجارب الموسوعية للاعلاميين من الدكاترة والباحثين العرب ، ورغم كل محاولات تقديم العقل الالكتروني ـ كأحد ابطال المعركة ضد العدو ـ عبثا حاولت ان تنزع ذلك الرباط من فوق العين اليسرى !

وجاءت تلك القدم ... جاء ذلك الحذاء العسكري الثقيل ، الحذاء ذو الكعب الذي لا يبلغ ارتفاعه الثلاثة سنتيمترات ، فاذا بها تفعل فعلها الشديد ، اكثر بكثير مما فعلته الكعوب العالية جدا لكافة اجهزة الاعلام العربية .

لقد انتصر كعب المحارب العربي على كل الكعوب العالية ، التي كانت تسير في منطقة « اللاحرب ـ اللاسلم » ، تماما كما تسير الكعوب العالية في شارع الحمراء . وحين انطلقت تلك الاحذية المصرية ذات الكعوب المنخفضة فوق رمال سيناء .. وحين انطلقت أحذية سورية اخرى فوق المرتفعات السورية ، والى جانبها وفي مقدمتها تلك الاحذية الفلسطينية ، أصبح على العيون الاوروبية والاميركية ان ترى بعينين ، وليس بعين واحدة . لقد أوشك الحذاء العربي ان يتحول الى صرعة ، وأوشك مصممو الاحذية ان يحولوها الى صرعة حذاء ٧٣ ـ ٧٤ .

* * *

لقد ذاقت القدم العربية لذة طبع القبلة الاولى ـ بعد سنوات طويلة من الحرمان ـ على صدر الارض العربية المحتلة ... وأنا لا أراهن على تلك القدم كحصان في سباق الخيول ، ولكنني ألف شراييني كلها حولها ... فلا الشعر العظيم ، ولا الكتابة العظيمة التي تبقى ، هو ذلك الشعر او تلك الكتابة التي تحتكر الكتابة دائما عن الانتصارات ـ وعن الانتصارات وحدها ! فالشعر العظيم والكتابة العظيمة قد وقفت ، عبر مراحل التاريخ كلها ، مع اولئك الذين يقاتلون وليس في جيوب معاطفهم ـ بوليصة تامين الانتصار ، موقعة من أية شركة تامين !

لقد سقط سبارتاكوس العظيم قبل سبعين عاما من الميلاد وبقي اسمه ، وسقط اسم القائد الروماني الذي هزمه تحت حذاء التاريخ ـ من يذكر الآن اسمه ؟! ـ ولكن ليس قاعدة في التاريخ ابدا ان يسقط كل سبارتاكوس ، وينتصر كل روماني . واذا كان سقوط البربرية الاسرائيلية هو احتمال اليوم ، ففي غد وبعد غد سيصبح حتمية ...

* * *

الى جانب المقاتلين المصريين والسوريين والفلسطينيين يقاتل الجنود المغاربة ... وفوق رؤوس المقاتلين مظلة جوية مصرية وسورية وعراقية وجزائرية ... وبئر النفط الليبية تقدم اوراق اعتمادها للمعركة ، وتونس تقدم المستشفى ، ولكن اين هو المقاتل العربي الجريح من كل أرجاء الوطن العربي ؟..

* * *

لا مشرحة في المعركة ، ولا ثلج يوضع فوق جثث القتلى ... فالمقاتلون ليسوا في حاجة الى ثلج ، فهم يسقطون تحت أشعة الشمس من أجل ان تتحول جلودهم الى حقول قمح وقطن وورد ... وعلى الذين لا يقدمون للمعركة غير الثلج ان يحتفظوا به لكؤوسهم

... الثلج لكؤوسهم ، وليس لافواه القتلى !..

* * *

ان القدم العربية ، حين لامست الارض المحتلة ، قد ألقت ببذرتها في رحم تلك الارض ..

والبذرة تتحول الآن الى نطفة ، وستكبر النطفة ، وتحت جلد الارض المحتلة ، التي ذاقت طعم الدم العربي ، ستترعرع تلك النطفة ...

لقد حبلت الارض المحتلة حين لامستها تلك القدم العربية ، ولا بد ان تلد ... وستلد فوق أرض القتال ، في سيناء وفي المرتفعات السورية وفي الارض المحتلة ، فلقد حبلنا وولدنا ، لسنوات طويلة مضت ، في منطقة « اللاحرب ـ اللاسلم » .. وجاء كل اطفالنا مشوهين .. وغير شرعيين ايضا !

ان أعظم ما تقدمه أيام القتال لنا الآن ليس تحرير هذا الجزء المحتل من الارض العربية او ذاك ، ولكنها قامت بتحريرنا ـ نحن ـ من أولئك الذين في أعقاب هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧ وضعوا الرباط الاسود لموشى دايان فوق عيونهم ، وانهالوا على ثقافتنا وتاريخنا وحضارتنا ضربا بالعصي والكرابيج ، وقاموا بتسميم كافة الآبار التي كنا نستقي منها . لقد فعلوا هذا لانهم كانوا يعتقدون بأن هذه هي فرصتهم . لقد وجدوا في الحرب الصاعقة الاسرائيلية أسلوبا لحرب خاطفة في الشعر وفي كل مجالات الكتابة ايضا .. ومن هنا ظهروا في أعقاب الكارثة الماضية بكامل ثيابهم العسكرية الشعرية ، وبأعلى صور وأشكال العجرفة الشعرية .

ان أعظم ما قدمته أيام القتال لنا ان القدم العربية قد ألقت بالقطن الملطخ بالدم ، وبالجبس المتحجر ، وبالمسامير ، في وجوه كل اولئك الذين تحولوا الى ممرضين وأطباء في مستشفى « اللاحرب ـ اللاسلم » .

ان أعظم ما قدمته أيام القتال لنا انها أعادت الشرف للهواء العربي ، وللصوت العربي ، واصبح راديو الترانزستور ، ولاول مرة منذ سنوات طويلة ، مصدرا من مصادر الثقة .

وبعد ذلك ، فالانتصارات لا تقاس بالاميال ولا بالكيلومترات ، ولكنها في بعض مراحل التاريخ ، وفي هذه المرحلة التي نعيشها ، تقاس بمساحة تلك القدم ، بمساحة ذلك الحذاء ، لذلك المقاتل العربي .

الاسبوع العربي
١٥ تشرين الاول

مع أبو عمار ...

فوق صخرة من صخور مرتفعات الرؤوس ، في سفوح جبل الشيخ الغربية ، والعلم الفلسطيني يتماوج في الهواء ويلقي بظله فوق الصخور ، أخرج أبو عمار دفتره الصغير ، الذي يرافقه دائما ، واقتطع منه ورقة وضعها فوق صخرة ملساء من صخور المرتفعات البيضاء التي تشبه الرخام ، وراح يكتب ..

كان هواء المرتفعات لا يزال مشبعا برائحة البارود ... وتحت هذه الصخرة او تلك ، كان هناك اكثر من بقعة من الدم ... تتوهج تحت اشعة الشمس وهي توشك على الغروب . ولقد ترك المقاتلون الفلسطينيون بقع دم شهدائهم وجرحاهم كما هي بعد ان استولوا على الرؤوس الثلاث في سفوح جبل الشيخ في الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم ٧ ـ ١٠ ـ ٧٣ ، وبعد قتال دموي ومواجهة مباشرة بالرشاشات والقنابل اليدوية مع المفرزة الاسرائيلية التي كانت تحتل الرؤوس الثلاثة وتتحصن خلف صخورها ، وتحت غطاء من قنابل المدفعية والصواريخ الثقيلة ...

لقد ترك المقاتلون الفلسطينيون بقع دماء شهدائهم الخمسة الذين سقطوا فوق الصخور البيضاء ، وبقع دماء أحد عشر جريحا.. تركوها ، ولم تمتد يد أحد منهم ، يطمرها بالتراب ، او يغطيها بالاعشاب .

ان الدم الفلسطيني المراق يجب ان لا يغطى ... فما أسرع ما تشربه الارض ، وتختزنه في شرايينها ، من أجل ان تستمر الدورة الدموية للخصب والعطاء بالنسبة الى الارض .

كان ابو عمار يكتب ومن حوله التفت مجموعة من المقاتلين . ومن الذي يستطيع ان يمنع عينيه من ان تمتدا من فوق كتفي القائد العام للثورة الفلسطينية ، الذي رفض الا أن يخوض المعارك بنفسه ؟ من الذي يستطيع ان يمنع عينيه من ان تمتدا من فوق كتفي القائد العام للثورة الفلسطينية ، وهو يضع الورقة الصغيرة البيضاء فوق الصخرة البيضاء ويكتب :

« الاخ الرئيس انور السادات ،

« الاخ الرئيس حافظ الاسد ،

« سيطرت قوات الثورة الفلسطينية ، بناء على الواجب المطلوب منها ، على مرتفعات الرؤوس الثلاث ، في الساعة الخامسة من بعد ظهر هذا اليوم . كما نفذت قوات الثورة عددا من العمليات في الجليل الاعلى وداخل الارض المحتلة ... » .

ويتوقف أبو عمار لحظة .. ينظر الى وجوه المقاتلين ، وينظر الى الصخور ، والى العلم الفلسطيني الذي يتماوج في هواء الجبل، وكأنه يستمد القوة ... فقط من لون واحد في العلم الفلسطيني هو اللون الاحمر ، لون الدم ، فيواصل الكتابة :

« اخوانكم الثوار يجددون العهد على المضي قدما للاستمرار في القتال حتى تحقق أمتنا العربية المجيدة انتصارها الكبير بتحرير كامل التراب .

« أطيب تمنياتنا للانتصارات الرائعة التي يحققها الابطال على جبهتي القتال في سيناء والجولان » .

ويقرأ ابو عمار تلك الكلمات الكبيرة ، فوق الورقة الصغيرة ، ويمد بها يده الى احد المقاتلين وهو يقول :

ـ معذرة .. فالخط غير واضح ..

غير ان المقاتلين اعتادوا على خط ابو عمار ، كما اعتادوا على رؤيته دائما بينهم .

وكدت أصرخ :

ـ لقد تركنا الآلة الكاتبة ، ذات الكلمات المطبوعة الواضحة ، للذين يكتبون وهم خلف مكاتبهم .

ويتناول المقاتل الورقة الصغيرة ، ويمضي داخل الموقع ... ليقوم بعملية ارسالها .

* * *

أحد المقاتلين استند برأسه الى مدفعه الرشاش وراح ينظر الى الصخور البيضاء . كانت مستعمرات كريات اشمونا ، هونين مرجليوت ، مسكان عام .. الخ ، تحت قدميه مباشرة ..

كان ذلك المقاتل يستند برأسه الى مدفعه الرشاش ، اما عينيه فكانتا تقعان فوق المستوطنات الاسرائيلية .. ما أبشع عمليات التزوير فوق الخارطة ! وكأنه كان يجيب على سؤال ، ارتفع صوت ذلك المقاتل وعيناه لا تزالان ترفرفان فوق ذلك الجزء من ارض وطنه :

ـ هذه الرؤوس الثلاث ، التي حررناها اليوم في ٧ ـ ١٠ ـ ١٩٧٣ ، كان لها اسم آخر عام ١٩٦٩ ... حينما كنا خلف صخورها ،

وفوق صخورها ، كان اسمها « قاعدة التحدي » . ولقد احتفظنا بها ، رغم الدم الذي سكبناه فوق تلك الصخور ... احتفظنا بتلك الرؤوس الثلاث في سفوح جبل الشيخ ، رغم كل مؤامرت الحصار والمطاردة والغارات الجوية . ولظروف خارج اطار الكلام المباشر في هــذه الظروف ، هبطنا من تلك المرتفعات ، هبطنا من تلك الصخور ولم نترك غير علمنا الفلسطيني ، وبالطبع فلقد أنزله الاسرائيليون ، الذيــن جاؤوا بعدنا . ولكن انظر . ها هوذا العلم الفلسطيني يرفرف للمرة الثانية ، وبعد غياب خمس سنوات ، يرفرف فوق « قاعدةالتحدي » بعد ان عاد لها اسمها .

ونظرت الى العلم الفلسطيني ، وخيل اليّ انني قد اصبت بعمى الالوان . لم اعد ارى من الوانه الاربعة غير لون واحد ، هــو اللون الاحمر . اما الالوان : الاسود والابيض والاخضر ، فلقــد طمست تماما ، كانها لم تكن من قبل من ضمن الوان العلم الفلسطيني!

ولم اكن انا وحدي الذي كان ينظر الى العلم الاحمر . فلقد كان ابو عمار ، هو الآخر ، يسلط عينيه فوق ذلك اللون ، وكأنــه كان يريد ان يقول للمقاتلين :

ـ لقد شطبنا اللون الابيض من خارطة الواننا ـ وانتم تعرفون جيدا معنى هذا اللون ـ اما اللون الاسود ، فلقد عشناه طيلة ايــام الحصار والمطاردة . انا لا أستطيع ان ارفض اللون الاخضر . فهــو لون وطني . لون شجرة الزيتون ذات الجذور العميقة في الارض .. فحافظوا على اللون الاحمر ، فهو لون دمنا ، كما تحافظون عــلى حدقة العين .

* * *

ونهض ابو عمار ، والتف حوله المقاتلون . ومضى الى حيث ارتكز العلم الفلسطيني فوق أعلى صخرة في الرؤوس الثلاث ، في سفوح جبل الشيخ ، في الارض المحتلة ..

مضى ابو عمار الى العلم الفلسطيني ، وقــد غربت الشمس تماما ، ومضى اليه احد المقاتلين ، كأنما كان يريد ان يذكره بــان الشمس قد غربت ، وان عليه ، وهو صائم ، ان يتناول طعــام فطوره الآن .

ووضع ابو عمار كفه فوق عينيه ، ليحجب الدموع التي راحت تترقرق من عينيه وهو يقول :

ـ لقد كانوا صائمين مثلي ، أولئك الذين حرروا الرؤوس الثلاث من سفوح جبل الشيخ ، وسقطوا فوق هذه الصخور .

* * *

ومضى أبور عمار الى العلم الفلسطيني وقبله ... قبله وبكى . وبكى المقاتلون من حوله . انها دموع الرجال .

في مثل هذه اللحظات ، فاما ان تصاب بالجنون . او تقدم حفنة من العشب ، يفطر بها القائد العام لثورتك !

* * *

... وغربت الشمس . ورغم ان الشمس قد صبغت مصابيحها ونوافذها باللون الازرق ، فلقد رأيت ابو عمار . رأيته وهو ينحني فوق الارض ، ويتناول حفنة من التراب مصبوغة بالدم ، يتنــاولها ويشمها كالوردة ، ويقبلها ، ويضعها في جيبه ويمضي ..

الاسبوع العربي
١٥ تشرين الاول

سقوط الوجه الآخر لخط بارليف

« في تمام الساعة الثانية من بعد ظهر السبت ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ ، اجتاز الادب العربي خط وقف اطلاق النار ، وعبر قناة السويس ، وفي اقل من ست ساعات ، سقط خط بارليف آخر، في المسرح والشعر ، في القصة والرواية والمقالة » .

هذه البرقية لم يرسلها بعد اي مراسل ادبي عربي أو أجنبي لجريدته ، او لوكالة أنبائه . فاحدى المآسي الكبرى في حياتنا الادبية ان المراسلين الادبيين ، وان الذين يكتبون عموما في بلادنا يتقدمهم دائما المراسلون العسكريون . والمراسلون الادبيون ، كتابا وشعراء ، اما يستمدون ما يكتبون عنه من راديو الترانزستور ، أو من تقارير العسكريين المنشورة في الصحف .

غير ان هذه البرقية الهامة جدا ، والتي لم ترسل بعد ، والتي لم يدرك القراء العرب أهميتها بعد ـ في غمرة المكاسب العسكرية ـ لا بد وان تتركز عليها الاضواء في مرحلة قريبة مقبلة ، عندهــا سيتناولها النقاد بالدراسة . وستكتب حولها الكتب ، وترص حولها القصائد .. كاكياس الرمل .

ففي لبنان اعلن اكثر من مسرحي واكثر من مسرح قراره بالغاء المسرحية التي كانت تجري لها البروفات . انطوان كرباج ألغىمسرحية « المارسلييز العربي » وقال :

« لقد سقط عليها عقب سيجارة مشتعل واحرقها » .

اما نضال الاشقر فلقد صاحت :

« ان مرحلة باكملها من المسرح تسقط تحت الانقاض ، أقصد ـ انقاض خط بارليف » .

وتتتابع أقوال المسرحيين في لبنان . ولا اعتقد بان الوضع فـي البلدان العربية الاخرى ، من حيث ارتباط المسرحية بهزيمة الانسان العربي ، وتكريسها لتلك الهزيمة ، هو افضل حالا من لبنان .

أما بعض الشعراء الذين كان يجب ان يكونوا اكثر جراة مــن الممثلين ، فلم يصرح أحد منهم بكلمة . لقد اكتفوا بسحب قصائدهم من الجرائد ، ومن الملاحق الادبية ، وفوجيء القراء العرب بتوقيعاتهم وهي تتصدر الواجهات الامامية للبرقيات والمذكرات المرسلة الى جبهة القتال . ويبدو ان مسالة النقد ، والنقد الذاتي ، هي مســالة لا تشكل اية قيمة ادبية او وجدانية بالنسبة اليهم . فمســاحة الذاكرة العربية ، كمساحة الارض العربية ، مساحة كبيرة وشاسعة، وفيها من الجبال والمرتفعات والغابات والرمال ، ما يكفي لكي يختفي خلفها هؤلاء .

غير ان القضية ، اقصــد قضية الخط المسرحي والشعري والفكري ، والموازي لخط بارليف ، على الضفة الشرقية من القناة ـ اخطر كثيرا من قضية ذاك البعض من المسرحيين والشعراء والكتاب والمفكرين والنقاد والناشرين ... الخ . القضية ـ وبغض النظر عن ان الذين يحاولون الآن ان يظهروا كالغواصات من تحت سطح الماء ، فاذا بهم تحت لافتات القتال ، وتحت الاضواء ـ القضية اكبر مــن هذا بكثير ، فهي قضية أدب أمة باكمله ، قضية ادب أمة يبنى مــن جديد ، ولا بد من القول هنا انه لا يبنى فوق الهواء ، ولا بواسطة لمس مصباح علاء الدين ، فاذا بالادب العربي يرتفع شامخا على أعمدة ضخمة من الرخام . فهناك ، ولا شك ، قاعدة لادبنا الجديد . فليس كل الشعراء كانوا يدخنون نارجيلة هزيمة الخامس من يونيــو (حزيران) ١٩٦٧ ، ولا كل الكتاب والدارسين والمفكرين والمؤرخين تحول التاريخ العربي باكمله الى « نكتة » في افواههم ، ولا كلهم تحولت الحضارة العربية ، بالنسبة اليهم ، الى صالون حلاقــة يخرج منه صلاح الدين الايوبي وكأنه احد « الهيبيين » ، ولا كلهم تحول الادب العربي فوق اوراقهم رسوما كاريكاتورية بالفحم الاسود منقولة عن لوحات اجنبية بالالوان الزيتية !

فهناك ، ولا شك ، أولئك المفكرون والنقاد والكتاب والشعراء الذين لم يقصوا جلد وطنهم ، ويحولوه الى ما يشبه مناديل الورق في جيوبهم ، او فوق مكاتبهم ، بل حاولوا ان يلتقطوا من تحت انقاض الهزيمة حجر الماس الذي سقط من صدر الانسان العربي ـ والذي هو قلبه ـ ورغم سقوطه فلم يكف عن الخفق والومض .

القضية اذن اكبر من قضية الذين تحولوا الى مقاولي توريد المسرحيات والقصائد والكتب الى مستشفى اللاحرب ـ اللاسلم ، حيث تمدد الانسان العربي فوق سرير وساقه في الجبس وعنقه أيضا ..

فالقضية ، كما قلت ، هي قضية أدب بأكمله ... اذ كيف يمكن ان يتحالف ، على جرح وطن ، كل تلك الديدان ، رغم مختلف الجحور التي انحدرت منها ، تملأ بطنها ـ كالعلقة ـ بالدم ، ثم تعود الى قاعدتها .. وبالعكس ؟ والافظع من هذا ، كيف أقبلت قطاعات كبيرة من الذين يقرأون في هذه الامة على عملية نفخ تلك الديدان ، وتحويلها الى بالونات او مناطيد ، والبعض منها تحوله الى مراكب فضائية ؟!

لقد ضربتنا الهزيمة فوق الرأس وسقطنا ... سقطنا في دوامة من الغيبوبة ، وحينما قمنا بتحريك اطرافنا ، نتحسس نبضات الحياة الباقية في عروقنا ، رأيناهم فوق رؤوسنا . نطالب بالاربطة البيضاء ، فيلفون وجوهنا بقصائدهم . نطالب بزجاجة من الدم ، فيكسرون فوق رؤوسنا زجاجة من الحبر الاحمر .. وحينما كنا نحاول الرجوع ولو قليلا الى الوراء ، لكي نتزود وسط دياجير الهزيمة بحفنة صغيرة من الضياء ، من ايدي ابطالنا وتراثنا القومي ، كانوا يقومون بعملية استحضار ارواح اولئك الابطال ، فاذا بابطالنا يتكلمون لغة المهرجين والبهلوانات .

كانت أمة تحت الانقاض ، أمة في السرداب ، تبحث من طاقة صغيرة من الخور ، تندفع اليها ... كانت أمة تحس انها أعطت صوتها بلا تحفظ ، وضعت توقيعها في ذيل ورقة بيضاء وألقت بها في الصندوق الانتخابي ومضت ، وحينما أحست بفاجعة انهيار كل شيء ـ كانما احست بمسؤوليتها ـ اندفعت الى أدب نارجيلة الهزيمة ، تشم دخانها وتملأ رئتيها بالغاز السام ، وتسمع الى « قرقرة » القصائد في داخل هذه النارجيلة او تلك ، وتتأوه ... فالجماهير ايضا ، في بعض مراحل التاريخ ، تستمتع بادب التعذيب للنفس . غير ان الاستمتاع بالعذاب لم يدم لفترة طويلة ، فما أسرع ما نهض من تحت الانقاض انسان جديد ، هو انسان المقاومة الفلسطينية . وحدث ان هذا الانسان قد تحول الى « صرعة » او ما يشبه الموضة الجديدة بالنسبة الى ركاب طائرات الهزيمة وركاب طائرات الانتصار معا ، فاستقلوا أول طائرة الى المقاومة الفلسطينية .

وتمر سنة العسل بين المقاومة وركاب طائرة المقاومة ، وما أن تبدأ مرحلة الحصار والمطاردة ، ومرحلة شارع فردان ، ومرحلة رسائل الديناميت ، حتى يقفز هؤلاء بالمظلة ، لا يهم أين يقفزون وأين يسقطون ... المهم ان يقفزوا ، قبل سقوط الطائرة . هكذا خيل اليهم . ولو كان القارىء العربي يتابع الخط البياني لتلك البطانة الشعرية والفكرية والادبية لوجد ان الخط البياني سيتوقف عند نقطة ، هي ان هؤلاء الذين وجدوا في انتصارات المقاومة ذلك التغيير لصوتهم الشعري الذي علاه الصدأ واحترق كحنجرة من المطاط من فرط ما زعق بادب الهزيمة ، هم أنفسهم ، أو غالبيتهم العظمى ، أولئك الذين اندفعوا في عملية تجريح وتلطيخ للمقاومة ، باسم النقد والنقد الذاتي .. هذا النقد والنقد الذاتي ، اللذان لم يعرفوهما طيلة حياتهم ، ولم يمارسوهما لا كتابة ولا سلوكا . وها هم الآن هم ، ركاب طائرة الهزيمة ، وركاب طائرة المقاومة ، ثم ركاب طائرة ضرب وجه المقاومة ، ها هم الآن ، ركاب طائرة جبهة القتال ، وركاب طائرة البرقيات والمذكرات !

أكتب هذا من منطلق واحد : هو ان أدب أية أمة ، أدبها وشعرها وفكرها ، يجب ان لا يعامل أبدا معاملة « الاوتوبيس » الذي يتنقل من محطة الى اخرى ، وان أدب الشعوب وفكرها ليس أبدا طائرة ركاب عابرة للقارات ، يمكن ان يأخذ مقعده فيها أي كاتب او شاعر بمجرد ان يشتري تذكرة السفر ، ويأخذ تأشيرة المرور وفي جيبه شهادة صحية .

ان ادب الامم وشعورها ، الذي هو روحها ونبضها ووجدانها ، يجب ان تكون له قداسته الى تلك التي يجب ان تصدّ فيها غارات اللصوص . فالادب العربي ليس كهفا من كهوف علي بابا والاربعين لصا ، ليس كهفا تخفى فيه السرقات المتواصلة وعمليات السطو المتواصلة على كنوز هذه الامة .

فالقواميس السياسية والادبية والاجتماعية ، بل على جميع المقاييس الحضارية ، هناك تلك القاعدة التي تحتم دائما مراجعة المواقف من عمليات التغيير الكبرى . واذا كان للشاعر او للكاتب ذلك الشرف العسكري للمقاتل ـ ويجب ان يكون له هذا ـ فيجب ان لا يخجل ابدا من عملية المراجعة لموقفه ، ومن الخروج على القراء بكامل ثيابه المطرزة بكلمات الهزيمة وتكريس الانكسار .

هكذا يفعل كتاب وشعراء الامم الاخرى في مراحل التغيير ، يقومون أول ما يقومون بعملية النقد والنقد الذاتي لكل ما قدموه من أدب أسود ومن حبر شبيه بالسم ان لم يكن اكثر فتكا . يفعل هذا كتاب وشعراء الامم الاخرى ، لانهم يحترمون أنفسهم كشعراء وككتاب ، ويحترمون اممهم أولا وقبل كل شيء ..

أكتب هذا وانا أعرف مقدما ان مساحة الذاكرة العربية كمساحة الارض العربية ، وهي مساحة شاسعة تماما يمكن ان يختفي في جبالها ومغاورها وفي غاباتها ، كل الذين يرفضون مواجهة النفس ، ويتوهمون بانهم قد أفلتوا من المسؤولية ، ومن العقاب أيضا .

ولكنهم ينسون شيئا واحدا ، أو هم لا يحاولون ان يتذكروا ، وهذا الشيء هو بالتحديد انهم حينما يواجهون أنفسهم ، ويقلبون ملفات قصائدهم ودواوينهم ومسرحياتهم وكتبهم ، عليهم ان يسالوا أنفسهم هذا السؤال الواحد :

« كم بقي لنا الآن ؟.. كم قصيدة بقيت بعد الساعة الثانية من بعد ظهر السبت الموافق ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ ؟ كم قصيدة بقيت ، وكم قصة وكم رواية وكم مسرحية ؟ » .

وأنا لا أتمنى ابدا ان يسقط عقب سيجارة مشتعل بصورة عفوية من يد أحد القراء ، ويضرم النيران في كل الذي كتبوه .

على عكس هذا تماما ، يجب ان تكون كل القصائد والمسرحيات والدراسات والكتب والقصص والروايات ، عن العدمية والموت ، بالمجان ، وكل صور وأشكال الانبطاحات العقلية ، مادة موضوعية للدراسة النقدية الجادة .

اذ ليس من المعقول ابدا أن يتم خروج ذلك المقاتل العربي من الهواء ، ليعبر القناة للضفة الاخرى من سيناء ، ويعبر خط اطلاق النار الى الصخور والمرتفعات السورية ...

بالقطع ، فعمر ذلك المقاتل ليس اسبوعا ولا اسبوعين ولا ثلاثة اسابيع . اي انه بالتحديد لم يولد ظهر السبت ٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، فمتوسط اعمار جنودنا بين العشرين والثلاثين .

وهنا لا بد ان يطرح هذا السؤال الكبير نفسه : اين كنا اذن وسط كل عمليات التغيرات الكبرى في داخل الانسان العربي والمقاتل العربي ؟ لا بد وان تغيرات جذرية قد حدثت . وبالطبع فتلك التغيرات - واقصد بها التغيرات النفسية والوجدانية والروحية والعقلية - لم تتم تحت الارض وبشكل سري ، فاولئك المقاتلون لم يهبطوا علينا من القمر ، ولا من كواكب اخر ، انهم ابناء العمال والفلاحين في بلادنا ... وكل واحد منا ولا شك له اخ او ابن عم او صديق من هؤلاء المقاتلين . وبالطبع فالمسؤولية لا يتحملها كاملة اولئك الذين يكتبون ، بل يشاركهم ايضا في المسؤولية كل من اقام الحواجز او قام بمد الاسلاك الشائكة للعزلة بين الكاتب وبين وطنه .

ومع ذلك فلقد فوجئنا بتلك التغيرات كلها ، ولو كنا على درجة او اخرى من الالتصاق بهؤلاء ، لعرفنا ببعض تلك التغيرات ، وكتبنا عنها ، ولكن المفاجاة التي ضربت راسنا بهراواتها كانت تعني شيئا واحدا ، لا يمكن ابدا انكاره ، هو اننا كنا في عزلة تامة عن كل تلك التغيرات - ومن اجل هذا كنا نكتب في الاتجاه المضاد تماما وفي الاتجاه المعاكس . كان المقاتل العربي يكسر الجبس عن قدمه ، واقدامنا لا تزال في الجبس ، ونتوهم ان كل شيء قد اصبح في الجبس . وهكذا تحول ادبنا في خطوطه العريضة ، وتحول شعرنا في خطوطه العريضة ايضا ، الى ادب في الجبس ، والى شعر في الجبس ، الى كتاب وشعراء في الجبس ، من الرأس الى القدم .

هناك مفارقة غريبة في كل ما حدث ، وهو ان المتنبي - الذي أوشك بعض الكاتبين والدارسين والشعراء ان يطالبوا بتعليق صورته فوق جدران مخافر البوليس ، ويطالبوا بالقاء القبض عليه حيا او ميتا لان قصائده قد كتبت بحد السيف ، ولانه كان شاعر مرحلة مواجهة ، وشاعر معركة المفارقة الغريبة العجيبة ، ان المتنبي ، بكامل اسلحته وقصائده ، كان مع الدفعة الاولى التي اقتحمت خط وقف اطلاق النار في الجولان ، وان المتنبي كان أحد المدافعين عن الجولان وربما كان يطلق « صاروخ سام ٦ » ، او ربما كان يقود دبابة ..

المتنبي لم يفاجأ وكان مع الدفعة الاولى من المقاتلين ، لانه - ومنذ مئات السنين - كان يعرف ذلك الشيء البسيط الذي هو الانسان العربي ، وكان ملتصقا به . ولم تكن معارك سيف الدولة كلها بالمعارك المنتصرة ، فما اكثر ما هزم سيف الدولة ، ولكن حجر الماس ظل على خفقه وومضه في صدر المقاتل العربي .

* * *

انا أضع يدي على قلبي الآن ، فاذ ننتقل دفعة واحدة من خط الهزيمة المطلقة الى خط الانتصارات المطلقة ، اخشى ان تصبح القصائد المنتصرة في مستوى « الساندويتش » ، وان تفتح اكشاك شعرية جديدة لبيع مثل هذا « الساندويتش » الذي سيقبل عليه القراء ولا شك .

اخشى هذا الانتقال المطلق ، لان علينا ان نعامل انتصارات وطننا لا كأوتوبيس ركاب ، ولا كطائرة ركاب ، ولا كعربة شحن ، ولا « كساندويتش » . فلقد تغير المقاتل العربي وتغير الانسان العربي ، وعلينا نحن ايضا ان نتغير .

الاسبوع العربي
٢٢ تشرين الاول

جنديا .. كان الله وراء متاريس دمشق

(١)

أعطى الله عصاه لموسى ، ليشق البحر ويهرب
لم يعط الله عصاه لموسى ،
كي يضرب
حين « عصا موسى » صارت طائرة ،
كان الله
يحمل أكياس الرمل على ظهره
يرفع بيديه الاحجار ، ويعجن بيديه الاسمنت
ويقيم متاريس دمشق
جنديا كان الله وراء متاريس دمشق
ومآذنها الاموية تنطلق صواريخ ...

(٢)

« عصا موسى » ،
انكسرت فوق المرتفعات السورية
جندي سوري نحت عصا موسى المكسورة
غليونا ...
تبغك زهر الارض فدخن
اصنع لدمشق سماء أخرى
فدخانك قد صار سماء ...

(٣)

كان يموت بصمت
ما كان بيده كاميرا ، وعلى فمه
ما كان مكبر صوت ،
كان يموت وراء خطوط الضوء ،
وراء خطوط الصوت
قلبي قنبلة لدمشق ...
وأصابع كفي العشرة ...
عشر رصاصات لدمشق ...
كان يموت وراء خطوط الضوء ،
وراء خطوط الصوت
كان يموت بصمت
ما كان بيده كاميرا ، وعلى فمه ،
ما كان مكبر صوت

(٤)

«بردى» ، كان رباطا أبيض خصلة ماء فوق الجرح
بردى عربة اسعاف
تتنقل بين متاريس دمشق
بردى طائر ...
يحمل في المنقار ، زجاجة دم
وأنا صبغ الحبر يدي ، وصبغ الفم
ودمشق على مرمى قطرة دم ...

(٥)

حين الاربطة البيضاء
سقطت عن قدمك ، ومشيت على وجه الصخر
على وجه الماء ...
كان الله على شاطىء حيفا
يصطاد السمك لاطفال فلسطين ،
ويصرخ من هول العشق
ستجيء الآن دمشق ...

(٦)

الآن دمشق ...
لن أصبغ باللون الازرق عيني
لن أصبغ باللون الازرق كفي وقدمي ...
لن اصبغ باللون الازرق جلدي ...
يكفينا موتا ، بين اللون الابيض
واللون الازرق

(٧)

عيناي طابعا بريد
للعالم الجديد ...
على دمشق تسقط القنابل
ساعي البريد في دمشق لم يزل ،
يوزع الرسائل ...

(٨)

على سطوحك الاطفال ...
اقسموا على رغيف الخبز ،
أن يواصلوا القتال ...

معين بسيسو

البلاغ

٢٩ تشرين الاول

عبد الوهاب الكيالي

نصر تشرين بداية لا نهاية

منذ قرون والامة العربية تتحفز لاستئناف مسيرتها الحضـارية واخذ مكانتها العالية في ركب التقدم الانساني .

أمتنا الظمأى الى المجد تقرأ سيرة محمد وعمر وعلي وخـالد على أساس انها رؤى المستقبل لا ذكريات الماضي . وترى في عبقريـة المتنبي وأبي العلاء والكندي وابن خلدون والفارابي وابن رشـد والخوارزمي وابن سينا صورة اجيالها القادمة وصفحات منطموح آت.

اما صلاح الدين فوعد وعبرة القادسية وحطين والقدس فموعد وصـلاة .

منذ قرون وهذه الامة الخصبة الولود تعـاني آلام المخاض ، وها هي قد وصلت مرحلة الولادة .

الولادة هي الارادة ، ارادة الحياة من خلال ارادة القتال والحياة. والولادة استحقاق ثمنه الالـم والتضحيـة ، الالم الخلاق والتضحية المطهـرة للنفس .

منذ قرون وأمتنا مسلوبة الأرادة مستضعفة محكمة مشتتة مجزأة ومنهوبة تتكالب عليها القوى الامبريالية العالمية ويناصبها الغـرب العداء التاريخي المرير خوفا من وحدتها ونهضتها . وعندما اخـذت امتنا تستيقظ من سباتها العميق في مطلع القرن الماضي وتوجهـت نحو الوحدة والقوة عقدت الدول الغربية المتنافسة فيما بينها حلفـا وحركت الاساطيل وأنزلت الجيوش للحيلولة دون نهضة العرب . وكان بروز خطر اليقظة العربية وراء تبني الامبريالية والغرب للحركـة الصهيونية ولفكرة الدويلات الدينية ولمعاهدة سايكس بيكو (أي التجزئة العربية) ولدولة اسرائيل .

ولقد تجلى نجاح الاعداء طيلة هذه الحقبة التاريخية كلهـا بابعاد الجماهير عن كل مشاركة في صنع حياتها ومستقبلها وفـي تصليب جدران التجزئة العربية المصطنعة ... وفي حرمـان العرب من القتال .

كان لا بد للجماهير العربية ان تنتصر في فرض ارادتها فـي الحياة وفي السيطرة على زمام أمرها وفوق ارض وطنها . ولقـد جسد السادس من تشرين الاول بداية عهد الارادة العربية .

فلاول مرة منذ فترة بعيدة جداً تحمل الامة العربية السـلاح وتقاتل في سبيل حقها ووجودها الحر .

ولاول مرة تنهار أساطير العجز والتخلف الابدي والتبعيـة المستمرة التي نسجها الاستعمار وأعوانه حول جماهيرنا وأمتنا .

ولقد حققت أمتنا بداية النصر وأصبحت تمشي على طريـق الكرامة والنماء والمستقبل بخطى ثابتة . كان القتال تجسيدا لارادة الجماهير وكان النصر ثمرة وحدة الارادة ووحدة الجبهات وقوميـة المعركة وانطلاقة للجماهير . وهذا النصر بداية ، اما استكمال الطريق فهو تحرر الجماهير ومشاركتها الكاملة في صنع حياتها ومستقبلهـا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، وهو انجاز وحدتها عن طريق توحيد كيانها القومي التقدمي .

ان جماهيرنا المضطهدة قد استطاعت ان تفرض تغييرات كثيرة وهامة على اثر هزيمة ١٩٤٨ ، واليوم من يستطيع ان يقف في طريقها ومن ذا الذي يستطيع الحيلولة دون اكمال مسيرتها وقد امتشقت السلاح ورأت ثمار الوحدة وذاقت طعم الكرامة والنصر .. والتحرير؟

الاحرار ٢١ تشرين الاول

من المعركة الى الثورة

عندما أخذت الحرب الدائرة بيننا وبين العدو الصهيوني تهدد بالتحول الى ثورة ، أيقنا بأن التآمر سوف يشتد ويتسارع لـوقف القتال .

فلقد حمل بدء القتال في طياته انتصارات اولية وهامة عـلى طريق المستقبل العربي .

كان نشوب القتال استجابة لنداء الجماهير ولنضالها المتواصل لتحرير الارض .

وكانت شجاعة المقاتلين العرب تحديا وخرقا للاساطير التـي نسجها العدو حولنا كسجن كبير يأسر ارادتنا ويشل حركتنا وتطلعنا الى غد كريم .

وكان قتال العرب على جبهتين وبارادة موحدة وبمشاركة العراق الطليعية وبوزنه الكامل الفعال نصرا يهـدد استراتيجية العدو ومستقبل وجوده ، كما كانت مساهمة بعض القوات العربية الاخرى مساهمة معنوية ذات دلالة هامة .

وسرعان ما أخذت ارادة القتال العربية تفعل فعلها وتعطـي ثمارها ، فدفعت الاقطار النفطية الى مراجعة قراراتها المتخـاذلة في مؤتمر الكويت بعد أقل من ٤٨ ساعة من صدورها ، وبدأت كـل حكومة تدافع عن نفسها امام جماهيرها المطالبة ابدا بالمشاركة والمزيد من المشاركة في المعركة القومية الكبرى .

ولقد خشي الامبرياليون والصهيونيون وأعداء التقدم العربـي من امتداد الحرب لانها كانت متجهة الى تعميق الاتجاه القتالي الثوري في الوطن العربي . فالجماهير بدأت تطالب بتسخير كل الطاقات العربية لصالح المعركة :

فالضغط على الاردن ليفتح جبهته الهامة والواسعـة ضـد العدو يتزايد .

والضغط على الاقطار العربية النفطية لسحب ارصدتها مـن بنوك اميركا والغرب يتعالى .

والمطالبة بتصفية القواعد العسكرية الاميركية في السعوديـة والمغرب والخليج العربي تشتد .

والحاجة الى تسليح الجماهير العربية وزجها في المعركة باتت ضرورة ملحة .

وأهم من ذلك كله وأخطر بروز ضرورة وامكانية تلبية المطلـب الجماهيري الاول ، وهو قيام دولة موحدة متوجهة نحو التحرير من مصر وسوريا والعراق لكي تكون نواة الوحدة الشاملة وقاعدة انطلاق الامة العربية في وثبتها التي طال انتظارها .

أجل ، لقد أدرك الاعداء والخصوم ان المعركة قد أعطت الامة العربية فكرة (حافزة) عن قوتها وامكانياتها ، وان استمرارها سـوف يدفع أمتنا على طريق ثورتها ووحدتها وتقدمها ، وليس أدل عـلى ما نقول من تزايد الزخم العربي أيام القتال الاخيرة في حـين ان الانهاك أخذ يؤثر على سير قتال العدو على الرغم من الدعم غيـر المحدود الذي تلقاه من الولايات المتحدة .

وأيا كانت خطط الاعداء فان ثورة عربية جديدة ولدت في المعركة لن تستطيع مؤامرات اميركا واسرائيل القضاء عليها . لقـد وضعتنـا المعركة في قلب المستقبل ولن يستطيع أحد ان يجرنا الى الماضـي او حتى يوقف تحركنا عند حدود الحاضر .

الاحرار ٢٣ تشرين الاول

يوسف الخطيب

الحرب هي الحرب

ان الحرب هي الحرب ..

ليست الحرب دعابة ، ولا دعاية .. ولكنها بتعريفها القاطع الصارخ ، بحر من الدماء ، وافق من النيران .

ولعل من حسن الحظ اننا نختلف مع العدو اختلافا بينا في فهم كل منا لطبيعة الحرب هذه :

فلقد تعود الغزاة الصهيونيون ـ خلال حروبهم التهريجية السابقة ـ ان يخوضوها فوق ساحات وثيرة من الزهور والحرير ، هيأتها لهم مسبقا حبائل المؤامرات الامبريالية الشريرة ، فوق ما لاءمتهم بعض ظروف الواقع العربي التي كانت سائدة بالامس ، والتي يبدو انها غدت بائدة اليوم .. وهكذا ، وعبر ربع القرن المنصرم من الزمن ، فلقد تكونت لدى الصهيونيين القناعة الساذجة التالية وهي : ان أية حرب اخرى سيخوضونها في المستقبل لن تكون الا مجرد نزهة سياحية ممتعة في مناطق اخرى من ربوع الوطن العربي . الا ان ما حدث ، يوم السبت الماضي ، قد كان بالنسبة للمقاتلين الصهيونيين أشد شبها برحلة دانتي في فيعان الجحيم !! ولعل هذه المفاجاة العكسية على طول الخط ، ستغدو ، في الغد القريب ، مثالا تطبيقيا حيا لطلاب العلوم العسكرية في شتى انحاء العالم ..

لقد تصوروا ايضا ان بأيديهم سيادة الجو المطلقة ، وان أعاجيب الفانتوم ـ خاصة في شارع السفارات بدمشق ـ ستجلب لهم الحظ ، وتدني منهم قطوف النصر .. الا ان ما حدث فعلا ، على ارض الواقع ، لا في سديم الخيال ، هو ان فرسان خيول الفانتوم قد أخذوا يهجرون صهوات طائراتهم المشتعلة في الجو ، او حتى قبل ان تنفجر على الاطلاق .. هذا على حين سجل مراسل أجنبي ان اطفالنا العرب كانوا ما يزالون يلعبون كراتهم القدمية الصغيرة في شوارع دمشق ، وان طفلة صغيرة كانت تقضم كعكتها بطمانينة تحت السماء !!

لقد استقدموا ايضا ، الى الارض المحتلة ، عشرات الصحفيين من مختلف انحاء العالم ، بغية ان ينقلوا الى الرأي العام العالمي أساطير جديدة مسلية حول ما يوصف « بجيش الدفاع الاسرائيلي » ـ دون كيشوت القرن العشرين ـ وكيف سيختتم المعركة بضربةواحدة ذات اليمين ، وبضربة اخرى ذات الشمال !! الا ان ما حدث فعلا هو ان هؤلاء الصحفيين البؤساء قد حجر عليهم ما يشبه الحجر الصحي في كرنتينا وزارة الاعلام الصهيونية بسبيل حقنهم بما ترغب الوزارة ان تحقنهم به من معلومات صبيانية ، او قد لا تجوز احيانا حتى على الصبيان .

هذه المرة فقط ، بدأ العدو الصهيوني يستيقظ على الحقيقة المجردة التالية : وهي ان الحرب هي الحرب .. وانها ليست دعابة، وانها ليست دعاية ، وانما هي بحر من النيران ، وافق من النيران.. وان على الغزاة المعتدين ان يسددوا بين ايدينا قائمة حسابشهدائنا الابرار .

البعث
١١ تشرين الاول

تحرير النفس أولا ثم يأتي تحرير الارض

في اعتقادي ان الهزيمة الكبرى التي حلت بامتنا العربية في حرب حزيران الاسود ، لم تقع وطاتها على ساحة العمليات العسكرية، قدر ما انعكست آثارها على النفس العربية بأسوأ الآثار .

لقد وقع يومئذ احتلال للارض .. ولقد كان احتلالا فادحا ، فاق في اتساع رقعته ثلاثة أضعاف الشريحة الفلسطينية المحتلة منذ سنة ١٩٤٨ ، والمعروفة بقوة الامر الواقع ، « باسرائيل » .

الا ان ذلك كله كان احتلالا قائما على السطح وحسب .. وهو لم يكن ذي بال مطلقا بالقياس الى ذلك الاحتلال الآخر الرهيب الذي أخذ ، على الفور ، يستهدف أعماق النفس العربية ، بضرب روحها المعنوية في الصميم ..

ان احتلال الارض ، في ذاته ، مسألة قديمة جدا قدم تاريخ النوع البشري .. بل لقد اغتصب اليهود انفسهم فلسطيننفسها قرابة أربعمئة سنة ، ما بين القرنين الحادي عشر والسابع قبل الميلاد . ولقد دونوا في اساطيرهم منذ ذلك الزمن السحيق انهم ذبحوا اهل « اريحا » عن بكرتهم ، باستثناء الزانية « راحاب » لانها اوت الى منزلها جواسيس « يشوع بن نون » . فمذبحة دير ياسين اذن ، او مذبحة قبية ، او مذبحة كفر قاسم ، لا تنهض وحدها في الفراغ ، وانما تستمد نسغها الدموي من مذبحة اريحا قبل ثلاثة آلاف سنة !

وحتى امسنا القريب جدا ، والذي ما يزال حيا فيالذاكرة بعد، فان الجيوش الهتلرية قد اجتاحت ، كالجراد الجائع ، رقعة القارة الاوروبية كلها تقريبا ، من امواج المحيط الاطلسي حتى مداخل موسكو فيما يشبه تنفيذ بيان عملي عسكري ، ان جاز لنا انتستعير عبارة الفريق الشاذلي في مثل هذا السياق .

ان احتلال الارض اذن ، ليس هو المؤشر الحقيقي .. وانما نفع الهزيمة فعلا باحتلال الروح المعنوية للجماهير ، عن طريق ذلك الجيش الرهيب ، اللامرئي واللامحسوس في معظم الاحيان ، ألا وهو جيش القنوط ، واليأس ، وعدم الثقة بالنفس ، مقرونا في آن معا بالتهويل في قوة العدو ، وبالتقليل من شان مقاومته ، ما دام هو الذي انتصر على أرض العمليات .

غير ان ما حدث ظهيرة يوم السبت الماضي ، قد صحح فيما لا يتجاوز ست ساعات خاطفة ، جميع الاوهام والقناعات الخاطئة التي ظلت تعشش في بعض الاذهان طيلة ست سنوات !!

وهكذا .. ففي اعتقادي الجازم الآن اننا نخوض معركة تحرير حقيقية وظافرة .. معركة تحرير لا تقاس ، ويجب ألا تقاس ، بعدد الكيلومترات من التراب العربي التي توغلناها في كل من الجولان وسيناء .. وانما تقاس ، ويجب ان تقاس ، بحقيقة التحرير الكامل الشامل للنفس العربية من ذلك الوهم العتيق الذي يطلق عليه « جيشالدفاع الاسرائيلي » .. فها هي صورة الغول الرهيب قبالتنا تماما .. ولقد تمزق عنها القناع دفعة واحدة والى الابد .. ولقد انطلقت النفس العربية ، حرة ، جريئة ، نقية كالشمس ، من ربقة الوهم الخادع ، ومن جوف ظلام اليأس ..

ومن تحرير النفس العربية اولا .. سيكون تحرير الارض .

البعث
١٢ تشرين الاول

رشاد ابو شاور

المجد للذين يقاتلون

أيها الفدائي .. أيها الجندي العربي .. أيها الضابط العربي..
أيها الطيار العربي ..
يا قائد الدبابة ..
الوطن في الذل منذ اكثر من ست سنوات .
الوطن مهان منذ اكثر من ست سنوات .
رايات الامة منكسة منذ اكثر من ست سنوات .

ولكن قبل ذلك فان اسرائيل كانت قد استولت على غالبية ارض فلسطين .. اضطهدت ، طغت وبغت .. وحطمت كبرياء هذه الامة ..

والصراع بيننا وبين اسرائيل هو صراع التقدم ضد التخلف .. صراع الخير ضد الشر .. صراع أمة موجودة ذات حضارة ضد « كيان » فاشي مجرم هو امتداد للامبريالية العالمية ..

انت يا أخي لم تواجه العدو .. كان دائما ينتصر دون معركة .. وكان الجرح يكبر في صدر كل مواطن عربي .. وأنت عانيت ـ ربما ـ اكثر ، لانك الجبهة الامامية .. لانك أيها الجندي الطيب الفقير عانيت من هزيمة لم تكن سببها ..

الآن .. الآن ، هذه هي اللحظة الحاسمة : لقد تكشفت اسرائيل رغم كل ادعاءاتها ـ بانها نمر من ورق ـ اذا نحن صمدنا وقاتلنا .. وامسكنا على الجهد ..

ان تغيير الواقع في وطننا العربي يمكن ان يتم ويتحقق اذا نحن حققنا الانتصار على صنيعة الامبريالية .. ورأس رمحها المغروس في قلب وطننا العربي ..

لا ايقاف للقتال . لاننا اذا توقفنا سنندم كثيرا ..
القتال سيتوقف عند الانتصار .. حين نحطم الآلة العسكرية الصهيونية المتغطرسة ..
فليتوقف القتال ، ولكن عند تحرير كل الارض ..

ان هزم اسرائيل على جبهات القتال سيعني انهيارها .. صحيح ان اميركا يمكن ان تتدخل .. ولكن ـ رغم كل شيء ـ فان اميركا ليست وحدها في هذا الكون .. ان لنا أصدقاء سيقفون معنا ..

ثم اننا سنعتمد على انفسنا أولا :
سنعتمد على رجولة وشجاعة ابناء هذه الامة .
سنعتمد على كبريائنا الوطني .

هذه هي اسرائيل ، انها الآن تصرخ وتتلوى .. انها قوية .. ولكن سم الافعى الذي في داخلها لن يصل هذه المرة الى جسد الامة ، فيشله ويوصله الى حافة الموت .
ضرب اسرائيل على رأسها المغطرس ..
ضرب اسرائيل في القلب ..
تحطيم هذا الكيان هو واجبنا جميعا .
نحن أصحاب المصلحة في حرية الوطن وكرامته وشرفه ..
الفدائيون بأسلحة بسيطة واجهوا الجيش الصهيوني المدجج بالسلاح في معركة الكرامة .. ومرغوا عنجهية دايان في رمال الكرامة ..
الفدائيون تمكنوا من ابقاء حالة الحرب قائمة .

الآن ، أيها الجندي العربي في الجولان .. وسيناء .. وأنت تتقدم .. تذكر : الاطفال الذين أحرقوا في مدرسة بحر البقر . العمال الذين صهرت أجسادهم في معمل (ابو زعبل) .

تذكر المذابح في دير ياسين ، في كفر قاسم .. في (قبيه) ، في (نحالين) .. على أرض فلسطين ومصر وسورية ..
تذكر اهلك وهم يهربون امام النيران الصهيونية الهمجية ..

تذكر رفاقك في السلاح الذين ماتوا عطشا في سيناء .. الذين صوروهم والوحوش والطيور تأكل جثثهم الطاهرة ..

تذكر مدن السويس والجولان وفلسطين واضرب .. اضرب .. لانك تضرب أيضا تحدي اميركا لامتنا ..
اصنع راية امتك من لحم وشرايين ودم الشهداء ..
ارفع رايتك على صارية من عظام الشهداء ..

كحل رايتك بسواد عيون الابطال الذين اغمضوا عيونهم على صورة الوطن ثم تمددوا على التراب وقد نزف دمهم النبيل ..
اصنع انتصارك باسم كبرياء الامة العربية ..
باسم الفقراء .. ولا تتوقف .. فالتوقف في منتصف الطريق هو اعطاء الفرصة لاسرائيل لتعود وتضرب ..
باسم الاطفال والامهات .. باسم الاجيال الآتية حطم هذا (الكيان) العدواني المجرم .
وأنت أيها الفدائي الفلسطيني ،

يا من تحاربُ منذ عام ١٩٦٥ .

لقد جاء رفاقك في السلاح .. هذا أوان تدمير امدادات العدو ومواصلاتــه ..

انتقم لشهداء فردان ..
انتقم لشهداء غزة ..
انتقم لشهداء جنوب لبنان ..

واتجه ـ كما كنت دائما ـ لتطهير أرضك من ألد أعـــداء الانسانية .. ومن اكثر خطر يواجهه شعبك ..

يا من تضعون مصير أمتكم وسط تلال النار ..

يا من تحلقون في الجو وتطلون على يافا وحيفا وتعبرون سمـاء سيناء .. لكم المجد .

يا من تسعرون النار .. نار التحرير المقدسة في جنـــوبي لبنان .. انتم يا من تلفون كوفياتكم على رؤوسكم ..

انتم يا من تجمدت اطرافكم في شتاءات جنـــوب لبنان وجبل الشيخ .. أنتم يا من لم تتوقفوا منذ ١٩٦٥ وحتى الآن .. عـــن القتـــال ..

يا جنود هـــذه الامة .. يا من صنعتم ملحمة الكرامـــة .. لا تراجع .. لا توقف .. لا خوف من انذارات اميركا ..

لنكن مع أنفسنا ومع أمتنا ومع مصيرنا .. يكن العالم معنا .. المجد للذين يحملون السلاح لتحرير الوطن .

الى الامام
١٢ تشرين الاول

علينا أن نتعلم الحكمة من النار

النار حين تتوقف فانها تنتهي .

والحقيقة كالنار : تظهر ، وتضيء .

والوقوف في منتصف الطريق يعني الانكفاء .

علينا ان نتذكر تلك (الهدنة) التي حدثت في فلسطين .. والتي ندفع الآن تمنها .

ان المواطن العربي في سورية ومصر وفلسطين لا يذهب الـى الحرب كي يثبت لنفسه انه انسان .. أو انه موجود في هـــذا العالم .. انه لا يمارس القتال للقتال ، كما يصور بعض السياسيين في العالم ، لا .

ان أمة تستيقظ .. فمنذ عصور الانحطاط وحتى اليوم السادس من هذا الشهر عام ١٩٧٣ ، والمواطن العربي يعيش التخلف والقهر .. والمواطن العربي يحيا حالة (عزلة) عن التاريخ والحضارة ..

والآن ، ماذا يحدث ؟

انهم يتدفقون الآن على تلال وهضاب الجولان .

انهم يحرقون رمال سيناء ، ويحيلون صخرتها الميتة بدمائهــم الى شفف يتفجر نورا .. انه فجر الفقراء . مئات الالوف مـــن الجنود البسطاء البواسل جاءوا من سورية ومصر والعراق وفلسطين والمغرب والجزائر .. فماذا يريدون يا ترى ؟

هل انهم حضروا الى النار كي يثبتوا لانفسهم وللعالم القـدرة على الاحتراق بتلك النار ؟

ان صورة الـــواقع العربي الراكدة قد بدأت ـ أقول بدأت ـ في الانقشاع ... ففي النار ، الواضحة الكاوية ، نظمت الجمـاهير طاقاتها ببسالة واصرار ووعي .. وهي ـ حتما ـ تعرف ما تريد .. والا فهل ما يحدث هو مجرد عملية عفوية اعتباطية ؟

الايام الآتية ستجيب .
الصمود وسط الحريق سيجيب .
عدم الوقوف في منتصف الدرب سيجيب .
مغادرة زمن اللاحرب واللاسلم ..
رفض الحلول الجزئية والوسط .. يجيب الآن ..

ما هو تفسيركم للبطولات المذهلة التي تحدث الآن علىالجبهتين..

في الايام الاربعة الماضية ألقت اسرائيل بثقلها على الجبهة السورية لانهاكها .. اسرائيل ما زالت تفكر عسكريا .. فهل المعركة عسكريـة محضة .. أم ان ما يحدث على الجبهات هو اللحظة التاريخية الحادة التي تلتحم بها الامة العربية لمغادرة زمن الانحطاط .

عسكريا نستطيع ان نقاتل طويلا ما دمنا نؤمن بأنفسنا وبحقوقنـا الكاملة .. الكاملـة .. ما دمنا نؤمن بالجماهير ، بالبسطاء الذيـن يصمدون الآن في الجبهة .. وفي المدن .

الذي رأى دمشق الصامدة في الايام الماضية يفهم تماما ما أعني. الناس يصمدون لانهم على ثقة بأن هذه اللحظة التاريخية مؤاتية .. ويعرفون ان ثمنها كبير ، وهائل .. ولكنهم يعرفون ـ بالمقـــابل ـ ان التقاعد يعني النهاية .. الكارثة لاستمرارية الامة .. وقفزها الى هذا العصر .

قلت : النار حين تتوقف تموت .
لا يجب ان تتوقف ..
لان التوقف لا يعني سوى أمر واحد .. العودة الى الوراء ..
والذين تضرب ـ الآن ـ أقـــدامهم الارض بقوة لن يعـــودوا الى الوراء ..

ان العودة الى الوراء : تعني التخلف .. التمزق .. تعنـــي انتصار عصور الظلام الى أعوام طويلة ، وقد تكون طويلة جدا .. وستكلف مئات الالوف .. وربما ملايين البشر من ابناء أمتنـــا .. في المستقبل البعيد ..

الآن تسقط سمعة اسرائيل العسكرية الاستعلائية النازيـة .. بفضل نار الثوار والجنود ، والآن تسقط الدبلوماسية الصهيونيـــة في افريقيا . فأثناء القتال قطعت خمس دول افريقية جديدة علاقتهـا باسرائيل ـ بالاضافة للدول التسع التي قطعت علاقاتها سابقا .

الآن .. حتى أوروبا الغربية لا تلتزم تماما مع اسرائيل ..
واعلام العدو مهزوز .. وغير مقنع ..
الآن أعلن وزير خارجية فرنسا في تعليقه على الحرب الدائرة في بلادنا : أناس يريدون العودة الى بيوتهم .
الآن نحن امام اللحظة التاريخية النادرة ، فاما الى الامام .. حتى النصر .. حتى تدمير قوة اسرائيل وفرض (الحـل العربي) عليها .. واما القبول ـ في لحظة ما ـ بالحل الذي لا يعطينا سوى الوقوف في منتصف الطريق ..
وماذا بعد ؟

أمتنا امام اللحظة التاريخية الهائلة ، وعلى كل واحد ان يسهم بدوره .. من أجل تجاوز المنعطف المؤدي الى مستقبل عربـــي .. عظيـــم .

فلنلتحم بالنار .. ولنتعلم منها الحكمة .

٢٦ تشرين الاول
الى الامام

مشاعر صاخبة .. لحظة ان ساد الصمت

عندنا مثل فلسطيني يصف حالة الذهول الشديد والاندهاش ، لا أجد أنسب منه لوصف الوضع النفسي للناس . يقول المثل في وصف تلك الحالة : « وكأن الواحد منهم باخه عليه حية » . يعني كأن افعى بصقت سمها في وجوه الناس ففاجأتهم وشلت حواسهم .

بات الناس لم يفقدوا الامل في مواصلة القتال ، وهم يعلنون بأن جيوشنا ما زالت بخير .. وبأننا لم نبدأ الحرب فعلا وكما يجب .. وبأن مدننا لم تدمر .. وان روحنا المعنوية تزداد تألقا يوما اثر يوم .

فما الذي حدث ولماذا ؟!

ان الناس يعرفون ان الحرب هي الحرب . والحرب يعني ستأتي بالدمار والحرائق والموت والتقدم والتراجع .. ولكن الناس يدركون ويعرفون ان المستقبل العربي كله رهن بصلابتنا في هذه المرحلة ..

لقد سمعت اكثر من شخص يعلق : ولكننا نعرف منذ البداية ان اميركا مع « اسرائيل » .. وان الدعم سينهال عليها .. ولكن أمتنا بدأت تستيقظ مع ضربات أقدام الجيوش والثوار في سورية ومصر وفلسطين .. وكي لا أكتب مشاعري الفلسطينية درت في الشوارع فرأيت العيون حزينة .. رغم ان العيد آت . كان العيد الحقيقي هو سقوط عشرات الطائرات في سماء دمشق الصديقة الجليلة ..

صدقا لم أكن أشعر ان الصواريخ هي التي تسقط الفانتوم والميراج .. كنت أشعر وكأن يد (قاسيون) الهائلة تمتد ملتهبة فتحرق تلك الطيور الغريبة ..

والآن : كل شيء صامت وهادىء .. ان الناس يشعرون اننا وقفنا في منتصف الطريق .. انتصرنا على الخوف ! صحيح . ولكننا لم ننتصر الانتصار العربي المطلوب .. الناس لا يفهمون ما هذا الذي يحدث حولهم .

ان كل تبجحات العدو ومحاولة العربدة في التصريحات واذاعتها بعد ان كانت منهارة في الايام الاولى وحتى وقف القتال ، جعلت الناس يتحدثون عن (لعبة) « اسرائيل » واميركا للحصول على هدنة تمهيدا للانقضاض على الجيوش العربية ..

●

ماذا أكتب ؟

هل من السهل ان أصف لكم مشاعر انسان كان عطشا ثم ربط في حبل وأنزل الى بئر لينضح الماء فترك في منتصف الطريق .. لا هو خارج البئر ولا هو قد وصل الى الماء ؟..

العيد يأتي ميتا .

ولكن دمشق حية ومهيبة وصمتها وقود ، وقاسيون الجليل يرقب بحكمة وقسوة ما يحدث كأن الناس يقولون : ايها السادة ، لا تضعونا على تخوم حزيران .. الامة تستيقظ بطريقة لم تحدث من مئات السنين .. فأفسحوا امامها الطريق لكل يقظتها .. افتحوا لها الابواب ولا تغمضوا عينيها .

وعلى كل فعيد الامة الحقيقي لن يموت .. ولن يطفأ ..

صحيح ان الاطفال (بطلوا) اللعب في الحارات .. وكأنهم يضربون عن الفرح .. وصحيح ان السماء هادئة .. والسكون يبدو عميقا .. ولكن ـ الاحساس الشامل ـ هو ان الانفجار لا بد آت .. فالعدو .. العدو .. لا يريد السلام . بل يريد هدنة .

فلسطين الثورة
٣١ تشرين الاول

عصام ترشحاني

بوابة العودة

أتيناك ..
وفي أجفاننا صبوة
سقيناها ..
حريق الرفض ..
فأورق فرعها جذوة
عصرنا الضوء والبسمة
وأوغلنا ..
صحارانا بكت من شدة الفرحة
تلقتنا برمش القلب والاهداب
بكل حرارة المشتاق للاحباب
خضنا الرمل
قبّلناه
فتح بعدنا وردة .
تسربنا
وعين الليل ترقبنا
بلا أصوات
ورغم قتامة الظلمات
زرعنا عمرنا طلقة
تخطينا انهدام الموت والنيران
وتحت سنابك الفرسان
حنت قاماتها اللعنة
تلاشت تحت ناب الوعد ..
وغيبها اصفرار الموت
بين أصابع النقمة
. . . . . .
وعند مزارع الاشواق
ما بين انسكاب النار كالامطار
تبوح الارض بالكلمات والاسرار
ويزهر موسم الاحزان
في أحضان رحلتنا
يمد لنا بساط النصر
تركبه أمانينا
الى بوابة العودة

الثورة
٢٩ تشرين الاول

الجزائر

عبد الله ركيبي

مسؤولية المثقف العربي .. ومعركة المصير

نظرا لما تتعرض له الامة العربية من عدوان لا مثيل له في التاريخ ، ونظرا لموقف مجلس الثورة المشرف تجاه الاحداث القائمة في المشرق العربي ، ونظرا للمسؤولية الجسيمة التي يتحملها ابناء الامة العربية وفي المقدمة المثقفون ، ونظرا للبطولة التي أبداها المكافحون منذ اندلاع هذه المعركة التي ستكون الفيصل الحقيقي بين تاريخين للامة العربية ، نظرا لهذا كله فان لجنة الثقافة والفكر التابعة لحزب جبهة التحرير الوطني أصدرت البيان التالي :

في هذه المرحلة الحاسمة التي تمر بها الامة العربية ، وتخوض فيها الجيوش العربية معركة الشرف والكرامة على جبهات القتال وهي معركة مصيرية بالنسبة لمستقبل الشعب العربي كله ، في هذا الظرف الحرج من تاريخ امتنا العربية الذي تشن فيه اسرائيل حربا عدوانية استعمارية على أجزاء البلاد العربية تؤيدها في ذلك القوى الاستعمارية الامبريالية العالمية ، وفي هذه الايام التي يكافح فيها الفلسطينيون بشجاعة ، واستبسال ، ويضحون بالدم والروح من اجل الكرامة ، واسترداد الارض المغتصبة ..

في هذا الوقت يتحتم على المثقفين الجزائريين وعلى المفكرين العرب أينما كانوا وفي أية بقعة من الارض يوجدون عليها ، يتحتم عليهم ان ينهضوا بالدور الخطير الذي يمليه الواجب القومي وتفرضه مسؤولياتهم بوصفهم من القوى الحية في البلاد وذلك بتوعية الجماهير العربية ومساندة القادة المخلصين من الزعماء العرب والوقوف صفا واحدا امام التهديد الصهيوني ورفضه بشتى السبل وتقديم المساعدات المادية والمعنوية لاولئك الذين يصطلون بنار الحرب ويسقطون شهداء على ارض الكفاح العربي في جبهات القتال وعلى خطوط النار ، وان يعلنوا عن ارادتهم وتصميمهم على تأييد امتهم في صراعها الشاق والمظفر ضد قوى العدوان والقهر وأعداء الانسان وان يضيئوا الطريق بالكلمة الشجاعة الصادقة المخلصة وان يحذروا الجماهير من التضليل والدعاية المغرضة التي تقصد الفت في مساعد الوحدة وتحاول بلبلة الافكار وتحطيم معنويات الافراد والجماعات وان يكونوا واعين لدورهم وواجبهم ، ولسموم الاعداء ويبرهنوا على نظرتهم الواسعة الواعية المدركة للواقع الذي نعيشه في هذه الآونة الراهنة التي تتطلب يقظة مستمرة وتفكيرا عاقلا وارادة صلبة شجاعة .

ونحن اعضاء لجنة الفكر والثقافة التابعة لحزب جبهة التحرير الوطني الجزائري نعلن مساندتنا القوية لمجلس الثورة والحكومة بقيادة الرئيس هواري بومدين في الموقف الصريح الواضح الفعال من اجل نصرة اخواننا العرب ، وهو موقف يتماشى مع التقاليد الوطنية لشعبنا ويجسد الاحساس العربي ، ويعبر عن مشاعر الشعب الجزائري وأعماقه الصادقة وارادته في مساندة الاحرار أينما كانوا ، فما بالك بالاحرار في وطننا العربي الذين يكافحون من اجل الكرامة العربية ومن اجل الحرية والعدالة الاجتماعية .

لقد كان قرار مجلس الثورة والحكومة هو قرار الشعب الجزائري وموقفه الراسخ ، تجاه الذين يريدون العيش في سلام وحرية ، وهو في هذا يستجيب لدواعي العزة العربية التي عرفبها شعبنا وجسمها في نضاله الطويل من اجل التحرر ورفض السيطرة الاستعمارية ، كما يبرز هذا الموقف خصال شعبنا التي رسختجذورها على مر التاريخ واتضحت من خلال تعلق شعبنا بالمثل العليا ، التي كافح من اجلها اجدادنا وناضلوا من اجل قيم الخير والجهاد في سبيل الحق .

ان اعضاء لجنة الفكر والثقافة يؤيدون قرار مجلس الثورة والحكومة وموقفه المشرف بقيادة الرئيس هواري بومدين ويقفون الى جانب المناضلين من ابناء الامة العربية ويطالبون المثقفين الجزائريين بالتجند وراء قيادتنا الثورية والاعلان عن الاستعداد للبذل والتضحية بالفعل لا بالقول ، والعمل على توحيد الرأي العام وراء ابطالنا الشجعان ، كما نطالب المثقفين العرب بتوحيد الصفوف وراء الجنود والضباط الفدائيين الذين رفعوا لواء الحرية والعروبة عاليا خفاقا.

ان اعضاء لجنة الفكر والثقافة يرفعون من هنا ، من ارض المليون شهيد ، تحية اعجاب واكبار للذين يستشهدون لنبقى ، ويموتون لنعيش كراما في أرضنا العربية ، ويحيون اولئك الذين يقاتلون من اجل مجد الانسان العربي وتاريخه الخالد العريق ، كما يحيون قوى التحرر من ابناء افريقيا الذين اظهروا تعاطفا معالقضية العربية وتأييدا للحق والعدل .

ويحيون ايضا مواقف الاصدقاء في العالم الذين رفضوا العدوان الصهيوني الظالم على البلاد العربية ، كما يدينون ويندون بتلك الاصوات التي ترسل على أمواج الهواء وتلك الاقلام المأجورة التي تغتال الكلمة الشريفة وتخدم الصهيونية وتصدر في ذلك عن نفوس فقدت الشعور بالانسانية ، ووضعت ضمائرها لخدمة الظلم والطغيان .

ان التاريخ يسجل ولن يرحم أولئك الذين تقاعسوا عن نصرة الحق والخير والحرية وأيدوا الشر والعنصرية ، ولكنه يسجل ايضا الخلود للذين أيدوا العدل وناصروا وضحوا من أجله وبرهنوا على ايمانهم بمستقبل الانسان وحقه في ان يعيش حرا كريما في ارضه في أية بقعة من العالم .

عن لجنة الفكر والثقافة بحزب
جبهة التحرير الوطني الجزائري
عبد الله ركيبي

الشعب
١٣ تشرين الاول

سعد زهران

حديث عن المقاتلين

في هذه الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة أخذت القيـادة العربية زمام المبادرة لاول مرة .

ونحب هنا ان نؤكد ان العدو الصهيوني لم يكن يتوقع ، قياسا على ما سبق ، ان ترد القيادة العربية عدوانه يوم ٦ اكتوبر بضربات صاعقة . كان يتصور ان عدوانه في ذلك اليوم لن يعدو ان يكون حلقة في سلسلة حملاته الانتقامية التي تعود على شنها على البلاد العربية دون ان تواجه ـ في اقصى الاحتمالات ـ الا بردود دفاعية، جزئية ومؤقتة . كان العدو يتصور انه سيفرض ، مرة اخرى ، معركة خارج الارض التي يحتلها ، تستغلها ابواق الاستعمار لتأكيد خرافة المناعة الصهيونية التي لا تقهر .

وقد اغرى العدو الصيوني بالاستسلام لهذا الوهم ان الجبهة المصريةطال صمتها وصبرها . ما كان ليتصور ان مصر حين تخرج عن صمتها هذه المرة سترد بلغة مختلفة . ما كان ليصور ان القيادة المصرية قادرة على ان ترد على العدوان بانتزاع زمـام المبادرة تماما . كان العدو قد وقع فريسة للحرب النفسيةالتي يشنها هو منذ سنوات طويلة ، والتي تصوره قادرا على العدوان دائما ، قادرا على تحقيق اهداف العدوان دائما .

ووقع العدو الصهيوني فريسة للحرب النفسية التي يشنها هو ايضا حين تصور ان التهديد والابتزاز الذي تمارسه قوى الامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية ، قادر على ان يشل يد القوات المسلحة العربية عن خوض المعارك الفاصلة معوقات العدوان والاحتلال الصهيوني الى اجل غير مسمى .

كم من الاوهام التي انفق العدو وسادته السنوات في زرعها تبددت في الايام الاولى لهذه الحرب ؟

ـ لقد ثبت ان الجيوش العربية قادرة على ان تخـوض ، بنجاح ، المعارك الفاصلة مع قوات الغزو والعدوان ، على الرغم من التهديد والابتزاز الاميركي

ـ وثبت ان مناعة العدو الصهيوني خرافة رخيصة .

وثبت ، وهذا هو الاهم ، ان القيادة العربية ليست قادرة فقط على الرد على العدوان بمواقف دفاعية وجزئية ، وانما بانتزاعزمام المبادرة ، والانتقال من الدفاع الى الهجوم ، والى نقل ميدان المعركة الى الارض التي يحتلها العدو والاجواء والمياه التي يعتبرها تحت سيطرتـه .

ونؤكد مرة اخرى ان انتزاع زمام المبادرة هو الميزة الكبرى في يد القيادة العربية للحرب الحالية ، تميزها عن الوضعية التي كانت عليها اية قيادة عربية في الحروب السابقة .. وهي ميزة نتمنى من كل قلوبنا ، وندعو الله ، ان تظـل دائما بيد القيادة العربية .

فما هي اهم الميزات التي يتميز بها المقاتل العربي في هذه الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، والتي لم يكن يتميز بها في حرب عام ١٩٦٧ خاصة ؟

اولا : لقد اصبح المقاتل العربي اليوم متحررا من كثير من الاوهام التي كانت تحد منقدرتهالقتالية.كانتالدعايةالخاطفة تصور، قبلهجوان ١٩٦٧ ، ان المعركة مع العدو اقرب الى ان تكون نزهة عسكرية . اما اليوم ، فان المقاتل العربي يعي تماما معنى الحرب مع عـدو غادر شرس ، مسمم بالتعصب العنصري ، مدرب كاداة للغزو والعدوان مدعم بمساندة اميركا ، مدجج باسلحتها . وكم بذل المقاتلون العرب من دم وتضحية ، وكم خاضوا من معارك مريرة ، ليحل الوعـي الصعب بالحقيقة محل التعلق بالاوهام السهلة !

ومن مشيئة الاقدار ، ان تتسرب الاوهام الى نفسية الغزاة الصهيونيين ، الذين اعماهم الغرور من كثرة ما استخدموا فيحملات الغزو والاغتصاب . وفي حملات كان الدور الاساسيفيها للمؤامرات الدولية والقوى الامبريالية ، وليس للشجاعة او كفاءة مزعومة في مقاتلين جمعوا من شتات الارض ممن لفظتهم الامم الشعوب. وليس ادل على ان الاوهام قد اخذت ترسخ في وجدان الغزاة مما نقلته وكالات الانباء عن سكان تل ابيب ، وغيرها من مدن العدو ومستعمراته ، في اليوم الاول للقتال كانوا يتجمعون حول اجهزة الراديو التي تذيع نشرة خاصة كل نصف ساعة ، يستعجلون الزمن للاستماع الى ما كانت تمنيه بهم اكاذيب قيادتهم من العودة بسرعة الى ضفاف القناة مرة اخرى ـ ثم اجتيازها !!

الا فليختنقوا بغيظهم ، وليهلكوا بكمدهم .

وليحفظ الله على مقاتلينا سلامة وعيهم وصفاء اذهانهم وصلابة عودهم .

ثانيا : اصبح المقاتل العربي اليوم اكثر ادراكا للمسئولية ، اعني المسئولية القتالية .

وفي جبهة مشتعلة ، كثيرة المتغيرات ، ما احوج الوطن الى مثل هذا الادراك للمسئولية القتالية ، يعني ان كل مقاتل يشعر ان مصير الوطن كله متعلق بالطلقة التي يصوبها الى قلب هدف العدو . وتعني المسئولية القتالية ان المبدأ الاساسي حين يعزل المقاتل او يفقد الصلة بالقيادة في جبهة ملتهبة ، ان يظل يقاتل الى اخر طلقة ، والى اخر قطرة من دمه .

ان مقاتلينا اليوم ، بعد كل مرارة السنوات الست الماضية، مصممون على ان يقاتلوا دائما ووجههم دائما الى الامام .ولن تثنيهم عن روح الاستشهاد والاستماتة اية مفاجآت طارئة على ارض بجبهة ملتهبة كثيرة المتغيرات . ان الغزاة في الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة يواجهون انسانا عربيا بعث من جديد بقوة من يعرف انه لن يفقد شيئا الا الاغلال .

ثالثا : اصبح المقاتل العربي ، في الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، اكثر معرفة بالسلاح الحديث .

فاغلبية المقاتلين على خط النار سبق ان خاضوا مع العدو حربا او اكثر من حرب . أن كل انواع الاسلحة التي اخترعتها قوى الحرب والعدوان (باستثناء الاسلحة النووية فحسب) قد خبرها المقاتل العربي في سلسلة حروب العدوان التي يشنها علينا الاستعمار وكلابه كل بضع سنوات منذ ١٩٤٨ . وقد نمت اشكال من (الالفة) بين مقاتلينا وبين القنابل زنة الف رطل ، والنابالم ورصاص دمدم ، والالغام ، والصواريخ جو ـ ارض ، وارض ـ ارض ،وبحر ارض ـ ، والدبابات والمصفحات ، والمجنزرات وانصاف المجنزرات ـ وهذه الالفة بين المقاتل وانواع السلاح ضرورية لان يقتحم المقاتل ميدان الحرب بروح عالية ويد ثابتة .

وقد اصبح مقاتلونا يعرفون كيف يستخدمون كل انواع الاسلحة الا تلك التي يستبيح العدو استخدامها لانها محرمة دوليا ـ مثل رصاص دم دم ،بل واصبحوا يجيدون استخدام انواع لا يعرفهاالعدو، وهي اسلحة حصلنا عليها من اصدقائنا ولم يتوصل العدو الى اسرارها بعد ، مثل صواريخ (سام ٣) التي تساعد على تساقط طائرات العدو التي ملأوا الدنيا دعايات عن مناعتها ، كما تتساقط الفراشات في النيران . لقد تمت الفة من نوع اخر بين المقاتلين العرب وسلاحهم ، وهي الفة حميمة تكسب المقاتل روحا عالية وثقة من نوع خاص .

تحضرني قصة رواها لي احد المقاتلين اثناء حرب الاستنزاف على قناة السويس (١٩٦٩ ـ ١٩٧٠) تلخص هذه الالفة مع الخطر الذي تمثله اسلحة العدو ، وتلك الالفة بين المقاتل وسلاحه هو ، حدث ذلك في احدى الليالي التي عبرت فيها وحدات منقوات « الكوماندوس » المصرية الى الجانب الاخر ، حيث دمروا بعض منشآت العدو ونصبوا كمينا لبعض قواته . وقد استدعى العدو عشرات من اسراب « الفانتوم » لتمطر الجبهة بمئات من القنابل

زنة الف رطل . وفي تلك الليلة اوقعت قوات الكوماندوس خسائر معتبرة بقوات العدو ، وعادت الا اثنان فقط ، استشهدا بان القيا بجسميهما على لغمين ليمر عليهما زملاؤهما الى خطوط العدو . ولم تصب مئات القنابل اصابات مباشرة الا خمسة مقاتلين فحسب على الجانب المصري ، بينما طاشت كلها تقريبا بسبب تدرب المقاتلين المصريين على تلافي المواقع والاوضاع الخطرة ... في تلك الاثناء ، كانت بعض القنابل والقذائف تتساقط في مياه القناة ، فكانت تصيب اسماك القناة بالدوار فتطفو على السطح وهي في حال بين الحياة والموت .

وبعد ان هدأ تبادل اطلاق المدفعية من الجانبين ، وارتدت موجات الفانتوم ، وشعر كثير من المقاتلين المصريين انهم اصبحوا (بلا عمل) موقتا ، كانوا يزحفون الى القناة ليسحبوا بعض الاسماك الكبيرة (وقد كبرت اسماك القناة خلال هذه السنوات) لينعموا بعد ذلك باكلات شهية من الاسماك الطازجة .

وكم ضحك المقاتلون في اليوم التالي حين استمعوا الى اذاعة العدو التي ذكرت ان « المصريين ظلوا طوال الليل يسحبون جثث ضحاياهم الطافية على سطح مياه القناة بعد انتهاء الالتحام !! »

رابعا : اصبح المقاتل العربي اكثر ادراكا للدور الهمجي للغزو الصهيوني . فهؤلاء المقاتلون الذين شهدوا حربا او اكثر من حرب مع العدو ، رأوا عشرات القرى التي دمرها المعتدون ، والاف الابرياء الذين قتلوا ، وعشرات الالوف من مواطنيهم الذين انتزعوا من ارض الاباء والاجداد ليفسحوا المجال امام شراذم مأجورة مستجلبة من نفايات الامم . لقد عرف المقاتل العربي ، بعد تجارب دموية لاكثر من جيل ، معنى الاستعمار الصهيوني الاستيطاني ، معنى العنصرية الفاشية .. عرفها من ذكريات جثث رفاق له تناثرت اشلاؤهم حوله على رمال سيناء وعلى مرتفعات الجولان وفي بيارات غزة والجليل ... وعرفها من ذكريات قوافل المهاجرين المشردين يهيمون على وجوههم في البرية يحملون شيوخهم واطفالهم وطائرات العدو تنقض عليهم وتحصد منهم من تستطيع حصده بالقذائف والصواريخ .. وعرفها في مخيمات اللاجئين التي يلفها الجوع والبرد والظلام ـ الا شعلة من حقد وامل تضيء نفوسا وصلت الى حدود اليأس القادر على تفجير الارض والسماء .

خلال حرب او اكثر من حرب خاضها المقاتلون العرب ، بقدر ما تتزايد الفتهم مع الخطر واستهانتهم بالموت ، بقدر ما تتزايد الفتهم مع اسلحتهم ، يطلق طلقة او يطعن طعنة تطهر الارض الصهيونية ، بقدر ما يتوق كل واحد فيهم الى اليوم الذي يستطيع فيه ان يطلق طلقة او يطعن طعنة تطهر الارض العربية من الغزاة ... ان المقاتل العربي اصبح اكثر ادراكا لدوره في انزال القصاص العادل بالعنصريين الفاشيين المجرمين .

خامسا : اصبح المقاتل العربي اليوم ارفع في مستواه الثقافي العصري مما كان في اية حرب سابقة .

لقد دخل ذوو المؤهلات العالية والمتوسطة القوات المسلحة العربية ـ منذ ١٩٦٧ ـ بمئات الالوف . وعلى جبهات القتال ، في الخنادق والمخيمات ، وفي مواجهة الخطر في حرب الاستنزاف وبعدها ـ تنهار الفوارق الاجتماعية بين المقاتلين . ينشف عود المؤهلين من ابناء الطبقة المتوسطة ، بينما يرتفع المستوى التعليمي والثقافي العام لاخوانهم ابناء الفلاحين والعمال والطبقات الشعبية ، ويتخلق المقاتل العربي ، الذي يجمع بين صلابة العود واتساع الافاق ، القادر على استخدام السلاح الحديث مع الحياة الخشنة على الكفاف . هؤلاء هم شباب العرب الذين يسطرون اليوم صفحات مضيئة من تاريخنا بدمائهم الزكية ، وفيهم تتخلق سمات مواطن المستقبل ، الذي ينتزع مصيره متسلحا بالعلم ، وبالمثل الرفيعة لشعب اصيل .

سادسا : اصبح المقاتل العربي اليوم اكثر ادراكا لحقائق المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي تعاني منها بلاده ، واقدر على الربط بينها وبين قضية التحرر العربي .

فشعب مثل شعب مصر ، يعيش غالبية سكانه على الكفاف، ويتطلع الى التخلص من التركة الاستعمارية التي هي الفقر والتخلف، ويبذل جهودا مضنية دؤوبة لبناء اقتصاد عصري قادر على مواجهة التحديات ـ هذا الشعب يقتطع من قوته الضروري لكل عام مبالغ طائلة تقترب من مليار جنيه (اي ما يزيد على عشرة مليارات من الدينارات) لمواجهة اعباء النفقات العسكرية اللازمة للصمود امام كابوس العدوان الصهيوني الامبريالي الجاثم في اراضيه .

صحيح ان هذه الارقام الفلكية التي تقاس بالملايين والمليارات يصعب على المواطن العادي تصورها او تقديرها ، ولكنه يلمس اثرها المرهق في الغلاء المتصاعد ، وفي الازمات التي لا تنتهي في المواد التموينية ، وفي تعثر المشروعات العمرانية وتفاقم مشكلات السكنى والمواصلات في المدن وفي انكماش فرص التعليم والعمل .. وفي الف وجه من وجوه الحياة اليومية التي ينوء بها كاهل الناس ويشعرون بفداحتها ، ليس فقط في ادنى السلم الاجتماعي وانما ايضا بين المراتب الاجتماعية المتوسطة .

ان المقاتلين هم ابناء الشعب الذين اضيروا في قوتهم اليومي وهددوا في مستقبلهم بسبب الاستنزاف المستمر لمواردهم ، بفعل الضغوط الاقتصادية للامبريالية والضغط العسكري لكلب حراستهم الصهيوني . ولا توجد قوة قادرة على طمس مسؤولية الامبريالية والصهيونية فيما تدفع اليه الحياة الاقتصادية في دول المواجهة، وما يترتب عليها من ضغوط اجتماعية . وبقدر ما يزداد احساس الشعب بفداحة اعباء الحياة ، بقدر ما تزداد كراهيته للامبريالية وتتراكم احقاده على كلاب حراستها الغزاة الصهيونيين . وليس مثل لحظات الالتحام في قتال مباشر مع العدو فرصة لطعن جسم الوحش الامبريالي الصهيوني المسؤول الاصلي عن كل ما تعانيه الشعوب من فاقة وتخلف ، فضلا عما تعانيه بلادنا من تعد على حرماتها ، واحتلال لاراضيها ،وامتهان لكرامتها .

ان الامبرياليين وكلاب حراستهم الصهيونيين يخطئون اذا تصوروا ان الامعان في افقار الشعوب واثقال كاهلها بأعباء الخبز اليومي يمكن ان يقتل معنويات هذه الشعوب او يحملها على الاستسلام. والصلابة والتصميم التي يقاتل بها الجنود العرب في جبهات القتال اليوم هي الدليل على صحة ما نقول ، وهي الدليل على ان حسابات الامبرياليين والصهيونيين خاطئة ، بقدر ما هي همجية ولا انسانية .

سابعا : اصبح المقاتل العربي اليوم اكثر ادراكا للحقائق السياسية ، واكثر ادراكا لدوره في تحديد مسارها .

واهم حقيقة سياسية ادركها المقاتلون العرب هي ان العدو الصهيوني ذو طبيعة عدوانية توسعية لا يرجى لها صلاح ، ولا خلاص من عدوانه الا بتدمير قوته . فالقوة هي اللغة الوحيدة التي يعرفها الغزاة الهمجيون .

وعلى الرغم من كثرة الحديث عن الحلول السلمية ، وعلى الرغم من استمرار حالة « اللاسلم واللاحرب » سنوات طويلة ، فان ذلك ـ بحمد الله ـ لم ينل من معنويات المقاتلين ،ولم يزحزحهم عن اقتناعهم الراسخ بان المعركة مع المعتدين الغزاة لا ريب فيها، وان النتيجة النهائية لن تتوقف على براعة المفاوضين او مناورات السياسيين ، وانما هي قدرة المقاتلين على الصمود وخوض المعارك .

وفي هذا المقام ، لا يسعنا الا ان نشيد بالروح العالية للشعب العربي اينما كان ، ومن مختلف المراتب الاجتماعية . فطوال السنوات الست الماضية كان الصوت الاعلى هو صوت المعركة. وعزل دعاة الهزيمة وخفتت اصواتهم امام هدير طلاب الجامعات الذين لم يهدأوا يوما ، ومظاهرات الجماهير ـ، ودعوات القيادات الواعية الشجاعة ، واصرار الفدائيين ، ومؤلفات الكتاب والمفكرين ، وابداع الفنانين ، ودعوات الامهات لابنائهم على خط النار .. امام الف مظهر ومظاهرة من مظاهر ومظاهرات الاصرار على المقاومة والسعي الى لقاء العدو على ساحة القتال .

م . الطيب بلحاج

مدخل لفهم دور المثقفين في المعركة

دور المثقفين في المعركة التي لم تنته بانتهاء القتال الى ما انتهى اليه موضوع الساعة في عالمنا العربي ، ذلك ان الاحداث التي جدت منذ السادس من شهر اكتوبر على الساحة العربية قد طرحت بصورة جدية موضوع استخدام الطاقات العربية في المعركة وما نحسب طاقة المثقفين الا واحدة من الطاقات الهامة التي لم نحسن استخدامها حتى اليوم لاننا لم نخطط لاستخدامها ولم نوجهها توجيها يمكنها من ان تلعب دورها بفعالية وجدوى ، فما هو دور المثقفين في هذه الفترة التي تجتاز فيها القضية العربية ادق مراحلها ؟

لعل من المفيد قبل الاجابة على هذا السؤال ان نحدد من هو المثقف الذي نعنيه ، وما هي الابعاد الجديدة للمعرفة كما نراها ، فتحديدنا للمثقف ولصورة المعركة ضروري لفهم الدور الذي على العربي اليوم ان يلعبه .

الثقافة كما يعرفها لينتون هي « تنظيم للسلوك المكتسب ولنتائج ذلك السلوك يشترك في مكوناتها الجزئية افراد مجتمع معين ، وتنتقل عن طريق هؤلاء الافراد » .

والمثقف بهذا المعنى هو من يتقبل النمط السلوكي المكتسب لمجتمعه ، ويساهم في تكوينه ويقوم بنقله الى خلفه ونحن لا يعنينا من هذا التعريف الا الجزء الخاص بمساهمة الافراد في تكوين النمط الثقافي للمجتمع فما نوع هذه المساهمة وكيفيتها ؟.. وهل يتقبل المجتمع بسهولة مساهمات الافراد في تكوين نمطه الثقافي ؟ وما هي المساهمات التي تستطيع فرض نفسها وما هي التي تعجز عن ذلك ؟.. ان الاجابة على هذه الاسئلة تتطلب منا ضرب امثلة توضيحية تخرجنا من التجريد الى التجسيد ، وتلقي الاضواء الكاشفة على الطريقة التي يساهم بها الافراد في تكوين ثقافة المجتمع والتأثير في اتجاهاته الفكرية والعملية .

هب انسانا عثر على طريقة لتربية ابنائه تربية حسنة فان تلك الطريقة تنتقل الى جيرانه بصورة تلقائية ومن جيرانه تنتقل الى الذين يجاورونهم في احياء اخرى ، وهكذا حتى تصبح هذه الطريقة ظاهرة اجتماعية تتصل بوظيفة حيوية هي تربية الابناء واعدادهم لحياة أسعد وارغد .

وهب مزارعا اكتشف آلة زراعية او طريقة في الزراعة تختزل المجهود وتضاعف المردود ، فان هذه الطريقة او تلك الالة تنتشر بنفس الصورة التي انتشرت بها الطريقة التربوية لتصبح ظاهرة ثقافية تتصل بحاجة من حاجات المجتمع الحيوية هي الحاجة الى الحصول على غذاء وفير بمجهود قليل .

وهب قوما سادت بينهم شريعة الغاب وسيطرت عليهم الانانية واستفحلت بينهم العداوة والبغضاء واستعبد غنيهم فقيرهم ، فسالت دماؤهم فيما بينهم ثأرا وانتقاما وسلب قويهم ضعيفهم ما يملكه واذل السيد فيهم عبده وعامله معاملة السوائم ، فباتت العلاقات عداوة وبغضاء وبات المجتمع كله مفككا مهددا بالفناء والدمار فظهر فيهم نبي يدعوهم الى تحرير العبيد وحفظ الجوار والتعاون فيما بينهم على ما فيه خيرهم وصلاح امرهم ، فلا شك ان دعوة هذا النبي تنتشر وتنتصر وان لاقت عراقيل وعقبات في اول امرها بحكم ان البقاء للاصلح وان الزبد يذهب جفاء ولا يمكث في الارض الا ما ينفع الناس .

وهب شعبا استعمر من طرف شعب آخر وخضع له خضوعا تاما بفعل الخوف الذي سيطر على نفوس افراده والذي نسجه الوهم وضخمه فظهر اكثر مما هو عليه في الواقع فظهر من بين ابناء الشعب المغلوب طائفة ادركوا الحقيقة وتخلصوا من سيطرة الاوهام فدعوا شعبهم الى الثورة على العدو الكامن في نفسه ونعني به الخوف من المستعمرين لانهم بذلك يسيرون في الطريق الذي يحررهم من مستعمريهم فلا شك ان دعوة هذا الفريق تنتصر وان لاقت في اول امرها عراقيل وعقبات .

والحقيقة اننا لو استنطقنا التاريخ في مختلف مراحله وتقصينا الوقائع والاحداث بصورة علمية لوجدنا الكثير من الامثلة التي توضح

لنا كيفية مساهمة الافراد في تكوين الانماط الثقافية للمجتمع سواء قصدوا ذلك وارادوه او حدث صدفة دون ارادة وقصد .

ونحن انما يعنينا في حديثنا هذا المساهمات المرادة المقصودة لانها مساهمات المثقفين وحديثنا هذا عن المثقفين دن سواهم ، ونعني بالمثقفين العلماء والمصلحين الاجتماعيين ، فليس مثقفا من اختزن علمه في صدره ولم ينفعه في خدمة امته ومجتمعه ، كذلك لا يعتبر مثقفا من توفرت لديه النية الطيبة والقصد الحسن دون ان يكون له من علمه سلاح يقاوم به العراقيل ويبدد به ظلمات الجهل واليأس والقنوط .

المثقف هو من الم بالاسس الثقافية لامته وفرق بين الصالح منها والطالح ، وكان له بعصره معرفة تجعله قادرا على توجيه امته واكسابها المناعة والحصانة حتى لا تجرفها تيارات عصرها وتحطمها تحدياته .

والحقيقة ان دور المثقفين يتعاظم شأنه وينعقد كلما تقدمت الانسانية خطوة الى الامام ، ودور المثقف في عصر العلم والتكنولوجيا والذرة والاليكترونيات ليس هو دوره في عصر الحراب السيوف وقوافل الابل والبغال ، دور المثقف في عصرنا هذا اصعب تحملا واكثر حيوية ، وتحديده يتطلب تحديد طبيعة المعركة التي نخوضها والعدو الذي نواجهه ، ومدى ما نملكه من امكانيات وطاقات المواجهة سواء في بلادنا او خارجها .

الشعب
٣١ تشرين الاول

لن يعود عصر الانحطاط

في غمرة الدم العربي المسفوح هدرا في حرب الايام الستة الشهيرة ، وتحت تأثير الصدمة التي زعزعت ايمان الانسان العربي بنفسه وبقدرته على النهوض من كبوته ومواصلة قيامه بدوره في اثراء الحضارة الانسانية ، وبفعل الحرب النفسية المركزة التي شنتها اجهزة الاعلام الصهيونية والامبريالية العالمية وساعدتها عليها دموع الضعفاء والانهزاميين من ابناء الامة العربية ، في غمرة ذلك كله خيم على سماء العرب ضباب من اليأس كثيف ، وراح الكثيرون يتساءلون : هل هي عودة الى عصور الانحطاط ؟.. وهل انتهت اليقظة العربية الحديثة الى حيث بدأت ؟.. وهل هي لعنة السماء حلت بالانسان العربي فلا امل له في الخلاص منها لانها لعنة السماء ؟.. ومن بين اشلاء الضحايا ومن خلال دموع الارامل واليتامى ومن وراء الضباب الكثيف بدأ بصيص من نور ولاحت بقية من امل وايمان عبرت عنها القيادة الثورية على لسان الاخ الرئيس هواري بومدين حين صرخ في وجوه اليائسين « اذا خسرنا معركة فاننا لم نخسر الحرب » نعم !..

اذا خسرنا معركة فان ذلك لا يعني اننا خسرنا الحرب ، وليست معركة الايام الستة غير معركة من حرب طويلة كان لا بد ان يخوضها الضعفاء للتخلص من قبضة الاقوياء ، حرب طويلة النفس متعددة الجوانب فهي حرب اقتصادية للتخلص من الاستغلال ، وهي حرب سياسية لاثبات الوجود وجمع الصف وتحديد الهدف ، وهي حرب عسكرية لتحرير الاجزاء التي ما زالت تخضع للسيطرة المباشرة الاستعمارية والعنصرية ..

نعم ليست معركة الايام الستة حربا وليست الهزيمة التي حلت بالعرب فيها توقفا عن المسير او عودة الى الوراء الى عصر الانحطاط بل هي في حقيقتها هزيمة لاسرائيل لانها فتحت اعين ضعفاء العالم على حقيقتها باعتبارها كيانا عنصريا قائما على العدوان ووجها قبيحا للاستعمار الاستيطاني في ابشع صوره واقبح اشكاله ، ورأس جسر للاستعمار الحديث تبشر بمعالمه وقناعا يخفي به وجهه حتى لا ينكشف امره وتتضاءل فرص نجاحه ، هكذا بدت اسرائيل للافارقة وغيرهم من الاحرار في العالم خصوصا بعد هجوماتها السافرة على البلدان العربية وقتلها للابرياء لا نميز في ذلك بين الصغير والكبير والمرأة والرجل والطفل الرضيع والشيخ الواهن القوي الطاعن في السن ، ولم تكتف اسرائيل بهذا بل انها دأبت على مواجهة دعوات السلام العربية بقنابل الدمار والقتل والخراب ، ولم يكن بالوسع ان يستمر هذا الوضع طويلا بدون رد فعل يردع المعتدي ويوقف تيار العدوان ، فالعدوان وضع غير طبيعي والمعتدي عضو شاذ غريب في جسم العالم يستحيل تقبله في الحظيرة الانسانية ، وهكذا رأينا العالم الحر بعد ما رأى من طغيان الصهاينة وصلفهم وغرورهم وتماديهم في تحدي حقوق الانسان ، وبعدما عرف من طبيعتهم العدوانية ، يجنح الى عزلهم عن الحظيرة الانسانية ، فأخذت الدول الافريقية تستغني عن معوناتهم المسمومة وتقطع معهم علاقاتها مكبدة اياهم بذلك خسائر معنوية لم يتكبدوها منذ وجودهم .

وهكذا ادركت اسرائيل ومن ورائها الامبريالية الامريكية ان الوجود الاسرائيلي هو بطبيعته وجود عسكري، ومن ثم وضعت امريكا اصابعها في آذانها ، فلم تعد تسمع دعوات الاستسلام العربي التي تصاعدت في وقت من الاوقات تبارك الامر الواقع وتساوم على الاراضي العربية المحتلة وعلى حقوق شعب فلسطين في استعادة حقوقه المشروعة في الحرية والحياة .

وصمتت صمتا طويلا فلم تتقدم بمشاريع سلام ومدت بينها وبين اسرائيل جسورا تمدها من خلالها باحدث اسلحة التدمير ، ووصل اليأس العربي حده الاقصى وفقد الانسان العربي ثقته بنفسه وبقدرته على الحرب والقتال الا انه ظل من خلال المقاومة الفلسطينية وتصميم بعض الدول العربية وفي مقدمتها الجزائر على القتال باعتباره اللغة الوحيدة التي تفهمها اسرائيل وحلفاؤها من الامبرياليين ، قلت ظل الانسان العربي من خلال هذين العاملين يحتفظ ببقية من امل ويحافظ على بقية من حياة تدفقت في شرايينه قوية هادرة عندما عبرت قوات جمهورية مصر العربية قناة السويس لتبدأ مسيرة الكفاح واضعة نصب أعينها حقيقة واحدة هي النصر او الاستشهاد ، لقد عبرنا قناة اليأس ونحن نعبر قناة السويس ، وتجاوزنا واقعنا الانهزامي اليائس ونحن نتجاوز خطوط العدو وتحصيناته ، ودمرنا بقايا عصور الانحطاط في انفسنا وعقولنا ونحن ندمر خط بارليف ، ومنذ اليوم فلا هزيمة ولا تراجع بل تقدم وانتصار ، تقدم سنصنعه بقوة انفسنا ، ونصر سنحرزه بحبنا للاستشهاد ورفضنا للاستعباد .

واذا كانت الامبريالية الامريكية قد ادركت هذه الحقيقة فاعدت عدتها الديبلوماسية والمادية لتقاتلنا دفاعا عن مصالحها وراحت قنابل اسطولها السادس وطائراته تقتل الابرياء في المدن والقرى فان ذلك كله لن يوقف الزحف العربي ولن يحول بينه وبين تحقيق اهدافه .

لقد تجاوز الانسان العربي هزيمته فلن يعود عصر الانحطاط .

الشعب
١٦ تشرين الاول

م . دين

انطباعات عن حرب سبت الكيبور

كان الافطار متواضعا اذا قيس بموائد افطارنا الدسمة المتعددة الاصناف والالوان .

ولكنني - وخلافا لعادتي في هذا الشهر المتعب اكلت بشهية منقطعة النظير .

كنت في القاعدة الجوية التي ينطلق منها نسورنا للقيام بواجبهم في المعركة المصيرية ، وهي القاعدة التي كانت يوما ما نقطة انطلاق القوات البريطانية لقمع الشعب العربي الشقيق .

قبل لحظات كنت على مدرج الطائرات اتابع طائرات الميغ الجزائرية وهي تصطف امام حظائرها لتتزود بالوقود ، وطائرات الانتونوف وهي تنقل من الجزائر الاسلحة والذخائر والادوية والمعدات ...

كنت اتناول طعام الافطار وعيناي تمسحان وجوه اشبالنا وهم يأكلون ويتبادلون الاحاديث وكأنهم ما زالوا في الجزائر ، دونما احساس بغربة او وجل .

على العكس كانوا ينتظرون اللحظة التي تعطى لهم فيها الاوامر ليلتحموا بالعدو .

صباح اليوم كنت اسير في شوارع القاهرة واحاول قراءة اسارير المواطنين لكي انفذ الى مشاعرهم الحقيقية ، تجاه الحرب الرابعة التي اصبح اسمها حرب الكيبور او حرب السبت .

هدوء يندهش منه الذين عاشوا ايام جوان ٦٧ في القاهرة ...

حديث الحرب كان على الافواه منذ اكثر من اسبوع ولهذا لم يفاجأ احد في القاهرة ولكن الغريب ان اسرائيل هي التي فوجئت .

بالامس تابعت في التلفزة المصرية لقطات مصورة لعبور القوات المصرية لقناة السويس ولولا اكثر من دليل ودليل لظننت بأن اللقطات اخذت قبل ٦٧ .

كان الجنود المصريون يعبرون الجسر بهدوء وثقة بل وبكثير من المرح لدرجة ادهشت المتفرج المصري نفسه .

ثم ماذا ؟

يبدو من النظرة الاولى ان هناك عدة نقاط ايجابية يعترف بها العدو نفسه .

منها :

ان المخابرات الاسرائيلية اثبتت انها ليست ذلك الوحش الاسطوري ذو المائة عين والذي يعرف كل شيء عن الامة العربية .

لقد كانت القاهرة كلها تتوقع الحرب من لحظة لاخرى ... وقال لي مناضل صديق يوم الثلاثاء الاسبق في القاهرة بان حربا ستندلع بعد ٤٨ ساعة على اكثر تقدير ، ورغم كل هذا فلم يبد على العدو الصهيوني انه كان متيقظا .

النقطة الايجابية الثانية هي ان اسرائيل كشفت عن ضعف لا يتناسب والمظهر الذي قدمته للعالم في ١٩٦٧ واثبتت بذلك ان قوتها الحقيقية هي في ضعف جيرانها .

النقطة الايجابية الثالثة :

ان عبور اصعب حاجز مائي قد تم بخسائر طفيفة وان القوات المصرية قد رسخت اقدامها في الضفة الشرقية للقنال باسرع مما كان متوقعا وبطريقة اختراقية مكثفة ومتزنة .

النقطة الايجابية الرابعة :

هي ان التغطية الاعلامية للمعركة تتم بطريقة هادئة بعيدة عن التشنج والانفعال والاثارة والافتعال ، لدرجة ان صديقا مصريا علق على البيانات الصادرة بأن اجهزة الاعلام المصرية تصوغ بياناتها بعد استماعها الى الاخبار التي تذيعها اجهزة الاعلام المعادية !

وايجابية هذه النقطة هي احترام العالم للبيانات العربية وتشككه في البيانات الاسرائيلية .

نقطة ايجابية اخرى لعلها حصيلة العمل العربي طوال الفترة الماضية ولكنها بالتأكيد نتيجة التصلب الاسرائيلي المغرور .

هذه النقطة هي الموقف اللامبالي الذي يقفه العالم ... كبيرا وصغيرا ...

بل يخيل الى المرء بأن قوى كبرى صديقة لاسرائيل لا تمانع في تلقي الصهاينة درسا يجعلهم اطوع للتوجيه والين للضغط !

ولكن ...

ما هو الهدف الاستراتيجي للمعركة ...

هل هو استعادة ما فقد بعد الاسبوع الاسود ؟

ام ان الهدف ابعد من ذلك ؟

بيان مجلس الثورة في الجزائر يحدد بان المعارك يجب ان تتواصل حتى النصر النهائي .

والنصر النهائي ليس هو مجرد انتزاع بعض الاراضي التي احتلت في حرب جوان ... انه في استمرار المعركة لتكون بوتقة يتحول فيها الشتات العربي الى وحدة حقيقية ...

المجاهد
١٣ تشرين الاول

محمد علي الهواري

الفكر والفن في معركة التحرير

منذ ايام ـ وبعد ان انطلقت معركة التحرير في السادس من هذا الشهر ـ جاء خبر صغير يقول : ان الممثلة السينمائية اليزابيث تايلور البريطانية الجنسية ، قد قررت ان تقوم ـ مع مجموعة من الفنانين الغربيين ـ بحملة لجمع التبرعات لدويلة اسرائيل !

وبعدها كذلك ، جاء خبر آخر يقول ، ان الكاتب العربي المعروف توفيق الحكيم قد قرر ان يتطوع للحرب ، ولو كان الامر ان يكون عاملا في احد المعامل !

خبران جاءا متتابعين كل واحد منهما يخص ميدانا ما .. ولكنهما معا يمثلان موقفا ، معينا ، نحو حدث معين .. الخبر الاول يبين الى اي مدى يمضي فنانو الغرب في دعم الوجود الاسرائيلي ، وكأنهم المسؤولون الاولون والاخيرون عن دوام وجود هذه الدويلة واستمرار عدوانها ..

والخبر الثاني ، له دلالة اخرى ..

ان توفيق الحكيم ـ وهو الكاتب العربي المسن الذي قد يصل عمره الى ٧٥ سنة ، يتخطى كل الحدود التي يفرضها السن ، الى ما تتطلبه المعركة الحالية ، ودور الاديب والكاتب والفنان فيها ..

فمسؤولية المثقف ـ والاديب المنتج ـ تتحدد على مستويين ، الاول هو مسؤوليته كمواطن ضمن المواطنين عامة .. والثاني مسؤوليته كمثقف واديب مطالب بأن يكون في طليعة المعركة ...

الفنانون الغربيون ، والفنانون الاسرائيليون يساهمون في دعم العدوان .. وبكل الوسائل .

و .. فنانونا وكتابنا العرب ، كم فردا منهم ، حاول ان يفعل شيئا ، مثل توفيق الحكيم ؟

في الجزائر ، كانت لجنة الثقافة والفكر في الحزب سباقة الى دعوة المثقفين والمفكرين الى دعم المعركة ماديا ومعنويا ..

وفي القاهرة وبيروت ، صدر بيان مشترك بين مجموعة الكتاب في مصر ولبنان وسوريا ضد العدوان ، ودعوة المفكرين في العالم لمساندة الحق العربي ، وادانة العدوان الاسرائيلي ..

وماذا غير ذلك ؟

كم فنانا في الوطن العربي ، قرر أن يتطوع للقيام بجولات فنية غنائية مثلا ، يكون مدخولها لصالح معركة التحرير ؟

وقريبا منا فقط ..

هناك فرقة المغرب ، واخرى من تونس ، للمنوعات الغنائية تقومان بجولة عبر الجزائر .. ألم تفكرا في ان يكون مدخول بعض هذه الحفلات لمعركة التحرير ؟

أم أن فناننا العربي يريد فقط ان يصفق له الجمهور ، و «يؤلهه» .. وكفى !

اني لا اريد ان اكون قاسيا ، او انسانا « يحكم » على الاخرين من فوق ، او من وراء مكتب وكرسي مريح !

ان الفنان العربي والاديب العربي ـ وبالمناسبة أتساءل اين اتحاد الكتاب العرب ؟ ـ مطالب في هذه المرحلة الحاسمة ، ان يتحمل مسؤولياته التاريخية ..

لا اريد ان اترك الامور ، عمومية ، وسأحدد اكثر ..

ـ أليس من المفروض ـ وهذه احدى مهام اتحاد الكتاب العرب ـ ان تتم اتصالات مباشرة بينه وبين الكتاب والادباء في العالم ؟

انها فرصة لهذا الاتحاد ـ وقد لا تعوض ـ لان يضع نفسه في مكانه الصحيح .. في المعركة !

الم يعقد مؤتمرات ، ومؤتمرات ، كلها تتحدث عن الادب والمعركة، والادب والتحرير الخ ..؟

ـ أليس من المفروض ان يتطوع امثال العماري ، وبلخياط ، ودرياسة ، وسلوى ، ونادية ، والكرابي ، والدوكالي ، وعبد الحليم، ووردة ، وأم كلثوم .. بحفلات عمومية يكون مدخولها لصالح معركة التحرير ؟

لا يكفي فقط ان يملأ الكاتب او الاديب او الشاعر صفحات وصفحات عن المعركة ..

ولا يكفي ، أن يغني فنان للثورة ، والجماهير ، ويصعد الحماس .. فقط !

بل ان يفعل ذلك .. ويساهم عمليا من جهة أخرى !

انها مجموعة افكار تجمعت في ذهني ، وأنا اتابع اخبار المعركة ، ككل المواطنين ..

و .. لا اسمع شيئا عن الادباء والكتاب والفنانين !

و .. اكثر من هذا ، هذا الخبر الذي هزني اكثر من اي شيء آخر يوم الاحد الماضي .

لقد كان مدخول ملاعب كرة القدم ، في الجزائر كلها لصالح معركة التحرير ..

نعم .. كرة القدم ، هذا الفن الذي قال عنه المثقفون العرب والفنانون والادباء ، انه داء خطير في مجتمعنا العربي ..

هذا « الداء الخطير » ساهم بدوره في المعركة ، فاين مساهمة « الدواء » ؟.

الشعب
٢٥ تشرين الاول

السعودية

حمود البــدر

سبحان مغير الاحوال

(١)

قوة جبارة لا تقهر ، فقهرت . وقوة ضعيفة لا تعرف ان تحارب ، قويت وتعلمت فنون الهجوم والكر والفر . هذا اذا اعترفنا بأن هذين الادعائين صحيحان . مهما يكن فلم تحن الفرصة من قبل لاختبار صحتهما الا يوم السبت ١٠ رمضان حينمـا ثبت لاسرائيـل اولا ، لانها هي التي تدعي ، والعرب ثانيا الذيـن صدقوا او كادوا يصدقون ذلك الادعاء ، وللعالم ثالثا الذي لم يجد او ير ما يدحض ذلك الادعاء .

كنا في الحروب السابقة نهوش ولا نقدم بينما كان الاسرائيليون يدعون الوداعة ويهجمون لحماية تلك الوداعة . يهجمون فقط لانهــم يريدون ـ حسب ادعائهم ـ وقاية انفسهم من تهويش العرب ومــن هجومهم الذي يوشك ان يقع ، ولم يقع ابدا على مدى خمس وعشرين سنة .

لا زلت اذكر سذاجتي في سنة ١٩٦٧ وكنت يومها في الولايات المتحدة اتمنى لو قامت اسرائيل بالضربة الاولى حتى يتسنى لنا ـ كمبرر امام العالم ـ بالضربة الثانية ثم نبدأ بهجوم مضاد . وكانت فرحتي لا توصف حينما حصل ذلك .

بل ان سذاجتي امتدت الى ما هو ابعد من ذلك . كنت ارى المعلقين السياسيين والخبراء العسكريين على شاشة التلفزيون وعلى صفحات الجرائد يصفون ويسهبون في شرح الهزيمة الساحقة التي لحقــت بالعرب . وكنت اضحك في نفسي واقول سوف يرون : انه تكتيــك عسكري لا بـد منه لكي يجر العرب الجيوش الى المصيدة ومنثم ابادتها .

كنا نتجمع حول المذياع العربي ونسمع البلاغات المتناثرة حــول انتصارات القوات العربية . ونتهكم بما يقوله المعلقون الامريكان سواء منهم السياسيون او العسكريون . ولم نعلم بالهزيمة بدافع من التشبث بالنصر الموهوم ـ الا عندما فتحنا المذياع يوم ٨ يونيو وكانت نجــاة الصغيرة تغني اغنية « الله » .

عندئذ بدأت الصدمة التي لم نفق منها الا بعد ان اتضح كل شيء . انقلب الفال الى ياس . والشعور بالثقة الى شعور بالخيبة وبــدأت الحرب النفسية الشرسة الصادرة عن طواويس اسرائيل واعوانهم . وهل لهم ان يجدوا فرصة لتطويق الكبرياء العربية والمعنويات الجريحة افضل من تلك الفرصــة ؟

تحولت ايام ما بعد ٨ يونيو الى فترة شعرنا فيها كعرب باننــا وصلنا الى مرحلة من الضياع ومرحلة من الياس بحيث لن تقوم لنا قائمة واصبحنا نشك في كل كلمة تصدر عن القادة العرب ونكاد نصدق كل كذبة تدعيها اسرائيل . تحولت برامج التسلية في التلفزيون الامريكي الى مرتع خصب للتندر بالعرب وبجبنهم وغبائهم يتسابق اليها كــل واحد من اولئك الذين غسل مخهم بالدعاية الاسرائيلية .

ولكن كل ذلك لم يمنع الفئة المسيطرة على وسائل الاعلام الامريكية من الصهاينة من ان يسحبوا الكرسي من تحت صنائعهم من اولئــك المتندرين والذين كان من اصلفهم مقدم البرامج الشهير « ادسوليفان » والذي اقتلعوه من برنامجه الذي ظل يقدمه طوال خمس وعشرين سنة كان يدعي خلالها انه انجح برنامجمنوع . ثم تبعه في السقـوط لاعـق الاحذية الصهيونية الثاني جاكي جايسون . ثم تبعهما اخرون قدمــوا للصهيونية من الخدمة من خلال برامجهم التلفزيونية ما لا يستطيــع تقديمه اي صهيوني من اسرائيل .

تداعت هذه الذكريات ولا زالت تتداعى حينما تحطمت الاسطـورة وتغير الحال من بعد ظهر يوم السبت ١٠ رمضان الموافق ٦ اكتوبر .

الجزيرة
١٨ تشرين الاول

... ثم قهر الجيش الذي لا يقهر وكسرت كبرياؤه . وتحـول الجيش الذي لا يعرف فنون الحرب الى قوة محاربة تماثل او تضاهي ذلك الجيش الذي كان لا يقهر .

لقد كان يوم السبت العاشر من رمضان هو نقطة التحول او المحك الذي جلا الصدأ عن الجواهر واثبت قيمتها وفعاليتها .

لقد تحولت القوة العربية المبعثرة الى قوة متضامنة يشد بعضها ازر بعض وهذا هو الشيء الطبيعي . وتعلمنا الدرس ، ولا يلدغ المرء من جحر مرتين على الرغم من اننا لدغنا ثلاث مرات من نفس الجحر .

لقد كان بعيدا هو الرأي العام العالمي والقوى الكبرى والتي دائما تنصر المنتصر وتهزأ من المهزوم . بالضبط كما يفعل الصبية فـي الشوارع عندما يجدون طفلا ضعيفا فيجعلون منه محل سخريتهم ومحط تجارب لاختبار عضلاتهم .

عندما تحللنا من هذه النقطة ، نقطة ضعفنا امام الرأي العـام العالمي استطعنا ان نثبت اننا قوة محاربة لا تقل في كفاءتها كما عهد في اجدادها من شجاعة واقدام .

وكم من مرة تمنيت فيها ان اكون في الولايات المتحدة ولو لفترة وجيزة لارى ماذا يفعل هناك تجاه هزائم تلك القوة التي لا تقهر . وتجاه صلابة وثبات تلك القوة التي لا تتقن فنون الحرب .

لا شك ان الدنيا قد اقيمت واقعدت امام هزائم « شعب اللـه المختار ! » ولا شك ان اصوات التباكي على مصير حمائم اليهود قد تعالت ، ونشطت حناجر بعض الموالين لها تطالب بحماية تلك الحمائم!!

ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . ولقد غيـر العرب فعلا انفسهم بل انهم انقلبوا على انفسهم . حتى ان العالـم بدأ يحس بهذا التغيير وبدأ جزء كبير من الرأي العام العالمي يبارك هذا التغيير ويشجعه .

ولله في خلقه شئون . ولينصرن الله من ينصره ورسله . ومـا السموم التي تبثها ابواق الدعاية الغربية المتصلة باسرائيل الا محاولة لقلب الحقائق كجزء من محاولة لتغيير الواقع الذي بدأ يتضح وهو ان العرب غيروا انفسهم فغيرهم الله . تحولوا من قوة ذليلة الى قـوة شجاعة تبادر وتكسب وتقول وتفعل بل الاكثر من هذا هو سر تحولهم وتغير حالهم .

لقد بداوا يشعرون بانهم يدافعون عن حق وان الحق لا يعطي وانما يؤخذ . وبهذا اثبتوا لانفسهم اولا ولاعدائهم ثانيا ولاصدقاء وصنائع اعدائهم ثالثا انهم قوم عرفوا الله فعرفهم ونصروه فنصرهم .

ان الايام الثلاثة عشرة الماضية اثبتت ذلك وايدته ضراوتهم فـي الدفاع ومعرفتهم بالاسلحة الحديثة الذي كان يشاع ان استعمالهـا مقصور على اولئك الشرذمة القادمون من الغرب .

« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

الجزيرة

١٩ تشرين الاول

حسن كتبي

مكاسبنا من الحرب

يتحدث الناس عن هذه الحرب الدائرة بيننا وبين اعداء الله واعداء الانسانية التي وقفت حركتها ولم تزل يشتعل اوارها ، وتتجمع طاقاتها اما لتنفجر اسوأ مما مضى او لتحقق الغايات التي نشبت من اجلها .

يتحدثون عن هذه الحرب ماذا صنعت بنا ماذا صنعنا فيها وما هي مكاسبنا ومخاسرنا حتى الان .. وماذا سيترتب على ذلك فيما بعد .

يتحدث العسكريون عن فنون الحرب واستراتيجيتها وكرها وفرها وانواع الاسلحة المستخدمة فيها والقدرة والمهارة فياستعمالها .. ويتحدث السياسيون ـ وهم الفريق الذي ـ يغلب بينهم الغاوون الذين هم في كل واد يهيمون ومن زوايا اهوائهم ينظرون ... ويصورون كل شيء بما يدينون ثم يخرجونه للناس كما يشتهون ... وقل فيهم من يقوم الامور تقويما سليما ينطبق مع الحق والصدق والعدل .

ويردد عامة الناس اخر ما تنقله الجرائد او تتحدث بهالاذاعات، وهي في كل يوم تنقل جزءا من الصورة قد يكون موالفا ، وقد يكون مخالفا لاجزاء سبقته ، والعامة من قرائها لا يحاولون ان يجمعوا بين تلك الاجزاء لتتضح لهم الصورة بكاملها ولو فعلوا ذلكلتبين لهم انه لا يوجد في كل ما جمعوا ما يستحق ان يشكل شيئا يصلح للاخذ به ..

وياتي دور من يجمع وقائع الحرب التي تتساقط كالشظايا في وهج الحمم ، وهي في اشد غليانها فيتركها حتى ينطفىءوهجها ويخمد اوراها ثم يقلبها بين يديه في اناة ورفق ليعرف ما فيها من خير او شر ونفع او ضر ، ايجابية او سلبية ، وهي لصالح اي جانب من الفرق المتطاحنة ثم يسلسل نسبها الى التاريخ والماضي ويزنها بموازين يحرص على سلامتها وسلامة معطياتها.

فحكم الاديب على نتائج المعركة لا يتأثر بقوة الاسلحة او ضعفها وما حققته في ميدان القتال من نصر او هزيمة كما لا يندفع مع العواطف الصاخبة من افراح واتراح ـ وانما يبني حكمه علىالجوانب الاصيلة التي تتحقق من ورائها اهداف نبيلة .

وفي هذا الاطار نحاول ان ننظر الى ما صنعناه في هذه الحرب وما صنعت بنا ..

لقد خلفت لنا الهزائم المتكررة في حربنا مع اعدائنا هذا التراث المزري وهو :

اولا ـ ان العرب متفرقون حتى لقد كان اعداؤهم يتطوعون احيانا بالنصح لهم بالتآلف ونسيان اسباب الفرقة ..

ثانيا ـ وانهم في عزلة عن بعضهم فلا يلبي كل فريق منهم احتياجات الاخر ، فالغني يضن بغناه على من سواه والقوي لايستعمل قوته الا فيما يحقق رضاه وان نظرتهم الى الامر الواحد تختلف من الضد الى الضد ..

ثالثا ـ وان الخلافات العقائدية قضت على وحدتهم وفرقت شملهم واشعلت نار الحقد بينهم ونشبت بينهم الضغائن حتى انهم لا تقوم لم قائمة .

رابعا ـ ان العرب امةمتخلفة عن الحضارة التقنية ، ولذلكفهم لا يجيدون استعمال اسلحة الحرب المتطورة .

خامسا ـ ان اليهود شعب متفوق عسكريا وتقنيا وعلميا وهو لذلك صاحب الغلبة المطلقة في المنطقة .

سادسا ـ ان الحرب بين العرب واليهود قد حدده زمنبقائها اذا وجدت ، فهي مهما اندلعت وفي اي وقت لا تلبث ان تنتهيبهزيمة العرب في اقصر وقت ثم يحرز اليهود مزيدا من النصر .

سابعا ـ ولقد اوجدت قضية العرب مع اليهود مبادىء عالمية تنكرها الانسانية والديانات السماوية والاخلاق الفاضلة ويعترف بها الواقع الدلي وهي ـ اللامبالاة ـ بالنقائص بكل انواعها من غمط الحقوق وظلم الاخرين ودعم الباطل علانية وحجب الحق علانية ايضا .. وتبرير تصرف القوة والاقوياء مهما كانت مدمرة للقيم الانسانية والعودة بحياة الانسان الى قانون الغاب الذي يقضي بجعل السيطرة المطلقة للقوة .

وقد نتج عن مجموع تلك المبادىء حالة ـ التجمد ـ لقضية العرب مع اليهود فاصبح الحق العربي لا يجد مجالا يتحرك فيه .. واذا ما اريد له ان يتحرك يصطدم بشيء من تلك المبادىء التي اوجدتها الصهيونية العالمية واشاعتها في الاجواء السياسية العالمية فيفضل البقاء مجمدا على حركة تنقله من خسارة حربها الى خسارة لا يعرف ابعادها ..

وكانت نهاية المطاف ان صدق الناس جميعا ـ اصدقاء العرب واعداؤهم ـ ان الطوق قد استحكم في رقبة العرب ـ وان فكه لن يأتي الا احسانا من اعدائهم او اشفاقا من اصدقائهم بعد انيدفعوا الثمن غاليا .

ولقد جهل الجميع ونسوا ان هناك حقائق كامنة في الفطرة العربية وانها اقوى من كل قوة وانفذ من كل سلاح.

وان هذه القوة مستمدة من دينهم .. واصالتهم .. وان تلك

الفطرة وما فيها من قوة كامنة رفضت كل حل لقضيتهم مع اعدائهم لا يكون على اساس من العزة والكرامة ومحو اسطورة التفوق الصهيوني على الكفاءات العربية الحربية .

وفي الوقت الذي ترسخت فيه تلك الصورة الكالحة التي سحرت بها الصهيونية العالمية اعين الناس برز المارد العربي فجاة وباسلوب خارق ليحطم كل تفوق مزعوم للصهاينة فياسلحتهم وخططهم الحربية وباطلهم الذي غزوا به عقول العالم فكانت نتيجة الجولة الاولى من الحرب ، ان تحولت اسلحة اليهود الى اكوام محترقة من الحديد ، وظهرت ذلتهم التي طبعوا عليها ، واصبحوا يتعلقون باسباب من الدعاية اوهى من بيت العنكبوت .. وقد ادت هزيمتهم الى انكشاف حقيقة كانت غارقة في امواج باطلهم ، وهي ان العالم اجمع يحتقر اليهود ويمقت عدوانهم ويحيطهم بكراهية خانقة تسد في وجوههم جميع الطرق ـ فهم ملعونون اينما ثقفوا ..

بعكس ذلك فان العالم اجمع يحترم العرب ويتعاطف معهم ويفتخر بانتصارهم على اعدائهم ويؤيد موقفهم بكل امكانياته ويبالغ في اعلان مقته لاعدائهم ليعبر بذلك عن محبته وتأييده للعرب .

ثم برزت الحقائق التالية عن تلك الحرب المباركة ـ وهي :

ـ ان العرب يحتفظون بشجاعتهم التقليدية المتوارثة .

ـ وانهم يتقنون استعمال الاسلحة المتطورة كافضل ما يمكن استعمالها .

ـ وانهم جميعا امة واحدة تتحكم فيهم النخوة والكرم والتعاون والتآزر ونصرة الاخ لاخيه بكل ما يملك ..

ـ وانهم يلتزمون في قتالهم مبادىء سامية فلا يقتلون آمنا ولا يفتكون بالارواح البريئة ولا يدمرون البيوت على ساكنيها ولا يخربون المدن التي لم تكن ساحة قتال ولو استطاعوا ذلك .

ـ ولقد برهنوا على اهليتهم ليباهي بهم اصدقاؤهم ويرهبوا اعداءهم ـ وكانت عفتهم في مخاطبتهم لاعدائهم التي لا يعدلها الا عفتهم في اسلوب محاربتهم لهم ، قد رفعت من شأنهم واحلتهم المحل اللائق بهم من بين جميع شعوب العالم .

كل ذلك تم في ايام معدودات ـ وتم معه انقسام جميع شعوب الارض الى قسمين ـ اليهود وحدهم سواء كانوا في اميركا او تل ابيب او في اي بقعة من بقاع العالم معزولون بالسخط والكراهية والمقت بينما تقف جميع شعوب العالم مع العرب بالنصر والتأييد والتقدير والاحترام .

ولقد كانت هذه الحرب وسيلة فعالة للكشف عن خطر الصهيونية على العالم ـ ذلك الخطر الذي كانت تخفيه حتى حركت قواها المدمرة التي كانت تدسها عن الانظار وتدخرها للوقت الذي تفرض فيه نفسها ـ الدولة الوحيدة ـ التي تحكم العالم .

لقد تحركت الصهيونية العالمية بطيش ليس له حدود ـ ولم يكن الذي تحرك هو دولة اسرائيل التي تحتل ارض العرب وتحاربهم ويحاربونها ، وانما هي ـ خطة حكماء صهيون ـ التي اختطوها لتدمير العالم ـ واحاطوها ـ بسرية تامة وعملوا وما يزالون يعملون من اجل تحقيقها بجهد متصل .

لقد تحركت تلك القوة الطائشة لتنقل الحرب من اطارها الذي اعد له العرب عدتهم وواجهوه ببسالة منقطعة النظير حتى قضوا على اسطورته التي حيكت في نحو ربع قرن من الزمن ـ قضوا عليها في ايام معدودات ـ وقضوا على معظم اسلحتهم واستعداداتهم وقضوا على جميع دعاياتهم .

لقد تحركت القوة الصهيونية المجهزة لحرب العالم ـ لتواجه العرب وحدهم وعند هذا الحد تغيرت الصورة بكاملها ـ وكان للعرب فضل ان فتحوا عيون جميع شعوب الارض على ما تكنه الصهيونية من خطر يهددهم .

وكان من الحكمة ان يسكت العرب مدافعهم بعد ان حققوا بطلقاتها الموفقة ما هو اعظم من استرجاع ارضهم المغصوبة وهو :

ـ انهم كشفوا عن قناع الصهيونية العالمية التي تهدد جميع القوى الخيرة في الارض وتسعى لتدميرها ـ واثبتوا ان نصيب العرب من هذا الخطر ليس اكبر من نصيب غيرهم بل لعل نصيب الذين احتضنوا اليهود في بلادهم ادهى وامر من نصيبهم .

ـ واثبت العرب للعالم عن اصالتهم وتفوقهم وشجاعتهم وتمسكهم بالاخلاق الفاضلة والمبادىء الانسانية الكريمة .

ـ وان العرب لو تركوا وحدهم مع اعدائهم بدون عون لاي جانب منهم لما قامت لليهود قائمة على ارض العرب الطاهرة .

ـ واخيرا اثبت العرب انهم اهل لصداقة اصدقائهم واحترامهم وانهم بدينهم ومبادئهم السامية وتصرفاتهم الشجاعة الحكيمة خير امة اخرجت للناس .

تلك هي مكاسبنا من هذه الحرب ـ وهي مكاسب كشفت عن باطل اليهود وردتهم الى تاريخهم المخزي ـ كما كشفت عن حق العرب وردتهم الى تاريخهم المشرف .

فاما الباطل فيذهب جفاء ... واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض .

وقد اصبحت قضية العرب واليهود تحت نظر العالم اجمع ..

وفي هيئة الامم المتحدة تشكل محكمة من المفروض ان تتوفر النزاهة في قضاتها ـ فاذا حكمت المحكمة بالحق كان أحق ان يتبع ، واذا حكمت بالباطل فان العرب سيرتبون صفوفهم من جديد ويعيدون النظر في امورهم بتقييم ادق وتخطيط اشمل ، وعندئذ سيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون .

المدينة المنورة
٣٠ تشرين الاول

حسن عبدالله القرشي

دمشق

« دمشق » انا على العهد الذي كانا
ورزؤك اليوم بعض من رزايانا
حاشاك ان تهني للخطب ان بدرت
بوادر البغي او عانيت عدوانا
ياصخرة ما وهت يوما لمجترم
وما ارتضت في سبيل الحق بهتانا
بني امية هذا اليوم يومكمو
فصافحوا فيه عدنانا وغسانا
ان امطرتكم فلول الغدر نيرانا
فامطروها بطولات وايمانا
لا تألموا من ضراوات العدا فلها
حد وردوا الاذى يرتد خزيانا
كل العروبة تهفو نحوكم ولكم
في الله عون وما اقواه معوانا !

المدينة ـ
١٩ تشرين الاول

عبدالله الماجـــد

عن الاصل والصورة

الطريقة التي وافقت بها اسرائيل على قرار مجلس الامـن الاخير تثير تساؤلا مريبا ، فبعـد دقائق من صدور القرار اعلنت اسرائيـل عـن موافقة وزارة العدو على هذا القرار والتزامها به . واحد قوانين التاريخ ، كـان يكفينا مؤونة التساؤل المريب هذا ، على اعتبار ان هذا القانـون التاريخي يقول ان ما يحدث اليوم ليس بالضرورة منقطع الصلة بمـا قبله . احداث اليوم هي وليدة احداث الامس ، امـا تطويرا لها ، او استمرارا لاحداثها .. ونحن العرب ما كنا بحاجـة الى مراجعـة حساباتنا ، فتاريخنـا مع اليهود ، كـان يكفـي لكـي يغذيمواقفنـا المعاصرة بدفق من حرارة التجربة التي تشتعلاليوم. وها هي شواهـد التاريـخ .

« كعب بن اسعـد القرظي » سيد بني قريظة ، القبيلة اليهودية التي نعمت بحسن جوار الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه في المدينة . بعـد ان عقدوا عهدا مع الرسول على العيش فيظلالسلام..

« كعب » هذا المهادن في ستار الجريمة ، له اكثر من صورةتحرك داخل اسوار اعدائنـا اليـوم . كـان هـو الذي ابرم العهـد ، وهو نفسه الذي نقضه . يد تعمل في النهار واخرى تقتنصفي الظلام.

« ابو لبابة » ذلـك الاوسي حليف بني قريظـة ، ومستشارهم في حكم الرسول عليهم بعـد ان حاصرهم ولم يعـد امامهم الا الاستسلام، ابو لبابة ، هو الذي قال لليهودبعد ان استشاروه في حكـم الرسول « انزلوا عند الحكم » وفي الخفاء اشار اليهم بان الحكم هو القتل .. وكانت دعوته صريحـة تدعوهم للاعتصام ومحاولة الفرار من هـذا الحكـم او مواجهـة الرسول واصحابه (وهـو يعلم قدرتهم علـى خوض تلـك الحرب) .

« ابو لبابة » كنت ارى فيه صورة اخرى من الصور الكثيـرة في طوابير العدو . نفس المواقف ، ونفس الحركات ، نفس المراوغـة، نفس المهادنة ، يد تعمل في النهار ، واخرى تلعب في الظلام بسكين مسمومة ، لولا ان الله تـاب عليه .

ولكن كيف تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع هؤلاءالاوغاد؟ (وهذا هـو المهم) :

« لما رجع عليه السلام باصحابه واراد ان يخلع لباس الحرب امره الله باللحوق ببني قريظة حتى يطهر ارضه مـن قـوم لـم تعـد تنفـع معهم العهـود ولا تربطهم المواثيق ولا يأمن المسلمون جانبهم في شدة ، فقال لاصحابه : لا يصلين احد منكم العصر الا في بني قريظة ، فساروا مسرعين وتبعهم عليه السلام ، وكان عدد المسلمين ثلاثة الاف. ولما رأى بنـو قريظة المسلميـن القى الله الرعب في قلوبهم وارادوا التنصل من فعلتهم القبيحـة وهي الغدر بمن عاهدهم وقت الشغـل بعدو اخر . فلمـا رأوا ذلك تحصنوا بحصونهم وحاصرهم المسلمـون خمسا وعشريـن ليلة ، فلمـا رأوا ان لا مناص من الحرب ، وانهم ان استمروا على ذلك ماتوا جوعـا طلبوا مـن المسلميـن ان ينزلـوا على مـا ينزل عليه بنـو النضيـر من الجلاء بالاموال وترك السلاح فلم يقبل الرسول ، فطلبوا ان يجلوا بانفسهم من غير سلاح فلـم يرض أيضا ، بل قال لا بد من النزول والرضا بمـا يحكم عليهم خيرا كـان او شرا » . (شرح نور اليقين ص ١٤٩)

« سعد بن معاذ » ذلك القائد الانصاري ، الذي مـات ودمـه ينضـخ مما اصيب به في غزوة الخندق ، دفاعا عن العقيدة والشرف، كـان هو الحكـم ، جاء بجراحه ليصدر حكمه :

« اني احكم ان تقتلوا الرجال وتسبوا النساء والذرية »

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« لقد حكمت فيهم حكم الله يا سعد »

وبتمام هذه الغزوة اراح الله المسلميـن من شر مجاورة اليهود الذيـن تعودوا الغدر والخيانـة » .

(شرح نور اليقين ص ١٥١)

اليست شواهد الامس تدل على احداث اليوم ؟!

- حاشيـة
- في غزوة خيبر ، اعطت احدى نساء اليهـود الرسول صلـى الله عليه وسلم ، قطعة لحم مسمومة ، فأخذ منها مضغة ثم لفظها، واكل منهـا احد اصحابه فمات .
- قال عمر بن الخطاب :« لا يجتمع في بلاد العرب دينـان » يعنـي اليهـود والاسلام .
- تهليلة حـزن

هـل ابكيـك يا امتـي وجـدا على ضيـاع مجـدك بالامس ، وهل اكتفي بنبش اطلال ذلك المجـد ؟ ان فعلت ذلـك ، فمـن المؤكـد انني لن اجـد سيف « علي بن ابي طالب » او « خالـد بن الوليد » او فرس « صلاح الدين » لاحارب به . ولكنني انبش اطلال ذلك المجد لابحث عن صورة مماثلة لابطال ذلك المجد .

الجزيـرة

٢٤ تشرين الاول

المغرب

عبد الكريم غلاب

التاريـخ لا يعـود الـى وراء

يخوض الوطن العربي معركة جديدة لتحرير الانسان العربيوالارض العربية من الاحتـلال .

والحرب الجديدة التي شنتها اسرائيل لا تعتبر ضمـن « نـزاع عربي اسرائيلي » ولا ضمـن « مشكلة الشرق الاوسط » كما يريـد الملاحظـون ـ وخاصة الاجانب منهم ـ وبعض الملاحظين العرب والمسلمين مع الاسف ، ولكنهـا حرب تحريرية ، فليس بيـن العرب واليهود نزاع وليس بيـن العرب والاسرائيليين ـ مهمـا تكن الصبغـة العنصرية .. والطائفية للصهيونية التي تنتحـلاسم اسرائيل ـ نزاع . بل ان العرب منذ ارتبط تاريخهم بتاريخ الاقوام والاجناس وهم يعاملـون الاجنـاس والديانات معاملة كريمة لا يفرضون دينهم بالقوة ـ وقد كانوا اهل قوة في كثيـر مـن عصور التاريخ ولا يعتبرون لجنسهـم فضلا على ايجنس اخر ، كـان التفتح الفكري شيمة العقليـة العربية والاسلاميـة ، في التاريخ وفي الماضي القريب الذي كان فيـه بعض اليهـود جزءا مـن الامة العربيـة يتحدثـون لغتهـا ويعملون في اطـار الوطـن المشترك والدولـة المشتركـة والاقتصاد المشترك .

ليس هناك اذن نزاع بين العرب واليهود ولا بين العـرب والاسرائيليين وانمـا هنـاك عدوان استعماري تبنته طائفة من اليهـود انطلاقا من الفكـر الصهيوني العنصري باسم شيء اسمه اسرائيـل ، ودفعت به الى الوجود الدول الاستعمارية كجزء مـن تخطيط لاقامـة حرب دائمـة في وسط الوطن العربي من جهة ، ولتقسيم هـذه البلاد حتى لا ترتبط اقاليمهـا الاسيويـة باقاليمهـا الافريقيـة لان اسفينا دق وسط هذا الوطـن يهـدد الارض والمواطـن فيه ويشعل الحرب بقوة السلاح الذي ياتيه من الغرب ، كلما احس هذا الغرب بان هذه البلاد العربيـة اتجهت لتبني نفسهـا وتنهض بالانسان فيها .

نزاع العرب اذن ليس مع الاسرائيليين ولا مـع اليهـود ولا حتى مع الصهيونيين لو ظلوا بعيديـن عن الوطن العربي ولكنه نزاع مـع الاستعمـار والعدوان وتهديد الامن والسلام .

عصابة من هؤلاء الصهيونيين قدمت من خارج فلسطين ، فيهـم البولوني والتشيكي والاميركي والانجليزي والفرنسي والسوفياتيوفرضت افكارهـا الاجراميـة حتى على اليهـود الذيـن كانوا يتعايشون مـع العرب مسلمين ومسيحيين في فلسطيـن ، وكان هؤلاء ايضـا عربـا يدينون باليهوديـة كما يديـن زملاؤهم في الوطن والعروبة بالاسلام او المسيحية وقامت هذه العصابة بأعمـال اجراميـة استهدفت طرد الشعب العربي من ارض فلسطيـن وتحويلهـا الى دولة عنصريـة صهيونيـة تدين بالعداء لا لعرب فلسطين فحسب ، ولكن للعرب اينمـا سكنوا : في مصر او سوريـا او العراق او لبنان او الاردن الخ .

هذا هو العنصر الاول في النزاع . وقد افضى هذا النزاع الـى طرد شعب فلسطين بالفعل بوسائل اجراميـة ومذابح لم يعرف التاريخ الا امثلة قليلة منها . واحتلت ارضه وغيرت معالم المقدسات الاسلامية التي تؤويها هذه الارض واحرق اعظم مسجد يقدسه المسلمونبعد الكعبة.

وبدأ الاجرام يسيـر في خطته لتصفيـة الوجود الفلسطيني .

من هنـا بدأ النـزاع .

ولم يكن هذا النزاع الا من اجلالعدوان الذي حدث .

والعدوان لم يعرف له حدا : فقد تحول الى حروب تشنهـا اسرائيل بمساعدة دول اجنبيـة او لمصلحـة دول اجنبيـة ضد الجيران العرب: كانت اكبرها واحفلها بالضحايا والخسائر المادية حروب٥٦ و٦٧ و ٧٣ وتخللتهـا اعتداءات وحروب جزئيـة كانت اسرائيل دائمـا هي التي تشنهـا ضد العرب لتحقيق الهدف الذي من اجله اقيمت .

ومن الطبيعي ان ينهض الشعب العربي للدفـاع عـن نفسـه ولاسترجاع الاراضي التي اغتصبت منه ، ويكفي ان تكون اسرائيل قد توسعت حتى اصبحت في مصر على ضفـة القناة وفي الاردن علىضفة الاردن الغربيـة وفي سوريـا مشرفـة على سهل دمشق من الجولان كما اصبح جنوب لبنان وعاصمته ومطاره مرتعـا خصبا لاعتداءاتها ، يكفي فلسطين بكاملهـا والعبث بقدسهـا ـ لتعتبر اسرائيل استعمارا خطيرا يهـدد قلب العالم العربي والاسلامي واخطـر منطقة حساسة في العالم هي المنطقـة التي تنتج البترول .

والوطن العربي الذي ناضل نضال البطولـة والتضحية والشجاعة ضـد الاستعمار الغربي لا يمكـن ـ وفي نفس الجيل ـ ان يخضـع لاستعمار جديد لا يختلف عن الاستعمار القديم الا انه اشـد منه بطشا واخطـر مذهبا : هـو استعمار استيطاني عدواني ابادي حاول القضاء على شعـب بكامله ، ثم اخذ يتوسع للقضاء على الشعوب المجـاورة واحتلال ارضها واستغلال خيراتهـا (البترول في سيناء مثلا) واذلال شعوبهـا وفرض الحرب والدمـاء عليهم في كل وقت وحين .

العرب يشعرون بانهم اجتازوا مرحلـة الاستعمار ، انهم طووا

هذه المرحلة مع التاريخ بنضال طويل ، وتضحيات جسيمة ، وشعور جديد بدورهم في بناء مستقبل وطنهم .

وهم على غير استعداد بالطبع ليعودوا بالتاريخ الى وراء فتحتل بلادهم ويذل المواطنون فيها ، ويصرفون كل جهودهم وطاقاتهم لصد الاعتداءات المتوالية وللاستعداد والخوف من العدوان .

رسالة العرب هي غير هذه :رسالة المستقبل للخرج بالانسان العربي من عهد التخلف وتطوير الفكر العربي ليكون في مستوى الفكر الانساني ، وتنمية موارد البلاد وخدمتها حتى تستجيب للدور الحضاري الجديد كما استجابت في الماضي للدور الذي كان من قدرها أن تقوم به عن استحقاق ووعي واقتدار وتبصر .

لقد شارك الانسان العربي في الحضارة الانسانية ابتداء من العهد الفرعوني حتى العهد الاسلامي ، وشارك الفكر العربي في تنمية الحضارة البشرية التي حفل بها حوض البحر الابيض المتوسط : حضارة الاديان والفلسفات والفنون والاداب والبناء والانتاج . ومعنى ذلك انهم على استعداد ليساهموا في الحضارة الحديثة بكل قواهم وممكناتهم في جو من السلام والتعايش السلمي مع جميع دول العالم .

ولكن حينما تسلط عليهم اسرائيل لتشغلهم بهذه الحروب المتكررة ولتستنزف قواهم بالعدوان والاحتلال فانما تريد بذلك ان توقف سير التاريخ ، وتعود به الى عهد الاستعمار الذي قضى العرب فترة طويلة من حياتهم للتخلص منه .

ومن غير الطبيعي ان يحتمل العرب اكثر مما احتملوا ،ومن غير الطبيعي ان يعود التاريخ الى وراء ليجعل منهم شعوبا مستعمرة تحتل ارضها وتذل المواطنين فيها عصابة تجمعت من مختلف اطراف الارض . الحرب الجديدة التي فرضتها اسرائيل مرة اخرى يجب ان تكون النهاية لعهد الاستعمار ، فان لم تكن فستتبعها حروب وحروب الى ان تتخلص بلاد العرب من الاحتلال والاستعمار ولن تكون هذه الحروب صورة للنزاع بين العرب واسرائيل ، ولا بين العرب واليهود ، ولكنها صورة للنزاع بين العرب والاستعمار .

ذلك حقهم . بل هو واجبهم اذا ارادوا ان يكون لهم وجود كريم على وجه الارض ، وليس لاحد ان يمنع عنهم هذا الوجود الكريم .

العلم
١٠ تشرين الاول

منطق العقل والفكر في المعركة

لا احب ان يطغى الجانب العاطفي على الجانب الفكري في المعركة المصيرية التي تخوضها الشعوب العربية ضد اسرائيل ، ومعنى ذلك ان الفرحة بالنصر او الالم للهزيمة لا ينبغي ان يكون كل المردود الذي تتركه المعركة في نفوسنا . اننا نفرح تلقائيا حينما ينتصر المجاهدون من جنودنا وضباطنا والتقنيون والفنيون الذين يديرون المعركة، لان الانتصار في معركة يقرب الى نفوسنا النصر النهائي على العدو . ونحن نحزن تلقائيا حينما تغير طائرات العدو – مثلا – على المدن والديار الاهلة بالسكان وعلى المراكز الاقتصادية لان في ذلك صورة من انتصار يحققه العدو ، اي هزيمة لقواتنا التي تركت الطائرات المعتدية تصل الى اهدافها .

الفرحة التلقائية والحزن التلقائي لا يحلان المشكلة ، ولا يقربان الينا نصرا ولا يبعدان عنا هزيمة ، ولذلك يجب ان يطغى الجانب الفكري على الجانب العاطفي في المعركة التي تخوضها الامة العربية ضد العدوان الصهيوني .

والجانب الفكري يتطلب ان نعتبرها معركة مريرة طويلة الامد عميقة الخسائر لن تقف عند حدود الايام او الشهور او السنوات، ولو توقفت الى حين .

ذلك لانها معركة من اجل الوجود والكيان والعقيدة ، ولانها معركة لا تخوضها القوات الاسرائيلية ، ولكن تخوضها قوة اعتى من اسرائيل تعني بوضوح : ابادة شعب له ارض لاحلال شعب لا ارض له لا ينفد راده لا تدفع فيه اسرائيل ثمنا ، وربما لا تحتاج فيه الى تكوين الخبراء لاستعماله .

هي معركة من اجل الوجود لان الفكرة الصهيونية التي تقوم عليها اسرائيل تعني بوضوح : ابادة شعب له ارض لاحلال شعب لا ارض له محله . وتعني بوضوح : خلق مجال حيوي للتوسع لاقامة مملكة اسرائيل بين الفرات والنيل .

ومركز هذا الوجود والتوسع هو قلب العالم العربي والاسلامي : فلسطين ، التي اصبحت منذ ازيد من ربع قرن تسمى اسرائيل، مصر وسوريا والعراق وحولها يتبلور هذا العالم ومنها جميعا يستمد قوته واستمراره .

. اذا استهدفت هذه المراكز للاحتلال الاسرائيلي استهدف الكيان والعقيدة . كيان العرب والمسلمين لا يمكن ان يبقى اذا فقدوا الارض ، وقد فقدوا بالفعل جزءا مهما منها منذ ربع قرن ، وفقدوا جزءا اخر مهما منها منذ ازيد من ست سنوات . والوقوف سلبيا ازاء اسرائيل يطمعها ، ويطمع حماتها في استمرار استلاب الارض – اعني الكيان العربي الى ان تحقق اسرائيل مملكة داود الوهمية . وبذلك نفقد الكيان الذي عليه نبني وجودنا .
وذلك هو النصر لاسرائيل والهزيمة للعرب .

والاستعمار الصهيوني – كالاستعمار الاوروبي والاميركي الذي جربناه – ليس من البلاهة بحيث يعتقد انه سيبيد الانسان العربي جميعه جسديا . بمعنى ان مملكة داود – ما بين النيل والفرات – لن يسكنها الا اليهود ، والعرب المسلمون والمسيحيون ستطويهم الارض . ولكنه يعتقد انه سيفقد العرب الذين يحتملون البقاء تحت ظل النجمة السداسية ما به يكونون عربا وهو العقيدة .

بعض الاستعماريين في الماضي – وفي الحاضر كذلك – كانوا يحاولون استلاب الشعوب المستعمرة عن طريق تغيير العقيدة الدينية مثلا ، فيفكرون في تمسيح المسلمين او غير المسلمين كما حاولت – ونفذت – البعثات التبشيرية في المغرب العربي وافريقيا ، وكانت دائما في خدمة الاستعمار .

تلك نظرية لا نعتقد ان اسرائيل ستطبقها لسلب العرب عقيدتهم ، لان اسرائيل اليهودية مقفلة بمقدار ما هي عنصرية . فهم – من حسن الحظ – لا يبشرون باليهودية وما نظنهم سيحاولون تهويد الشعب العربي اذا تمكنوا منه . وما نعتقد انهم ينجحون اذا هم حاولوا كما لم ينجح اخوة لهم من قبل . ولكنهم سيحاولون اذابته بحيث يصبح شعبا بدون عقيدة ولو ظل يعتبر نفسه مسلما ، وسيزيحون عنه قوميته بحيث يصبح مع الزمن اسرائيليا لا عربيا،

حسن الطريبق

في مباركة الزحف

واكب النصر وثبة الابطال
فانتشى العزم في نفوس غوال
وانطوى الليل بعدما افتر في الاروا
ح فخر يشع بالامال
يتعالى صوت العروبة في « سيناء »
في هضاب «الجولان» او في «القنال»
يزأر الثأر في اشتياق الى المجد
ظامئات الى ابتداء القتال
يرتمي في مدى الكرامة كالبحر
عذب النداء يوم النزال
يحمل المجد غضبة ليس في ك
ل مداها سوى دماء الرجال
أين يمضي بها الهيام وقد أوغـ
ل فيها السؤال بعد السؤال ؟
بين سفي من الصاص يدوي
في الصحاري وبين سفي الرمال
يكتب العرب بالشهامة مجدا
سامق الصرح في سماء المعالي
ركزوا في المدى البعيد رجاء
يتخطى كل الذي في الخيال
ويضيء الذي تجاوز ما في الظـ
ن من خاطر أننا واحتمال
وحدة اومضت تؤازر اصرار
يمين بشعبنا وشمال !
يتوالى زحف العروبة في الجو
وفي البحر والربى والجبال
ألفت مجدها ودب بها الشوق
وأحيا بها شعور النضال
عرفت نهجها وسارت على الدرب
تخط الخلود للاجيال
في مدار النضال يخضر ليـ
ران في ستة من الاحوال !
ويعود الشباب من بعد جدب
يانع الحب سرمدي الجمال

العلم
١٢ تشرين الاول

وسيغيرون معالم كيانه الثقافي ، والثقافة احدى مقومات القومية.

معنى هذا ان الوجود الاسرائيلي يستهدف ابادة الوجود العربي داخليا . فهو ليس من نوع الاستعمار الغربي الذي كان يستغل او يستوطن فحسب ، ولكنه استعمار من نوع اخر يستهدف الابادة من الداخل بالاضافة الى احتلال الارض حتى يصبح الانسان العربي المستعبد متحللا من كل القيم التي تجعل منه شعبا ذا ارض وقومية ولغة ودين .

من هنا كانت الحرب التي تخوضها جيوشنا ذات اهداف وابعاد ليس من السهل تحقيقها بالسرعة الكافية ، ومن الخطأ الاندفاع عاطفيا عند اول انتصار ، او الاعتقاد باننا سنطوي اسرائيل بحرب واحدة . ذلك لان اسرائيل تلتقي في اهدافها مع كثير من الدول التي تريد استنزاف الوطن العربي واذلاله عن طريق اسرائيل ، وعن طريق الحرب التي تفرض عليه من حين لاخر فيظل دائما في الحرب العملية او في الاستعداد للحرب . وبذلك يحققون ـ بواسطة اسرائيل عدة اهداف ـ كبت الوطن العربي حتى لا يصبح وحدة وبالتالي قوة تتحكم في منطقة استراتيجية مهمة ، وتحتل جزءا كبيرا من المحيط الى الخليج .

ـ استنزاف الثروة العربية عن طريقين : طريق وضع البترول دائما في خدمة الامبريالية والاستعمار سواء بالتزويد او بكنز الاموال في بنوك الدول الاستعمارية ، وطريق صرف اموال البترول في التأهب للحرب وشراء السلاح من الدول التي توجد في بنوكها اموال البترول .

ـ صرف العرب عن كل عمل بناء حتى تبقى بلادهم في عداد الدول المتخلفة ثقافيا واقتصاديا . وبذلك يبقى الشعب العربي ـ ولو نجا جزء منه من الاحتلال الاسرائيلي ـ تحت رحمة التخلف وذلك يعني انه تحت رحمة الاستعمار .

هذه هي المشاكل التي نواجهها في حربنا مع اسرائيل . وهي تتطلب العمل الفكري اكثر من الاندفاع العاطفي . واذا كانت دولتنا المواجهة قد اتسمتا في هذه الحرب بأعمال الفكر وضبط الاعصاب والاستعداد الطيب والاستفادة من اخطاء الماضي والاعتماد على التقنية الحديثة وتقوية الروح المعنوية في الضباط والجنود وحشد الطاقة العربية عمليا بمساهمة الدول العربية من المحيط الى الخليج في المعركة ، فاننا لنعتبر ان هذه بداية طيبة لمواجهة المعركة بالفكر لا بالعاطفة .

وعلى الشعوب العربية ان تكون في هذا المستوى فتقدم التضحية حينما يتطلب منها الموقف وتستعد للمعركة الطويلة التي تفرضها ظروف الاستعمار التي اوجدت اسرائيل وتحمي اسرائيل ، وتستعد للهزيمة كما تستعد للنصر ، وتكون في عون المجاهدين في الصفوف الامامية بروحها المعنوية حتى لا تخذلهم .

هذا هو منطق العقل والفكر .

وهو المنطق الذي يجب ان يسود ظروف الحرب التي يخوضها الوطن العربي من اجل ارضه وكيانه وعقيدته .

العلم
١٧ تشرين الاول

عبد الجبار السحيمي

من يخسر أخيراً ..

كنت لا التفت كثيرا الى هذا المركز الثقافي الاميركي الذي يوجد على رأس الشارع . كنت امر عابرا بمركز سفارة اميركا بالرباط ! كانت لافتة ((كتائب السلام)) المعلقة فوق ((الفيلا)) المعلقة لا تثير كثيرا من فضولي .. الان ، بعد العدوان الاسرائيلي ، وسلاح اميركا الذي يتدفق على اسرائيل بشكل مهول ، بدأت اخطو امام هذا المركز الاميركي بكثير من الحذر ! بدأت اخمن حقيقة ما يمكن ان يكون همائم السلام يصنعون !

لست وحدي من يفعل ذلك ، ففي خلال اسبوع واحد فقط ، وصلت من القراء عديد من الرسائل ، كلها تقول ، بصيغ مختلفة ، ان الذي يقتل ابناءنا ، جنود المغرب في سوريا وفي مصر ، هو السلاح الاميركي ، وليس اسرائيل فقط .. ولا احد يعرف من هو الاصبع الذي يضغط على الزناد ، اذ ان كثيرا من رجال عصابات العدو ((يتخفون)) وراء الجنسية المزدوجة . وهناك بعض القراء الذين كتبوا رسائل غاضبة ، الى حد يصعب نشرها ، او حتى الاشارة الى محتواها ..

بالنسبة لي ، فان المرور امام السفارة الاميركية اصبح بمثابة التقاء ، مع خط النار . وماذا يكون غير ذلك ، واميركا الرسمية لا تتورع ان تمطر اسرائيل بادوات القتل ، وهي تعرف لا شك ، هذه الاميركا الرسمية ، ان النار التي تقتل الناس في دمشق ومصر ، لا تفعل ذلك دفاعا عن حق ، فالعالم كله – مهما كان تصرفه – يعرف جيدا ان السوريين يدافعون عن حرية كل شبر من الارض السورية التي يحتلها هذا الطرف الاخر المعتدي ، الذي يطلق الرصاص الاميركي ! كما يعرف العالم ، ان المصريين يدافعون عن الارض المصرية التي يحتلها المعتدي ، وهو يحتلها بهذا الرصاص الذي تمطر به اميركا الرسمية اسرائيل ..

ليس هو الغيظ ما احس به ، وانا امر هذه الايام بالمركز في رأس الشارع ، او بمقر السفارة ، فقد كنت اعرف دائما ان اميركا الرسمية ، قلبها مع اسرائيل ، حتى وهي معتدية ، لكنني لم اكن اظن ان الامر يصل الى هذا الحد الغريب من عدم التقدير ، فبدلا من ان تقوم اميركا الرسمية ، بمجرد اجراء منطقي لتفرض على المعتدي موقفا يحفظ لاميركا نفسها بعض العطف الذي تلقاه في هذا البلد او ذاك ، مع هذا النظام او ذاك ، بدل ذلك ، فان اميركا الرسمية ، تعلن صراحة عن تدفق اسلحتها على اسرائيل ، حتى من غير اشتراط في ان يكون هذا السلاح اداة للدفاع لا للعدوان او لاحتلال اوطان الاخرين ، ومن غير اشتراط ان لا يستعمل هذا السلاح ضد الاطفال الصغار والنساء والمستشفيات في دمشق ! لا شيء من ذلك ، وانما قوافل جوية وبحرية لا تعرف التوقف ، تملأ خزائن اسرائيل بادوات القتل ، وادوات الاعتداء على اوطان الاخرين .

ما الذي اقول لابني ، لو سالني مرة عن معنى المركز الثقافي الاميركي ؟ ما الذي اقول له ، لو اشار الى البناء الغامض لمقر سفارة اميركا ؟ بل ما الذي اقول له ، لو سال سؤالا ابعد من ذلك ، استوحاه من هذه الاخبار التي يتهجاها في الصحف ، او يستمع اليها من الاذاعات عن موقف اميركا من الانسان العربي : مغربيا ومصريا وسوريا وعراقيا وسعوديا و ...

اعرف ان مثل هذه الاعتبارات ، لا تخطر ببال سياسة اميركا الرسمية ! لست ساذجا حتى افترض العكس ، لكنني اعرف يقينا ان عالم الغد ، عالم القرن الواحد والعشرين ، هو عالم سوف يكون قادته ورجالاته ومفكروه اطفال اليوم في مصر وفي سوريا وفي المغرب وفي المملكة العربية السعودية وفي تونس وفي الاردن وفي كل هذا الوطن العربي من المحيط الى الخليج .. فما الذي يمكن ان تتوقعه اميركا الرسمية من قادة ، عرفت طفولتهم كثيرا من المرارة وكثيرا من الحزن ، وارتبطت هذه المرارة وهذا الحزن باسم اميركا التي تعطي بلا حساب النار والرصاص لاسرائيل ؟

سؤال لا اجيب عليه ! أطفال اليوم هم الذين يملكون ان يجيبوا عليه مع اطلالة القرن الواحد والعشرين ، حين يكون كثير منهم في مراكز المسؤولية ، وحين تكون الامة العربية اكبر بكثير مما هي عليه الان ، في الناس وفي كفاءة الناس وقدراتهم وامكانياتهم التي تتطور باستمرار ..

ومن يخسر اخيرا ، سيكون الخاسر الاكبر !

مصر التي في الخاطر

نحبها كثيرا ، من اجل هذا الحب الكبير لها ، نغضب احيانا منها.

انني اتحدث عن مصر : مصر الماضي ومصر الحاضر ، مصر التي في خاطر الناس جميعا ، وفي دمهم !

لم اعرف متى ولا كيف بدأت ارتبط بها ، لكنني أكاد أعتقد أن ذلك بدأ منذ الصبا الباكر ، حتى قبل ان اعرف الكثير عنها ، وقبل ان أقرأ مجلة الاطفال ((سندباد)) ، وقبل ان أميز لهجتها الحلوة عن باقي اللهجات المحلية ، وقبل أن أحدد بعض الاسماء التي تدل عليها ، بل وقبل ان اكون قد رأيت حارة من حاراتها في فيلم سينمائي ..

والذي يحب مصر ، لا يحب جزءا منها ويستثني جزءا آخر ..

الذي يحب مصر ، يحبها كلها ، النيل ، أم كلثوم ، المنفلوطي ، رسالة الزيات ، الازهر ، احمد فؤاد نجم ، الدراويش ، جامعو السبارس ، المنصورة ، بور سعيد ، الاسكندرية ، الشعر ، والفول المدمس .

هكذا تعلمنا ان نحب مصر ..

أذكر ، في سنواتي الاولى بالمدرسة ، ان زائرا غريبا دخل زقاقنا ذات يوم ، كنا نلعب الكرة وقتها فلم نتوقف حتى يعبر الزائر الغريب ، لكننا عرفنا في نفس اليوم انه مغربي كان يدرس في مصر ، وعاش بعض الوقت هناك ، كان ذلك الغريب هو الشاعر الاستاذ محمد بن عبد الله ، ومنذ عرفنا ذلك ، بدانا ، لا نوقف فقط لعبة كرة القدم حين يمر بنا ، بل اصبحنا نتحلق حوله ، نقتفي خطواته حتى يدخل بيت اسرته في آخر الزقاق ، كان يكفينا ان نعرف انه ات من مصر ، لنسحب عليه الحب الذي نختزنه على البعد لمصر ..

وكبرنا وكبر معنا هذا الحب . كانت مصر هي التي تحتضن كثيرا من ابنائنا ، تفتح لهم القاهرة دارا حين يطاردهم الاستعمار هنا ، تفتح لهم باب جامعاتها لان الاستعمار هنا كان يكره مجرد ان يوجد جامعي مغربي .. باللغة العربية .

مصر التي نحبها كثيرا ، هي مصر دائما ، في الماضي وفي الحاضر نفرح معها ، نشقى معها ، وتتعلق قلوبنا بكل اخبارها ، بكل اخبار شعبها الطيب العريق .

يا مصر ، ليس طارئا ان دم الجندي المغربي قد سال فوق ترابك،

الى المجاهدين

محمد العربي الشاوش

ما بعد غدر الغدره — بني صهيون الفجره
سوى الوقوف كتلة — جبارة مستنفره
وجبهة مرصوصة — وعصبة مشمره
تحمي البلاد والعبا — د من طغاة كفره
من الذئاب الخبثا — ء المعتدين المكره
أبناء صهيون اللئا — م العابثين الحقره
قد ظلموا وشردوا الـ — عرب الكرام البرره
وهتكوا حرمتهم — بأيد كانت قذره
واختلسوا ارضا بها — مآثر مطهره
ارض « فلسطين » التي — هي بحق جوهره
وامتلكوها بالخدا — ع والخطى المزوره
وسلبوا أمجادها — فأصبحت مستعمره
واغتصبوا واستعبدوا — بحيلة مدبره
ثم تمادوا في العنا — د والفساد والشره
وهددوا وأرهبوا — وأمعنوا في الثرثره
وارتكبوا فظائعا — مزرية مؤثره
وتركوا أنفسنا — مكلومة مكدره
فكان لا بد لنا — من رد كيد الغدره
وقذفهم في البحر أو — في النار مثوى الكفره
من يزرع شرا في الورى — يحصده حقا ويره
هم الذين بدأوا — بالغدر فانظر اثره
وأوقدوا نار الوغى — محرقة مدمره
وبرزوا كأنهم — وحوش غاب خطره
وهجموا غدرا على — أوطاننا المحرره
ويتموا ، ورملوا — بخسة وبربره
فليس بعد غدرهم — الا الحروب المشهره
نذود عن أوطاننا — كخالد أو عنتره
وما رهبنا قوة — وعدة مدخره
وما يئسنا لحظة — ولا رجعنا القهقره
قالوا انهزمنا ، كذبة — من ثلة مستهتره
لم ننهزم قط ، ولكـ — ن قد قبلنا المشوره
من «مجلس الامن» الذي — دعا لوقف المجزره
و « هيئة الامم » مع — وفودها الموقره
فان وفت وأنصفت — فذاك منها مفخره
او بخست ، عدنا الى — حملتنا المظفره
والنصر والفوز لنا — ومن يعش قطعا يره

العلم

٢٣ تشرين الاول

ليس طارئا ولا جديدا ، فترابك هو تراب هذا الجندي المغربي ، وهو حين يقف في سيناء او على مدخل الاسماعيلية ، فكأنه يقف على مشارف تطوان ..

ما أعجز الكلمات ، كلها كلها لا تساوي قطرة صغيرة من جرح جندي مغربي يقف جنبا الى جنب مع الجندي المصري ، يترجم الحب باللغة التي لا اعرفها ولا استطيعها ..

معك دائما يا مصر ، وكلنا حب .

العلم

اول تشرين الثاني

العسكرة

ما الذي يقرأ الناس الان ؟ ولنحدد اكثر فنتساءل : ما الذي يقرأ الانسان العربي الان في الرباط وبيروت والقاهرة ودمشق وبغداد والبحرين وتونس والجزائر ؟

بعد حزيران ، نبت في الحقل العربي ما سمي ادب حزيران ، وكتب حزيران .

كل شيء اصبح مصبوغا بحزيران ، ابتداء من قصائد نزار قباني الذي تخلى عن المرأة ليكتب عن « منشورات فدائية » ، وحتى الدكتور العظم الذي تحول من « نقد الفكر الديني » الى نقد الفكر الفدائي ، مرورا بالعشرات من الكتاب ..

هذا الادب الحزيراني الذي نبت في الحقل العربي ، كاد يصبح نبتة اصيلة في الحقل لا طارئة ولا طفيلية ، فالهزيمة فتحت الشهية للكثيرين ، واعطت الشجاعة للكثيرين ، واسهمت السوق في ذلك ، فقد وقع اقبال كبير من القراء على كل كتابات حزيران ، الصحيح منها والخاطىء ، سليم النية منها وسيء النية . وانطلقت التفسيرات والتحليلات تضرب في الحقل المفتوح وتغرس فيه بلا رقيب ، فهناك من علل كل شيء بالتخلي عن الدين ، وهناك من علل كل شيء بالتشبث بالفكر الديني ، وهناك من طرح غرس « التكنولوجيا » ، ومن اعلن غياب الجماهير وغياب الديمقراطية اساسا لكل ما حصل وكل ما يحصل ... وكاد حزيران يصبح حائط مبكى ، لولا ان جاء سادس اكتوبر ١٩٧٣ لتمحو ضربة « يوم كيبور » نبتة حزيران ولتطرح امام النقد منهجا جديدا لرؤيته .

الان ، بعد سادس اكتوبر ، يصبح الانسان العربي « معسكرا » . فقد « تعسكرت » العقلية العربية القارئة بشكل لا تخفيه واجهات المكتبات حتى في هذا الظرف القصير ... فأكثر الكتب المعروضة والمطلوبة هي كتب عسكرية ، تتحدث عن الاستراتيجية العسكرية في القديم او الحديث . كما عادت مذكرات كبار رجالات الحرب لتحتل الصدارة ، وليس مستبعدا ان مطابع بيروت في هذه اللحظة ، تدور باستعجال لتعطي مزيدا من الكتب العسكرية الموضوعة والمترجمة ...

هل يعني ذلك ، ان الانسان العربي يكتشف متأخرا ، ان اللغة الوحيدة التي يسمعها العالم هي لغة الرصاص ؟

اذا كان هذا بالفعل ، فما اكبر خسارة اسرائيل ومن يدعم اسرائيل ، لان الانسان الذي يكتشف ان لغة الرصاص وحدها هي التي اسمعت صوته ، فانه حتما سيعرف كيف يطور هذه اللغة من اجل ان لا تضيع حقوقه كما ضاعت من قبل .

ان اكتوبر ١٩٧٣ ، كان ضروريا لنتعلم الكثير ، وكان اكثر ضرورة ليدخل حزيران في مدار جديد .. ولينظر اليه من منظار جديد !

العلم

٢٤ تشرين الاول

الفهرس العام لسنة « الآداب » الحادية والعشرين ١٩٧٣

راجع بريد الآدب تحت مادة « بريد ». والقصائد تحت مادة « شعر » . والقصص تحت مادة « قصة » . والنتاج الجديد تحت مادة « كتاب » . والمناقشات تحت مادة « مناقشة » . والنشاط الثقافي تحت مادة « نشاط » .

والجدير بالملاحظة ان حرف (ض) الذي لحق احيانا بالرقم (٤) انما يفيد (العدد الرابع ـ اضافي) .

اما العددان الخامس والسادس فقد اقتصرنا فيهما على الرقم (٥) ، والعددان الحادي عشر والثاني عشر فقد اقتصرنا فيهما على الرقم (١٢) .

١ ـ فهرست الموضوعات

٢ ـ فهرست الكتـاب